

مجلد اخير من الكشاف

استعاره من [illegible] مع ما يكمل الكتاب وهو مجلدات [illegible]
[illegible] العبد الفقير لله ربه الصمد عبد الرحمن بن علي بن المؤيد عفا الله
تعالى عنهم نهار [illegible] الحادي عشر من محرم الحرام سنة [illegible] عشر
وتسعمائة بمحروسة قسطنطينية [illegible]
[illegible]



الجلد الرابع من الكشاف من اول سورة الصافات الى اخر الكلام [illegible]

٣٠٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

سورة والصافات مكية وهي مائة واحدى وثمانون آية وقيل اثنان وثمانون آية اقسم سبحانه

بطوايف الملايكة او بنفوسهم الصافات اقدامها في الصلوة من قوله تعالى وانا لنحن الصافون

او اجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لامر الله فالزاجرات السحاب سوقا فالتاليات لكلام الله

من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله والطير صافات والزاجرات

كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء

العمال الصافات اقدامها في التهجد وساير الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات

بالمواعظ والنصايح فالتاليات آيات الله والدارسات شرايعه او بنفوس قواد الغزاة

في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها

عنه تلك الشواغل كما يحكى عن امير المؤمنين المرتضى علي بن ابي طالب عليه السلم **فان قلت**

ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة في الصفات **قلت** اما ان تدل على ترتب معانيها في

الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب كانه قيل الذي صبح

فغنم فآب واما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل

واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين

فعلى هذه القوانين الثلثة ينساق امر الفاء العاطفة في الصفات **فان قلت** فعلى اي هذه

القوانين هي فيما انت بصدده **قلت** ان وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب

الصفات في التفاضل وان ثلثته فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك انك



اذا اجريت هذه الاوصاف على الملايكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا

لها في الفضل اما ان يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس

وكذلك ان اردت العلماء وقواد الغزاة وان اجريت الصفة الاولى على الطوايف و

الثانية والثالثة على اخر فقد افادت ترتب الموصوفات في الفضل اعني ان الطوايف

الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وكذلك

اذا اردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية وبالتاليات كل نفس

تتلو الذكر فان الموصوفات مختلفة وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاي والذال رب

السموات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف والمشارق ثلثمائة وستون مشرقا و

كذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا

تغرب في واحد يومين **فان قلت** فما اراد بقوله رب المشرقين ورب المغربين **قلت**

اراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما الدنيا القربى منكم والزينة مصدر كالنسبة

واسم لما يزان به الشي كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ويحتملهما قوله بزينة الكواكب فان

اردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب

او على اضافته الى المفعول اي بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء

لحسنها في انفسها واصله بزينة الكواكب وهي قراءة ابي بكر والاعمش وابن وثاب وان

اردت الاسم فللاضافة وجهان ان تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة مبهمة في الكواكب

وغيرها مما يزان به وان يراد ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس بزينة الكواكب

بضوء الكواكب ويجوز ان يراد اشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء

وغير ذلك ومطالعها ومساترها وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين

زينة وجر الكواكب على الابدال ويجوز في نصب الكواكب ان يكون بدلا من محل بزينة و
حفظا مما حمل على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا للشياطين
كما قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز
ان يقدر الفعل المعلل كانه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب وقيل
وحفظناها حفظا والمارد الخارج من الطاعة المتملس منها الضمير في لا يسمعون لكل
شيطان مارد لانه في معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد واصله يتسمعون
والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع او فلم يسمع وعن ابن عباس هم يتسمعون ولا يسمعون
وبهذا ينصر التخفيف على التشديد فان قلت لا يسمعون كيف اتصل بما قبله قلت
لا يخلو من ان يتصل بما قبله على ان يكون صفة لكل شيطان او استينافا فلا تصح الصفة
لان الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له وكذلك الاستيناف لان سائلا
لو سأل لم يحفظ من الشياطين فاجيب بانهم لا يسمعون لم يستقم فبقي ان يكون كلاما
منقطعا مبتداء اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى
كلام الملائكة او يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك الا من امهل حتى خطف
خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب فان قلت
هل يصح قول من زعم ان اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك ان
تكرمني فبقي ان لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما في قول القائل الا ايهذا الزاجري
احضر الوغى قلت كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فاما اجتماعهما
فمنكر من المنكرات على ان صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب فان قلت
اي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه وسمعت الى

حديثه قلت المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك
والملأ الاعلى الملائكة لانهم يسكنون السموات والجن والانس هم الملأ الاسفل لانهم
سكان الارض وعن ابن عباس هم الكتبة من الملائكة وعنه اشراف الملائكة من كل جانب
من جميع جوانب السماء من اي جهة صعدوا للاستراق دحورا مفعول له اي ويقذفون
للدحور وهو الطرد او مدحورين على الحال او لان القذف والطرد متقاربان في المعنى
فكانه قيل يدحرون او قذفا وقرأ عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا
طرودا او على انه جاء مجيء القبول والولوع والواصب الدائم وصب الامر وصوبا يعني
انهم في الدنيا مرجومين بالشهب وقد اعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع
من في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي
خطف الخطفة وقرئ خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخطف بفتح الخاء وكسر
الطاء وتشديدها واصلها اختطف وقرئ فاتبعه وفاتبعه الهمزة وان خرجت
الى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في اصلها فلذلك قيل فاستفتهم اي استخبرهم اهم
اشد خلقا ولم يقل فقررهم والضمير لمشركي مكة وقيل نزلت في ابي الاشد بن كلدة و
كني بذلك لشدة بطشه وقوته ام من خلقنا يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات
والارض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب اولي
العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله بعد عد هذه الاشياء فاستفتهم اهم اشد
خلقا ام من خلقنا بالفاء المعقبة وقوله ام من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء
ببيان ما تقدمه كانه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه فاستفتهم اهم اشد
خلقا ام الذي خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ ام من عددنا بالتخفيف والتشديد

واشد خلقا يحتمل اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة واصعب خلقا واشقه
على معنى الرد لانكارهم البعث والنشاة الاخرى وان من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة
ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون وخلقهم من طين لازب اما شهادة
عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة او احتجاج
عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله
حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث وقيل
من خلقنا من الامم الماضية وليس هذا القول بملائم وقرى لازم ولاتب والمعنى واحد
والثابت الشديد الاضافة بل عجبت من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون
منك ومن تعجبك وما تريهم من آثار قدرة الله او من انكارهم البعث وهم يسخرون من امر
البعث وقرى بضم التاء اي بلغ من عظم آياتي وكثرة خلائقي اني عجبت منها فكيف بعبادي
وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتي او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه
افعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه فان قلت كيف يجوز العجب على الله تعالى
وانما هو روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء والله تعالى لا يجوز عليه الروعة
قلت فيه وجهان احدهما ان يجرد العجب لمعنى الاستعظام والثاني ان يتخيل العجب ويفرض
وقد جاء في الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وكان شريح يقرا
بالفتح ويقول ان الله لا يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم فقال ابرهيم النخعي ان شريحا
كان يعجبه علمه وعبد الله اعلم منه يريد عبد الله بن مسعود وكان يقراه بالضم وقيل معناه قل
يا محمد بل عجبت واذا ذكروا ودابهم انهم اذا وعظوا بشيء لا يتعظون به واذا راوا
آية من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه يسخرون يبالغون في السخرية او يستدعي بعضهم

من بعض

٣

من بعض ان يسخر منها وآباؤنا معطوف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون و
الذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى أيبعث ايضا آباؤنا على زيادة
الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل وقرى أو آباؤنا قل نعم وقرى نعم بكسر
العين وهما لغتان وقرى قال نعم اي الله او الرسول والمعنى نعم تبعثون وانتم داخرون
صاغرون فانما جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما هي الا زجرة واحدة و
هي لا ترجع الى شيء انما هي مبهمة موضحها خبرها ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهي
النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الابل او الغنم اذا صاح عليها
فرعت لصوته ومنه قوله زجر ابي عروة السباع اذا اشفقوا ان تختلط بالغنم يريد تصويته
فاذا هم احياء بصراء ينظرون يحتمل ان يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام
الكفرة بعضهم مع بعض وان يكون من كلام الملائكة لهم وان يكون يا ويلنا هذا يوم الدين
كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذي
ندان فيه اي نجازى باعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى و
الضلالة احشروا خطاب الله للملائكة او خطاب بعضهم لبعض وازواجهم وضرباءهم
عن النبي صلعم وهم نظراؤهم واشباههم من العصاة اهل الزنا مع اهل الزنا واهل
السرقة مع اهل السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي على دينهم
فاهدوهم فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن
التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين بل هم اليوم
مستسلمون قد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر وقرى لا تناصرون صرون
ولا تناصرون بالادغام اليمين لما كانت اشرف العضوين وامتنهما وكانوا يتيمنون بها فيما

يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون اكثر الامور ويتشاءمون بالشمال
ولذلك سموها الشؤمى كما سموا اختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح وكان
الاعسر معيبا عندهم وعضدت الشريعة ذلك فامرت بمباشرة افاضل الامور باليمين
واراذلها بالشمال وكان رسول الله صلعم يحب التيامن في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب
الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن ان يؤتى كتابه بيمينه والمسيء
ان يؤتى تاه بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل اتاه عن اليمين من قبل الخير
وناحيته فصده عنه واضله وجاء في بعض التفسير من اتاه الشيطان من قبل اليمين
اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن اتاه من قبل الشمال اتاه من قبل الشهوات ومن
اتاه من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب وبالعقاب ومن اتاه من
خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكوة فان قلت
قولهم اتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز قلت
من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا من ذلك ولك ان تجعلها مستعارة
للقوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش والمعنى انكم كنتم تاتوننا عن القوة
والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه وهذا
من خطاب الاتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم بل لم تكونوا مؤمنين بل ابيتم انتم الايمان
واعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين وما كان لنا عليكم من تسلط
نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما مختارين الطغيان فحق علينا فلزمنا قول ربنا انا
لذائقون يعني وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها
العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم كانوا

متكلمين

متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قول القائل لقد زعمت هوازن قل مالي ولو حكى قولها
لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية
لفظ الحالف والتاء لاقبال المحلف على المحلف فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة
محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغي على الرشد انا كنا غاوين فاردنا اغواءكم لتكونوا
امثالنا فانهم فان الاتباع والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيامة مشتركون في العذاب
كما كانوا مشتركين في الغواية انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم يعني ان سبب العقوبة
هو الاجرام فمن ارتكبه استوجبه انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا
عنها وابوا الا الشرك لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم بل جاء بالحق
رد على المشركين وصدق المرسلين كقوله مصدقا لما بين يديه وقرئ لذائقوا العذاب بالنصب
على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا بتقدير التنوين وقرئ على الاصل لذائقون
العذاب الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل سيء الا عباد الله ولكن عباد الله
على الاستثناء المنقطع فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ
الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بانهم
اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما ياكلونه ياكلونه على سبيل التلذذ ويجوز ان يراد
رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر
وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة
وقوله في جنات يأباه وقوله وهم مكرمون هو الذي يقوله العلماء في حد الثواب على سبيل
المدح والتعظيم وهو من اعظم ما يجب ان يتوق اليه نفوس ذوي الهمم كما ان من اعظم ما
يجب ان تنفر عنه نفوسهم هوان اهل النار وصغارهم التقابل اتم للسرور وآنس

وقيل لا ينظر بعضهم الى قفاء بعض يقال للزجاجة فيها الخمر كاس وتسمى الخمر نفسها
كاسا قال وكاس شربت على لذة وعن الاخفش كل كاس في القران فهي الخمر
وكذا في تفسير ابن عباس من معين من شراب معين او نهر معين وهو الجاري على
وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لانه يجري في الجنة في انهار
كما يجري الماء قال الله تعالى وانهار من خمر بيضاء صفة للكاس لذة اما ان يوصف
باللذة كانها نفس اللذة وعينها او هي تانيث اللذ يقال لذ الشي فهو لذ ولذيذ ووزنه
فعل كقولك رجل طب قال الشاعر ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من
خشية الحدثان يريد النوم الغول من غاله يغوله غولا اذا اهلكه وافسده ومنه
الغول التي كانت في تكاذيب العرب وفي امثالهم الغضب غول الحلم وينزفون على
البناء للمفعول من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف
ويقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها اذا لم
تترك فيها ماء وفي امثالهم اجبن من المنزوف ضرطا وقرئ ينزفون من انزف الشارب
اذا ذهب عقله او شرابه قال لعمري لئن انزفتم او صحوتم لبئس الندامى كنتم آل
ابجرا ومعناه صار ذا نزف ونظيره اقشع السحاب وقشعته الريح واكب الرجل
وكببته وحقيقتهما دخلا في القشع والكب وفي قراءة طلحة بن مصرف ينزفون بضم
الزاي من نزف ينزف كقرب يقرب اذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط من انواع
الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص او صداع او خمار او عربدة او لغو او تاثيم
او غير ذلك ولا هم يسكرون وهو اعظم مفاسدها فافرزه وافرده بالذكر قاصرات
الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم كقوله تعالى عربا والعين النجل

لذة للشاربين

العين

العيون شبههن ببيض النعام المكنون في الاداحي وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات
الخدور فان قلت علام عطف قوله فاقبل بعضهم على بعض قلت على يطاف عليهم
والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا
احاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا
الا انه جيء به ماضيا على عادة الله في اخباره قرئ من المصدقين من التصديق ومن المصدقين
مشدد الصاد من التصدق وقيل نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى
بعض اخوانه فقال واين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله في الآخرة خيرا منه فقال
ائنك لمن المصدقين بيوم او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا
لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء او لمسوسون مربوبون يقال دانه ساسه ومنه
الحديث العاقل من دان نفسه قال يعني ذلك القائل هل انتم مطلعون الى النار
لاريكم ذلك القرين قيل ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار وقيل القائل
الله عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول لاهل الجنة هل تحبون ان تطلعوا فتعلموا اين منزلتكم
من منزلة اهل النار وقرئ مطلعون فاطلع فاطلع بالتشديد على لفظ الماضي والمضارع
المنصوب ومطلعون فاطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع
علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا
ايضا او عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وان جعلت الاطلاع
من اطلعه غيره فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه وهو من آداب المجالسة ان لا يستبد
بشيء دون جلسائه فكانهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون
بكسر النون اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقولك هم الفاعلون الخير

وفاطلع

اطلاعهم

قال لي عيسى

الجحيم ووسطها تعالى
تعبت حتى انقطع سوائي

والآمرونه او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كانه قال تُطلعون وهو ضعيف
لا يقع الا في الشعر في سواء وعن ابي عبيدة بن عمر كنت اكتب يا ابا عبيدة حتى ينقطع سوائي
ان مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه ان كاد ليضلنا واللام
هي الفارقة بينها وبين النافية والارداء الاهلاك وفي قراءة عبد الله لتغوين نعمة ربي هي
العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام والبراءة من قرين السوء وانعام الله بالثواب
وكونه من اهل الجنة من المحضرين من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت وامثالك
الذي عطفت عليه الفاء محذوف معناه انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين
وقرئ بمايتين والمعنى ان هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله به لهم ليعلم باعمالهم ان
الا نذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة
وقيل لبعض الحكماء ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله
واغتباطا بحاله وبمسمع من قرينه ليكون توبيخا له يزيد به تعذيبا ولحكيه الله فيكون لنا
لطفا وزاجرا ويجوز ان يكون قولهم جميعا وكذلك قوله ان هذا لهو الفوز العظيم اي ان
هذا الامر الذي نحن فيه وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ
لهو الرزق العظيم وما رزقوه من السعادة ثم قصة المؤمن وقرينه ثم رجع الى ذكر الرزق
المعلوم فقال اذلك الرزق خير نزلا اي خير حاصلا ام شجرة الزقوم واصل النزل الفضل
والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم
اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك ان
تجعله حالا كما تقول أثمر النخلة خير بلحا ام رطبا يعني ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة
واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من

الرزق

وفيه انزال الجنة لا انهم كانوا لا يعلمون السكن في قولهم معين نزولي ان الرزق

الرزق المعلوم نزلا ام الشجرة الزقوم نزلا فانهما خير نزلا ومعلوم انه لا خير في شجرة
الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ما ادى الى الرزق واختار الكافرون ما ادى
الى الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في
الآخرة او ابتلاء لهم في الدنيا وذلك انهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق
الشجر فكذبوا وقرئ نابتة في اصل الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى
دركاتها والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية
او معنوية وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان
مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح
الصورة كانه وجه شيطان كانه رأس شيطان واذا صوره المصورون جاؤا بصورته
على اقبح ما يقدر واهوله كما انهم اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة
الحسنة قال الله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلي وقيل الشيطان
حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جدا وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا
منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤوس الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر برؤوس الشياطين
الا قصدا الى احد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع اصلا ثانيا يشبه به منها
من الشجرة اي من طلعها فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد او يقسرون على اكلها
وان كرهوها ليكون بابا من العذاب فاذا شبعوا غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق
او صديد شوبه من حميم يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال في صفة شراب اهل الجنة
ومزاجه من تسنيم وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول تسمية بالمصدر
فان قلت ما معنى حرف التراخي في قوله ثم ان لهم عليها لشوبا وفي قوله ثم ان مرجعهم قلت

شجرة

في الجحيم

في الاول وجهان احدهما انهم يملأون البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا
يسقون الا بعد ملي تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو احر وهو الشراب المشوب
بالحميم والثاني انه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو اكره و
ابشع فجاء بثم للدلالة على تراخي الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته في الزيادة عليه
ومعنى الثاني انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها
الى شجرة الزقوم فياكلون الى ان يتملؤا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم
ومعنى التراخي في ذلك بين وقرئ ثم ان منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان منقلبهم الى الجحيم
علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد بتقليد الاباء في الدين واتباعهم اياهم على
الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كانهم يحثون حثا وقيل
اسراع فيه شبه بالرعدة ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين قبل قومك قريش منذرين
انبياء حذروهم العواقب المنذرين الذين انذروا وحذروا اي اهلكوا جميعا الا ع
الذين آمنوا منهم واخلصوا لله دينهم او اخلصهم الله لدينه على القراءتين لما ذكر ارسال
المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعائه اياه حين
ايس من قومه واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف
وتقديره فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبناه
احسن الاجابة واوصلناه الى مراده وبغيته من نصرته على اعدائه والانتقام منهم بابلغ ما يكون
هم الباقين هم الذين بقوا وحدهم وقد فني غيرهم فقد روي انه مات كل من كان معه
في السفينة غير ولده وازواجهم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم
من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس

والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج و
تركنا عليه في الاخرين من الامم هذه الكلمة وهي سلام على نوح يعني يسلمون عليه تسليما
ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة انزلناها فان قلت فما معنى
قوله في العالمين قلت معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وان
لا يخلو احد منهم منها كانه قيل ثبت الله التسليم على نوح وادامه في الملائكة والثقلين
يسلمون عليه عن اخرهم علل مجازاة نوح عليه السلام بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره
وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بانه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بانه
كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم
ويرغبك في تحصيله والازدياد منه من شيعته ممن شايعه على اصول الدين وان اختلفت شرائعهما
او شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق
في اكثر الاشياء وعن ابن عباس رضي الله عنه من اهل دينه وعلى سنته وما كان بين
نوح وابرهيم الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابرهيم الفان وستمائة واربعون سنة
فان قلت بم تعلق الظرف قلت بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه
على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابرهيم او بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم
~~لابرهيم او بمحذوف وهو اذكر بقلب~~ سليم من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى
للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الافات اولى من بعض فيتناولها كلها فان قلت ما معنى
المجيء بقلبه ربه قلت معناه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلا
لذلك افكا مفعول له تقديره اتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول على
الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على

على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به يعني اتريدون افكا ثم فسر الافك
بقوله آلهة من دون الله على انها افك في انفسها ويجوز ان يكون حالا بمعنى اتريدون من
دون الله آفكين فما ظنكم بمن هو الحقيق بالعبادة لان من كان ربا للعالمين استحق عليهم ان يعبدوه
حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام والمعنى انه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته
او فما ظنكم به اي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل
بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره في النجوم في علم النجوم او في كتابها او في احكامها
عن بعض الملوك انه سئل عن مشتهاه فقال حبيب انظر اليه ومحتاج انظر اليه وكتاب
انظر فيه كان القوم نجامين فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه يسقم فقال
اني سقيم اي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا
يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام ليس
معه احد ففعل بالاصنام ما فعل فان قلت كيف جاز له ان يكذب قلت قد جوزه
بعض الناس في المكيدة في الحرب والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتها جرين
والصحيح ان الكذب حرام الا اذا عرض وورى والذي قاله ابرهيم عليه السلام معراض من
الكلام ولقد نوى به ان من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول
لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء وقد مات رجل
فجاة فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في
عنقه وقيل اراد اني سقيم النفس لكفركم فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في خفية من روغة
الثعلب الى آلهتهم الى اصنامهم التي هي في زعمهم آلهة كقوله اين شركائي الا تاكلون ما لكم لا بهم
تنطقون استهزاء بهم وبانحطاطها عن حال عبدتها فراغ عليهم فاقبل عليهم مستخفيا

كانه

كانه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى ضربهم او فراغ عليهم يضربهم ضربا او فراغ
عليهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ صفقا وسفقا ومعناهما الضرب ومعنى ضربا باليمين
ضربا شديدا قويا لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقيل بالقوة والمتانة و
قيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم يزفون يسرعون من زفيف النعام
ويزفون من ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اذا حمله على الزفيف اي يزف بعضهم
بعضا ويزفون على البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا
اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه وكان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه فان قلت
بين هذا وبين قوله قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم
يقال له ابرهيم كالتناقض حيث ذكر ههنا انهم ادبروا عنه خيفة العدوى فلما ابصروه
يكسرهم اقبلوا اليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به وذكر ثم انهم سالوا عن الكاسر حتى قيل لهم
سمعنا ابرهيم يذمهم فلعله هو الكاسر ففي احدهما انهم شاهدوه يكسرها وفي الآخر انهم استدلوا
بذمه على انه الكاسر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الذين ابصروه وزفوا اليه نفرا
منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم الى بيت الاصنام
لياكلوا الطعام الذي وضعوه عندها لتبرك عليه ورأوها مكسورة اشمازوا من ذلك
وسالوا من فعل هذا بها ثم لم ينم عليه اولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية
والتعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف والثاني ان يكسرها ويذهب ولا
يشعر بذلك احد ويكون اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم عن عيدهم وسؤالهم عن الكاسر
وقولهم قالوا فاتوا به على اعين الناس والله خلقكم وما تعملون يعني خلقكم وخلق ما تعملونه
من الاصنام كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اي فطر الاصنام فان قلت

كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله معمولا لهم حيث اوقع خلقه وعملهم عليها جميعا قلت
هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسي وعمل الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل
اشكال هذه الاشياء وصورها دون جواهرها والاصنام جواهر واشكال فخالق جواهرها
الله وعاملوا اشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض اجزائها حتى يستوي الشكل
الذي يريدونه فان قلت فما انكرت ان تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله
خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة قلت اقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج
العقل والكتاب ان معنى الاية يأباه اباء جليا وينبو عنه نبوا ظاهرا وذلك ان الله
عز وجل قد احتج عليهم بان العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق
على ان العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر ان يصور نفسه
ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن محتجا عليهم ولا كان لكلامك طباق وشيء
اخر وهو ان قوله ما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون وما في ما تنحتون موصولة لا
مقال فيها فلا يعدل بها عن اختها الا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر في علم
البيان ولا تبصر لنظم القرآن فان قلت اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما الزمت
واريد وما تعملونه من اعمالكم قلت بل الالزامان في عنقك لا يفكهما الا الاذعان للحق
وذلك انك وان جعلتها موصولة فانك في ارادتك بها العمل غير محتج على المشركين كحالك
وقد جعلتها مصدرية وايضا فانك قاطع بذلك الوصلة بين ما تعملون وما تنحتون حيث تخالف
بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الاعيان التي هي الاصنام وبما تعملون المعاني التي هي الاعمال
وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما اذا جعلتها مصدرية الجحيم النار الشديدة الوقود وقيل
كل نار وجمر فوق جمر فهي جحيم والمعنى ان الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعا واذلهم عانادهم

بنى

بنى له ارادوا ان يغلبوه بالحجة فلقنه الله والهمه ما القمهم به الحجر (وقهرهم) فمالوا الى المكر فابطل الله
مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين لم يقدروا عليه اراد بذهابه الى ربه مهاجرته حيث
امره بالمهاجرة اليه من ارض الشام كما قال اني مهاجر الى ربي سيهدين سيرشدني
الى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني كما قال عليه السلام كلا ان معي ربي سيهدين
كان الله وعده وقال له ساهديك فاجرى كلامه على سنن موعد ربه او بناه على عادة الله
معه في هدايته وارشاده او اظهر بذلك توكله وتفويضه امره الى الله ولو قصد الرجاء
والطمع لقال كما قال موسى عليه السلام عسى ربي ان يهديني سواء السبيل هب لي
من الصالحين هب لي بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب في الولد وان
كان قد جاء في الاخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا قال عز وجل
ووهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى قال امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام لابن
عباس حين هنأه بولده على ابي الاملاك شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب
ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب وقد انطوت البشارة
على ثلث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما واي حلم اعظم
من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم
لذلك وقل ما نعت الله الانبياء صلوات الله عليهم باقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة
وجوده ولقد نعت الله ابرهيم في قوله ان ابرهيم لاواه حليم ان ابرهيم لحليم اواه منيب
لان الحادثة شهدت بحلمهما جميعا فلما بلغ ان يسعى مع ابيه في اشغاله وحوائجه فان قلت
معه بم يتعلق قلت لا يخلو اما ان يتعلق ببلغ او بالسعي او بمحذوف فلا يصح تعلقه ببلغ
لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا يتقدم عليه فبقي ان

يكون سانا كانه لما قال فلما بلغ السعى اى الحد الذى يقدر فيه على السعى قيل مع من قال مع
والمعنى في اختصاص الاب انه ارفق الناس به واعطفهم عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء
فلا يحتمله لانه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان اذ ذاك ابن ثلث عشرة سنة والمعنى
انه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره
على احتمال تلك البلية العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم اتى في المنام فقيل له اذبح
ابنك ورويا الانبياء وحى كالوحى في اليقظة فلهذا قال انى ارى في المنام انى اذبحك وذكر
تاويل الرويا كما يقول الممتحن وقد راى انه راكب في سفينة رايت في المنام انى ناج من هذه
المحنة وقيل راى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ولدك هذا فلما
اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمى
يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثم سمى يوم عرفة ثم راى
مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام
حليم قال هو اذا ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعى معه قيل له اوف بنذرك وانظر
ماذا ترى من الراى على وجه المشاورة وقرئ ماذا ترى اى ماذا تبصر من رايك وتبديه
وماذا ترى على البناء للمفعول اى ماذا تريك نفسك من الراى افعل ما تومر اى ما تومر به
فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امرك على اضافة المصدر
الى المفعول وتسمية المامور به امرا وقرئ ما تومر به فان قلت لم شاوره في امر هو حتم
من الله قلت لم يشاوره ليرجع الى رايه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله
فيثبت قدمه ويصبره ان جزع ويامن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه
فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستانس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله

قبل نزوله ولان المغافصة بالذبح مما يستسمج وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور
ادم الملائكة في اكلة من الشجرة لما فرط منه ذلك فان قلت لم كان ذلك بالمنام دون
اليقظة قلت كما ارى يوسف عليه السلم سجود ابويه واخوته له في المنام من غير وحي الى
ابيه وكما وعد رسول الله صلعم دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات
الانبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدقين لان الحال اما حال يقظة
او حال نوم فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك اقوى للدلالة من انفراد
احديهما يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقرئ بهن جميعا اذا انقاد له
وخضع واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه
وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان منه وحقيقة معناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة
له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا
نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع احد جبينيه على الارض تواضعا على مباشرة الامر
بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروي ان ذلك المكان عند الصخرة التي
بمنى وعن الحسن في الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم
فان قلت اين جواب لما قلت هو محذوف تقديره فلما اسلما وتله للجبين وناديناه
ان يا ابرهيم قد صدقت الرويا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما
واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله
وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الانفس عليه من الثواب والاعواض ورضوان الله الذي
ليس وراءه مطلوب وقوله انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج
بعد الشدة والظفر بالبغية بعد الياس ان هذا لهو البلاء المبين الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون

من غيرهم او المحنة البينة الصعوبة التى لا محنة اصعب منها الذبح اسم ما يذبح وعن ابن
عباس رضى الله عنه هو الكبش الذى قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى
به اسمعيل وعن الحسين فدى بوعل اهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت
تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس ابناءهم عظيم ضخم الجثة سمين وهى السنة
فى الاضاحى وقوله عليه السلام استشرفوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم وقيل لانه وقع
فداء عن ولد ابرهيم وروى انه هرب من ابرهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات
حتى اخذه فبقيت سنة فى الرمى وروى انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة
عند ذبح ولده وروى انه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله
والله اكبر فقال ابرهيم الله اكبر ولله الحمد فبقى سنة وحكى فى قصة الذبيح انه حين اراد
ذبحه فقال يا بنى خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى الشعب نحتطب فلما توسطا
شعب ثبير اخبره بما امر فقال له اشدد رباطى لا اضطرب واكفف عنى ثيابك لا ينتضح
عليها شئ من دمى فينقص اجرى وتراه امى فتحزن واشحذ شفرتك واسرع
امرارها على حلقى حتى تجهز على ليكون اهون فان الموت شديد واقرا على امى السلام
وان رايت ان ترد قميصى على امى فافعل فانه عسى ان يكون اسهل لها فقال ابرهيم نعم العون
انت يا بنى على امر الله ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه
فلم [يعمل] لان الله تعالى ضرب صفيحة نحاس على حلقه فقال له كبنى على وجهى فانك اذا نظرت
فى وجهى رحمتنى وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه
فانقلب السكين ونودى يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبريل معه كبش اقرن
املح فكبر جبريل والكبش وابرهيم وابنه واتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع

السجود منه الى الارض جاء الفرج [بمعالم] استشهد ابو حنيفة رضى الله عنه بهذه الاية فيمن نذر
ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة **فان قلت** من كان الذبيح من ولديه **قلت** قد اختلف
فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظى وجماعة من التابعين انه اسمعيل
والحجة فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين وقال له اعرابى يا ابن
الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بير زمزم نذر لله لئن
سهل الله له امرها ليذبحن احد ابنيه فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له
افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثانى اسمعيل وعن محمد بن كعب القرظى
قال كان مجتهد بنى اسرائيل يقول اذا دعا اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل
فقال موسى يا رب ما لمجتهد بنى اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل
وانا بين اظهرهم قد اسمعتنى كلامك واصطفيتنى برسالتك قال يا موسى لم يحبنى احد
حب ابرهيم قط ولا خيّر بينى وبين شئ قط الا اختارنى واما اسمعيل فانه جاد بنفسه
واما اسرائيل فانه لم ييأس من روحى فى شدة نزلت به قط ويدل عليه ان الله تعالى
لما اتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق وعن محمد بن كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز
هو اسمعيل فقال عمر ان هذا شئ ما كنت انظر فيه وانى لاراه كما قلت ثم ارسل الى يهودى
قد اسلم فسأله فقال ان اليهود
لتعلم انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم يا معشر العرب ويدل عليه ان قرنى الكبش كانا منوطين
فى الكعبة فى ايدى بنى اسمعيل الى ان احترق البيت وعن الاصمعى قال سالت ابا عمرو بن
العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعى اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما
كان اسمعيل هو الذى بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه ان الله عز وجل
وصفه بالصبر دون اسحق فى قوله واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على

الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه
الصبر على الذبح فوفا به ولان الله بشره باسحق وولده يعقوب في قوله فبشرناه باسحق ومن
وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان خلفا للموعد في يعقوب وعن امير المؤمنين
علي ابن ابي طالب وابن مسعود والعباس وعكرمة وعطاء وجماعة من التابعين انه اسحق
والحجة فيه ان الله تعالى اخبر عن خليله ابرهيم حين هاجر الى الشام بانه استوهبه
ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل
عليه كتاب يعقوب الى يوسف من يعقوب اسرائيل الله بن
اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله **فان قلت** فقد اوحي الى ابرهيم عليه السلم في المنام
ان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدق فيها لو صح منه
الذبح ولم يصح **قلت** قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامراره
الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل
ابرهيم الا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه
الشفرة وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المامور به قبل
الفعل ولا قبل اوان الفعل في شيء كما يسبق الى بعض الاوهام حتى تشتغل بالكلام فيه
فان قلت الله تعالى هو المفتدى منه لانه الامر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه
قلت الفادي هو ابرهيم عليه السلم والله عز وجل وهب له الكبش ليفتدي به وانما
قال وفديناه اسنادا للفداء الى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته **فان قلت**
واذا كان ما اتى به ابرهيم من البطح وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء انما
هو التخليص من الذبح ببدله **قلت** قد علم بذلك ان حقيقة الذبح لم تحصل من فري

الاوداج

12

الاوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك
الحقيقة في نفس اسمعيل ولكن في نفس الكبش بدلا منه **فان قلت** فاي فائدة في تحصيل
تلك الحقيقة وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من ابرهيم مقام الذبح من غير نقصان **قلت**
الفائدة في ذلك ان يوجد ما منع منه في يده حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد
المامور به من كل وجه **فان قلت** لم قيل هاهنا كذلك نجزي المحسنين وفي غيرها من القصص
انا كذلك **قلت** قد سبقه في هذه القصة انا كذلك فكانما استخف بطرحه اكتفاء بذكره
مرة عن ذكره ثانية نبيا حال مقدرة كقوله تعالى فادخلوها خالدين **فان قلت** فرق بين
هذا وبين قوله فادخلوها وذلك ان المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود
معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود
البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم حاله لان الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا
المبشر به الذي هو اسحق حين وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة
متطاولة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل او المفعول عند وجود الفعل
منه او به فالخلود وان لم يكن صفتهم وان لم يكن عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان
المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون موجودة او مقدرة وقت
وجود البشارة باسحق لعدم اسحق **قلت** هذا سؤال دقيق المسلك ضيق المسلك والذي
يحل الاشكال انه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قوله وبشرناه بوجود اسحق نبيا
اي بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير
قوله تعالى فادخلوها خالدين من الصالحين حال ثانية تقيد ووردها على سبيل الثناء و
التقريظ لان كل نبي لا بد ان يكون من الصالحين وعن قتادة بشره الله بنبوة اسحق بعد ما امتحنه

بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه باسحق قالوا
ولا يجوز ان يبشره الله بمولده ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون
نبيا وباركنا عليه وعلى اسحق وقرئ وبركنا اي افضنا عليهم بركات الدين والدنيا كقوله
واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين وقيل باركنا على ابرهيم في اولاده و
على اسحق بان اخرجنا انبياء بني اسرائيل من صلبه وقوله وظالم لنفسه نظيره قال ومن ذريتي
قال لا ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه على ان الخبث والطيب لا يجري امرهما على
العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبايع والعنام
وعلى ان الظلم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة فان المرء انما يعاب بسوء فعله
ويعاتب عليه على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من اصله او فرعه من الكرب العظيم من
الغرق او من سلطان فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما في قوله
ونجيناهما وقومهما الكتاب المستبين البليغ بيانه وهو التورية كما قال انا انزلنا التورية
فيها هدى ونور وقال من جوز ان تكون التورية عربية ان يشتق من ورى الزند فوعلة
منه على ان التاء مبدلة من واو الصراط المستقيم صراط اهل الاسلام وهي صراط
الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قرئ الياس بكسر الهمزة والياس
على لفظ الوصل وقيل هو ادريس النبي وقرا ابن مسعود وان ادريس في موضع الياس
وقرئ ادراس وقيل هو الياس بن ياسين من ولد هارون اخي موسى اتدعون بعلا
اتعبدون بعلا وهو علم الصنم كان لهم كتابه وهبك وقيل كان من ذهب وكان طوله
عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم
انبياءه فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها

ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل
الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار اي من ربها والمعنى اتعبدون بعض البعول وتذرون
عبادة الله الله ربكم ورب اباءكم قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان
حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع وقرئ على الياسين وادريسين وادراسين وادرسين
على انها لغات في الياس وادريس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى وقرئ على الياسين
بالوصل على انه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون فان قلت فهلا حملت
على هذا الياسين على القطع واخواته قلت لو كان جمعا لعرف بالالف واللام واما من قرا آل
على آل ياسين فعلى ان ياسين اسم ابي الياس اضيف اليه الآل مصبحين داخلين في الصباح
يعني تمرون على منازلهم في متاجركم الى الشام ليلا ونهارا فما فيكم عقول تعتبرون بها
قرئ يونس بضم النون وكسرها وسمي هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة
المجاز والمساهمة المقارعة يقال استهم القوم اذا اقترعوا والمدحض المغلوب المقروع و
حقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة روي انه لما ركب في السفينة وقفت فقالوا هاهنا
عبد آبق من سيده وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت
القرعة على يونس فقال انا الآبق وزج بنفسه الى الماء فالتقمه الحوت وهو مليم داخل
في الملامة يقال رب لائم مليم اي يلوم غيره وهو احق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم من
ليم فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنيا على شيب ونحوه مدعي بناء على دعي من
المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس فقيل هو قوله في بطن الحوت لا اله
الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس كل تسبيح في
القرآن فهو صلاة عن قتادة كان كثير الصلاة في الرخاء فال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صا

داعيا واذا صح وجد متكئا وهذا ترغيب من الله عز وجل في اكثار المؤمن من ذكره بما هو
اهله واقباله على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه
ذلك عنده في المضايق والشدائد للبث في بطنه الظاهر لبثه فيه حيا الى يوم البعث
وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة وروي انه حين ابتلعه اوحى الله الى
الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما واختلف في مقدار لبثه فعن
الكلبي اربعون يوما وعن الضحاك عشرون يوما وعن عطا سبعة وعن بعضهم ثلاثة وعن
الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه وروي ان الحوت
سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه
سالما لم يتغير منه شي فاسلموا وروي ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل والعراء المكان
الخالي لا شجر فيه ولا شي يغطيه وهو سقيم اعتل مما حل به وروي انه عاد بدنه كبدن
الصبي حين يولد واليقطين كل ما ينسدح على وجه الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ
والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به وقيل هو الدباء وفائدة الدباء ان
الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلعم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس
وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل باغصانها وافطر على ثمارها
وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وروي انه مر
زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فاوحي اليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة الف
في يد الكافر فان قلت ما معنى انبتنا عليه شجرة قلت انبتناها فوقه مظلة
له كما يطنب البيت على الانسان وارسلناه الى مائة الف المراد به ما سبق من ارساله الى
قومه وهم اهل نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين او الى غيرهم وقيل

اسلموا

اسلموا فسالوه ان يرجع اليهم فابى لان النبي صلى الله عليه وسلم اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم
مقيما فيهم وقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا او يزيدون في مرأى الناظر اذا راها
الرائي قال هي مائة الف او اكثر والغرض الوصف بالكثرة الى حين الى اجل مسمى وقرئ
ويزيدون بالواو حتى حين فاستفتهم معطوف على مثله في اول السورة وان تباعدت
بينهما المسافة امر رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا
بعضه ببعض ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله
الاناث ولانفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم
واستنكافهم من ذكرهن ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة انواع من الكفر احدها التجسيم لان
الولادة مختصة بالاجسام والثاني تفضيل انفسهم على ربهم حين اختاروا اوضع الجنسين
له وارفعهما لهم كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو
كظيم اومن ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين والثالث انهم استهانوا باكرم خلق الله
عليه واقربهم اليه حيث انثوهم ولو قيل لاقلهم وادناهم فيك انوثة او شكلك شكل النساء
للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في اهاجيهم بين مكشوف فكرر الله سبحانه
الانواع كلها في كتابه مرات ودل على فظاعتها في ايات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم
شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بديع السموات
والارض انى يكون له ولد الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزءا ويجعلون
لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ام له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون
اصطفى البنات على البنين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون فان قلت لم قيل وهم

وهم شاهدون فخص علم المشاهدة **قلت** ما هو الا استهزا بهم وتجهيل وكذلك قوله
اشهدوا خلقهم ونحوه ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وذلك
انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا باخبار
صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز ان يكون المعنى انهم يقولون ذلك كالقايل
قولا عن ثلج صدر وطمانينة نفس لافراط جهلهم كانهم قد شاهدوا خلقهم وقرى ولد الله
اى الملايكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمونث تقول
هذه ولدي وهولاء ولدي **فان قلت** اصطفى البنات بفتح الهمزة استفهام على طريق
الانكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة ابي جعفر بكسر الهمزة على الاثبات **قلت**
جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرا بها حمزة والاعمش وهذه القراءة وان
كان هذا محملها فهي ضعيفة والذي اضعفها ان الانكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها
وذلك قوله وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها للاثبات فقد اوقعها دخيلة
بين نسيبين وقرى تذكرون من ذكر ام لكم سلطان اى حجة نزلت عليكم من السماء وخبر
بان الملايكة بنات الله فاتوا بكتابكم الذي انزل عليكم في ذلك كقوله ام انزلنا عليهم
سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الايات صادرة عن سخط عظيم وانكار
فظيع واستبعاد لاقاويلهم شديد وما الاساليب التي وردت عليها الا ناطقة بتسفيه احلام
قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من ان يخطر مثل
ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا ان تجعله معتقدا وتتظاهر به مذهبا وجعلوا بين الله
وبين الجنة واراد الملايكة نسبا وهو زعمهم انهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله
وبينهم واثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملايكة **فان قلت** لم سمى الملايكة جنة

قلت قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن
طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم وانما ذكرهم
بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين في انفسهم ان يبلغوا منزلة المناسبة
التي اضافوها اليهم وفيه اشارة الى ان من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام
لا يصلح ان يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله ان تسوي بين الملك وبين بعض خواصه
ومقربيه فيقول لك اتسوي بيني وبين عبدي واذا ذكره في غير هذا المقام وقره وكناه
والضمير في انهم لمحضرون للكفرة والمعنى انهم يقولون ما يقولون في الملايكة وقد علم الملايكة
انهم في ذلك كاذبون مفترون وانهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة
في التكذيب حيث اضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا ان الله صاهر
الجن فخرجت الملايكة وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان وعن الحسن اشركوا الجن
في طاعة الله ويجوز اذا فسر الجنة بالشياطين ان يكون الضمير في انهم لمحضرون لهم والمعنى
ان الشياطين ان يكون عالمون بان الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له
او شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين
معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز
ان يقع الاستثناء من الواو في يصفون اي يصفه هولاء بذلك ولكن المخلصين برآء من ان يصفوه
به والضمير في عليه لله ومعناه فانكم ومعبوديكم ما انتم وهم جميعا بفاتنين على الله تعالى الا اصحاب
النار الذين سبق في علمه انهم بسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها **فان قلت** كيف يفتنونهم
على الله **قلت** يفسدونهم عليه باغوائهم واستهوائهم من قولك فتن فلان على فلان امراته
كما تقول افسدها عليه وخببها عليه ويجوز ان يكون الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها

فى قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته وان كل رجل وضيعته
جاز ان يسكت على قوله فانكم وما تعبدون لان قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر
لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع الهتكم اى فانكم قرناؤهم واصحابهم لا
تبرحون تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اى على ما تعبدون بفاتنين بباعثين او حاملين
على طريق الفتنة والاضلال الا من هو ضال مثلكم او يكون فى اسلوب قوله فانك والكتاب
الى على كدابغة وقد حلم الاديم وقرا الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلاثة اوجه
احدها ان يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هى ولام التعريف فان قلت
كيف الجمع مع قوله من هو قلت من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه استفهام
والصالون على معناه كما حمل فى مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه فى آية واحدة والثانى
ان يكون اصله صايل على القلب ثم يقال صال فى صايل كقولهم شاك فى شايك والثالث
ان يحذف لام صال تخفيفا ويجرى الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت
به بالة واصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرا وجنى الجنتين دان
وله الجوار المنشات باجراء الاعراب على العين وما منا احد الا له مقام معلوم حذف
الموصوف واقيمت الصفة مقامه كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا بكفى كان من ادمى
البشر مقام معلوم فى العبادة والانتهاء الى امر الله مقصور عليه اى لا يتجاوزه كما روى
فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع راسه لنحن الصافون نصف اقدامنا فى الصلوة
او اجنحتنا فى الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف اجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين
وقيل ان المسلمين انما اصطفوا فى الصلوة منذ نزلت هذه الآية وليس يصطف احد من
اهل الملل فى صلوتهم غير المسلمين المسبحون المنزهون او المصلون والوجه ان يكون هذا

وما

حتى يفصل بين الجن ثم يعلم ولقد علمت
الجنة انهم لمحضرون كانه قيل ولقد
ولقد علم الملائكة

17 وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم
فى مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين
وبرأهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم والهتكم لا تقدرون ان تفتنوا على الله احدا
من خلقه تضلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره وارادته تعالى عما يقول الظالمون
علوا كبيرا انهم من اهل النار وكيف يكون مناسبين لرب العزة ويجمعنا وايا جنسية واحدة
وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع ان يزل عنه ظفرا خشوعا
لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون اقدامنا لعبادته او اجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين
ممجدين وكما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى وما من المسلمين
احد الا له مقام معلوم يوم القيمة على قدر عمله من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون فى الصلوة ويسبحون الله وينزهونه مما يضيف اليه
من لا يعرفه مما لا يجوز عليه هم مشركوا قريش كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا اى كتابا من كتب
الاولين الذين نزل عليهم التورية والانجيل لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا
كما خالفوا فجاءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب
فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل
بهم من الانتقام وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وفى ذلك انهم كانوا يقولونه
مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين اول امرهم وآخره الكلمة قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا
لهم الغالبون وانما سماها كلمة وهى كلمات عدة لانها لما انتظمت فى معنى واحد كانت فى
كلمة مفردة وقرى كلماتنا والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم فى مقام الحجاج وملاحم القتال
فى الدنيا وعلوهم فى الآخرة كما قال الله تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ولا يلزم انهزامهم

في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة وكفى
بمشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم مثلاً يحتذى
عليها وعبراً يعتبر بها وعن الحسن رحمه الله ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولان قاعدة
امرهم واساسه والغالب منهم الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلا
والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وفي قراءة ابن
مسعود على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت فتول عنهم فاعرض عنهم واغض على اذاهم
حتى حين الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي الى يوم بدر وقيل
الى الموت وقيل الى يوم القيمة وابصرهم وما يقضى عليهم من الاسر والقتل والعذاب في الآخرة
فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصرة والتأييد والثواب في العاقبة والمراد بالامر بابصارهم
على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة على انها كائنة واقعة لا محالة وان كينونتها قريبة كانها
قدام ناظريك وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه وقوله فسوف يبصرون للوعيد كما
سلف لا للتبعيد مثل العذاب النازل بهم بعد ما انذروه فانكروه بجيش انذر بهجومه
قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبتهم ولا دبروا امرهم تدبيراً ينجيهم حتى
اناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحاً فسميت الغارة صباحا
وان وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تحس بها ويروقك
موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل وقرا ابن مسعود فبئس صباح وقرئ
نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على ونزل العذاب
والمعنى فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من انذروا لان
ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلعم يوم الفتح بمكة وعن انس رضي الله عنه

17

لما اتى رسول الله صلعم خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد و
الخميس ورجعوا الى حصونهم فقال عليه السلام الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم
فساء صباح المنذرين وانما ثنى وتول عنهم ليكون تسلية على تسلية وتأكيداً لوقوع الميعاد
الى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق الفعلين معاً عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون
ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وانواع المساءة وقيل اريد باحدهما عذاب الدنيا
وبالآخر عذاب الآخرة اضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة
كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز ان يراد انه ما من عزة لاحد من
الملوك وغيرهم الا هو ربها ومالكها كقوله تعالى تعز من تشاء وتذل من تشاء اشتملت السورة
على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم
وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون
والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم
المؤمنين ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا من مضمنات كتابه الكريم ومودعات
قرآنه المجيد وعن امير المؤمنين المرتضى علي كرم الله وجهه من احب ان يكتال بالمكيال
الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما
يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين عن رسول الله صلعم من قرا الصافات
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الجن و
الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين والله اعلم

سورة ص مكية وهي ست وثمانون آية وقيل ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم صاد على الوقف وهي اكثر القراءة وقرئ بالكسر والفتح

لالتقاء الساكنين ويجوز ان ينتصب بحذف حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلن
بالنصب او باضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وامتناع الصرف
للتعريف والتانيث لانها بمعنى السورة وقد صرفها من قرا صادٍ بالجر والتنوين على تاويل
الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة ومنها الصدى
وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه عارض بعملك القران فاعمل
باوامره وانته عن نواهيه **فان قلت** قوله ص والقران ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة
وشقاق كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه **قلت** فيه وجهان احدهما ان
يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز كما
مر في اول الكتاب ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال والقران
ذي الذكر انه لكلام معجز والثاني ان يكون صاد خبر مبتدا محذوف على انها اسم للسورة
كانه قال هذه صاد يعني هذه السورة التي اعجزت العرب والقران ذي الذكر كما تقول
هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا اقسم بها كانه قال اقسمت
بصاد والقران ذي الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الاذعان لذلك
والاعتراف بالحق وشقاق لله ولرسوله واذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها والقران ذي
الذكر جاز ان تريد بالقران التنزيل كله وان تريد السورة بعينها ومعناه اقسم بالسورة الشريفة
والقران ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير
الرجل والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى
والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من الشرائع وغيرها كاقاصيص الانبياء والوعد
والوعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ في غرة اي في غفلة عما

بحث

18

عليهم من النظر واتباع الحق كم اهلكنا وعيد لذوي العزة والشقاق فنادوا فدعوا واستغاثوا
وعن الحسن فنادوا بالتوبة ولات هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث كما زيدت
على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا احد
مقتضييها اما الاسم واما الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند
الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وحين مناص
منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعنه ان ما ينتصب بعده بفعل مضمر اي ولا
ارى حين مناص ويرتفع بالابتداء اي ولا حين مناص كائن لهم وعندهما ان النصب
على ولات الحين حين مناص اي وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص
حاصلا لهم وقرئ حين مناصٍ بالكسر ومثله قول ابي زبيد الطائي طلبوا صلحنا ولات
اوانٍ فاجبنا ان لات حين بقاء **فان قلت** ما وجه الكسر في اوان **قلت** شبه باذ
في قوله وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان الاصل
ولات اوان صلح **فان قلت** فما تقول في حين مناص والمضاف اليه قائم **قلت** نزل قطع
المضاف اليه من مناص لان اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه
وجعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافا الى غير متمكن وقرئ ولاتِ
بكسر التاء على البناء كجيرِ **فان قلت** كيف يوقف على لات **قلت** يوقف عليها بالتاء
كما يوقف على الفعل الذي يتصل به تاء التانيث واما الكسائي فيقف عليها بالهاء
كما يقف على الاسماء المؤنثة واما قول ابي عبيد ان التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده
بان التاء ملتزقة بحين في الامام لا متشبث به فكم وقعت في المصحف اشياء خارجة عن
قياس الخط والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته واستناص طلب المناص

الى مصحف عثمان

والغوث

قال ابو اسحق اصلها ولات اوانا او اوان صلح ثم حذف المضاف اليه فبناه ثم دخل التنوين عوضا عن المضاف اليه المحذوف فكسرت النون لالتقاء الساكنين وصار التنوين تابعا للكسر ... الاخفش ولات حين اوان ثم حذف حين وهو بعيد لا يجوز ان يحذف المضاف ... والمضاف ... الا ان يقوم المضاف اليه مقامه في الاعراب فيجب ان يرفع اوان وكذلك قاله المبرد ورواه بالرفع

قال حارثة بن بدر يصف عمر الجرآء اذا ضربت عناته بيدي استناص وقام جرى المسحل
منذر منهم رسول من انفسهم وقال الكافرون ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على
ان هذا القول لا يجترئ عليه الا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي اذ قال
منهم اولئك هم الكافرون حقا وهل ترى كفرا اعظم وجهلا ابلغ من ان يسموا من صدقه الله
بوحيه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد الذي هو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو
الباطل الذي لا وجه لصحته روي ان اسلام عمر رضي الله عنه فرح به المؤمنون فرحا
شديدا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى
ابي طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين
دخلوا في الاسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر ابو طالب رسول الله صلعم
وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال عليه
ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال عليه السلم ارأيتم ان
اعطيتكم ما سألتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا
اي نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل الآلهة الها واحدا
ان هذا لشيء عجاب اي بليغ في العجب وقرئ عجّاب بالتشديد كقوله مكرا كبارا وهو ابلغ
من المخفف ونظيره كريم وكرام وكرّام وقوله اجعل الآلهة الها واحدا مثل قوله وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا في ان معنى الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعم
كانه قال اجعل الجماعة واحدا في قوله لان ذلك في الفعل محال الملأ اشراف قريش يريد
وانطلقوا عن مجلس ابي طالب بعد ما بكّتهم رسول الله صلعم بالجواب العتيد قائلين بعضهم

لبعض

لبعض امشوا واصبروا فلا حيلة لكم في دفع امر محمد صلعم ان هذا الامر لشيء يراد اي يريده الله
تعالى ويحكم بامضائه وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر او ان هذا الامر لشيء
من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه او ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم
وتغلبوا عليه وان بمعنى اي لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا
فيما جرى لهم وكان انطلاقهم مضمنا معنى القول ويجوز ان يراد بالانطلاق الاندفاع في القول
وانهم قالوا امشوا اي اكثروا واجتمعوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية
للتفاؤل كما قيل لها الفاشية قال النبي عليه السلم ضموا فواشيكم ومعنى واصبروا على آلهتكم
واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها وقرئ وانطلق الملأ منهم امشوا
بغير ان على اضمار القول وعن ابن مسعود وانطلق الملأ منهم يمشون ان اصبروا في
الملة الآخرة في ملة عيسى عليه السلم التي هي آخر الملل لان النصارى يدعونها وهم مثلثة غير موحدة او في ملة قريش التي ادركنا عليها آباءنا او ما سمعنا بهذا كائنا في الملة الآخرة ان بهذا في الملة الآخرة
حالا من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كما في الوجهين والمعنى انا لم نسمع من اهل الكتاب ولا الكهان
انه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله ما هذا الا اختلاق اي افتعال وكذب انكروا
ان يختص بالشرف من بين اشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا
نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الانكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم
من الحسد على ما اوتي من شرف النبوة من بينهم بل هم في شك من القرآن يقولون في انفسهم
اما واما وقولهم ان هذا الا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل
الحسد بل لما يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعني
انهم لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب مضطرين الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك يعني

ما لهم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا ويتخيروا للنبوة بعض
صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد صلى الله عليه وسلم وانما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز
القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه
حكمته وعدله كما قال اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا ثم رشح هذا المعنى فقال ام لهم ملك
السموات والارض حتى يتكلموا في الامور الربانية والتدابير الالهية التي تختص بها رب العزة
والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فان كانوا يصلحون لتدبير الخلق والتصرف في قسمة الرحمة
وكانت عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من هو حقيق بايتاء النبوة دون من لا يحق له فليرتقوا
في الاسباب فليصعدوا الى المعارج والطرق التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه
ويدبروا امر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون ثم خسأهم
خساءة عن ذلك بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب يريد ما هم الا جند من الكفار
المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون
وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما في قول امرئ القيس وحديث ما على قصره الا انه على سبيل
الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم
من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من اهله لست هنالك ذو الاوتاد اصله من ثبات البيت
المطنب بالاوتاد قال والبيت
لا يبتنى الا على عمد ولا عماد اذا لم ترس اوتاده فاستعير لثبات العز والملك واستقامة
الامر كما قال الاسود في ظل ملك ثابت الاوتاد وقيل كان يشبح المعذب بين اربع سوار كل طرف
من اطرافه الى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمد بين اربعة
اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب
بها بين يديه اولئك الاحزاب قصد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند

المهزوم

المهزوم منهم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم اولا في الجملة الخبرية
على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فاوضحه فيها بان كل واحد من الاحزاب كذب
جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا فقد كذبوهم جميعا وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد
ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع
على وجه التوكيد والتخصيص انواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق اشد العقاب و
ابلغه ثم قال فحق عقاب اي فوجب لذلك ان اعاقبهم حق عقابهم هؤلاء اهل مكة ويجوز
ان يكون اشارة الى جميع الاحزاب لاستحضارهم بالذكر او لانهم كالحضور عند الله والصيحة
النفخة ما لها من فواق وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب
ورضعتي الراضع يعني اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فاذا جاء
اجلهم لا يستأخرون ساعة وعن ابن عباس ما لها من رجوع وترداد من افاق المريض اذا
رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد انها نفخة واحدة فحسب
لا تثنى ولا تردد والقط القسط من الشيء لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة
الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بهما قوله تعالى عجل لنا قطنا اي نصيبنا من
العذاب الذي وعدته كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلعم
وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها او عجل لنا صحيفة اعمالنا
ننظر فيها فان قلت كيف تطابق قوله اصبر على ما يقولون وقوله واذكر عبدنا داود حتى
عطف احدهما على صاحبه قلت كانه قال لنبيه عليه السلم اصبر على ما يقولون وعظم امر
سا اوله معصية الله في اعينهم بذكر قصة داود عليه السلم وهو انه نبي من انبياء الله قد اوتي من النبوة
والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث اليه الملائكة ووبخه عليها على طريق

التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر واناب ووجد منه ما يحكى من بكائه
الدائم وغمه ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا يزال مجددا للندم فما الظن بكم مع كفركم
ومعاصيكم او قال له عليه السلم اصبر على ما يقولون وصن نفسك وحافظ عليها ان تزل فيما
كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم واذكر اخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة
اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته الى البغي ما لقي ذا الايد ذا القوة في الدين
المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه باعباء النبوة والملك يصوم يوما ويفطر يوما
وهو اشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان ايد وذو ايد وذو آد واياد كل شيء
ما يتقوى به اواب رجاع الى مرضات الله فان قلت ما دلك على ان الايد القوة في
الدين قلت قوله تعالى انه اواب لانه تعليل لذي الايد والاشراق ووقت الاشراق وهو
حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقول
شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ دخل علينا رسول الله صلعم فدعا بوضوء فتوضأ
ثم صلى صلوة الضحى وقال يا ام هانئ هذه صلوة الاشراق وعن طاوس عن ابن عباس قال
هل تجدون ذكر صلوة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأ انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي
والاشراق وقال كانت صلوة يصليها داود عليه السلم وعنه ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه
الاية وعنه لم يزل في نفسي من صلوة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها في هذه الاية يسبحن بالعشي
والاشراق وكان لا يصلي صلوة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب انه قال لابن عباس اني
لا اجد في كتب الله صلوة بعد طلوع الشمس فقال انا اوجدك ذلك في كتاب الله تعالى
يعني هذه الاية ويحتمل ان يكون من اشرق القوم اذا دخلوا في الشروق ومنه قوله تعالى فاخذتهم
الصيحة مشرقين وقول اهل الجاهلية اشرق ثبير ويراد وقت صلوة الفجر لانتهائه بالشروق

الواصب

يسبحن
في معنى مسبحات على الحال فان قلت هل من فرق بين يسبحن ومسبحات قلت نعم
ما اختير يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا
بعد شيء وحالا بعد حال وكان السامع محاضر تلك الجبال يسمعها تسبح ومثله قول الاعشى
الى ضوء نار في يفاع تحرق ولو قال محرقة لم يكن شيئا وقوله محشورة في مقابلة يسبحن الا انه
لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به اسما
لا فعلا وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على ان الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد
شيء والحاشر هو الله تعالى لكان خلفا لان حشرها جملة واحدة ادل على القدرة وعن ابن عباس
رضي الله عنه كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك
حشرها وقرئ والطير محشورة كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل داود اي
لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح اما
لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب
وهو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته ان يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه
وتقديسه وقيل الضمير لله اي كل من داود والجبال والطير لله اواب اي مسبح مرجع
للتسبيح وشددنا ملكه قويناه قال تعالى سنشد عضدك وقرئ شددنا على المبالغة
قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم يحرسونه وقيل الذي شد الله به ملكه وقذف
في قلوب قومه الهيبة ان رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحي اليه
في المنام ان اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فاعيد الوحي في اليقظة فاعلم الرجل
فقال ان الله لم يأخذني بهذا الذنب ولكن باني قتلت ابا هذا غيلة فقتله فقال الناس
ان اذنب احد ذنبا اظهره الله عليه فقتله فهابوه الحكمة الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام

بالرفع

وافق الحق فهو حكمه الفصل التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب
الامير لانهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل في نقيضه فصل اي
مفصول بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من
يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه ان لا يخطئ صاحبه مظان الفصل
والوصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين الا موصولا
بما بعده ولا والله يعلم وانتم حتى يصله بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف
وتركه والاضمار والاظهار والحذف والتكرار وان شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم
والزور واردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد
والحق والباطل والصواب والخطاء وهو كلامه في القضاء والحكومات وتدابير الملك والمشورات
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه هو قوله البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو
من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله اما بعد لانه يفتتح اذا تكلم في
الذي له شان بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين
ذكر الله بقوله اما بعد ويجوز ان يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا
اشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله صلعم فصل لا نزر ولا هذر كان اهل زمان
داود عليه السلم يسال بعضهم بعضا ان ينزل له عن امراته فيتزوجها اذا اعجبته وكانت لهم عادة
في المواساة بذلك قد اعتادوها وقد روينا ان الانصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك
فاتفق ان عين داود وقعت على امراة رجل يقال له اوريا فاحبها فساله النزول له عنها
فاستحيا ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان عليه السلم فقيل له انك مع عظم منزلتك
وارتفاع مرتبتك وكبر شانك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك ان تسال رجلا ليس له الا امراة

واحدة
النزول بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل
خطبها اوريا ثم خطبها داود فآثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المؤمن مع
كثرة نسائه واما ما يذكر ان داود تمنى منزلة آبائه ابرهيم واسحق ويعقوب فقال يا رب ان
آبائي قد ذهبوا بالخير كله فاوحى اليه انهم ابتلوا ببلاء فصبروا عليها قد ابتلي ابرهيم بنمرود
وذبح ولده واسحق بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسال الابتلاء فاوحى
اليه انك لمبتلى في يوم كذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه واغلق بابه وجعل يصلي
ويقرأ الزبور فجاء الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده لياخذها لابن له صغير فطار
فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امراة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها
وهي امراة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب ابن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء
ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى
يفتح الله على يده فتحا او يستشهد ففتح الله على يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى
قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امراته فهذا ونحوه مما يقبح ان
يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء وعن
سعيد بن المسيب والحارث الاعور ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال من حدثكم بحديث
داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروي انه حدث
بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة
على ما في كتاب الله فما ينبغي ان يلتمس خلافها واعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت
وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام احب الي
مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلم ليس الا طلبه

لا زوج المراة ان ينزل له عنها فحسب فان قلت لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض
دون التصريح قلت لكونها ابلغ في التوبيخ من قبل ان التامل اذا اداه الى الشعور بالمعرض
به كان اوقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم اثرا فيه واجلب لاحتشامه وحيائه و
ادعى له الى التنبه على الخطا فيه من ان يبادره به صريحا مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة
الا ترى الى الحكماء كيف اوصوا في سياسة الولد اذا وجدت منه هنة منكرة بان يعرض له
بانكارها عليه ولا يصرح وان تحكى له حكاية ملاحظة لحاله اذا تاملها استسمج حال صاحب
الحكاية فاستسمج حال نفسه وذلك ازجر له لانه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا
لشانه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع انه اصون لما بين الوالد والولد من حجاب
الحشمة فان قلت فلم كان ذلك على وجه التحاكم اليه قلت ليحكم بما حكم به من قوله لقد
ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه وهل اتاك
نبؤ الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة التي حقها ان تشيع
ولا تخفى على احد والتشويق الى استماعه والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف
قال الله تعالى حديث ضيف ابرهيم المكرمين لانه مصدر في اصله تقول خصمه خصما كما
تقول ضافه ضيفا فان قلت هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك قلت
معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرا خصمان بغى بعضهم على بعض
ونحوه قوله تعالى هذان خصمان اختصموا فان قلت فما تصنع بقوله ان هذا اخي وهو دليل
على اثنين قلت هذا قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض فان قلت فقد جاء في
الرواية انه بعث اليه ملكان قلت معناه ان التحاكم كان بين ملكين ولا يمنع ذلك ان
يصحبهما اخرون فان قلت فاذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا خصما في قوله نبا

الخصم

الخصم وخصمان قلت لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به
فان قلت بم انتصب اذ قلت لا يخلو اما ان ينتصب باتاك او بالنبا او بمحذوف فلا
يسوغ انتصابه باتاك لان اتيان النبا رسول الله لا يقع الا في عهده لا في عهد داود ولا
بالنبا لان النبا الواقع في عهد داود لا يصح اتيانه رسول الله وان اردت بالنبا
القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي ان ينتصب بمحذوف وتقديره وهل اتاك نبا تحاكم الخصم
ويجوز ان ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل واما اذ الثانية فبدل من الاولى تسوروا المحراب
تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره في الابنية تسنمه اذا علا سنامه
وتذراه اذا علا ذروته روي ان الله تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا ان يدخلا
عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان
ففزع منهم قال ابن عباس ان داود عليه السلام جزا زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما
للقضاء ويوما للاشتغال بخواص اموره ويوما يجمع بني اسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤه في غير
يوم القضاء ففزع منهم ولانهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون
من يدخل عليه خصمان خبر مبتدا محذوف اي نحن خصمان ولا تشطط ولا تجر وقرى ولا
تشطط اي ولا تبعد عن الحق وقرى ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو
وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق وسواء الصراط وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين الحق ومحضه
اخي بدل من هذا او خبر لان والمراد اخوة الدين او اخوة الصداقة والالفة او اخوة الشركة
والخلطة لقوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء وكل واحدة من هذه الاخوات تدلي بحق مانع من
الاعتداء والظلم وقرى تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات
نحو نطع ونطع ولقوة ولقوة اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي

وعزني وغلبني يقال عزه يعزه قال قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح
مريد جارني بحجاج لم اقدر ان اورد عليه ما اردّه به واراد بالخطاب مخاطبة المحاج
المخاطب او اراد خطبت المراة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني
حيث زوجها دوني وقرئ وعازني من المعازة وهي المغالبة وقرأ ابو حيوة وعزني بتخفيف
الزاء طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكانه قاسه على نحو ظلت ومست **فان قلت** ما
معنى ذكر النعاج **قلت** كان تحاكمهم في نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لان التمثيل ابلغ في التوبيخ
لما ذكرنا والتنبيه على انه امر يستحيى من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستهجن الافصاح به وللستر
على داود عليه السلم والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه ان مثلت قصة اوريا مع داود
بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة
خليطه واراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده
والدليل عليه قوله وان كثيرا من الخلطاء وانما خص هذه القصة لما فيها من الرمز الى الغرض
بذكر النعجة **فان قلت** انما يستقيم طريقة التمثيل اذا فسرت الخطاب بالجدال فان فسرته
بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم **قلت** الوجه مع هذا التفسير ان اجعل النعجة استعارة
عن المراة كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله يا شاة ما قنص لمن حلت له فرمت غفلة
عينه عن شاته وشبهها بالنعجة من قال كنعاج الملا تعسفن رملا لولا ان الخلطاء وباباه الا
ان يضرب داود الخلطاء ابتداء مثلا لهم ولقصتهم **فان قلت** الملائكة عليهم السلم كيف صح
منهم ان يخبروا عن انفسهم بما لم يلتبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شانهم **قلت** هو تصوير
للمسئلة وفرض لها فصوروها في انفسهم وكانوا في صورة الناس كما تقول في تصوير المسائل
زيد له اربعون شاة وعمرو له اربعون وانت تشير اليهما خالطاها وحال عليها الحول كم يجب فيها

وما

وما للزيد وعمرو سبد ولا لبد وتقول ايضا في تصويرها لي اربعون شاة ولك اربعون فخلطناها
وما لكما من الاربعين اربعة ولا ربعها **فان قلت** ما وجه قراءة ابن مسعود ولي نعجة انثى
قلت يقال امراة انثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة في لين الانوثة وفتورها
وذلك املح لها وازيد في تكسرها وتثنيها الا ترى الى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله فتور
القيام قطيع الكلام وقوله يمشي رويدا تكاد تنغرف لقد ظلمك جواب قسم محذوف
وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول
كقوله من دعاء الخير وقد ضمن معنى الاضافة فعدى تعديتها كانه قيل باضافة نعجتك الى
نعاجه على وجه السؤال والطلب **فان قلت** كيف سارع اليه تصديق احد الخصمين حتى
ظلم الاخر قبل استماع كلامه **قلت** ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في
لانه معلوم وروى انه قال انا اريد ان اخذها منه واكمل نعاجي مائة فقال داود ان رمت ذلك
ضربنا منك هذا وهذا واشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود انت احق ان يضرب
منك هذا وهذا وانت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير احدا فعرف ما وقع فيه و
الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم الواحد خليط وهي الخلطة وقد غلبت في الماشية
والشافعي رضي الله عنه يعتبرها فاذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة او
لكل واحد منهما ماشية على حدة الا ان مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعي والكلب
واحد والفحل لمختلطة فهما يزكيان زكوة الواحد فان كانت لهما اربعون شاة فعليهما شاة
وان كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد اربعون فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد
وعند ابي حنيفة رضي الله عنه لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد ففي الاربعين
بين خليطين لا شيء عنده وفي مائة وعشرين بين ثلثة ثلث شياه **فان قلت** فهذه الخلطة

ما تقول فيها قلت عليها شاة واحدة فيجب على ذي النعجة او آخر من ماءه جز من الشاة والجرو
عند الشافعي وعند ابي حنيفة لا شي عليه فان قلت ما اريد بذكر حال الخلطاء في ذلك
المقام قلت قصد به الموعظة الحسنة والترغيب في ايثار عادة الخلطاء الصلحاء الذ
حكم لهم بالقلة وان يكره اليهم الظلم والاعتداء الذي عليه اكثرهم مع التاسف على حالهم
وان يسلي المظلوم عما جرى عليه من خليطه وان له في اكثر الخلطاء اسوة وقرئ ليبغي بفتح
الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وهو جواب
قسم محذوف وليبغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة وما في وقليل ما هم للابهام وفيه تعجب
من قلتهم وان اردت ان تتحقق فايدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث ما
على قصره وانظر هل بقي له معنى قط لما كان الظن الغالب يداني العلم استعير له ومعناه
وعلم داود وايقن انما فتناه انما ابتليناه بامراة اوريا هل يثبت ام يزل وقرئ فتناه با
لتشديد للمبالغة وافتناه من قوله لئن افتنتني لهي بالامس افتنت وفتناه وفتناه على
ان الالف ضمير الملكين وعبر بالراكع عن الساجد لانه ينحني ويخضع كالساجد وبه استشهد
ابو حنيفة واصحابه في سجدة التلاوة على ان الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن لانه لا
يكون ساجدا حتى يركع ويجوز ان يكون قد استغفر الله لذنبه واحرم بركعتي الاستغفار
والانابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعا اي مصليا لان الركوع يجعل عبارة عن الصلوة و
اناب ورجع الى الله بالتوبة والتنصل وروي انه بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع
راسه الا لصلوة مكتوبة او لما لا بد منه ولا يرقا دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى راسه
ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل
بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع اليه اهل الزيغ



من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروي انه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها
وقيل ان الخصمين كانا من الانس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما اما كانا خليطين
في الغنم واما كان احدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهاير والسراري والثاني معسرا
ماله الا امراة واحدة فاستنزله عنها وانما فزع لدخولهما عليه في غير وقت الحكومة ان يكونا
مغتالين وما كان ذنب داود الا انه صدق احدهما على الاخر وظلمه قبل مسئلته خليفة في
الارض اي استخلفناك على الملك في الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد
ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله في ارضه او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء
القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير فاحكم بين
الناس بالحق اي بحكم الله اذ كنت خليفته ولا تتبع هوى النفس في قضائك وغيره مما تتصرف
فيه من اسباب الدين والدنيا فيضلك الهوى فيكون سببا لضلالك عن سبيل الله
عن دلائله التي نصبها في العقول وعن شرائعه التي شرعها واوحى بها يوم الحساب
متعلق بنسوا اي بنسيانهم يوم الحساب او بقوله لهم اي لهم عذاب يوم القيامة بسبب
نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز
او للزهري هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا ان الخليفة لا يجري عليه القلم
ولا يكتب عليه معصية فقال يا امير المؤمنين الخلفاء افضل ام الانبياء ثم تلا هذه الاية
باطلا خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة او مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وتقديره ذوي باطل او عبثا فوضع باطلا
موضعه كما وضعوا هنيئا موضع المصدر وهو صفة اي ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب
ولكن للحق المبين وهو ان خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين

وانشأنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب
اعمالهم وذلك اشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون اى خلقها للعبث لا للحكمة هو
مظنون الذين كفروا فان قلت اذا كانوا مقرين بان الله خالق السموات والارض وما
بينهما بدليل قوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فبم جعلوا ظانين
انه خلقها للعبث لا للحكمة قلت لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب
مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذي
سيقت اليه الحكمة فى خلق العالم من راسها فمن جحده فقد جحد الحكمة من اصلها ومن جحد الحكمة
فى خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره بكونه
خالقا كلا اقرار ام منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول
الكافرون لاستوت عند الله احوال من اصلح وافسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان
سفيها ولم يكن حكيما وقرئ مباركا وليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات
التفكر فيها والتامل الذى يؤدى الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التاويلات الصحيحة و
المعانى الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من
له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن قد قرا هذا القران عبيد
وصبيان لا علم لهم بتاويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان احدهم ليقول والله
لقد قرات القران فما اسقطت منه حرفا وقد والله اسقطه كله ما يرى للقران عليه اثر
فى خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة
لا كثر الله فى الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين واعذنا من القراء المتكبرين
وقرئ نعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح محذوف وعلل كونه ممدوحا بكونه اوابا

رجاعا

٢٦

رجاعا اليه بالتوبة او مسبحا مؤوبا للتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب اواب والصافن
الذى فى قوله الصافنات فما زال كانه مما يقوم على الثلاث كسيرا وقيل الذى يقوم
على طرف سنبك يد او رجل وهو المتخيم واما الصافن فالذى يجمع بين يديه وعن النبى
عليه السلم من سره ان يقوم الناس له صفونا فليتبوا مقعده من النار اى واقفين كما يخدم
الجبابرة فان قلت ما معنى وصفها بالصفون قلت الصفون لا يكاد يكون فى الهجن
وانما هو فى العراب الخلص وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين
واقفة وجارية يعنى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها واذا جرت كانت
سراعا خفافا فى جريها وروى ان سليمان عليه السلم غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب
الف فرس وقيل ورثها من ابيه واصابها ابوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها اجنحة
فقعد يوما بعد ما صلى الاولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت
الشمس وغفل عن العصر او عن ورد من الذكر كان له وقت العشى وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم
الناس ع لما فاته فاستردها وعقرها مقربا لله وبقى مائة فما فى ايدى من الجياد فمن نسلها وقيل
لما عقرها ابدله الله خيرا منها وهى الريح تجرى بامره فان قلت ما معنى احببت حب
الخير عن ذكر ربى قلت احببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كانه قيل انبت حب
الخير عن ذكر ربى او جعلت حب الخير مجزيا او مغنيا عن ذكر ربى وذكر ابو الفتح الهمدانى
فى كتاب التبيان ان احببت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا وليس
بذاك والخير المال كقوله ان ترك خيرا وقوله وانه لحب الخير لشديد والمال الخيل الذى شغلته
او سمى الخيل خيرا كانها نفس الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخير
معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقال فى زيد الخيل حين وفد عليه واسلم ما وصف

لي رجل فرأيته الا كان دون ما بلغني الا زيد الخيل وسماه زيد الخير وسال رجل بلالا
رضي الله عنه عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله صلعم فقال له الرجل اردت الخيل
فقال وانا اردت الخير والتواري بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن تواري الملك او
المخبأة بحجابها والذي دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للمضمر من جرى
ذكر او دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام
ومن بدع التفاسير ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه
فطفق مسحا فجعل يمسح مسحا اي يمسح السيف بسوقها واعناقها يعني يقطعها تقول
مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا قطع اطرافه بسيفه وعن
الحسن وعن كسف عراقيبها وضرب اعناقها اراد بالكسف القطع ومنه الكسف في
القاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف وقيل مسحها بيده استحسانا
لها واعجابا بها **فان قلت** بم اتصل قوله ردوها علي **قلت** بمحذوف تقديره قال
ردوها علي فاضمر واضمر ما هو جواب له كان قائلا قال فماذا قال سليمان لانه موضع
مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبي من انبياء الله بامر الدنيا حتى تفوته
الصلوة عن وقتها وقرئ بالسؤق بهمز الواو لضمتها كما في ادؤر ونظيره الغؤور
في مصدر غارت الشمس واما من قرأ بالسؤوق فقد جعل الضمة في السين كانها في الواو
وللتلاصق كما قيل مؤسى ونظير ساق وسوق اسد واسد وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد
عن الجمع لامن الالباس قيل فتن سليمان عليه السلم بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة
عشرين سنة وكان من فتنته انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة
فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم ذلك وكان يغذوه في السحابة فما راعه الا ان القي

للنبل الجبوة

٢٧ على كرسيه ميتا فتنبه على خطيئته في ان لم يتوكل على ربه فاستغفر ربه وتاب اليه وروي
عن النبي صلى الله عليه السلم قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امراة كل واحدة
تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة
جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله فرسانا اجمعون فذلك
قوله ولقد فتنا سليمان وهذا ونحوه مما لا باس به واما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان
وعبادة الوثن في بيت سليمان فالله اعلم بصحته حكوا ان سليمان بلغه خبر صيدون
وهي مدينة في بعض الجزائر وان بها ملكا عظيم الشان لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر
فخرج اليه تحمله الريح حتى اناخ بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واصاب بنتا له
اسمها جرادة من احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكانت لا يرقا
دمعها حزنا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت
تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبر آصف سليمان
بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه
تائبا الى الله متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة
امراة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما واتاها الشيطان
صاحب البحر وهو الذي دل سليمان على الماس حين امر ببناء بيت المقدس
واسمه صخر على صورة سليمان فقال يا امينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي
سليمان وعكفت عليه الطير والجن والانس وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب
الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف
واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه

يجاهدوا في سبيل الله

كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدة ما عبد الوثن في بيته فانكر آصف
وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امرأة
منا في دمها ولا يغتسل من جنابته وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء الا فيهن ثم طار
الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر
بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله
فيها وسد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص وقذفه بالبحر وقيل لما افتتن كان
يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها فقال له آصف انك لمفتون بذنبك والخاتم لا يقر
في يدك فتب الى الله ابى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من اباطيل اليهود والشياطين
لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل وتسليط الله اياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الاحكام
وعلى نساء الانبياء حتى يفجروا بهن قبيح واما اتخاذ التماثيل فيجوز ان تختلف
فيه الشرائع الا ترى الى قوله من محاريب وتماثيل واما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله
ان يأذن فيه واذا كان بغير علمه فلا عليه وقوله والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب
وعن افادة معنى انابة الشيطان منابه نبوا ظاهرا وقدم الاستغفار على استيهاب
الملك جريا على عادة الانبياء والصالحين في تقديمهم امر دينهم على امور دنياهم لا ينبغي
لا يتسهل ولا يكون ومعنى من بعدي من دوني **فان قلت** اما يشبه الحسد والحرص
على الاستبداد بالنعمة ان يستعطي الله ما لا يعطيه غيره **قلت** كان سليمان عليه السلام ناشئا
في بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فاراد ان يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب الفه
ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا
على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم وان يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى

ولقد

قلد

٢٨
قوله لا ينبغي لاحد من بعدي وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ
على حدود الله فيه كما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح
بحمدك وقيل ملكا لا اسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي كما سلبته مرة واقيم فيه
مقامي غيري ويجوز ان يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح
في الدين وعلم انه لا يضطلع باعبائه غيره واوجبت الحكمة استيهابه فامره ان يستوهبه
اياه فاستوهبه بامر من الله على الصفة التي علم الله انه لا يضبطه عليها الا هو وحده
دون سائر عباده او اراد ان يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي لاحد من بعدي ولم يقصد
بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال وربما كان للناس امثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده وعن
الحجاج انه قيل له انك حسود فقال احسد مني من قال وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من
بعدي وهذا من جراءته على الله وشيطنته كما حكي عنه طاعتنا اوجب من طاعة الله
لانه شرط في طاعته قال فاتقوا الله ما استطعتم واطلق طاعتنا فقال واولي الامر منكم
فرخ الريح والرياح رخاء لينة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة له لا تمتنع عليه حيث اصاب
حيث قصد وارادوا حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطأ الجواب وعن
رؤبة ان رجلين من اهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال اين تصيبان
فقالا هذه طلبتنا ورجعا ويقال اصاب الله بك خيرا والشياطين عطف على الريح و
كل بناء بدل من الشياطين وآخرين عطف على كل داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من
الكل كانوا يبنون له ما شاء من الابنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو اول من استخرج
الدر من البحر وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب
والكف عن الفساد وعن السدي كان يجمع ايديهم الى اعناقهم مغللين في الجوامع والصفد

القيد وسمي به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من برّك فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك ومنه قول القائل غلّ يدًا مطلقها وارقّ رقبة معتقها وقال حبيب ان العطاء اسار وتبعه من قال ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا وفرقوا بين الفعلين فقالوا اصفده قيده واصفده اعطاه كوعده واوعده اي هذا الذي اعطيناك من الملك والمال والبسطة عطاؤنا بغير حساب يعني جمًّا كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره فامنن من المنة وهي العطاء اي فاعط منه ما شئت او امسك مفوضا اليك التصرف فيه وفي قراءة ابن مسعود هذا فامنن او امسك عطاؤنا بغير حساب او هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق وامسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب اي لا حساب عليك في ذلك ايوب عطف بيان واذ بدل اشتمال منه اني مسني باني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بانه مسه لانه غائب وقرئ نُصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وضمهما فالنُصب والنَصب كالرُشد والرَشد والنَصَب على اصل المصدر والنُصُب تثقيل نُصْب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة والعذاب الالم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من انواع الوصب وقيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب الاهل والمال فان قلت لم نسبه الى الشيطان ولا يجوز ان يسلطه الله على انبيائه ليقضي من اتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا الا وقد نكبه واهلكه وقد تكرر في القرآن انه لا سلطان له الا الوسوسة فحسب قلت لما كانت وسوسته اليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه اليه وقد راعى الادب في ذلك حيث لم ينسبه الى الله في دعائه مع انه فاعله ولا يقدر عليه الا هو وقيل اراد ما كان يوسوس به اليه

في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروي انه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد احدهم فسأل عنه فقيل القى اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبياء والصالحين وذكر في سبب بلائه ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله اركض برجلك حكاية ما اجيب به ايوب اي اضرب برجلك الارض وعن قتادة هي ارض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اي هذا ما تغتسل به وتشرب فيبرأ به باطنك وظاهرك وتنقلب ما بك قلبة وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها رحمة منا وذكرى مفعول لهما والمعنى ان الهبة كانت للرحمة له ولتذكير اولي الالباب لانهم اذا سمعوا بما انعمنا عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم وخذ معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش او ريحان او غير ذلك وعن ابن عباس قبضة من الشجر كان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة اذا برأ فحلل الله يمينه باهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتي بمخدج قد خبث بامة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما اطرافها قائمة واما اعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب في يمينه انها ابطأت عليه ذاهبة في حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذوائبها برغيفين وكانتا متعلق ايوب اذا قام وقيل

قال لها الشيطان لو سجدتِ لي سجدةً لرددتُ عليكم مالكم واولادكم فهمّت بذلك فادركتها
العصمة فذكرت ذلك له فحلف وقيل اوهمها الشيطان ان ايوب اذا شرب الخمر برا
فعرضت له بذلك وقيل سالته ان يقرب للشيطان بعناق وجدناه صابرا علمناه
صابرا **فان قلت** كيف وجده صابرا وقد شكا اليه ما به واسترحمه **قلت** الشكوى
الى الله تعالى لا تسمى جزعا ولقد قال يعقوب عليه السلم انما اشكو بثي وحزني الى الله وكذلك
شكوى العليل الى الطبيب وذلك ان اصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمني العافية
وطلبها واذا صح ان يسمى صابرا مع تمني العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجاء الى الله
والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الاطباء على ان ايوب عليه السلم كان يطلب
الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم كما يوسوس كان م
اليه انه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره
الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان وروي انه قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم
يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم اكل الا ومعي يتيم ولم
ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف الله عنه ابرهيم واسحق ويعقوب
عطف بيان لعبادنا ومن قرا عبدنا جعل ابرهيم وحده عطف بيان له ثم عطف
ذريته على عبدنا وهي اسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس واله اباك ابرهيم واسمعيل
واسحق لما كانت اكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت
ايديهم وان كان عملا لا تتاتى فيه المباشرة بالايدي او كان العمال جذما لا ايدي لهم
وعلى ذلك ورد قوله عز وعلا اولي الايدي والابصار يريد اولي الاعمال والفكر كان
الذين لا يعملون اعمال الاخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون افكار ذوي الديانات

ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبي العقول
الذين لا استبصار بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في
دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتامل مع كونهم متمكنين منها وقرئ اولي الايدي
على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة وتفسيره
بالايد من التاييد قلق غير متمكن اخلصناهم جعلناهم لنا خالصين بخالصة بخصلة
خالصة لا شوب فيها ثم فسرها بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء
وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الاضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار على
انهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى
الدار ذكراهم الاخرة دائما ونسيانهم اليها ذكرى الدنيا او تذكيرهم الاخرة وترغيبهم
فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شان الانبياء وديدنهم وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل
في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم **فان قلت** ما معنى اخلصناهم بخالصة
قلت معناه اخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبانهم من اهلها او اخلصناهم بتوفيقهم
لها واللطف بهم في اختيارها وتعضد الاول قراءة من قرا بخالصتهم المصطفين المختارين
من بين ابناء جنسهم والاخيار جمع خير او خير على التخفيف كالاموات في جمع ميت او ميت و
اليسع كان حرف التعريف دخل على يسع وقرئ والليسع كان حرف التعريف دخل على
ليسع فيعل من اللسع والتنوين في كل عوض من المضاف اليه معناه وكلهم من الاخيار
هذا ذكر اي هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما اجرى ذكر الانبياء واتمه وهو باب من
ابواب التنزيل ونوع من انواعه واراد ان يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة واهلها
قال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين كما يقول الجاحظ في كتابه م فهذا باب ثم يشرع في باب آخر ويقول

الكاتب اذا فرغ من فصل من كتابه واراد الشروع في اخر هذا وقد كان كيت وكيت و
الدليل عليه انه لما اتم ذكر اهل الجنة واراد ان يعقبه بذكر اهل النار قال هذا وان
للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به ابدا وعن ابن عباس هذا ذكر
من مضى من الانبياء جنات عدن معرفة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن وانتصابها
على انها عطف بيان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى
الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي
الابواب كقولك ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن
مفتحة بالرفع على ان جنات عدن مبتدا ومفتحة خبره او كلاهما خبر مبتدا محذوف
اي هو جنات عدن هي مفتحة لهم كان اللدات سمين اترابا لان التراب مسهن
في وقت واحد وانما جعلن على سن لان التحاب بين الاقران اثبت وقيل هن اتراب (واحد)
لازواجهن اسنانهن كاسنانهم (عند الولادة) وقرئ يوعدون بالياء والتاء ليوم الحساب لاجل يوم كما تقول هذا (الحساب)
ما ادخرته ليوم الحساب اي ليوم تجزى كل نفس ما عملت هذا اي الامر هذا او هذا
كما ذكر فبئس المهاد كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه ما تحتهم من النار بالمهاد
الذي يفترشه النائم اي هذا حميم فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدا فقال هو
حميم وغساق او هذا فليذوقوه بمنزلة واياي فارهبون اي ليذوقوا هذا فليذوقوه و
الغساق بالتشديد والتخفيف ما يغسق من صديد اهل النار يقال غسقت العين اذا سال
دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المغرب (في المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت منه قطرة)
لنتنت اهل المشرق وعن الحسن الغساق عذاب لا يعلمه الا الله ان الناس اخفوا لله طاعة
فاخفى لهم ثوابا في قوله فلا تعلم نفس واخفوا معصية فاخفى لهم عقوبة واخر ومذوقات

٣١ اخر من شكل هذا المذوق من مثله في الشدة والفظاعة ازواج اجناس وقرئ وآخر اي و
عذاب آخر او مذوق آخر وازواج صفة لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة للثلاثة
وهي حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ بالكسر من شكله بالكسر وهي لغة واما الغنج
فبالكسر لا غير هذا فوج مقتحم معكم هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اي دخل النار
في صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة وهذه حكاية
كلام الطاغين بعضهم مع بعض اي يقولون هذا والمراد بالفوج اتباعهم الذين اقتحموا
معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب لا مرحبا بهم دعاء منهم على اتباعهم تقول لمن تدعو له
(لا ضيقا) مرحبا اي اتيت رحبا من البلاد او رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء وبهم
بيان للمدعو عليهم انهم صالوا النار تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه قوله تعالى
كلما دخلت امة لعنت اختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في اتباعهم
ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤسا وقيل هذا كله كلام الخزنة قالوا اي الاتباع
بل انتم لا مرحبا بكم يريدون الدعاء الذي دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك
بقولهم انتم قدمتموه لنا والضمير للعذاب او لصليهم فان قلت ما معنى تقديمهم العذاب
لهم قلت المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم
ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل انتم قدمتموه
فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لان العاملين هم المقدمون
في الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه فان قلت فالذي جعل قوله لا مرحبا
بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل انتم لا مرحبا بكم والمخاطبون اعني رؤساءهم لم يتكلموا بما
يكون هذا جوابا له قلت كانه قيل هذا الذي دعا به علينا الخزنة انتم يا رؤساء احق به منا

لاغوائكم ايانا وتسبيبكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا اصح كما لو زين قوم لقوم بعض
المساوى فارتكبوه فقيل للمزينين اخزى الله هولاء ما اسوء فعلهم فقال المزين لهم
للمزينين بل انتم اولى بالخزى منا اى المرحبين فلولا انتم لم نرتكب ذلك قالوا هم الاتباع
ايضا فزده عذابا ضعفا اى مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هولاء اضلونا
فاتهم عذابا ضعفا وهو ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله تعالى ربنا اتهم ضعفين
من العذاب وجاء فى التفسير عذابا ضعفا حيات وافاعى وقالوا الضمير للطاغين رجالا
يعنون فقراء المسلمين الذين لا يوبه لهم من الاشرار من الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى
ولانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم اشرارا اتخذناهم سخريا قرى بلفظ الاخبار
على انه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام على انه انكار
على انفسهم وتانيب لها فى الاستسخار منهم وقوله ام زاغت عنهم الابصار له وجهان من
الاتصال احدهما ان يتصل بقوله ما لنا اى ما لنا لا نراهم فى النار كانهم ليسوا فيها بل ازاغت
عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا امرهم بين ان يكونوا من اهل الجنة وبين ان يكونوا
من اهل النار الا انه خفى عليهم مكانهم والوجه الثانى ان يتصل باتخذناهم سخريا اما
ان يكون ام متصلة على معنى اى الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام ازدراؤهم وتحقيرهم
وان ابصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى انكار الامرين جميعا على انفسهم وعن
الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم محقرة لهم واما ان
يكون منقطعة بعد مضى اتخذناهم سخريا على الخبر او الاستفهام كقولك انها لابل ام شاء
وازيد عندك ام عندك عمرو ولك ان تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرا بغير
همزة لان ام تدل عليها فلا تفترق القراتان اثبات همزة الاستفهام وحذفها وقيل في

٣٢

في وقالوا الصناديد قريش كابى جهل والوليد واضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال واشباههم
وقرى سخريا بالضم والكسر ان ذلك الذى حكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين
ما هو فقال هو تخاصم اهل النار وقرى بالنصب على انه صفة لذلك لان اسماء الاشارة
توصف باسماء الاجناس فان قلت لم سمى ذلك تخاصما قلت شبه تقاولهم
وما يجرى بينهم من السوال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين من نحو ذلك ولان قول
الرؤسا لا مرحبا بهم وقول اتباعهم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله بل انتم
تخاصما لاجل اشتماله على ذلك قل يا محمد لمشركى مكة ما انا الا رسول منذر انذركم عذاب
الله للمشركين واقول لكم ان دين الحق توحيد الله وان تعتقد ان لا اله الا الله الواحد
بلا ند ولا شريك القهار لكل شى وان الملك والربوبية له فى العالم كله وهو العزيز الذى
لا يغلب اذا عاقب العصاة وهو مع ذلك الغفار لذنوب من التجا اليه او قل لهم
ما انا الا منذر لكم ما اعلم وانا انذركم عقوبة من هذه صفته فان مثله حقيق بان يخاف
عقابه كما هو حقيق بان يرجى ثوابه قل هو نبا عظيم هذا الذى انباتكم به من كونى رسولا
منذرا وان الله واحد لا شريك له نبا عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة
ثم احتج لصحة نبوته بان ما ينبى به عن الملا الاعلى واختصامهم امر ما كان له به من
علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذى يسلكه الناس فى علم ما لم يعلموا وهو الاخذ من اهل
العلم وقراءة الكتب فعلم ان ذلك لم يحصل له الا بالوحى من الله ان يوحى الى الا انما انا
نذير اى لانما انا نذير ومعناه ما يوحى الى الا للانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل
اليه ويجوز ان يرتفع على معنى ما يوحى الى الا هذا وهو ان انذر وابلغ ولا افرط فى ذلك
اى ما اومر الا بهذا الامر وحده وليس الى غير ذلك وقرى انما بالكسر على الحكاية اى

اي هذا القول وهو ان اقول لكم انما انا نذير مبين ولا ادعي شيئا آخر وقيل النبأ العظيم قصص
آدم والإنباء به من غير سماع من احد وعن ابن عباس القرآن وعن الحسن يوم القيمة
فان قلت بم يتعلق اذ يختصمون **قلت** بمحذوف لان المعنى ما كان لي من
علم بكلام الملأ الاعلى وقت اختصامهم واذ قال ربك بدل من اذ يختصمون **فان قلت**
ما المراد بالملأ الاعلى **قلت** اصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا في السماء
وكان التقاول بينهم **فان قلت** ما كان التقاول بينهم انما كان بين الله وبينهم لان الله
تعالى هو الذي قال لهم وقالوا له فانت بين امرين اما ان تقول الملأ الاعلى هؤلاء وكان
التقاول بينهم ولم يكن التقاول بينهم واما ان تقول التقاول كان بين الله وبينهم فقد جعلته
من الملأ الاعلى **قلت** كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك وكان المقاول في الحقيقة
هو الملك المتوسط فصح ان التقاول كان بين الملائكة وآدم وابليس وهم الملأ الاعلى و
المراد بالاختصام التقاول على ما سبق **فان قلت** كيف صح ان يقول لهم اني خالق بشرا
وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل **قلت** وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق
خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم فاذا سويته فاذا اتممت خلقه
وعدلته ونفخت فيه من روحي واحييته وجعلته حساسا متنفسا فقعوا فخروا كلهم للاحاطة
واجمعون للاجتماع فافادا معا انهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك الا سجد وانهم سجدوا
جميعا في وقت واحد غير متفرقين في اوقات **فان قلت** كيف ساغ السجود لغير الله
قلت الذي لا يسوغ هو السجود لغير الله على وجه العبادة فاما على وجه التكرمة والتبجيل
فلا يأباه العقل الا ان يعرف الله فيه مفسدة فينهى عنه **فان قلت** كيف استثنى ابليس
من الملائكة وهو من الجن **قلت** قد امر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد الملائكة

٣٧

ثم استثني كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا وكان من الكافرين اريد وجود كفره ذلك
الوقت وان لم يكن قبله كافرا لان كان مطلق في جنس الاوقات الماضية فهو صالح
لايها شئت ويجوز ان يراد وكان من الكافرين في الازمنة الماضية في علم الله **فان قلت**
ما وجه قوله خلقت بيدي **قلت** قد سبق لنا ان ذا اليدين يباشر اكثر اعماله بيديه فغلب
العمل باليدين على سائر الاعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت
يداك وحتى قيل لمن لا يدي له يداك اوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا
مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت ايدينا ولما خلقت بيدي
فان قلت فما معنى قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي **قلت** الوجه الذي
استنكر له ابليس السجود لآدم واستنكف منه انه سجود لمخلوق فذهب بنفسه
وتكبر ان يكون سجوده لغير الخالق وانضم الى ذلك ان آدم مخلوق من طين وهو مخلوق من
نار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب
وزل عنه ان الله سبحانه حين امر به اعز عباده عليه واقربهم منه زلفى وهم الملائكة وهم
احق بان يذهبوا بانفسهم عن التواضع للبشر الضئيل واستنكفوا من السجود له من غيرهم
ثم لم يفعلوا وتبعوا امر الله وجعلوه قدام اعينهم ولم يلتفتوا الى التفاوت بين الساجد و
المسجود له تعظيما لامر ربهم واجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حري بان
يقتدي بهم ويقتفي اثرهم ويعلم انهم في السجود لمن هو دونهم بامر الله اوغل في عبادته منهم
في السجود له لما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي اي ما منعك من السجود لشيء هو كما تقول مخلوق خلقته بيدي لا شك في كونه مخلوقا
امتثالا لامري واعظاما لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر

العلة التي تشبثت بها في تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد امرك الله به يعني
كان عليك ان تعتبر امر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله ان الملك وزيره ان يزور بعض يامر ح
سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول له ما منعك ان تتواضع لمن لا يخفى علي سقوطه
تريد هلا اعتبرت امري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه وفيه اني خلقته بيدي
فانا اعلم بحاله ومع ذلك امرت الملائكة بان يسجدوا له لداعي حكمة دعاني اليه من انعام
عليه بالتكرمة السنية وابتلاء للملائكة فمن انت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني
عن الامر بالسجود له وقيل معنى لما خلقت بغير واسطة وقرئ بيدي كما قرئ بمصرخي وبيدي بيدي لما خلقت ح
على التوحيد من العالين ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين حيث قال انا خير منه
وقيل استكبرت الآن ام لم تزل كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير وقرئ استكبرت
بحذف حرف الاستفهام لان ام تدل عليه او بمعنى الاخبار هذا على سبيل الاولى اي لو
كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلي فكيف اسجد لمن هو دوني لانه
من طين والنار تغلب الطين وتاكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهي خلقتني
من النار مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه في البيان والايضاح منها من الجنة ح
او من السموات وقيل من الخلقة التي انت فيها لانه كان يفتخر فغير الله خلقته فاسود بعد بخلقته ح
ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا والرجيم المرجوم ومعناه
المطرود كما قيل له المدحور والملعون لان من طرد رمي بالحجارة على اثره والرجم الرمي
بالحجارة او لان الشياطين يرجمون بالشهب **فان قلت** قوله لعنتي الى يوم الدين
كان لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع **قلت** كيف تنقطع وقد قال الله تعالى
فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى ان عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان

٣٥ 40

يوم القيمة اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكانها انقطعت **فان قلت**
ما الوقت المعلوم الذي اضيف اليه اليوم **قلت** الوقت الذي يقع فيه النفخة
الاولى ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من اجزائه ومعنى المعلوم انه
معلوم عند الله معين لا يستقدم ولا يستاخر فبعزتك اقسام بعزة الله وهي سلطانه
وقهره قرئ فالحق والحق منصوبين على ان الاول مقسم به كالله في ان عليك الله ان تبايعا
وجوابه لاملان والحق اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا اقول الا الحق
والمراد بالحق اما اسمه عز وعلا الذي في قوله ان الله هو الحق المبين او الحق الذي هو
نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به ومرفوعين على ان الاول مبتدا محذوف الخبر كقوله
لعمرك اي فالحق قسمي لاملان والحق اقول اي اقوله كقوله كله لم اصنع ومجرورين على ان الاول
مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق اقول اي ولا اقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز صح
في المنصوب والمرفوع ايضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الاول وجره مع نصب
الثاني وتخريجه على ما ذكرناه منك من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية
آدم عليه السلم **فان قلت** اجمعين تاكيد لماذا **قلت** لا يخلو ان يؤكد به الضمير في
منهم او الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين اجمعين
لا اترك منهم احدا او لاملانها من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك
بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من اولاد الانبياء وغيرهم عليه من اجر الضمير للقرآن
او للوحي وما من المتكلفين من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتموني انا ح
قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي حتى انتحل النبوة واتقول القرآن ان هو الا ذكر
من الله للعالمين اوحي الي فانا ابلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث

علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا يسأل ويقول ما لا يعلم ولتعلمن نباه اى ما يأتيكم
عند الموت او يوم القيمه او عند ظهور الاسلام وفشوه من صحة خبره وانه الحق والصدق
وفيه تهديد عن رسول الله صلعم من قرا سوره ص اعطاه الله بوزن كل جبل سخره الله
لداود عليه السلم عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير والله اعلم

سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادى الذين اسرفوا الاية وتسمى سورة الغرف وهى خمس وسبعون

آية وقيل ثنتان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب فرى

بالرفع على انه مسند الخبر عنه الظرف او خبر مبتدا محذوف والجار صلة التنزيل
كما يقول نزل من عند الله او غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان وهو على
هذا من الله او حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة وبالنصب على اضمار فعل نحو
اقرأ والزم فان قلت ما المراد بالكتاب قلت الظاهر على الوجه الاول انه القران
وعلى الثانى انه السورة مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والريا بالتوحيد
وتصفية السر وقرى الدين بالرفع وحق من رفعه ان يقرا مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى
واخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله الا لله الدين الخالص والخالص والحق الا ان يصف
الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازى كقوله شعر شاعر واما من جعل مخلصا حالا

خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا

والمخلص

وخشوعه

من العابد

من العابد وله الدين مبتدأ وخبر افقد جا باعراب رجع به الكلام الى قولك لله الدين
الا لله الخالص اى هو الذى وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر
لاطلاعه على الغيوب والاسرار ولانه الحقيق بذلك لخلوص نعمه عن استجرار المنفعة بها عن
قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام والذين اتخذوا يحتمل
المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى عن ابن عباس
فالضمير فى اتخذوا على الاول راجع الى الذين وعلى الثانى الى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه
مفهوما والراجع الى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون اولياء والذين
اتخذوا فى موضع الرفع على الابتداء فان قلت فالخبر ما هو قلت هو على الاول اما
ان الله يحكم بينهم او ما اضمر من القول قبل قوله ما نعبدهم وعلى الثانى ان الله يحكم بينهم
فان قلت فاذا كان ان الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر قلت يجوز ان يكون
فى موضع الحال اى قائلين ذلك ويجوز ان يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما ان المبدل
منه كذلك وقرا ابن مسعود باظهار القول قالوا ما نعبدهم وفى قراءة ابى ما نعبدكم الا
لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرى نعبدهم بضم النون اتباعا
للعين كما تتبعها الهمزة فى الامر والتنوين فى عذاب اركض والضمير فى بينهم لهم ولاوليائهم
والمعنى ان الله يحكم بينهم بانه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة
التى نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم واياها حصب جهنم
واختلافهم ان الذين يعبدون موحدون وهم مشركون واولئك يعادونهم ويلعنونهم
وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم الى الله زلفى وقيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق
السموات والارض اقروا وقالوا الله فاذا قالوا لهم ما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم

ليقربونا الى الله زلفى فالضمير في بينهم عائد اليهم والى المسلمين والمعنى ان الله يحكم يوم القيمة
بين المتنازعين من الفريقين المراد منع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بان لا لطف
لهم وانهم في علم الله من الهالكين وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا
من دون الله اولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا
لاصطفى مما يخلق ما يشاء اي لو اراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت
الا ان يصطفي من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل
ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم انهم اولاده جهلا منكم به و
بحقيقته المخالفة لحقائق الاجسام والاعراض كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على
ما فعل من اصطفاء ما شاء من خلقه وهم الملائكة الا انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم
اولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين مبالغين في الافتراء
على الله و[illegible] غالين في الكفر ثم قال سبحانه فنزه ذاته عن ان يكون له احد ما نسبوا
اليه من الاولاد والاولياء ودل على ذلك بما ينافيه وهو انه واحد فلا يجوز ان يكون له
صاحبة لانه لو كانت له صاحبة لكان من جنسه ولا جنس له واذا لم يتأت ان يكون
له صاحبة لم يتأت ان يكون له ولد وهو معنى قوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة
وقهار غلاب لكل شيء ومن الاشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له اولياء و
شركاء ثم دل على ذلك بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير
النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على
انه واحد لا يشارك قهار لا يغالب والتكوير اللف واللي ويقال كار العمامة على رأسه
وكورها وفيه اوجه منها ان الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا

بعضهم خ

غشي

غشي مكانه فكانما البسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذي الرمة
في وصف السراب تلوى الثنايا باحقيها حواشيه لي الملاء بابواب التفاريج ومنها ان
كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه في تغييبه اياه بشيء ظاهر لف عليه
ما غيبه عن مطامح الابصار ومنها ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك
بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض الا هو العزيز الغفار الغالب القادر على عقاب
المصرين الغفار لذنوب التائبين او الغالب الذي يقدر على ان يعاجلهم بالعقوبة
وهو يحلم عنهم ويؤخرهم الى اجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة **فان قلت** فما وجه
قوله ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من معنى التراخي **قلت** هما آيتان من جملة الآيات
التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم
وخلق حواء من قصيراه الا ان احديهما جعلها الله عادة مستمرة والاخرى لم تجر بها
العادة ولم تخلق انثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت ادخل في كونها آية واجلب
لعجب السامع فعطفها بثم على الآية الاولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها
عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في
الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كانه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله
بزوج وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء وانزل لكم وقضى
لكم وقسم لان قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح كل كائن
يكون وقيل لا تعيش الانعام الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وقد انزل الماء
فكانه انزلها وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر و
الضأن والمعز والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى

للحلم ترك الاعجال على بالعقوبة
فلو كان الطيش تعال حلمكم حلما
محمد

فجعل منه الزوجين الذكر والانثى خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام كسيت
لحما من بعد نطف والظلمات الثلث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والبطن والرحم
ذلكم الذي هذه افعاله هو الله ربكم فانى تصرفون فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة
غيره فان الله غنى عنكم اى عن ايمانكم وانكم المحتاجون اليه لاستضراركم بالكفر
واستنفاعكم بالايمان ولا يرضى لعباده الكفر رحمة لهم لانه يوقعهم في الهلكة وان تشكروا
يرضه لكم اى يرضى الشكر لكم لانه سبب فوزكم وفلاحكم فاذن ما كره كفركم ولا رضى
شكركم الا لكم ولصلاحكم لا لان منفعة ترجع اليه لانه الغنى الذي لا يجوز عليه الحاجة ولقد
تمحل بعض الغواة ليثبت لله ما نفاه عن ذاته من الرضا لعباده الكفر فقال هذا من العام
الذي اريد به الخاص وما اراد الا عباده الذين عناهم في قوله ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان يريد المعصومين كقوله عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون
وقرئ يرضه بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها خوله اعطاه قال ابو النجم اعطى
فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول وفي حقيقته وجهان احدهما جعله خايل
مال من قولهم هو خايل مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه
ما روى عن النبي صلعم انه كان يتخول اصحابه احيانا بالموعظة والثاني جعله يخول
من خال يخول اذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب ان الغني طويل الذيل مياس
ما كان يدعوا اليه اى نسى الضر الذي كان يدعوا الله الى كشفه وقيل نسي ربه الذي كان
يتضرع اليه ويبتهل اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى وقرئ ليضل بفتح الياء
وضمها يعنى ان نتيجة جعله لله اندادا ضلاله عن سبيل الله او اضلاله والنتيجة قد تكون
غرضا في الفعل وقد تكون غير غرض وقوله تمتع بكفرك من باب الخذلان والتخلية كانه

من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق م

سلطان

قيل له اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان لا تومر به بعد ذلك
وتومر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشانه لانه لا مبالغة في الخذلان اشد من ان يبعث
على عكس ما امر به ونظيره في المعنى قوله متاع قليل ثم ماويهم جهنم قرئ امن هو قانت
بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على ادخال ام عليه ومن مبتدا
خبره محذوف تقديره امن هو قانت كغيره وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى
ذكر الكافر قبله وقوله هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل معناه امن هو
قانت افضل امن هو كافر او اهذا افضل ام من هو قانت على الاستفهام المتصل والقانت
القايم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله عليه السلم افضل الصلوة طول القنوت وهو
القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لانه دعاء المصلى قايما ساجدا حال وقرئ ساجد
وقايم على انه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين وقرئ ويحذر عذاب الاخرة واراد
بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كانه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء
عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله
جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز ان يرد على سبيل التشبيه اى كما لا يستوى
العالمون والجاهلون كذلك لا يستوى القانتون والعاصون وقيل نزلت في عمار
بن ياسر وابي حذيفة بن المغيرة المخزومي وعن الحسن انه سئل عن رجل يتمادى في
المعاصي ويرجو فقال هذا تمن وانما الرجاء قوله فتلا هذه الاية وقرئ انما يذكر بالادغام
في هذه الدنيا متعلق باحسنوا لا بحسنة معناه الذين احسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة
في الاخرة وهي دخول الجنة اى حسنة غير مكتنهة بالوصف وقد علقه السدي بحسنة
ففسر الحسنة بالصحة والعافية فان قلت اذا علق الظرف باحسنوا فاعرابه ظاهر فما

الاول من الاثنتان الثاني من القنوت والثالثة من الفق الرابع من القنت

معنى تعليقه بحسبنه ولا يصح ان يقع صفة لها لتقدمه **قلت** هو صفة لها اذا اخر
واذا قدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وان لم يكن التعلق وصفا ومعنى
وارض الله واسعة ان لا عذر للمفرطين في الاحسان البتة حتى ان اعتلوا باوطانهم
وبلادهم وانهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الاحسان وصرف الهم اليه قيل لهم فان
ارض الله واسعة وبلاده كثيرة ولا تجتمعوا مع العجز وتحولوا الى بلاد اخر واقتدوا
بالانبياء والصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة
الى طاعتهم وقيل هو للذين كانوا في بلد المشركين فامروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى الم تكن
ارض الله واسعة فتهاجروا وقيل هي ارض الجنة والصابرون الذين صبروا على مفارقة
اوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير
بغير حساب لا يحاسبون عليه وقيل بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو
تمثيل للتكثير وعن ابن عباس لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وعن النبي
عليه السلام ينصب الله الموازين يوم القيمة فيؤتى باهل الصلوة فيوفون اجورهم بالموازين
ويؤتى باهل الصدقة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الحج فيوفون اجورهم بالموازين
ويؤتى باهل البلايا فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا
قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا
ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلايا من الفضل قل اني امرت بالاخلاص
الدين وامرت بذلك لاجل ان اكون اول المسلمين اي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والاخرة
والمعنى ان الاخلاص له السبقة في الدين فمن اخلص كان سابقا **فان قلت** كيف عطف
امرت على امرت وهما واحد **قلت** ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر با

لاخلاص وتكليفه شيء والامر به ليحرز القائم به قصب السبق في الدين شيء واذا اختلف
وجها الشيء وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك ان تجعل اللام مزيدة مثلها
في اردت لان افعل ولا تزاد الا مع ان خاصة دون الاسم الصريح كانها زيدت عوضا من ترك الاصل الى ما يقوم مقامه كما عوض السين في اسطاع عوضا
من ترك الاصل الذي هو اطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وامرت ان
اكون من المسلمين وامرت ان اكون اول من اسلم وفي معناه اوجه ان اكون اول من اسلم
في زماني ومن قومي لانه اول من خالف دين اباءه وخلع الاصنام وحطمها وان اكون
اول الذين دعوتهم الى الاسلام اسلاما وان اكون اول من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره
لاكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعا ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يامرون بما لا
يفعلون وان افعل ما استحق به الاولية من اعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب
يعني ان الله امرني ان اخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بدليلي العقل والوحي
فان عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا اعصيه ولا اتابع امركم وذلك
حين دعوه الى دين اباءه **فان قلت** ما معنى التكرير في قوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا
له الدين وقوله قل الله اعبد مخلصا له ديني **قلت** ليس بتكرير لان الاول الاخبار
بانه مامور من جهة الله باحداث العبادة والاخلاص والثاني اخبار بانه يخص الله وحده
دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة
واخره في الاول فالكلام اولا واقع في الفعل نفسه وايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لاجله
ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه والمراد بهذا الامر الوارد على وجه التخيير
المبالغة في الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين قل ان الخاسرين الكاملين في الخسران

من المؤمنين وامرت ان اكون ٤

الجامعين لوجوهه واسبابه هم الذين خسروا انفسهم لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها
وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من
اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده اليهم وقيل وخسروهم لانهم لم يدخلوا
مدخل المؤمنين الذين لهم اهل في الجنة وخسروا اهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا و
لقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله الا ذلك هو الخسران المبين حيث استأنف
الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران
ونعته بالمبين ومن تحتهم اطباق من النار هي ظلل لآخرين ذلك العذاب هو الذي
يتوعد الله به عباده ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب
سخطي وهذه عظة من الله ونصيحة بالغة وقرئ يا عبادي الطاغوت فعلوت من الطغيان
كالملكوت والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين اطلقت على الشيطان
او الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كان عين الشيطان
طغيان وان البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك
المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها هاهنا الجمع
وقرئ الطواغيت ان يعبدوها بدل من الطاغوت بدل الاشتمال لهم البشرى
هي البشارة بالثواب كقوله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة الله يبشرهم
بذلك في وحيه على ألسنة رسله وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون
قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات
واراد بعباده الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه الذين اجتنبوا وانابوا لا غيرهم

وانما

وانما اراد بهم ان يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع
الضمير واراد ان يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل
فاذا اعترضهم امران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب
حرصا على ما هو اقرب عند الله واكثر ثوابا وتدخل تحته المذاهب واختيار اثبتها على
السبك واقواها عند السبر وابينها دليلا او امارة وان لا تكون في مذهبك كما قال القائل
فلا تكن مثل عير قيد فانقادا يريد المقلد وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن
وقيل يستمعون اوامر الله فيتبعون احسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والاغضاء
والابداء والاخفاء لقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو
خير لكم وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساوي
فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقفة من يقف على فبشر عبادي ويبتدئ
الذين يستمعون برفعه على الابتداء وخبره اولئك اصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب
فانت تنقذه جملة شرطية دخل عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي
في اولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره انت مالك امرهم فمن حق
عليه العذاب فانت تنقذه والهمزة الثانية هي الاولى كررت لتوكيد معنى الانكار و
الاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير فالآية على هذا جملة واحدة ووجه آخر وهو ان
تكون الآية جملتين افمن حق عليه العذاب فانت تخلصه افانت تنقذ من في النار وانما
جاز حذف فانت تخلصه لان افانت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم
في الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكده نفسه في
دعائهم الى الايمان منزلة انقاذهم من النار وقوله افانت تنقذ يفيد ان الله تعالى هو الذي

يقدر على الانقاذ من النار وحده لا يقدر على ذلك احد غيره فكما لا تقدر انت ان تنقذ
الداخل في النار من النار لا تقدر ان تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل
الايمان فيه غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض فان قلت ما معنى
قوله مبنية قلت معناه والله اعلم انها بنيت بناء المنازل التي على الارض وسويت
تسويتها تجري من تحتها الانهار كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو
والسفل وعد الله مصدر موكد لان قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك انزل
من السماء ماء هو المطر وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله
فسلكه فادخله ونظمه ينابيع في الارض عيونا ومسالك ومجاري كالعروق في الاجساد
مختلفا الوانه هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك واصنافه من بر
وشعير وسمسم وغيرها يهيج يتم جفافه عن الاصمعي لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور
عن منابته ويذهب حطاما فتاتا درينا ان في ذلك لذكرى لتذكيرا وتنبيها على انه
لا بد من صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال ويجوز
ان يكون مثلا للدنيا كقوله انما مثل الحيوة الدنيا واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا وقرئ
ونرى مصفارا افمن عرف الله انه من اهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للاسلام
ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب ونور الله هو لطفه
وقرأ رسول الله صلعم هذه الاية فقيل يا رسول الله كيف انشراح الصدر قال اذا دخل النور
القلب انشرح وانفسح فقيل يا رسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود
والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزول الموت وهو نظير قوله امن هو
قانت في حذف الخبر من ذكر الله من اجل ذكره اي اذا ذكر الله عندهم او اياته اشمازوا

وازدادت

41

وازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وقرئ عن ذكر الله فان قلت
ما الفرق بين من وعن في هذا قلت اذا قلت قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت
من ان القسوة من اجل الذكر وبسببه واذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر
وجفا عنه ونظيره سقاه من العيمة اي من اجل عطشه وسقاه عن العيمة اذا ارواه حتى
ابعده عن العطش عن ابن مسعود رضي الله عنه ان اصحاب النبي عليه السلم ملوا ملة فقالوا
له حدثنا فنزلت وايقاع اسم الله مبتدا وبناء نزل عليه فيه تفخيم لاحسن الحديث
ورفع منه واستشهاد على حسنه وتاكيد لاستناده الى الله وانه من عنده وان مثله لا يجوز
ان يصدر الا عنه وتنبيه على انه وحي معجز مباين لسائر الاحاديث وكتابا بدل
من احسن الحديث ويحتمل ان يكون حالا منه ومتشابها مطلق في مشابهة بعضه بعضا
فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة والاحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة
الخلق وتناسب الفاظه وتناصفها في التخير والاصابة وتجاوب نظمه وتاليفه في
الاعجاز والتبكيت ويجوز ان يكون مثاني بيانا لكونه متشابها لان القصص المكررة لا
تكون الا متشابهة والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه
واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه يثنى في التلاوة فلا يمل كما جاء
في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز ان يكون جمع مثنى مفعل من
التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما كان قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين بمعنى كرة بعد كرة
وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك فان قلت كيف وصف الواحد بالجمع قلت
انما صح ذلك لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هو جملته لا غير الا تراك
تقول القرآن اسباع واخماس وسور وايات وكذلك تقول اقاصيص واحكام ومواعظ

مكررات ونظيره قولك الانسان عظام وعروق واعصاب الا انك تركت الموصوف
الى الصفة واصله كتابا متشابها فصولا مثاني ويجوز ان يكون كقولك برمة اعشار
وثوب اخلاق ويجوز ان لا يكون مثاني صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها
كقولك رايت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه فان قلت ما فائدة
التثنية والتكرير قلت النفوس انفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر
عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلعم ان
يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في
صدورهم اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم
اليابس مضموما اليه حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد
يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف فيجوز ان يريد
به الله سبحانه التمثيل تصويرا لافراط خشيتهم وان يريد التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا
بالقرآن وبآيات وعيده اصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم اذا ذكروا الله ورحمته
وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة
فان قلت ما وجه تعديته لان بالى قلت ضمن معنى فعل متعد بالى كانه قيل
سكنت او اطمأنت الى ذكر الله لينة غير متقبضة راجية غير خاشية فان قلت لم
اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة قلت لان اصل امره الرحمة والرافة ورحمته
سابقة غضبه فلاصالة رحمته اذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته الا كونه رؤفا
رحيما فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها اولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا قلت
اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكانه قيل تقشعر جلودهم

٤٢

من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في اول وهلة فاذا ذكروا الله ومبنى امره على الرافة والرحمة
استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم ذلك اشارة الى الكتاب
وهو هدى الله يهدي به يوفق به من يشاء يعني عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية
ويرجو ذلك الرجاء كما قال هدى للمتقين ومن يضلل الله ومن يخذله من الفساق والفجرة
فما له من هاد او ذلك الكائن من الخشية والرجاء هدى الله اي اثر هداه وهو لطفه فسماه
هدى لانه حاصل بالهدى يهدي به بهذا الاثر من يشاء من عباده يعني من صحب اوليك ورآهم
خاشين راجين فكان ذلك مرغبا لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم ومن
يضلل الله ومن لم يؤثر فيه الطافه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر
فيه بشيء قط يقال اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه اياه واتقاه بيده وتقديره امن
يتقي بوجهه سوء العذاب كمن امن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء
العذاب شدته ومعناه ان الانسان اذا لقي مخوفا من المخاوف استقبله بيده و
يلقى في النار طلب ان يقي بها وجهه لانه اعز اعضائه عليه والذي يلقى مغلولة يداه الى عنقه
فلا يتهيا له ان يتقي النار الا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له و
محاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في ابي جهل وقال لهم خزنة النار ذوقوا
وبال ما كنتم تكسبون من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم
فوجئوا ان الشر ياتيهم منها بينا هم آمنون رافهون اذ فوجئوا من مأمنهم والخزي الذل والصغار
كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما اشبه ذلك من نكال الله قرآنا عربيا حال مؤكدة
كقولك جاءني زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا ويجوز ان ينتصب على المدح غير ذي
عوج مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف فان قلت فهلا قيل مستقيما او غير

مُعوجٍ، قلت فيه فائدتان احدهما نفي ان يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له
عوجا والثانية ان لفظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان وقيل المراد بالعوج
الشك واللبس وانشد وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب واضرب
لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف
وتنازع كل واحد منهم يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى و
مشادة فاذا عنت له حاجة تدافعوا فهو متحير في امره ساد قد تشعبت الهموم قلبه
وتوزعت افكاره لا يدري ايهم يرضى بخدمته وعلى ايهم يعتمد في حاجاته وفي آخر قد سلم
لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد
وقلبه مجتمع اي هذين العبدين احسن حالا واحمد شانا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة
شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من ان يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك
ويتغالبوا كما قال الله تعالى ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضايعا لا يدري
ايهم يعبد وعلى ربوبية ايهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع
وقلبه اوزاع وحال من لم يثبت الا الها واحدا فهو قايم بما كلفه عارف بما ارضاه وما
اسخطه متفضل عليه في عاجله مؤمل للثواب في آجله وفيه صلة شركاء كما تقول
اشتركوا فيه والتشاكس والتشاخص الاختلاف تقول تشاكست احواله وتشاخصت
اسنانه سالما لرجل خالصا له وقرئ سلما بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون
العين وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل اي ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له
الضيعة وقرئ بالرفع على الابتداء اي وهناك رجل سالم لرجل وانما جعله رجلا ليكون افطن
لما شقي به او سعد فان المراة والصبي قد يغفلان عن ذلك هل يستويان مثلا هل يستوي

صفة على التمييز والمعنى هل يستوي صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان
الجنس وقرئ مثلين كقوله واكثر اموالا واولادا مع قوله اشد منهم قوة ويجوز فيمن قرأ
مثلين ان يكون الضمير في يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل ومثل رجل
والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين الحمد لله الواحد
الذي لا شريك له دون كل معبود سواه اي يجب ان يكون الحمد متوجها اليه وحده و
العبادة فقد ثبت انه لا اله الا هو بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره كانوا يتربصون
برسول الله صلعم موته فاخبر ان الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقي بالفاني وعن
وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم انفسكم وقرئ مائت ومايتون والفرق بين
الميت والمايت ان الميت صفة لازمة كالسيد واما المايت فصفة حادثة تقول
زيد مايت غدا كما تقول سايد غدا اي سيموت وسيسود واذا قلت زيد ميت فكما
تقول حي في نقيضه فيما يرجع الى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله انك ميت وانهم ميتون
انك واياهم وان كنتم احياء فانتم في عداد الموتى لان ما هو كاين فكان قد كان ثم انكم ثم
انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب تختصمون فتحتج انت عليهم بانك
بلغت فكذبوا فاجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بما لا طايل تحته تقول
الاتباع اطعنا سادتنا وكبراءنا وتقول السادات اغوتنا الشياطين واباؤنا الاقدمون
وقد حمل على اختصام الجميع وان الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا
لدي والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج واهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله بن
عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى ان هذه الاية انزلت فينا وفي اهل الكتاب
قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رايت بعضنا يضرب وجوه

بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا وقال ابو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد
وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على
بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابرهيم النخعي قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن
اخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن ابي العالية نزلت في اهل
القبلة والوجه الذي يدل عليه كلام الله هو ما قدمت اولا الا ترى الى قوله فمن اظلم ممن
كذب على الله وقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو الا بيان وتفسير للذين
يكون بينهم الخصومة كذب على الله افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه وكذب
بالصدق بالامر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد عليه السلم اذ جاءه فاجاءه بالتكذيب
لما سمع به من غير وقفة لاعمال روية او اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل اهل النصفة
فيما يسمعون مثوى للكافرين اي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام في
للكافرين اشارة اليهم والذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلعم جاء بالحق وآمن بالصدق
به واراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم
يهتدون فلذلك قال اولئك هم المتقون الا ان هذا في الصفة وذاك في الاسم ويجوز
ان يريد الفوج او الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق
وصحابته الذين صدقوا به وفي قراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقرئ
وصدق بالتخفيف اي صدق به الناس ولم يكذبهم به يعني اداه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف
وقيل صار صادقا به اي بسببه لان القرآن معجز والمعجزة تصديق من الحكيم الذي
لا يفعل القبيح لمن يجريها على يده ولا يجوز ان يصدق الا الصادق فيصير لذلك صادقا
بالمعجزة وقرئ وصدق **فان قلت** ما معنى اضافة الاسوء والاحسن الى الذي عملوا وما

44

معنى التفضيل فيهما **قلت** اما الاضافة فما هي من اضافة افعل الى الجملة التي يفضل عليها
ولكن من اضافة الشيء الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج اعدل بني مروان
واما التفضيل فايذان بان الشيء الذي يفرط منهم من الصغاير والزلات المكفرة هو
عندهم الاسوء لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملونه هو عند الله الاحسن
لحسن اخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالاسوء وحسنهم بالاحسن وقرئ اسواء الذي
عملوا جمع سوء اليس الله بكاف عبده ادخلت همزة الانكار على كلمة النفي فافيد معنى
اثبات الكفاية وتقريرها قرئ بكاف عبده وهو رسول الله صلعم وبكاف عباده وهم
الانبياء وذلك ان قريشا قالت لرسول الله انا نخاف ان تخبلك آلهتنا وانا نخشى
عليك معرتها لعيبك اياها ويروى انه بعث خالدا الى العزى ليكسرها فقال له سادنها
احذركها يا خالد ان لها شدة لا يقوم لها شيء فعمد خالد اليها فهشم انفها فقال الله تعالى
اليس الله بكاف نبيه ان يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن الخوف وفي
هذا تهكم بهم لانهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر او اليس الله بكاف انبياءه ولقد
قالت اممهم نحو ذلك فكفاهم الله وذلك قول قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا
بسوء ويجوز ان يريد العبد والعباد على الاطلاق لانه كافيهم في الشدايد وكافي مصالحهم
وقرئ بكافي عباده على الاضافة ويكافي عباده ويكافي يحتمل ان يكون غير مهموز
مفاعلة من الكفاية كقولك يجازي في يجزي وهو ابلغ من كفى لبنائه على لفظ المغالبة
والمباراة وان يكون مهموزا من المكافاة وهي المجازاة لما تقدم من قوله ويجزيهم اجرهم
بالذين من دونه اراد الاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه بعزيز بغالب منيع ذي انتقام
ينتقم من اعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بانه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم وقرئ

الخبل الجنون وفساد الاعضاء مجمل

اي صاحبها

كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل وبالاضافة للتخفيف **فان قلت**
لم فرض المسئلة في نفسه دونهم **قلت** لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فامر بان يقررهم
اولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فان ارادني خالق العالم
~~هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فان ارادني خالق العالم~~ الذي اقررتم به بضر
من مرض او فقر او غير ذلك من النوازل او برحمة من صحة او غنى او نحوهما هل هؤلاء
اللاتي خوفتمونى اياهن كاشفات عنى ضره او ممسكات رحمته حتى اذا القمهم الحجر و
قطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قال حسبي الله كافيا لمعرة اوثانكم عليه يتوكل المتوكلون
وفيه تهكم ويروى ان النبي عليه السلم سالهم فسكتوا فنزل قل حسبي الله **فان قلت** لم قال
كاشفات وممسكات على التانيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه **قلت** انثهن
وكن اناثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى الكم الذكر وله الانثى ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف
الضر وامساك الرحمة لان الانوثة من باب اللين والرخاوة كما ان الذكورة من باب الشدة
والصلابة كانه قال الاناث اللاتي هن اللات والعزى ومناة اضعف مما تدعون لهن
واعجز وفيه تهكم ايضا على مكانتكم على حالكم التي انتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها
والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما
للمكان **فان قلت** حق الكلام فاني عامل على مكانتي فلم حذف **قلت** للاختصار
ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حاله لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله
ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله الا ترى الى قوله فسوف تعلمون كيف توعدهم بكونه
منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والاخرة لانهم اذا اتاهم الخزي والعذاب فذلك

عزه

عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من اوليائه وبذل ذليل من اعدائه مخزيه
مثل مقيم في وقوعه صفة للعذاب اى عذاب مخز له وهو يوم بدر وعذاب
دائم وهو عذاب النار وقرى مكاناتكم للناس لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا
وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة لي الى ذلك فانا
الغني فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم
على الهدى فان التكليف مبني على الاختيار دون الاجبار الانفس الجمل كما هي وتوفيها
اماتتها وهي ان يسلب ما هي به حية حساسة دراكة من صحة اجزائها وسلامتها لانها
عند سلب الصحة كان ذاتها قد سلبت والتي لم تمت في منامها يريد ويتوفى الانفس
التي لم تمت في منامها اى يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله تعالى و
هو الذي يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك فيمسك
الانفس التي قضى عليها الموت الحقيقي اى لا يردها في وقتها حية ويرسل الاخرى النائمة
الى اجل مسمى الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها وهي الانفس
التي تكون معها الحيوة والحركة ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز
قالوا فالتي تتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحيوة لان نفس الحيوة اذا زالت زال معها
النفس والنائم يتنفس ورووا عن ابن عباس رضي الله في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع
الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله
نفسه ولم يقبض روحه والصحيح ما ذكرت اولا لان الله تعالى علق التوفي والموت والمنام
جميعا بالانفس وما عنوا بنفس الحيوة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم
وانما الجملة هي التي تموت وهي التي تنام ان في ذلك ان في توفي الانفس مائتة ونائمة وامساكها

وارسالها الى اجل لآيات على قدرة الله وعلمه لقوم يتفكرون فيه افكارهم ويعتبرون وترك من دونه
قضى عليها الموت على البناء للمفعول ام اتخذ وأبل اتخذ قريش والهمزة للانكار من دون الله
اذنه شفعاء حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده احد الا باذنه الا ترى
الى قوله قل لله الشفاعة جميعا اى هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين ان يكون
المشفوع له مرتضى وان يكون الشفيع ماذونا له وههنا الشرطان مفقودان
جميعا اولو كانوا معناه ايشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون اى ولو كانوا
على هذه الصفة لا يملكون شيئا قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم له ملك السموات
والارض تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك
كان مالكا لها فان قلت بم يتصل قوله ثم اليه ترجعون قلت بما يليه معناه له
ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيمة فلا يكون الملك في ذلك اليوم الا
له فله ملك الدنيا والاخرة ومدار المعنى على قوله وحده اى اذا افرد الله بالذكر ولم يذكر معه
آلهتهم اشمأزوا اى نفروا وانقبضوا واذا ذكر الذين من دونه وهم آلهتهم ذكر الله معهم اولم
يذكر استبشروا لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله الى هواهم فيها وقيل اذا قيل لا اله الا الله
وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم وقيل اراد استبشارهم بما سبق اليه لسان
رسول الله صلعم من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فسجدوا معه لفرحهم
ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية في بابه لان الاستبشار ان يمتلي
قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يمتلي غما وغيظا حتى يظهر
الانقباض في اديم وجهه فان قلت ما العامل في اذا ذكر قلت العامل في اذا المفاجاة
تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار فعل رسول صلعم بهم في

منهم

٤٦

شكيمتهم في الكفر والعناد فقيل له ادع الله باسمائه العظمى وقل انت وحدك تقدر على الحكم
بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف لحالهم واعذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتسلية له ووعيد لهم وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين رضي الله عنه
وسخط على قاتله وقالوا الآن يتكلم فما زاد على ان قال آه او قد فعلوا وقرا هذه الآية
وروى انه قال على اثره قتل من كان صلعم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه وبدا لهم من الله
وعيد لهم لا كنه لفظاعته وشدته وهو نظير قوله في الوعد فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم
وقيل عملوا اعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيئات وعن سفيان الثوري انه قرأها
فقال ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال اخشى آية من كتاب الله
وتلاها فانا اخشى ان يبدو لي من الله ما لم احتسبه وبدا لهم سيئات ما كسبوا اى سيئات
اعمالهم التي كسبوها او سيئات كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله
احصاه الله ونسوه او اراد بالسيئات انواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا
فسماها سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ونزل بهم واحاط جزاء
هزئهم التخويل مختص بالتفضل يقال خولني اذا اعطاك على غير جزاء على علم اى على علم مني
اني سأعطاه لما في من فضل واستحقاق او على علم من الله بي وباستحقاقي او على علم
مني بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندي فان قلت لم ذكر الضمير في اوتيته
وهو للنعمة قلت ذهابا به الى المعنى لان قوله نعمة شيئا من النعم وقسما منها وقيل
ان تكون ما في انما موصولة لا كافة فيرجع اليها الضمير على معنى ان الذي اوتيته على علم
بل هي فتنة انكار لقوله كانه قال ما خولناك ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة اي

ابتلاء وامتحان لك اتشكر ام تكفر فان قلت كيف ذكر الضمير ثم انثه قلت
حملا على المعنى اولا وعلى اللفظ آخرا ولان الخبر لما كان مونثا اعني فتنة ساغ
تانيث المبتدا لاجله لانه في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك وقرئ بل هو فتنة على
وفق انما اوتيته فان قلت ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها
في اول السورة بالواو قلت السبب في ذلك ان هذه وقعت مسببة عن قوله
واذا ذكر الله وحده اشمازت على معنى انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر
الآلهة فاذا مس احدهم ضر دعا من اشماز من ذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من
الآي اعتراض فان قلت حق الاعتراض ان يؤكد المعترض بينه وبينه قلت
ما في الاعتراض من دعاء رسول الله صلعم ربه بامر منه وقوله انت تحكم بينهم ثم ما عقبه
من الوعيد العظيم تاكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدائد
دون آلهتهم كانه قيل قل يا رب لا يحكم بيني وبين هولاء الذين يجترئون عليك مثل
هذه الجراءة ويرتكبون مثل هذا المنكر الا انت وقوله ولو ان للذين ظلموا متناول
لهم ولكل ظالم ان جعل مطلقا او اياهم خاصة ان عنيتهم به كانه قيل ولو ان لهولاء الظالمين
ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين احكم عليهم بسوء العذاب وهذه الاسرار
والنكت لا يبرزها الا علم النظم والا بقيت محتجبة في اكمامها واما الآية الاولى فلم تقع
مسببة وما هي الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام زيد عمرو وقعد صح
فان قلت من اي وجه وقعت مسببة والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم
اليه بل هو مقتض لصدوفهم عنه قلت في هذا التسبيب لطف وبيانه انك تقول
زيد مومن بالله فاذا مسه ضر التجا اليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر

بالله

بالله فاذا مسه ضر التجا اليه فتجيء بالفاء مجيئك به ثمة كان الكافر حين التجا الى الله
التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان ومجريه مجراه في جعله سببا في الالتجاء
فانت تحكي ما عكس فيه الكافر الا ترى انك تقصد بهذا الكلام الانكار والتعجب من فعله
الضمير في قالها راجع الى قوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة من القول وقرئ قد قاله
على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال انما اوتيته
على علم عندي وقومه راضون بها فكانهم قالوها ويجوز ان يكون في الامم الخالية آخرون
قائلون مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه من هولاء من
مشركي قومك سيصيبهم مثل ما اصاب اولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم
الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم اولم يعلموا انه لا قابض
ولا باسط الا الله تعالى اسرفوا على انفسهم جنوا عليها بالاسراف في المعاصي والغلو
فيها لا تقنطوا قرئ بفتح النون وكسرها وضمها ان الله يغفر الذنوب جميعا يعني بشرط
التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط في القرآن وكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له
فيما لم يذكر لان القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض وفي قراءة ابن عباس
وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لان مشيئة الله
تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيل في قراءة النبي عليه السلم وفاطمة رضي الله عنها
يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله ولا يخاف عقباها
وقيل قال اهل مكة يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له
فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس التي حرم الله فنزلت وروي انه
اسلم عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا

نقول لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا ابدا فنزلت فكتب بها عمر اليهم فاسلموا وهاجروا
وقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة وعن النبي صلعم ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه
الآية فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلث مرات
وانيبوا الى ربكم وتوبوا اليه واسلموا له واخلصوا له العمل وانما ذكر الانابة على اثر
المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على انها شرط فيها لازم لا تحصل
بدونه واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه وانتم لا تشعرون اي يفجأكم وانتم غافلون كانكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم
وسهوكم ان تقول نفس كراهة ان تقول فان قلت لم نكرت قلت لان المراد
بها بعض الانفس وهي نفس الكافر ويجوز ان يراد نفس متميزة من الانفس اما بلجاج في
الكفر شديد او بعذاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير كما قال الاعشى ورب بقيع لو
هتفت بجوه اتاني كريم ينفض الراس مغضبا وهو يريد افواجا من الكرام ينصرونه لا كريما
واحدا ونظيره رب بلد قطعت ورب بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد
الا التكثير وقرئ يا حسرتى على الاصل ويا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوض منه و
الجنب الجانب يقال انا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب
ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه قال سابق البربري اما تتقين الله في
جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الامر في مكان
الرجل وحيزه فقد اثبته فيه الا ترى الى قوله ان السماحة والمروءة والندى في قبة
ضربت على ابن الحشرج ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك وفي الحديث
من الشرك الخفي ان يصلي الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث

٤٨

لم يبق فرق فيما يرجع الى اداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل فرطت في جنب الله على
معنى في ذات الله فان قلت فمرجع كلامك الى ان ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما
يعطي من حسن الكناية وبلاغتها فكانه قيل فرطت في الله فما معنى فرطت في الله قلت
لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب او لم يذكر والمعنى فرطت في طاعة الله
وعبادة الله وما اشبه ذلك وفي حرف عبد الله وحفصة في ذكر الله وما في ما فرطت
مصدرية مثلها في بما رحبت وان كنت لمن الساخرين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله
حتى سخر من اهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر
اي فرطت في حال سخريتي وروي انه كان في بني اسرائيل عالم ترك علمه وفسق اتاه
ابليس وقال له تمتع من الدنيا ثم تب فاطاعه وكان له مال فانفقه في الفجور فاتاه ملك
الموت في الذ ما كان فقال يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في
طاعة الشيطان واسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فانزل الله خبره في القرآن
لو ان الله هداني لا يخلو اما ان يريد به الهداية بالالجاء او بالالطاف او بالوحي فالالجاء
خارج عن الحكمة ولم يكن من اهل الالطاف فيلطف به واما الوحي فقد كان ولكنه اعرض ولم
يتبعه حتى يهتدي وانما يقول هذا تحيرا في امره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكى
عنهم التعلل باغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله
بلى قد جاءتك آياتي رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت به واستكبرت
عن قبوله وآثرت الكفر على الايمان والضلالة على الهدى وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس
فان قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو ان الله هداني ولم يفصل بينهما
بآية قلت لانه لا يخلو اما ان يقدم على اخرى القرائن الثلث فيفرق بينهن واما

ان نوخر القرينة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القراين واما
الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد
الهداية ثم تمني الرجعة وكان الصواب ما جاء عليه وهو انه حكى اقوال النفس على ترتيبها
ونظمها ثم اجاب من بينها عما اقتضى الجواب فان قلت كيف صح ان تقع بلى جوابا
لغير منفي قلت لو ان الله هداني فيه معنى ما هديت كذبوا على الله وصفوه بما لا
يجوز عليه وهو متعال عنه فاضافوا اليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاونا و
قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا امرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح والله
ويجوزون ان يخلق خلقا لا لغرض ويؤلم لا لغرض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه
بكونه مرئيا معاينا مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا وقدما وجنبا متسترين بالبلكفة
ويجعلون له اندادا باثباتهم معه قدماء وجوههم مسودة جملة في موضع الحال ان كان
ترى من روية البصر ومفعول ثان ان كان من روية القلب وقرى ينجي وينجي بمفازتهم
بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا افلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة قوله لا يمسهم
السوء ولا هم يحزنون كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء اي ينجيهم بنفي السوء والحزن
عنهم او بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اي بمنجاة منه
لان النجاة من اعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنه
المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو
دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها وقرى بمفازاتهم
على ان لكل متق مفازة فان قلت لا يمسهم السوء ما محله من الاعراب على التفسيرين
قلت اما على التفسير الاول فلا محل له لانه كلام مستانف واما على الثاني فمحله النصب

على الحال له مقاليد السموات والارض اي هو مالك امرها وحافظها وهي من باب الكناية
لان حافظ الخزاين ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان القيت اليه مقاليد
الملك وهي المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد وقيل اقليد واقاليد والكلمة
اصلها فارسية فان قلت ما للكتاب العربي المبين وللفارسية قلت التعريب
احالها عربية كما اخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملا فان قلت بم اتصل قوله والذين
كفروا قلت بقوله وينجي الله الذين اتقوا اي ينجي الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم
الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق للاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء
من اعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على ان كل
شيء في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر
كذلك اولئك هم الخاسرون وقيل سال عثمان رضي الله عنه رسول الله صلعم عن تفسير
قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سالني عنها احد قبلك تفسيرها لا
اله الا الله والله اكبر سبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول و
الاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتاويله
على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من
تكلم بها من المتقين اصابه والذين كفروا بايات الله وكلمات توحيده وتمجيده اولئك هم الخا سرون
افغير الله منصوب باعبد وتامروني اعتراض ومعناه افغير الله اعبد بامركم وذلك
حين قال له المشركون استلم بعض الهتنا ونومن بالهك او ينصب بما يدل عليه جملة قوله
تامروني اعبد لانه في معنى تعبدونني وتقولون لي اعبد والاصل تامرونني ان اعبد فحذف
ان ورفع الفعل كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى الا تراك تقول افغير الله تقولون

لي اعبد وافغير الله تقولون لي اعبد فكذلك افغير الله تامرونّي اعبده وافغير الله
تامرونني ان اعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة اعبدَ بالنصب وقرئ تامرونني
على الاصل وتامروني على ادغام النون اوحذفها وقرئ ليحبطن عملك وليحبطن على
البناء للمفعول وليُحبطن بالنون وبالياء اى ليحبطن الله اوالشرك فان قلت الموحى
اليهم جماعة فكيف قال لئن اشركت على التوحيد قلت معناه اوحى اليك لئن
اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله او اوحى اليك والى كل واحد منهم
لئن اشركت كما تقول كسانا حلة اى كل واحد منا فان قلت ما الفرق بين اللامين
قلت الاولى موطية للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد
الجوابين اعنى جوابى القسم والشرط فان قلت كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى
ان رسله لا يشركون ولا تحبط اعمالهم قلت هو على سبيل الفرض والمحالات يصح
فرضها لاغراض فكيف ما ليس بمحال الا ترى الى قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض
كلهم جميعا يعنى على سبيل الالجاء ولن يكون ذلك لامتناع الداعى اليه ووجود الصارف
عنه فان قلت ما معنى قوله ولتكونن قلت يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب
حبوط العمل ويحتمل ولتكونن في الاخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا انفسهم ان مت
على الردة ويجوز ان يكون غضب الله على الرسول اشد فلا امهله بعد الردة الا ترى الى
قوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات بل الله فاعبد رد لما امروه به من استلام
بعض آلهتهم كانه قال لا تعبد ما امروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف
الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه وكن من الشاكرين على ما انعم به عليك
من ان جعلك سيد ولد آدم وجوز الفراء نصبه بفعل مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله

اعبد

اعبد فاعبد لما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره في نفسه
حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره وقرئ بالتشديد على معنى
وما عظموه كنه تعظيمه ثم نبههم على عظمته وجلالة شانه على طريقة التخييل فقال والارض جميعا
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه والغرض من هذا الكلام اذا اخذته كما
هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة
ولا باليمين الى جهة حقيقية او جهة مجاز وكذلك حكم ما روى ان جبريل عليه السلام جاء
الى رسول الله صلعم فقال يا ابا القسم ان الله يمسك السموات يوم القيمة على اصبع والارضين
على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وساير الخلق على اصبع
ثم يهزهن فيقول انا الملك فضحك رسول الله تعجبا مما قال ثم قرا تصديقا له وما
قدروا الله حق قدره الاية وانما ضحك افصح العرب وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه
علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع اول
شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وان الافعال العظام
التي تتحير فيها الافهام والاذهان ولا تكتنهها الاوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف
عليه الا اجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان ادق
ولا ارق ولا الطف من هذا الباب ولا انفع واعون على تاويل المشتبهات من كلام الله
في القران وساير الكتب السماوية وكلام الانبياء فان اكثره وعليته تخييلات قد زلت
فيها الاقدام قديما وما اتى الزالون الا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا ان
في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم ان العلوم كلها مفتقرة
اليه وعيال عليه اذ لا يحل عقدها الموربة ولا يفك قيودها المكربة الا هو وكم آية من آيات

التنزيل وحديث من احاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتاويلات الغثة
والوجوه الرثة لان من تاول ليس من هذا العلم فى عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا من دبير
والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله والسموات
ولان الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتض للمبالغة ومع القصد الى الجمع وتاكيده
بالجميع اتبع الجميع مؤكده قبل مجى الخبر ليعلم اول الامر كلهن والقبضة المرة من القبض
فقبضت قبضة من اثر الرسول والقبضة بالضم تسمية بالمصدر كما روى انه عليه السلم
نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته اى ذوات
قبضته يقبضهن قبضة واحدة من قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول
الجزور اكلة لقمان والقلة جرعته اى ذات اكلته وذات جرعته تريد انهما لا يفيان الا
باكلة فذة من اكلاته وجرعة فردة من جرعاته واذا اريد معنى القبضة فظاهر لان
المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة **فان قلت** ما وجه قراءة
من قرا قبضته بالنصب **قلت** جعلها ظرفا مشبها للموقت بالمبهم مطويات من الطى
الذى هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب وعادة طاوى
السجل ان يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات
بيمينه مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها ومن اشتم رائحة من علمنا هذا فليعرض
عليه هذا التاويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكى حمية لكلام الله المعجز بفصاحته
وما منى به من امثاله واثقل منه على الروح واصدع للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم
له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين وقرى مطويات على
نظم السموات فى حكم الارض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات على الحال سبحانه

ان الخبر الذى يرد لا يقع عن ارض واحدة ولكن عن الاراضى صح

المقدار المقبوض بالكف ويقال ايضا اعطنى قبضة من كذا تريد معنى القبضة صح

يعنى ان الارضين مع عظمهن وبسطهن لا يبلغن الا قبضة واحدة صح

وتعالى

٥١

وتعالى ما ابعد من هذه قدرته وعظمته وما اعلاه عما يضاف اليه من الشركاء
فان قلت اخرى ما محلها من الاعراب **قلت** يحتمل الرفع والنصب اما الرفع فعلى
قوله فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة واما النصب فعلى قراءة من قرا نفخة واحدة والمعنى
ونفخ فى الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه اخرى وانما حذفت لدلالة اخرى عليها ولكونها
معلومة بذكرها فى غير مكان وقرى قياما ينظرون يقلبون ابصارهم فى الجهات نظر
المبهوت اذا فاجاه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز ان يكون القيام بمعنى
الوقوف والجمود فى مكان لتحيرهم قد استعار الله تعالى النور للحق والقرآن والبرهان
فى مواضع من التنزيل وهذا من ذلك والمعنى واشرقت الارض بما يقيمه فيها من الحق و
العدل ويبسطه من القسط فى الحساب ووزن الحسنات والسيئات وينادى عليه
بانه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها
حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين اهلها ولا ترى
ازين للبقاع من العدل ولا اعمر لها منه وفى هذه الاضافة ان ربها وخالقها هو الذى
يعدل فيها وانما يجور فيها غير ربها ثم ما عطف على اشراق الارض من وضع الكتاب
والمجى بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس يقولون
للملك العادل اشرقت الآفاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك كما تقولون اظلمت
البلاد بجور فلان وقال النبى عليه السلم الظلم ظلمات يوم القيامة وكما فتح الآية باثبات
العدل ختمها بنفى الظلم وقرى واشرقت على البناء للمفعول من شرقت بالضوء تشرق
اذا امتلات به واغتصت واشرقها الله كما تقول ملا الارض عدلا والكتاب صحايف
الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ والشهداء الذين يشهدون للامم

وطبقها عدلا صح

وعليهم من الحفظة والخزنة وقيل المستشهدون في سبيل الله الزمر الافواج المتفرقة بعضها
في اثر بعض وقد تزمروا قال حتى احزألت زمر بعد زمر وقيل في زمر الذين اتقوا
هي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم وقرئ نذر منكم
فان قلت لم اضيف اليهم اليوم قلت اراد لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم
النار لا يوم القيامة وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا في اوقات الشدة قالوا
بلى اتونا وتلوا علينا ولكن وجبت علينا كلمة الله لاملان لسوء اعمالنا كما قالوا غلبت
علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر و
الضلال اللام في المتكبرين للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها
اسم معرف بلام الجنس او مضاف الى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس
مثوى المتكبرين جهنم حتى هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية
الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على
انه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل حتى اذا جاءوها جاءوها
وفتحت ابوابها اي مع فتح ابوابها وقيل ابواب جهنم لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها
واما ابواب الجنة فمتقدم فتحها بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك
جيء بالواو كانه قيل حتى اذا جاءوها وقد فتحت ابوابها فان قلت كيف عبر عن الذهاب
بالفريقين جميعا بلفظ السوق قلت المراد بسوق اهل النار طردهم اليها بالهوان
والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل
والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين وحثها اسراعا بهم
الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك

فشتان ما بين السوقين طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا فادخلوها
جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فما هي الا دار الطيبين ومثوى الطاهرين
لانها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف
بصفتها فما ابعد احوالنا من تلك المناسبة وما اضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة
الا ان يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا تنقي انفسنا من درن الذنوب وتميط
وضر هذه القلوب خالدين مقدرين الخلود الارض عبارة عن المكان الذي اقاموا
فيه واتخذوه مقرا ومتبوأ وقد اورثوها اي ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها
كما يشاؤون تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه في انفاقه
طولا وعرضا فان قلت ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ احدهم مكان غيره
قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من
جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره حافين محدقين من حوله يسبحون بحمد ربهم
يقولون سبحان الله والحمد لله متلذذين لا متعبدين فان قلت الام يرجع الضمير في
قوله بينهم قلت يجوز ان يرجع الى العباد كلهم وان ادخال بعضهم النار وبعضهم
الجنة لا يكون الا قضاء بينهم بالحق والعدل وان يرجع الى الملائكة على ان ثوابهم وان
كانوا معصومين جميعا لا يكون على سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم
في اعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق فان قلت قوله وقيل الحمد لله من القائل ذلك
قلت المقضي بينهم اما جميع العباد واما الملائكة كانه قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله
على قضائه بيننا بالحق وانزال كل منا منزلته التي هي حقه عن رسول الله صلعم من قرا سورة
الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة واعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا عنه

عايشه رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا كل ليلة بنى اسرائيل والزمر

سورة المومن مكية قال الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة وقد قيل في الحواميم كلها انها مكيات عن ابن عباس وابن الحنفية وهي خمس وثمانون آية وقيل اثنان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قرئ بامالة الف حا
وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وايثار
اخف الحركات نحو اين وكيف والنصب باضمار اقرا ومنع الصرف للتانيث والتعريف
او للتعريف وانها على زنة اعجمي نحو قابيل وهابيل التوب والثوب والاوب
اخوات في معنى الرجوع والطول الفضل والزيادة يقال لفلان على فلان طول والافضال
يقال طال عليه وتطول اذا تفضل فان قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا (margin: قلت)
وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي ان يكون مثله معارف اما غافر الذنب وقابل التوب
فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين وانه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن
او غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فيكون اضافتهما غير حقيقية وانما اريد ثبوت

ذلك

٥٣

ذلك ودوامه وكان حكمهما حكم اله الخلق ورب العرش واما شديد العقاب فامره مشكل
لانه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعل الزجاج بدلا وفي كونه
بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه ان يقال لما صودف بين هؤلاء
المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بان كلها ابدال غير اوصاف ومثال ذلك (margin: اى اعلمت)
قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن وهي محكوم عليها بانها من بحر الرجز فان
وقع فيه جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل ان يقول هي صفات وانما
حذف الالف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا
كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه
فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك
ان يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك ان يفعل على نية الالف واللام كما كان
الجماء الغفير على نية طرح الالف واللام ومما سهل ذلك الامن من اللبس وجهالة
الموصوف ويجوز ان يقال قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى
ما لا شيء ادهى منه وامر لزيادة الانذار ويجوز ان يقال هذه النكتة هي الداعية الى اختيار (margin: فان قلت)
البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال فما بال الواو في قوله وقابل التوب قلت
فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان تقبل توبته فيكتبها
لطا عه من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كأن لم يذنب كانه قال
جامع المغفرة والقبول وروي ان عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من اهل
الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام
عليك وانا احمد اليك الله الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله اليه المصير

(margin: السكران يتتابع يرمي بنفسه / والتتابع التهافت مشيته اذا / حرك الواحد مجمل اللغة)

وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه إليه حتى تجده صاحيًا ثم أمر من عنده بالدعاء له
بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرني
عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر
أمره قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله
أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانًا للشياطين عليه سجل على المجادلين في آيات الله بالكفر
والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد إلى إدحاض الحق وإطفاء نور الله وقد دل على
ذلك في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها
وحل مشكلها ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها وعنها فأعظم فأعظم
جهاد في سبيل الله وقوله صلعم إن جدالًا في القرآن كفر وإيراده منكرًا وإن لم يقل إن
الجدال تمييز من جدال وجدال من أين تسبب لقوله فلا يغررك ما قبله من حيث إنهم لما فإن قلت
كانوا مشهودًا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا أحد أشقى منه عند الله وجب على
من تحقق ذلك أن لا ترجح أحوالهم في عينه ولا يغره إقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد
بالتجارات النافعة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام
واليمن بالأموال يتجرون فيها ويتربحون فإن مصير ذلك وعاقبته إلى الزوال ولهم
ووراءه شقاوة الأبد ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم
من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك في الأمم وما أخذهم له من عقابه وأحله بساحتهم من
انتقامه وقرئ لا يغرك الأحزاب الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون
وغيرهم وهمت كل أمة من هذه الأمم التي هي قوم نوح والأحزاب برسولهم وقرئ برسولها
ليأخذوه ليتمكنوا منه ومن الإيقاع به وإصابته بما أرادوه من تعذيب أو قتل ويقال للأسير

أخيذ

أخيذ فأخذتهم يعني أنهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على إرادة أخذه أن أخذتهم فكيف
كان عقاب فإنكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون أثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى
التعجيب أنهم أصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب
على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب إهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل
كذلك وجب إهلاكهم بعذاب النار في الآخرة أو في محل النصب بحذف لام التعليل
وإيصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب إهلاك أولئك الأمم كذلك وجب إهلاك
هؤلاء لأن علة واحدة تجمعهم أنهم من أصحاب النار وقرئ كلمات روي أن حملة العرش
أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي
عليه السلام لا تفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فإن خلقًا من الملائكة
يقال له إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الأرض السفلى وقد مرق
رأسه من سبع سموات وإنه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع في الحديث إن الله
تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة
وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع
ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين
مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين
أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم
فإن قلت أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر وقرأ ابن عباس العُرش بضم العين فما فائدة قوله و
يؤمنون به ولا يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون قلت
فائدته إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الأنبياء في غير موضع من

كتابه بالصلاح لذلك كما عقب اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا فابان بذلك
فضل الايمان وفايدة اخرى وهي التنبيه على ان الامر لو كان كما يقول المجسمة لكان حملة
العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب
فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم ان ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب عن
ذلك سواء في ان ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته
الا هذا وانه منزه عن صفات الاجرام وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون به ويستغفرون
للذين آمنوا كانه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم و
فيه تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء الى النصيحة وابعثه
على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك
وانسان ولا بين سماوي وارضي قط ثم لما جاء جامع الايمان جاء معه التجانس الكلي
والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال الله تعالى ويستغفرون
لمن في الارض يقولون ربنا وهذا المضمر يحتمل ان يكون بيانا ليستغفرون مرفوع
المحل مثله وان يكون حالا تعالى الله عن المكان فكيف صح ان يقال وسع كل شيء الرحمة
والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى والاصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن
ازيل الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم واخرجا منصوبين
على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء
فان **قلت** قد ذكر الرحمة والعلم فوجب ان يكون ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما
جميعا وما ذكر الا الغفران وحده **قلت** معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة
واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التي نهجها لعباده ودعا اليها انك انت العزيز

اي الملك الذي لا يغلب وانت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا الا بدواعي الحكمة وموجب
حكمتك ان تفي بوعدك وقهم السيئات اي العقوبات او جزاء السيئات فحذف المضاف
على ان السيئات هي الصغاير والكباير المتوب عنها والوقاية منها التكفير او قبول التوبة
فان **قلت** ما الفائدة في استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون المغفرة والله
لا يخلف الميعاد **قلت** هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب وقرى
جنة عدن وصلح بضم اللام والفتح افصح يقال صلح فهو صالح وصلح فهو صليح وذرياتهم
اي ينادون يوم القيمة فيقال لمقت الله اكبر والتقدير لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم
فاستغنى بذكرها مرة واذ تدعون منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال لهم يوم القيامة
كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتابون
قبوله وتختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم في النار اذا وقعتم فيها باتباعكم
هواهن وعن الحسن لما راوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله وقيل لمقت الله
اياكم الآن اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم
ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل والمقت اشد البغض فوضع في موضع
ابلغ الانكار واشده اثنتين امانتين واحياءتين او موتتين وحياتين واراد بالاماتتين خلقهم
امواتا اولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالاحياءتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث
وناهيك تفسيرا لذلك قوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس
فان **قلت** كيف صح ان يسمى خلقهم امواتا اماتة **قلت** كما صح ان تقول سبحان
من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع اسفلها
وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق

معناه

وانما اردت الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته ان الصغر والكبر جايزان معًا
على المصنوع الواحد من غير ترجيح لاحدهما وكذلك السعة والضيق فاذا اختار الصانع
احد الجايزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجايز الاخر
فجعل صرفه عنه كنقله منه ومن جعل الاماتتين التي بعد حياة الدنيا والتي بعد
حيوة القبر لزمه اثبات ثلث احيات وهو خلاف ما في القران الا ان يتمحل
فيجعل احديها غير معتد بها او يزعم ان الله يحييهم في القبور وتستمر بهم تلك الحيوة فلا
يموتون بعدها ويعدهم في المستثنين من الصعقة في قوله الا من شاء الله **فان قلت**
كيف تسبب هذا لقوله فاعترفنا بذنوبنا **قلت** قد انكروا البعث فكفروا وتبع
ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي فلما راوا الاماتة
والاحياء قد تكررا عليهم علموا بان الله قادر على الاعادة قدرته على الانشاء فاعترفوا
بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم فهل الى خروج اي الى نوع
من الخروج سريع او بطئ من سبيل قط ام الياس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل
اليه وهذا الكلام من غلب عليه الياس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا
ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم اي ذلكم الذي انتم فيه وان لا
سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به فالحكم لله حيث
حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله العلي الكبير دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى ان عقاب
مثله لا يكون الا كذلك وهو الذي يطابق كبرياءه ويناسب جبروته وقيل كان
الحرورية اخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا يريكم اياته من الريح والسحاب والرعد والبرق
والصواعق ونحوها والرزق المطر لانه سببه وما يتذكر الا من ينيب وما يتعظ وما يعتبر

بايات الله

بايات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا سبيل الى تذكره
واتعاظه ثم قال للمنيبين فادعوا الله اي اعبدوه مخلصين له الدين من الشرك وان
غاظ ذلك اعداءكم ممن ليس على دينكم رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح ثلثة
اخبار لقوله هو مترتبة على قوله هو الذي يريكم او اخبار مبتدا محذوف وهي مختلفة
تعريفا وتنكيرا وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح ورفيع الدرجات كقوله ذي
المعارج وهي مصاعد الملائكة الى ان تبلغ العرش وهي دليل على عزته وملكوته وعن
ابن جبير سماء فوق سماء والعرش فوقهن ويجوز ان يكون عبارة عن رفعة شانه وعلو
وعلو سلطانه كما ان ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هي درجات ثوابه التي ينزلها
اولياءه في الجنة الروح من امره الذي هو سبب الحيوة من امره يريد الوحي الذي هو امر بالخير فبعث
عليه فاستعار له الروح كما قال او من كان ميتا فاحييناه لينذر الله او الملقى عليه وهو
الرسول او الروح وقرئ لتنذر اي لتنذر الروح لانها تؤنث او على خطاب الرسول
وقرئ لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول ويوم التلاق يوم القيمة لان الخلايق
تلتقي فيه وقيل يلتقي فيه اهل السماء واهل الارض وقيل المعبود والعابد يوم هم بارزون
ظاهرون لا يسترهم شي من جبل او اكمة او بناء لان الارض بارزة قاع صفصف ولا عليهم
ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا لا يخفى على الله
منهم شي اي من اعمالهم واحوالهم وعن ابن مسعود لا يخفى عليه منهم شي **فان قلت** قوله
لا يخفى عليه منهم شي بيان وتقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه منهم شي برزوا او لم
يبرزوا فما معناه **قلت** معناه انهم كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا بالحيطان
والحجب ان الله لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال

لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا
مما تعملون وقال يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم
ان الناس يبصرونهم وظنهم ان الله لا يبصرهم وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسال عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به و
معناه انه ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل
يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد بارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله
فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى
كل نفس الاية فهذا يقتضي ان يكون المنادي هو المجيب لما قرر ان الملك لله وحده
في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي ان كل نفس تجزى بما كسبت وان الظلم مامون لان الله
ليس بظلام للعبيد وان الحساب لا يبطئ لان الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب
الخلائق كله في وقت واحد وهو اسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضي الله عنه اذا
اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها الازفة القيامة سميت
لازوفها اي لقربها ويجوز ان يريد يوم الازفة وقت الخطة الازفة وهي مشارفتهم
دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا
ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجا كما قال فلما راوه زلفة
سيئت وجوه الذين كفروا **فان قلت** كاظمين بم انتصب **قلت** هو حال عن
اصحاب القلوب على المعنى لان المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز
ان يكون حالا عن القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر
وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من افعال العقلاء كما قال

رايتهم لي ساجدين وقال فظلت اعناقهم لها خاضعين وتعضده قراءة من قرا كاظمون ويجوز ان يكون
حالا عن قوله وانذرهم اي وانذرهم مقدرين او مشارفين الكظم كقوله فادخلوها خالدين
الحميم المحب المشفق والمطاع مجاز في المشفع لان حقيقة الطاعة نحو حقيقة الامر في انها
لا تكون الا لمن فوقك **فان قلت** ما معنى قوله ولا شفيع يطاع **قلت** يحتمل ان
يتناول النفي الشفاعة والطاعة معا وان يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي
كتاب يباع فهو محتمل نفي البيع وحده وان عندك كتابا الا انك لا تبيعه ونفيهما جميعا
وان لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر يريد نفي الضب
وانجحاره **فان قلت** فعلى اي الاحتمالين يجب حمله **قلت** على نفي الامرين جميعا
من قبل ان الشفعاء هم اولياء الله واولياء الله لا يحبون ولا يرضون الا من احبه الله ورضيه
وان الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله تعالى
وما للظالمين من انصار وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولان الشفاعة لا تكون الا في
زيادة التفضل واهل التفضل وزيادته انما هم اهل الثواب بدليل قوله ويزيدهم من فضله وعن
الحسن والله ما يكون لهم شفيع البتة **فان قلت** الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما
الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها **قلت** في ذكرها فائدة جليلة وهي انها ضمت اليه
ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لان الصفة لا تتاتى بدون موصوفها
فيكون ذلك ازالة لتوهم وجود الموصوف بيانه انك اذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت
ما لي فرس اركبه ولا معي سلاح احارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة
عن الركوب والمحاربة كانك تقول كيف يتاتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح
معي وكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتاتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع

والاستشهاد على علمه بانه يعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر
الذى لا ينبغى ان يتوهم خلافه الخائنة صفة للنظرة او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى
المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب ولا يحسن ان يراد الخائنة
من الاعين لان قوله وما تخفى الصدور لا يساعد عليه فان قلت بم اتصل قوله يعلم
خائنة قلت هو خبر من اخبار هو فى قوله هو الذى يريكم مثل يلقى الروح ولكن يلقى الروح
قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع
فبعد لذلك عن اخواته والله يقضى بالحق يعنى والذى هذه صفاته واحواله لا يقضى الا بالحق
والعدل لاستغنائه عن الظلم والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف
بالقدرة لا يقال فيه يقضى او لا يقضى ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين
وما تخفى الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض
بما يدعون من دون الله وانها لا تسمع ولا تبصر وقرئ تدعون بالتاء والياء هم فى وكانوا هم
اشد منهم فصل فان قلت من حق الفصل ان لا يقع الا بين معرفتين فما باله واقعا بين معرفة
وغير معرفة وهو اشد منهم قلت قد ضارع المعرفة فى انه لا يدخله الالف واللام فاجرى
مجراه وقرئ منكم وهى فى مصاحف اهل الشام وآثارا يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف
بالشدة من آثارهم او ارادوا واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا وسلطان مبين وحجة
ظاهرة وهى المعجزات فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا فلما جاءهم
بالحق بالنبوة فان قلت اما كان قتل الابناء واستحياء النساء من قبل خيفة ان يولد المولود
الذى انذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده قلت قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا
قتل آخر وعن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله قالوا اقتلوا اعيدوا عليهم القتل كالذى كان اولا

يريد ان هذا قتل غير القتل الاول فى ضلال فى ضياع وذهاب باطلا لم يجد عليهم يعنى انهم
باشروا قتلهم اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغنى عنهم هذا القتل
الثانى وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى واحس بانه قد وقع
اعاده عليهم غيظا وحنقا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم ان كيده
ضائع فى الكرتين جميعا ذرونى اقتل موسى كانوا اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذى تخافه
وهو اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاوم الا ساحرا مثله ويقولون
اذا قتلته ادخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر
ان فرعون لعنه الله كان قد استيقن انه نبى وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل
كان فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء فى اهون شئ فكيف لا يقتل من احس منه
بانه هو الذى يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله
وليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذرونى اقتل
موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما فى نفسه من هول الفزع
ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام بدليل قوله ويذرك
والهتك والفساد فى الارض التفاتن والتهارج الذى يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب
والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كانه قال انى اخاف ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم
الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفى مصاحف اهل الحجاز وان يظهر بالواو
ومعناه انى اخاف فساد دينكم ودنياكم معا وقرئ يظهر من اظهر والفساد منصوب اى
يظهر موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر اى تتابع وتعاون
لما سمع موسى عليه السلم بما اجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه انى عذت بالله الذى هو ربى

وربكم وقوله وربكم فيه بعث لهم على ان يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل
عليه اعتصامه وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون
على طريقة التعريض فيكون ابلغ واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو اقبح استكبار
وادله على دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه وقال لا يؤمن بيوم الحساب
لانه اذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب
القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت اخوان وقرى
عت بالادغام رجل مؤمن وقرى رجْل بسكون الجيم كما يقال عضْد في عضُد وكان قبطيا
ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا ومن آل فرعون صفة لرجل او صلة
ليكتم اي يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان او حبيب وقيل خربيل او حزبيل والظاهر
انه كان من آل فرعون فان المؤمنين من بني اسرائيل لم يقتلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول
فرعون ابناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا دليل ظاهر
على انه يتنصح لقومه ان يقول لان يقول وهذا انكار منه عظيم وتبكيت شديد كانه قال
اترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة قط في ارتكابها الا كلمة الحق
التي نطق بها وهي قوله ربي الله مع انه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة
من عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم الى الاعتراف وليلين
بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ولك ان تقدر مضافا محذوفا اي وقت ان يقول والمعنى
اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر في امره وقوله بالبينات يريد بالبينات
العظيمة التي عهدتموها وشهدتموها ثم اخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم
فقال لا يخلوا من ان يكون كاذبا او صادقا فان يك كاذبا فعليه كذبه اي يعود عليه كذبه
ولا

ولا يتخطاه ضرره وان يك صادقا يصبكم بعض ما يعدكم ان تعرضتم له فان قلت لم قال
بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم ان يصيبهم كله لا بعضه قلت
لانه احتاج في مقاولة خصوم موسى ومناكريه الى ان يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق
الانصاف في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم انه اقرب الى تسليمهم لقوله وادخل
في تصديقهم له وقبولهم منه فقال وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف
في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك انه حين فرضه صادقا فقد اثبت
انه صادق في جميع ما يعد ولكنه اردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر
الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا ان يتعصب له او يرمي بالحصى
من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق ايضا من هذا القبيل وكذلك قوله ان الله لا يهدي
من هو مسرف كذاب فان قلت فعن ابي عبيدة انه فسر البعض بالكل وانشد بيت لبيد تراك
امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها قلت ان صحت الرواية عنه فقد
حق فيه قول المازني في مسئلة العلقى كان اجفى من ان يفقه ما اقول له ان الله لا يهدي
من هو مسرف يحتمل انه ان كان مسرفا كذابا خذله الله واهلكه ولم يستقم له امر فيتخلصون
منه وانه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولما عضده بالبينات وقيل ما تولى ابو بكر
رضي الله عنه من رسول الله صلعم كان اشد من ذلك طاف بالبيت فلقوه حين فرغ
فاخذوا بمجامع ردائه فقالوا له انت الذي تنهانا عما كان يعبد اباؤنا فقال انا ذاك فقام
ابو بكر رضي الله عنه فالتزمه من ورائه وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات
من ربكم رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى ارسلوه وعن جعفر الصادق ان مؤمن
آل فرعون قال ذلك سرا وابو بكر قاله ظاهرا ظاهرين في الارض في ارض مصر عالين فيها على بني

اسرائيل يعني ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا امركم على انفسكم و لا
تتعرضوا لبأس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه احد وقال ينصرنا وجاءنا
لانه منهم في القرابة وليعلمهم بان الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه ما اريكم الا ما ارى اي لا اشير
عليكم برأيي الا ما ارى من قتله يعني لا استصوب الا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب
وما اهديكم بهذا الراي الا سبيل الرشاد يريد سبيل الصواب والصلاح او وما اعلمكم الا ما اعلم
من الصواب ولا ادخر منه شيا ولا اسر عنكم خلاف ما اظهر يعني ان لسانه وقلبه متواطئان
على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلد
ولولا استشعاره لم يستشر احدا ولم يقف الامر على الاشارة وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر
كعلام او من رشد بالفتح كعباد وقيل هو من ارشد كجبار من اجبر وليس بذاك لان فعالا من
افعل لا يجي الا في عدة احرف نحو دراك وسآر وقصار وجبار ولا يصح القياس على القليل
ويجوز ان يكون نسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل مثل يوم الاحزاب
مثل ايامهم لانه لما اضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس ان كل
حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لان المضاف اليه اغنى عن
ذلك كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب ودأب هؤلاء
دؤبهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون
عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دابهم فان قلت بم انتصب مثل الثاني
قلت بانه عطف بيان لمثل الاول لان اخر ما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت اهلك الله
الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم الى اعلام فسرى ذلك
الحكم الى اول ما تناولته الاضافة وما الله يريد ظلما للعباد يعني ان تدميرهم كان عدلا وقسطا

لانهم

لانهم استوجبوه باعمالهم وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي ارادة الظلم
لان من كان عن ارادة الظلم بعيدا كان عن الظلم ابعد وحيث نكر الظلم كانه نفى ان يريد ظلما ما
لعباده ويجوز ان يكون معناه كمعنى قوله ولا يرضى لعباده الكفر اي لا يريد لهم ان يظلموا
يعني انه دمرهم لانهم كانوا ظالمين التنادي ما حكى الله في سورة الاعراف من قوله ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ويجوز ان يكون تصايحهم بالويل والثبور
وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك
اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبيناهم
يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب تولون مدبرين عن قتادة منصرفين
عن موقف الحساب الى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين هو يوسف
بن يعقوب عليهما السلام وقيل هو يوسف بن يعقوب اقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون
موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل هو فرعون اخر وبخهم ان يوسف اتاكم بالمعجزات
فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين حتى اذا قبض قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا حكما
من عند انفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فاذا جاءكم رسول
جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم بالباطل الذي اسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا
بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وانما تكذيب لرسالة من بعده
مضموم الى تكذيب رسالته وقرئ الن يبعث الله على ادخال همزة الاستفهام على حرف النفي
كان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ثم قال كذلك يضل الله اي مثل هذا الخذلان المبين
يخذل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه الذين يجادلون بدل من من هو مسرف
فان قلت كيف جاز ابداله منه وهو جمع وذاك موحد قلت لانه لا يريد مسرفا واحدا

يوسف بن ابراهيم

وكانه قال كل مسرف فان قلت فما فاعل كبر قلت ضمير من هو مسرف فان قلت
اما قلت هو جمع ولهذا ابدلت منه الذين يجادلون قلت بلى هو جمع في المعنى واما اللفظ
فموحد فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه وليس ببدع ان يحمل على اللفظ
تارة وعلى المعنى اخرى وله نظائر ويجوز ان يرفع الذين يجادلون على الابتداء ولا بد في هذا
الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا
ويحتمل ان يكون الذين يجادلون مبتداء وبغير سلطان اتيهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك اي
كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستانف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم
فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفي كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم
والشهادة على خروجه من اشكاله من الكبائر وقرى سلطان بضم اللام وقرى قلب بالتنوين حله
ووصف القلب بالتكبر والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما كما تقول رات العين وسمعت
الاذن ونحوه قوله تعالى فانه اثم قلبه وان كان الاثم هو الجملة ويجوز ان يكون على حذف
المضاف اي على كل ذي قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب قيل الصرح البناء
الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وان بعد اشتقوه من صرح الشيء اذا ظهر واسباب السموات
طرقها وابوابها وما يودي اليها وكل ما اداك الى شي فهو سبب اليه كالرشا ونحوه فان قلت
ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلي ابلغ اسباب السموات قلت اذا ابهم الشي ثم اوضح كان
تفخيما لشانه فلما اراد تفخيم ما امل بلوغه من اسباب السموات ابهمها ثم اوضحها ولانه لما
كان بلوغها امرا عجيبا اراد ان يورده على نفس متشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب
فابهمه ليشوق اليه نفس هامان ثم اوضحه وقرى فاطلع بالنصب على جواب الترجي تشبيها
للترجي بالتمني ومثل ذلك التزيين وذلك الصد زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل

والمثل

زينه
اما الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل واما الله تعالى
على وجه التسبيب لانه مكن الشيطان وامهله ومثله زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون وقرى
وزين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله تعالى دل عليه قوله الى اله موسى وصد بفتح
قبل الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين الى الفاء كما قيل والتباب الخسران والهلاك وصد
مصدر معطوف على سوء عمله وصدوا هو وقومه قال اهدكم سبيل الرشاد فاجمل ثم فسر
فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها هو اصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما
يودي الى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة وثنى بتعظيم الاخرة والاطلاع على حقيقتها
وانها هي الوطن والمستقر وذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منها ليثبط عما يتلف
وينشط لما يزلف ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم
الى اتخاذ الانداد الذي عاقبته النار وحذر وانذر واجتهد في ذلك واحتشد لا جرم ان
الله استثناه من ال فرعون وجعله حجة عليهم اجمع وعبرة للمعتبرين وهو قوله فوقاه الله سيات
ما مكروا وحاق بال فرعون سوء العذاب وفي هذا ايضا دليل على ان الرجل كان من ال
فرعون والرشاد نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه سبيل
ويدخلون الغي ولا يجزى الا مثلها لان الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لانها ظلم واما الزيادة
على مقدار جزاء الحسنة فحسنة لانها فضل وقرى يدخلون بغير حساب واقع في مقابلة الا
مثلها يعني ان جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فاما جزاء العمل
الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة فان قلت
لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني قلت اما تكرير النداء
ففيه زيادة تنبيه لهم وايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو

يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك
ان لا يتهموه فان سرورهم سروره وغمهم غمه ومن لوا على نصيحته لهم كما كرر ابرهيم صلوات الله عليه في
نصيحة ابيه يا ابت واما المجي بالواو العاطفة فلان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل
وتفسير له فاعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو واما الثالث فداخل على كلام ليس
بتلك المثابة تقول دعاه الى كذا ودعاه له كما تقول هداه الى الطريق وهداه له به علم اي بربوبيته
والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال واشرك به ما ليس باله وما ليس باله كيف يصح ان يعلم
الها لا جرم سياقه على مذهب البصريين ان يجعل لا ردا لما دعاه الله اليه قومه وجرم فعل
كسب بمعنى يكون فاعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله اي حق ووجب بطلان دعوته
او بمعنى كسب من قوله لا يجرمنكم شنآن قوم اي كسب ذلك الدعاء بطلان دعوته على معنى دعوته
انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز ان يقال ان لا جرم نظير لا بد فعل
من الجرم وهو القطع كما ان بدا فعل من التبديد وهو التفريق
فكما ان معنى لا بد انك تفعل كذا بمعنى لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم ان لهم النار اي
لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة
الاصنام اي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا وروي عن العرب لا جرم انه يفعل بضم
الجيم وسكون الراء بزنة بُد وفُعْل اخوان كرُشْد ورَشَد وعُدْم وعَدَم ليس له دعوة معناه
ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط اي من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته
ثم يدعو العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا
يدعي الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لضج من دعائكم وقوله في الدنيا ولا في الآخرة يعني انه في
الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دعاء وغيره وفي الآخرة اذا انشاه الله حيوانا تبرا من الدعاة اليه

من عبدته وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا وفي الآخرة او دعوة مستجابة
جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم الدعوة
كما سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة الحق
والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء المسرفين عن قتادة المشركين وعن مجاهد
السفاكين للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون وقرئ فستذكرون
اي فستذكر بعضكم بعضا وافوض امري الى الله لانهم توعدوه فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد
مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى وحاق بآل فرعون
ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم النار بدل من سوء العذاب او خبر مبتدا
محذوف كان قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار او مبتدا خبره يعرضون عليها
وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض
الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به وقرئ النار بالنصب وهي تعضد الوجه الاخير
وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها ويجوز ان ينتصب على الاختصاص غدوا وعشيا
في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله اعلم بحالهم فاما ان يعذبوا بجنس
آخر من العذاب او ينفس عنهم ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا
ما دامت الدنيا واذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد عذاب جهنم وقرئ
ادخلوا آل فرعون اي يقال لخزنة جهنم ادخلوهم فان قلت قوله وحاق بآل فرعون
سوء العذاب معناه انه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لاخيه
جبا وقع فيه منكبا فاذا فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم راجعا عليهم لانهم لا
يعذبون بجهنم قلت يجوز ان يهم الانسان بان يغرق قوما فيحرق بالنار ويسمى ذلك

حيقا لانه هم بسوء فاصابه ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط في الحيق ان يكون الحائق ذلك
السوء بعينه ويجوز ان يهم فرعون لما سمع انذار المسلمين بالنار وقول المؤمن وان المسرفين
هم اصحاب النار فيفعل نحو ما فعل نمروذ ويعذبهم بالنار فحاق به مثل ما اضمره وهم
بفعله ويستدل بهذه الاية على اثبات عذاب القبر واذ يتحاجون تبعا تباعا
كخدم في جمع خادم او ذوي تبع اي اتباع او وصفا بالمصدر وقرئ كلا على التاكيد لا لاسم
ان وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا او كلنا فيها **فان قلت**
هل يجوز ان يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها **قلت** لا لان الظرف لا يعمل في الحال
متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد
قد حكم بين العباد قضى بينهم وفصل بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لخزنة
جهنم للقوام بتعذيب اهلها **فان قلت** هلا قيل الذين في النار لخزنتها **قلت**
لان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هي ابعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام
بعيدة القعر وقولهم في النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم انه يلقي الشعر على لسان المنتسب
اليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال ابو نواس في خلف الاحمر قليذم من العيالم الخسف
وفيها اعتى الكفار واطغاهم ولعل الملائكة الموكلين بعذاب اوليك اجوب دعوة لزيادة
قربهم من الله فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم اولم تك تاتيكم الزام للحجة
وتوبيخ وانهم خلفوا وراءهم اوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الاسباب التي يستجيب الله
لها الدعوات قالوا فادعوا انتم فانا لا نجترئ على ذلك ولا نشفع الا بشرطين كون المشفوع
له غير ظالم والاذن في الشفاعة مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين و
ليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة فان الملك المقرب اذا لم يسمع

دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافر في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدنيا والاخرة
يعني انه يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا في
بعض الاحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من اعدائهم ولو بعد حين و
الاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد الحفظة من الملائكة والانبياء والمؤمنين من
امة محمد عليه السلام ليكونوا شهداء على الناس واليوم الثاني بدل من الاول يحتمل
انهم يعتذرون ولكنها لا تنفع لانها باطلة وانهم لو جاءوا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله ولا يؤذن
لهم فيعتذرون ولهم اللعنة البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار اي سوء دار الاخرة وهو عذابها
وقرئ يقوم ولا ينفع بالتاء والماء يريد بالهدى جميع ما اتاه في باب الدين من المعجزات والتورية
والشرائع واورثنا وتركنا على بني اسرائيل من بعده الكتاب اي التورية هدى وذكرى ارشادا دا
وتذكرة وانتصابهما على المفعول له او على الحال لاولي الالباب المؤمنين به العاملين
بما فيه فاصبر ان وعد الله حق يعني ان نصرة الرسل في ضمان الله وضمان الله لا يخلف
واستشهد بموسى وما اتاه من اسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وابقاء اثار
هداه في بني اسرائيل والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملك امتك
مشارق الارض ومغاربها فاصبر على ما يجرعك قومك من الغصص فان العاقبة لك
وما سبق به وعدي من نصرتك واعلاء كلمتك حق واقبل على التقوى واستدرك الفرطات
بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه بالعشي والابكار وقيل هما صلوتا العصر والفجر
ان في صدورهم الا كبر الا تكبر وتعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وان لا يكون احد فوقهم
ولذلك عادوك ودفعوا اياتك خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وامرك ونهيك
لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة او ارادة ان تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه

قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه او ارادة دفع الآيات بالجدال ما هم ببالغيه اي ببالغي موجب
الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة او النبوة او دفع الآيات وقيل المجادلون
هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه
البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك
كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك انه
هو السميع لما تقول ويقولون البصير بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم
فان قلت كيف اتصل قوله لخلق السموات والارض بما قبله **قلت** ان مجادلتهم
في آيات الله كانت مشتملة على انكار البعث وهو اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات
والارض لانهم كانوا مقرين بان الله خالقها بانها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس
بالقياس اليه شيء قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته
اقدر وهو ابلغ من الاستشهاد بخلق مثله لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لغلبة الغفلة
عليهم واتباعهم اهواءهم ضرب الاعمى والبصير مثلا للمحسن والمسيء وقرئ يتذكرون بالياء والتاء
والتاء اعم لا ريب فيها لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لانه لا بد من جزاء لا
يؤمنون لا يصدقون بها ادعوني اعبدوني والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن و
يدل عليه قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي والاستجابة الاثابة وفي تفسير مجاهد
اعبدوني اثبكم وعن الحسن وقد سئل عنها اعملوا وابشروا فانه حق على الله ان يستجيب
للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الثوري انه قيل له ادع الله فقال ان
ترك الذنوب هو الدعاء وفي الحديث اذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء اعطيته افضل
ما اعطي السائلين وروى النعمان بن بشير عن رسول الله صلعم الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآ

ويجوز ان يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرها ويريد بعبادتي دعائي لان الدعاء باب من
العبادة ومن افضل ابوابها يصدقه قول ابن عباس افضل العبادة الدعاء وعن كعب اعطى الله
هذه الامة ثلث خلال لم يعطهن الا نبيا مرسلا كان يقول لكل نبي انت شاهدي على
خلقي وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا
ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعني استجب لك وقال لنا ادعوني استجب
لكم وعن ابن عباس وحدوني اغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد
داخرين صاغرين مبصرا من الاسناد المجازي لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار **فان قلت**
لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين او مفعولا لهما فيراعى حق المقابلة
قلت هما متقابلان من حيث المعنى لان كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر ولانه لو قيل
لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكنا والليل يجوز ان
يوصف بالسكون على الحقيقة الا ترى الى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم تتميز الحقيقة من
المجاز **فان قلت** هلا قيل لمفضل او لمتفضل **قلت** لان الغرض تنكير الفضل و
ان يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يستوي بالاضافة **فان قلت** فلو قيل ولكن
اكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس **قلت** في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وانهم
هم الذين يكفرون فضله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود
ان الانسان لظلوم كفار ذلكم المعلوم المميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد هو الله
ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية
والربوبية وخلق كل شيء وانشائه لا يمتنع عليه شيء والوحدانية لا ثاني له فانى تؤفكون
فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان ثم ذكر ان كل من جحد بآيات الله

ولم يتاملها ولم يكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة افك كما افكوا وقرى خالق كل شي نصبا
على الاختصاص ويوفكون بالياء والتاء هذه ايضا دلالة اخرى على تميزه بافعال خاصة
وهي انه جعل الارض مستقرا والسماء بناء اى قبة ومنه ابنية العرب لمضاربهم لان السماء
في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض واحسن صوركم وقرى بكسر الصاد والمعنى واحد
قيل لم يخلق حيوانا احسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله في
احسن تقويم فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة من الشرك والرياء
قائلين الحمد لله رب العالمين **فان قلت** اما نهى رسول الله صلعم عن عبادة
الاوثان بادلة العقل حتى جاءته البينات من ربه **قلت** بلى ولكن البينات لما
كانت مقوية لادلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى اتعبدون ما تنحتون
والله خلقكم وما تعملون واشباه ذلك من التنبيه على ادلة العقل كان ذكر البينات ذكرا
لادلة العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين جميعا لان ذكر تناصر الادلة العقل ادلة
وادلة السمع اقوى في ابطال مذهبهم وان كانت ادلة العقل وحدها كافية لتبلغوا
اشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا واما ولتبلغوا اجلا
مسمى فمعناه ونفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيمة وقرى
شيوخا بكسر الشين وشيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم او اقتصر على الواحد
لان الغرض بيان الجنس من قبل الشيخوخة او من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا ولعلكم
تعقلون ما في ذلك من العبر والحجج فاذا قضى امرا فانما يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا
نتيجة من قدرته على الاحياء والاماتة وساير ما ذكر من افعاله الدالة على ان مقدورا لا يمتنع
عليه كانه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى امرا كان اهون شي واسرعه بالكتاب بالقرآن

وبما ارسلنا به رسلنا من الكتب **فان قلت** وهل قوله فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم
الا مثل قولك سوف اصوم امس **قلت** المعنى على اذا الا ان الامور المستقبلة لما
كانت في اخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على
الاستقبال وعن ابن عباس رضي الله عنه والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء
على عطف الجملة الفعلية على الاسمية وعنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه
انه لو قيل اذ اعناقهم في الاغلال مكان قوله اذ الاغلال في اعناقهم لكان صحيحا مستقيما
فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الاخرى ونظيره مشائيم
ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب كانه قيل بمصلحين وقرى وبالسلاسل يسحبون في النار
يسجرون من سجر التنور اذا ملاه بالوقود ومنه السجير كانه سجر بالحب اى ملئ ومعناه
انهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها اجوافهم ومنه قوله تعالى نار الله
الموقدة التي تطلع على الافئدة اللهم اجرنا من نارك فانا عائذون بجوارك ضلوا عنا غابوا
عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم **فان قلت** اما ذكرت في تفسير قوله انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم انهم مقرونون بآلهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم
قلت يجوز ان يضلوا عنهم اذ وبخوا وقيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم
ويشفعوا لكم وان يكونوا معهم في ساير الاوقات وان يكونوا معهم في جميع اوقاتهم الا انهم لما
لم ينفعوهم فكانهم ضالون عنهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اى تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا
وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شي فاذا هو ليس بشي اذا خبرته
فلم تر عنده خيرا كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى
لو طلبوا الآلهة او طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح ذلكم

بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان ادخلوا ابواب جهنم السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى
لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم خالدين مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين
عن الحق المستخفين به مثواكم او جهنم **فان قلت** اليس قياس النظم ان يقال فبئس مدخل
المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصل في المسجد الحرام فنعم المصلى **قلت** الدخول
الموقت بالخلود في معنى الثواء فاما نرينك اصله فان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ولذلك
الحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمني اكرمك ولكن اما تكرمني اكرمك **فان قلت**
لا يخلو اما ان تعطف او نتوفينك على نرينك وتشركهما في جزاء واحد وهو قوله فالينا
يرجعون فقولك فاما نرينك بعض الذي نعدهم فالينا يرجعون غير صحيح وان جعلت
فالينا يرجعون مختصا بالمعطوف الذي هو نتوفينك بقي المعطوف عليه بغير جزاء **قلت**
فالينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذي
نعدهم من العذاب وهو القتل والاسر يوم بدر فذاك او ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا
يرجعون يوم القيمة فننتقم منهم اشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم
منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون ومنهم من لم نقصص عليك
قيل بعث الله ثمانية الاف نبي اربعة الاف من بني اسرائيل واربعة الاف من ساير الناس و
عن علي رضي الله عنه ان الله بعث نبيا اسود فهو ممن لم نقصص عليه وهذا في اقتراحهم الايات
على رسول الله عنادا يعني انا قد ارسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم ان ياتي باية
الا باذن الله فمن لي بان اتي باية مما تقترحونه الا ان يشاء الله وياذن في الاتيان بها فاذا جاء
امر الله وعيد ورد عقيب اقتراح الايات وامر الله القيامة المبطلون المعاندون الذين اقترحوا
الايات وقد اتتهم الايات فانكروها وسموها سحرا الانعام الابل خاصة **فان قلت** لم قال

66

لتركبوا منها ولتبلغوا عليها ولم يقل ولتاكلوا منها ولتصلوا الى منافع او هلا قال منها تركبون ومنها
تاكلون وتبلغون عليها حاجة في صدوركم **قلت** في الركوب الركوب في الحج
والغزو وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة الدين او طلب علم وهذه
اغراض دينية اما واجبة او مندوب اليها مما يتعلق به ارادة الحكيم واما الاكل واصابة
المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به ارادته ومعنى قوله وعليها وعلى الفلك تحملون وعلى
الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر **فان قلت** هلا قيل
وفي الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين **قلت** معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء
كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها فلما صح المعنيان صحت
العبارتان وايضا فليطابق قوله وعليها ويزاوجه فاي ايات الله جاءت على اللغة المستفيضة
وقولك فاية ايات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير
الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه واثارا قصورهم ومصانعهم
وقيل مشيهم بارجلهم لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما الاولى نافية او مضمنة معنى الاستفهام ومحلها
النصب والثانية موصولة او مصدرية ومحلها الرفع يعني اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او
كسبهم فرحوا بما عندهم من العلم فيه وجوه منها انه اراد العلم الوارد على التهكم في قوله بل ادرك
علمهم في الاخرة وعلمهم في الاخرة انهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة
قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي
لاجدن خيرا منها منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الانبياء كما
قال عز وعلا كل حزب بما لديهم فرحون ومنها ان يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني
يونان وكانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط انه

سمع موسى عليه السلم فقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا ومنها ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لاقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم ومنها ان يراد فرحوا بما عند الرسل فرح ضحك منه واستهزاء (من العلم) به كانه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ومنها ان يجعل الفرح للرسل ومعناه ان الرسل لما راوا جهلهم المتمادي واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم ويجوز ان يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي ابعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوايد من علمهم ففرحوا به البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس **فان قلت** اي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم **قلت** هو من كان في نحو قوله ما كان الله ان يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم **فان قلت** كيف ترادفت هذه الفاءات **قلت** اما قوله تعالى فما اغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا اكثر منهم واما قوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فجار مجرى البيان والتفسير لقوله فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما راوا باسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما راوا باسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما راوا باس الله سنة الله بمنزلة وعد الله وما اشبهه

من المصادر

67

من المصادر المؤكدة وهنالك مكان مستعار للزمان اي وخسروا وقت رؤية الباس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فاذا جاء امر الله قضي بالحق اي وخسروا وقت مجيء امر الله او وقت القضاء بالحق عن رسول الله صلعم من قرا سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له ٥

سورة السجدة مكية وهي اربع وخمسون وقيل ثلث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ان جعلت حم اسما للسورة كانت في موضع المبتدا وتنزيل خبره وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبرا لمبتدا محذوف وكتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف وجوز الزجاج ان يكون تنزيل مبتدا وكتاب خبره ووجهه ان تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدا فصلت آياته ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد قرآنا عربيا نصب على الاختصاص والمدح اي اريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال اي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا لقوم يعلمون لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه **فان قلت** بم يتعلق قوله لقوم يعلمون **قلت** يجوز ان يتعلق بتنزيل او بفصلت اي تنزيل من الله لاجلهم او فصلت آياته لهم والاجود ان يكون صفة مثل ما قبله وما بعده اي قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب او خبر مبتدا

محذوف فهم لا يسمعون ولا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع
قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه والاكنة جمع كنان وهو
الغطاء والوقر بالفتح الثقل وقرى بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده
كأنها في غلف واغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله وقالوا قلوبنا غلف ومج اسماعهم له كأن
بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله وما هو
عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل او نحوه فلا تلاقي ولا ترائي فاعمل على دينك اننا
عاملون على ديننا او فاعمل في ابطال امرنا اننا عاملون في ابطال امرك وقرى انا عاملو[ن]
فان قلت هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة **قلت** نعم لانه
لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين واما بزيادة من
فالمعنى ان الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة
بالحجاب لا فراغ فيها **فان قلت** هلا قيل على قلوبنا اكنة كما قيل وفي اذاننا
وقر ليكون الكلام على نمط واحد **قلت** هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى
بين قلوبنا في اكنة وعلى قلوبنا اكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم اكنة ولو قيل
انا جعلنا قلوبهم في اكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة
الا في المعاني **فان قلت** من اين كان قوله انما انا بشر مثلكم يوحى الي جوابا لقولهم
قلوبنا في اكنة **قلت** من حيث انه قال لهم اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم و
قد اوحي الي دونكم فصحت بالوحي الي وانا بشر نبوتي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي
وفيما يوحى الي ان الهكم اله واحد فاستقيموا اليه فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير
ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء وتوبوا

اليه مما سبق لكم من الشرك واستغفروه وقرى قال انما انا بشر **فان قلت** لم خص
من بين اوصاف المشركين منع الزكوة مقرونا بالكفر بالآخرة **قلت** لان احب شيء
الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على ثباته واستقامته
وصدق نيته ونصوع طويته الا ترى الى قوله تعالى ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات
الله وتثبيتا من انفسهم اي يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع
المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم واهل الردة بعد
رسول الله ما تظاهروا الا بمنع الزكوة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على اداء
الزكوة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة
وقيل كانت قريش يطعمون الحاج ويحرمون من امن منهم برسول الله وقيل لا يفعلون ما يكونون
به ازكياء وهو الايمان الممنون المقطوع وقيل لا يمن عليهم لانه انما يمن التفضل فاما الاجر
فحق اداؤه وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر
كاصح ما كانوا يعملون اينكم بهمزتين الثانية بين بين وآينكم بالف بين همزتين ذلك قدر (خلق) على الارض
في يومين هو رب العالمين رواسي جبالا ثوابت **فان قلت** ما معنى قوله من فوقها وهلا
اقتصر على قوله وجعل فيها رواسي كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا في الارض رواسي
وجعل لها رواسي **قلت** لو كانت تحتها كالاساطين لها تستقر عليها او مركوزة فيها
كالمسامير لمنعت من الميدان وانما اختار ارساءها فوق الارض لتكون المنافع في الجبال
معرضة لطالبيها حاضرة لمحصليها وليبصر ان الارض والجبال اثقال على اثقال كلها
مفتقرة الى ممسك لا بد لها منه وهو ممسكها عز وعلا بقدرته وبارك فيها واكثر خيرها وانماه
وقدر فيها اقواتها ارزاق اهلها ومعايشهم وما يصلحهم وفي قراءة ابن مسعود وقسم فيها اقواتها

في اربعة ايام سواء، فذلكة لمدة خلق الله الارض وما فيها كانه قال كل ذلك في اربعة ايام كاملة
مستوية بلا زيادة ولا نقصان قيل خلق الارض في يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلثا
ويوم الاربعا وقال الزجاج في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام يريد بالتتمة اليومين وقرئ سواء بالحركات
الثلث الجر على الوصف والنصب على استوت سواء اي استواء والرفع على هي سواء **فان قلت**
بم تعلق قوله للسائلين **قلت** بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سال في كم خلقت
الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين
وهذا الوجه الاخير لا يستقيم الا على تفسير الزجاج **فان قلت** هلا قيل في يومين واي فائدة
في هذه الفذلكة **قلت** اذا قال في اربعة ايام وقد ذكر ان الارض خلقت في يومين علم ان
ما فيها خلق في يومين فبقيت المخايرة بين ان تقول في يومين وبين ان تقول في اربعة ايام سواء فكانت
في اربعة ايام سواء فائدة ليست في يومين وهي الدلالة على انها كانت اياما كاملة بغير زيادة
ولا نقصان ولو قال في يومين وقد يطلق اليومان على اكثرهما لكان يجوز ان يريد باليومين
الاولين والاخرين اكثرهما ثم استوى الى السماء من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه
توجها لا يلوي على شيء وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونحوه قولهم استقام اليه
وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السماء بعد خلق
الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك قيل كان عرشه قبل خلق السموات والارض
على الماء فاخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فايبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم
فتقها فجعلها ارضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع ومعنى امر السماء والارض بالاتيان و
امتثالهما انه اراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما وكانتا في ذلك كالمامور المطيع
اذا ورد عليه فعل الامر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز ان يكون تخييلا ويبنى الامر

69 فيه على ان الله تعالى كلم السماء والارض وقال لهما ائتيا شئتما ذلك او ابيتماه فقالتا اتينا على
الطوع لا على الكره والغرض تصوير اثر قدرته في المقدورات لا غير من غير ان يحقق شيء من
الخطاب والجواب ونحوه قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد اسأل من يدقني
فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي **فان قلت** لم ذكر الارض مع السماء وانتظمها في الامر
بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين **قلت** قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة
ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ايتيا على ما ينبغي
ان تاتيا عليه من الشكل والوصف ايتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وايتي يا سماء مقببة
سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول اتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز ان
يكون المعنى لتات كل واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذي اريده وتقتضيه الحكمة والتدبير
من كون الارض قرارا من المواتاة وهي الموافقة اي لتوات كل واحدة اختها ولتوافقها
[Margin: للسماء وكون السماء سقفا للارض وتنصره قراءة من قرا آتيا وآتينا]
قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا امري ومشيئتي ولا تمتنعا **فان قلت** ما معنى قوله
طوعا او كرها **قلت** هو مثل للزوم تاثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تاثير قدرته محال
كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها وانتصابهما
على الحال بمعنى طائعتين او مكرهتين **فان قلت** هلا قيل طائعتين على اللفظ او طائعات
على المعنى لانها سموات وارضون **قلت** لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن
بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين فقضاهن يجوز ان يرجع الضمير
فيه الى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحوه اعجاز نخل خاوية ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا
بسبع سموات والفرق بين النصبين ان احدهما على الحال والثاني على التمييز قيل خلق السموات
وما فيها في يومين في يوم الخميس ويوم الجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي

الساعة التي تقوم فيها القيامة وفي هذا دليل على ما ذكرت من انه لو قال في يومين في
موضع في اربعة ايام سواء لم يعلم انهما يومان كاملان ام ناقصان فان قلت فلو قيل
خلق الارض في يومين كاملين وقدر فيها اقواتها في يومين كاملين او قيل بعد ذكر اليومين
تلك اربعة سواء قلت الذي اورده سبحانه احصر وافصح والحسن طباقا لما عليه التنزيل
من مغاصات القرائح ومصاك الركب لتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص
وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب امرها ما امر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات
وغير ذلك او شانها وما يصلحها وحفظا وحفظناها حفظا يعني من المسترقة بالثواقب ويجوز
ان يكون مفعولا له على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا فان اعرضوا بعد
ما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته فحذرهم ان تصيبهم صاعقة اي عذاب شديد
الوقع كانه صاعقة وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعق
يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل من بين ايديهم ومن
خلفهم اي اتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو و
الاعراض كما حكى الله عن الشيطان لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم يعني لآتينهم من كل
جهة ولاعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه حيلة و
عن الحسن انذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة لانهم اذا حذروهم ذلك الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة
فقد جاؤوهم بالوعظ من جهة المستقبل وما يستجرى عليهم وقيل معناه اذ جاءتهم الرسل من
قبلهم ومن بعدهم فان قلت الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بانهم
جاؤوهم وكيف يخاطبونهم بقولهم انا بما ارسلتم به كافرون قلت قد جاءهم هود وصالح
داعيين الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجيء من

خلفهم

٧٠ خلفهم اي من بعدهم فكان الرسل جميعا قد جاؤوهم وقولهم انا بما ارسلتم به كافرون خطاب منهم
لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم ان في ان لا تعبدوا بمعنى اي
او مخففة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا واي بان الشان والحديث قولنا لكم لا تعبدوا
ومفعول شاء محذوف اي لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون
معناه فاذ انتم بشر ولستم ملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم ارسلتم به ليس باقرار
بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم
لمجنون روي ان ابا جهل قال في ملاء من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا
رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان عن امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد
سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال انت
يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم آلهتنا
وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا فان كنت بك الباءة
زوجناك عشر نسوة تختار هن من اي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما
تستغني به ورسول الله صلعم ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله
مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى
قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة
ما حبسك عنا الا انك قد صبات فغضب واقسم لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله لقد
كلمته فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت
بفيه وناشدته بالرحم ان يكف ولقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان
القوة ينزل بكم العذاب فاستكبروا في الارض اي تعظموا فيها على اهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو

وعظم الاجرام او استعلوا في الارض واستولوا على اهلها بغير استحقاق للولاية من اشد
منا قوة كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة
من الجبل يقتلعها بيده فان قلت القوة هي الشدة والصلابة في البنية وهي نقيضة الضعف
واما القدرة فما لاجله يصح الفعل من الفاعل من تميز بذات او بصحة بنية وهي نقيضة العجز
والله سبحانه وتعالى لا يوصف بالقوة الا على معنى القدرة فكيف صح قوله هو اشد منهم
قوة وانما يصح اذا اريد بالقوة في الموضعين شيء واحد قلت القدرة في الانسان هي
صحة البنية والاعتدال والقوة الشدة والصلابة في البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح
ان يقال الله اقدر منهم جاز ان يقال اقوى منهم على معنى انه يقدر لذاته على ما لا يقدرون
عليه بازدياد قدرهم يجحدون كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة
وهو معطوف على فاستكبروا اي كانوا كفرة فسقة الصرصر العاصفة التي تصرصر اي تصوت
في هبوبها وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد الذي يصر
اي يجمع ويقبض نحسات قرئ بكسر الحاء وسكونها ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس
واما نحس فاما مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر وقرئ لنذيقهم على
ان الاذاقة للريح او للايام النحسات واضاف العذاب الى الخزي وهو الذل والاستكانة
على انه وصف للعذاب كانه قال عذاب خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء والدليل
عليه قوله ولعذاب الاخرة اخزى وهو من الاسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي
ابلغ من وصفهم به الا ترى الى البون بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر وقرئ ثمود بالرفع
والنصب منونا وغير منون والرفع افصح لوقوعه وقرئ ثمود بالرفع والنصب منونا وغير
منون والرفع افصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء فهديناهم فدللناهم على

طريقي

71

طريقي الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه النجدين فاستحبوا العمى على الهدى فا
ختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد فان قلت اليس معنى هديته
جعلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها
كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة قلت للدلالة على انه
مكنهم وازاح عللهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها
صاعقة العذاب داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب
مبالغة او ابدله منه ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة
بشهادة نبيها صلعم وكفى به شاهدا الا هذه لكفى بها حجة قرئ يحشر على البناء للمفعول و
نحشر بالنون وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل اي يحشر الله تعالى اعداء الله
الكفار من الاولين والاخرين يوزعون يحبس اولهم على اخرهم اي يستوقف سوابقهم حتى
يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة اهل النار نسال الله ان يجيرنا منها بسعة رحمته
فان قلت ما في قوله حتى اذا ما جاؤوها ما هي قلت مزيدة للتاكيد ومعنى التاكيد
فيها ان وقت مجيئهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلو منها
ومثله قوله اثم اذا ما وقع امنتم به اي لا بد لوقت وقوعه من ان يكون وقت ايمانهم به
شهادة الجلود بالملامسة الحرام وما اشبه ذلك مما يفضي اليها من المحرمات فان قلت
كيف تشهد عليهم اعضاؤهم وكيف تنطق قلت الله تعالى ينطقها كما انطق الشجرة
بان يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هي كناية عن الفروج اراد بكل شيء
من الحيوان كما اراده في قوله والله على كل شيء قدير كل شيء من المقدورات والمعنى ان

ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم وانشائكم
اول مرة وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه وانما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من
شهادتها وكبر عليهم من الخزي على السنة جوارحهم المعنى انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب
عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان يشهد عليكم جوارحكم لانكم
كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء اصلا ولكنكم انما استترتم
لظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وهو الخفيات من اعمالكم وذلك الظن هو الذي اهلككم
وهذا تنبيه على ان من حق المؤمن ان لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه ان عليه من الله
عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون في اوقات خلواته من ربه اهيب واحسن احتشاما
واوفر تحفظا وتصونا منه مع الملا ولا ينبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين وقرئ
ولكن زعمتم وذلكم رفع بالابتداء وظنكم وارداكم خبران ويجوز ان يكون ظنكم بدلا من ذلكم
وارداكم الخبر فان يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار وان يستعتبوا وان
يسألوا العتبى وهي الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا
اليها ونحوه قوله تعالى اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين
اي ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون اي لا سبيل لهم الى ذلك وقيضنا لهم وقدرنا لهم
يعني للمشركين بمكة يقال هذان ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة
قرناء اخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو
له قرين **فان قلت** كيف جاز ان يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع
خطواتهم **قلت** معناه انه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء

سوى

سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض ما بين ايديهم وما خلفهم ما تقدم من اعمالهم و
ما هم عازمون عليها او ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر العاقبة
وان لا بعث ولا حساب وحق عليهم القول يعني كلمة العذاب في امم في جملة امم ومثل في هذه
ما في قوله ان تك عن احسن الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد افكوا يريد فانت في جملة آخرين
وانت في عداد آخرين لست في ذلك باوحد **فان قلت** في امم ما محله **قلت** محله
النصب على الحال من الضمير في عليهم اي حق عليهم القول كائنين في جملة امم انهم كانوا خاسرين
تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم وقرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال
لغى يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته قال من اللغا ورفث
التكلم والمعنى لا تسمعوا له اذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات والهذيان
والرجز وما اشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته كانت
قريش توصي بذلك بعضهم بعضا فلنذيقن الذين كفروا يجوز ان يريد بالذين كفروا هؤلاء
اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وان يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم وقد
ذكرنا اضافة اسوأ بما اغنى عن اعادته وعن ابن عباس عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذي
كانوا يعملون في الآخرة وذلك اشارة الى الاسوأ ويجب ان يكون التقدير اسوأ جزاء
الذي كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الاشارة والنار عطف بيان للجزاء او خبر مبتدأ
محذوف **فان قلت** ما معنى قوله لهم فيها دار الخلد **قلت** معناه ان النار في
نفسها دار الخلد كقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والمعنى ان رسول الله اسوة
حسنة وتقول لك في هذه الدار دار السرور وانت تعني الدار بعينها جزاء بما كانوا
بآياتنا يجحدون اي جزاء بما كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو الذين

اضلانا اى الشيطانين اللذين اضلانا من الجن والانس لان الشيطان على ضربين جني
وانسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال الذى
يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقابيل لانهما سنا الكفر والقتل بغير حق
وقرئ ارنا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا فخذ في فخذ وقيل معناه اعطنا
اللذين اضلانا وحكوا عن الخليل انك اذا قلت ارني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا قلته
بالسكون فهو استعطاء معناه اعطني ثوبك ونظيره اشتهار الايتاء في معنى الاعطاء واصله
الاحضار ثم لتراخي الاستقامة عن الاقرار في المرتبة وفضلها عليه لان الاستقامة لها الشأن
كله ونحوه قوله تعالى انما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على
الاقرار ومقتضياته وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا
وعنه انه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الامر على اشده قالوا فما
تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على الطريقة
لم يروغوا روغان الثعالب وعن عثمان رضي الله عنه اخلصوا العمل وعن علي رضي الله عنه ادوا
الفرائض وقال سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله اخبرني بامر اعتصم به قال قل
ربي الله ثم استقم قال فقلت ما اخوف ما تخاف علي فاخذ رسول الله بلسان نفسه فقال
هذا تتنزل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى وقيل البشرى في ثلثة مواطن عند الموت
وفي القبر واذا قاموا من قبورهم ان لا تخافوا ان بمعنى اى او مخففة من الثقيلة واصله بانه
لا تخافوا والهاء ضمير الشان وفي قراءة ابن مسعود لا تخافوا اى يقولون لا تخافوا والخوف
غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم يلحقه لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار والمعنى ان الله
كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وقيل لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم

كما ان

٧٣

كما ان الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة اولياء المتقين واحباؤهم في
الدارين تدعون تتمنون والنزل رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال ممن
دعا الى الله عن ابن عباس رضي الله عنه هو رسول الله صلعم دعا الى الاسلام وعمل صالحا فيما
بينه وبين ربه وجعل الاسلام نحلة له وعنه انهم اصحاب رسول الله وعن عائشة رضي الله
عنها ما كنا نشك ان هذه الاية نزلت في المؤذنين وهي عامة في كل من جمع بين هذه الثلث
ان يكون موحدا معتقدا لدين الاسلام عاملا بالخير داعيا اليه وما هم الا طبقة العالمين العاملين
من اهل العدل والتوحيد الدعاة الى دين الله وقوله وقال انني من المسلمين ليس الغرض
انه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الاسلام مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول ابي حنيفة
تريد مذهبه يعني ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في انفسهما فخذ بالحسنة التي هي احسن
من اختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض اعدائك ومثال
ذلك رجل اساء اليك اساءة فالحسنة ان تعفو عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه
مكان اساءته اليك مثل ان يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه
فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك ثم قال
وما يلقى هذه الخليقة او السجية التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا اهل الصبر والا رجل
خير وفق لحظ عظيم من الخير فان قلت فهلا قيل فادفع بالتي هي احسن قلت
هو على تقدير قائل قال فكيف اصنع فقيل ادفع بالتي هي احسن وقيل لا مزيدة والمعنى ولا
تستوي الحسنة والسيئة فان قلت فكان القياس على هذا التفسير ان يقال ادفع
بالتي هي حسنة قلت اجل ولكن وضع التي هي احسن موضع الحسنة لتكون ابلغ في الدفع
بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما هو دونها وعن ابن عباس بالتي هي احسن

الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان عدوا موذيا لرسول الله فصار وليا مصافيا النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر او لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره وامض على شانك ولا تطعه الضمير في خلقهن لليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث تقول للاقلام بريتها وبريتهن او لما قال ومن اياته كن في معنى الايات فقيل خلقهن فان قلت اين موضع السجدة قلت عند الشافعي رضي الله عنه تعبدون وهي رواية مسروق عن عبد الله لذكر لفظة السجدة قبلها وعند ابي حنيفة رضي الله عنه يسامون لانها تمام المعنى وهي عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فان استكبروا ولم يمتثلوا ما امروا به وابوا الا الواسطة فدعهم وشانهم فان الله تعالى لا يعدم عابدا ولا ساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وقوله عند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وقرئ لا يسامون بكسر الياء الخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله وترى الارض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ اذا اخصبت

وزخرفت

وتزخرفت بالنبات كانها بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الاطمار الرثة وقرئ وربأت اي ارتفعت لان النبت اذا اقترب ان يظهر ارتفعت له الارض يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير للانحراف في تاويل ايات القران عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ يلحدون ويلحدون على اللغتين وقوله لا يخفون علينا وعيد لهم على التحريف فان قلت بم اتصل قوله ان الذين كفروا بالذكر قلت هو بدل من قوله ان الذين يلحدون في اياتنا والذكر القران لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تاويله وانه لكتاب عزيز اي منيع محمي بحماية الله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مثل كان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به فان قلت اما طعن فيه الطاعنون وتاوله المبطلون قلت ولكن الله قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل به بان قيض قوما عارضوهم بابطال تاويلهم وافساد اقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن الا ممحوا ولا قول مبطل الا مضمحلا ونحوه قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ما يقال لك اي ما يقول لك كفار قومك الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات الموذية والمطاعن في الكتب المنزلة ان ربك لذو مغفرة ورحمة لانبيائه وذو عقاب لاعدائهم ويجوز ان يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم فمن حقه ان يرجوه اهل طاعته ويخافه اهل معصيته والغرض تخويف العصاة كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القران بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا لولا فصلت اياته اي بينت ولخصت بلسان نفقهه أأعجمي وعربي الهمزة همزة الانكار يعني لانكروا وقالوا اقران اعجمي ورسول عربي او مرسل اليه عربي وقرئ

أعجمي والعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من أي جنس كان والعجمي منسوب الى امة العجم وفي قراءة الحسن اعجمي بغير همزة الاستفهام على الاخبار بان القرآن اعجمي والمرسل او المرسل اليه عربي والمعنى ان آيات الله على اي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لانهم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم ويجوز في قراءة الحسن هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب **فان قلت** كيف يصح ان يراد بالعربي المرسل اليهم وهم امة العرب **قلت** هو على ما يجب ان يقع في انكار المنكر لو رأى كتابا عجميا كتب الى قوم من العرب يقول أكتاب اعجمي ومكتوب اليه عربي وذلك لان مبنى الانكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب اليه لا على ان المكتوب اليه واحد او جماعة فوجب ان يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا آخر الا تراك تقول وقد رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وانوثته انما وقع في غرض وراءهما هو اي القرآن هدى وشفاء اي ارشاد الى الحق وشفاء لما في الصدور من الظن والشك **فان قلت** والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله به **قلت** لا يخلو اما ان يكون الذين لا يؤمنون في موضع الجر معطوفا على قوله للذين آمنوا على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر الا ان فيه عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه واما ان يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف المبتدا او في آذانهم منه وقر وقرئ وهو عليهم عم وعمي كقوله فعميت عليكم ينادون من مكان بعيد يعني انهم لا يقبلونه ولا يرعونه اسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء فاختلف فيه فقال بعضهم

٧٥

80

وقال بعضهم هو باطل والكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا قال الله تعالى بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فلنفسه فنفسه نفع فعلها فنفسه ضر وما ربك بظلام للعبيد فيعذب غير المسيء اليه يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها قيل الله يعلم او لا يعلمها الا الله وقرئ من ثمرات من اكمامهن والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة اي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد ايام الحمل وساعاته واحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك اين شركائي اضافهم اليه على زعمهم وبيانه في قوله اين شركائي الذين كنتم تزعمون وفيه تهكم وتقريع آذناك اعلمناك ما منا من شهيد اي ما منا احد اليوم وقد ابصرنا وسمعنا يشهد بانهم شركاؤك اي ما منا الا من هو موحد لك او ما منا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء اي ما منا من شهيد يشهد بما اضافوا الينا من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير انهم لا ينفعونهم فكانهم ضلوا عنهم وظنوا وايقنوا والمحيص المهرب **فان قلت** آذناك اخبار بايذان كان منهم فاذا قد آذنوا فلم سئلوا **قلت** يجوز ان يعاد عليهم اين شركائي اعادة للتوبيخ واعادته في القرآن على سبيل الحكاية دليل على اعادة المحكي ويجوز ان يكون المعنى انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه ويجوز ان يكون انشاء للايذان ولا يكون اخبارا بايذان قد كان كما تقول اعلم الملك انه كان من الامر كيت وكيت من دعاء الخير من طلب السعة في المال والنعمة وقرأ ابن مسعود من دعاء بالخير وان مسه الشر اي الضيقة والفقر فيؤس قنوط بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط

ان يظهر عليه اثر الياس فيتضاءل وينكسر اى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة
الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون واذا فرجنا عنه بصحة
بعد مرض او سعة بعد ضيق قال هذا لي اى هذا حقي وصل الي لاني استوجبته بما عندي
من خير وفضل واعمال بر وهذا لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا
قالوا لنا هذه ونحو قوله تعالى وما اظن الساعة قائمة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين
بريب وما اظنها تكون فان كانت على طريق التوهم ان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة
والنعمة قايسا امر الآخرة على امر الدنيا وعن بعضهم للكافر امنيتان يقول في الدنيا ولئن
رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ويقول في الآخرة يا ليتني كنت ترابا وقيل نزلت في
الوليد بن المغيرة فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس
ما اعتقدوا فيها انهم يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل
فجعلناه هباء منثورا وذلك انهم كانوا ينفقون اموالهم رئاء وطلبا للافتخار والاستكبار
لا غير وكانوا يحسبون ان ما هم عليه سبب الغنى والصحة وانهم محقوقون بذلك هذا ايضا
ضرب آخر من طغيان الانسان اذا اصابه الله بنعمة ابطرته النعمة وكانه لم يلق بوسا قط
فنسي المنعم واعرض عن شكره ونأى بجانبه اى ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وان مسه الضر
والفقر اقبل على دوام الدعاء واخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء و
دوامه وهو من صفة الاجرام ويستعار له الطول ايضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب وقرئ
وناء بجانبه بامالة الالف وكسر النون للاتباع وناء على القلب كما قالوا راء في رأى قلت
حقق لي معنى قوله ونأى بجانبه قلت فيه وجهان ان يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا
في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله ان مكان الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه قوله

ونفيت عنه مقام الذئب رجيم ونفيت عنه الذئب ومنه ولمن خاف مقام ربه ومنه قول
الكتاب حضرة فلان ومجلسه وكتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكانه
قال ونأى بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت
به الخيلاء وان يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه
وتولى بركنه ارأيتم اخبروني ان كان القرآن من عند الله يعني ان ما انتم عليه من انكار
القرآن وتكذيبه ليس بامر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور
وانما هو قبل النظر واتباع الدليل امر محتمل يجوز ان يكون من عند الله وان لا يكون من عنده
وانتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما انكرتم ان يكون حقا وقد كفرتم به فاخبروني من اضل منكم وانتم ابعدتم
الشوط في مشاقته ومناصبته ولعله حق فاهلكتم انفسكم وقوله ممن هو في شقاق بعيد
موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم يعني ما يسر الله لرسول الله
صلعم وللخلفاء من بعده وانصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي ناحية
العرب خصوصا من الفتوح التي لم تتيسر امثالها لاحد من خلفاء الارض قبلهم ومن الاظهار
على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على اقويائهم واجرائه
على ايديهم امورا خارجة من المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الاسلام في اقطار المعمورة
وبسط دولته في اقاصيها والاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد
اهله وايامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم الا علما من اعلام الله وآية من آياته
يقوى معها اليقين ويزداد بها الايمان ويتبين ان دين الاسلام هو دين الحق الذي لا يحيد
عنه الا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة الا صفة الحق والصدق كما ان
الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وان للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة

نظهر ثم تضمحل بربك في موضع الرفع على انه فاعل كفى وانه على كل شيء شهيد بدل منه تقديره
اولم يكفهم ان ربك على كل شيء شهيد ومعناه ان هذا الموعود من اظهار ايات الله
في الافاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القران تنزيل عالم
الغيب الذي هو على كل شيء شهيد اي مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم
ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه
هذه النصرة وقرئ في مرية بالضم وهي الشك محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها
وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم عن
رسول الله صلعم من قرا سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهي ثلث وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم قرا ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما حم سق
كذلك يوحى اليك اي مثل ذلك الوحي او مثل ذلك الكتاب يوحى اليك والى الرسل
من قبلك الله يعني ان ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد اوحى الله اليك مثله في
غيرها من السور واوحاه من قبلك الى رسله على معنى ان الله تعالى كرر هذه المعاني في
جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده من الاولين و
الاخرين ولم يقل اوحى اليك ولكن على لفظ المضارع ليدل على ان ايحاء مثله عادته
وقرئ يوحى اليك على البناء للمفعول فان قلت فما رافع اسم الله على هذه القراءة قلت
ما دل عليه يوحى كان قائلا قال من الموحي فقيل الله كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير من
المشركين قتل اولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركاؤهم على معنى زينه لهم شركاؤهم

فان قلت

فان قلت فما رافعه فيمن قرا نوحي بالنون قلت يرتفع بالابتداء والعزيز وما بعده اخبار
او العزيز الحكيم صفتان والظرف خبر قرئ يكاد بالتاء والياء ويتفطرن وينفطرن وروى
عن ابي عمرو وقراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روي في نوادر
ابن الاعرابي الابل تتشممن ومعناه يكدن يتفطرن من علو شان الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد
العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن منه فان قلت لم
قال من فوقهن قلت لان اعظم الايات وادلها على الجلال والعظمة فوق السموات و
هي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم
كنهه الا الله من اثار ملكوته العظمى فلذلك قال يتفطرن من فوقهن اي يبتدئ الانفطار من
جهتهن الفوقانية او لان كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس ان
يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التي منها جاءت الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت
مؤثرة في جهة الفوق كانه قيل يكدن يتفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي
تحتهن ونظيره في المبالغة قوله عز وعلا يصب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم
والجلود فجعل الحميم مؤثرا في اجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الارضين فان قلت
كيف صح ان يستغفروا لمن في الارض وفيهم الكفار اعداء الله وقد قال الله تعالى اولئك عليهم
لعنة الله والملائكة فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم قلت قوله لمن في الارض
يدل على جنس اهل الارض وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز ان يراد به هذا
وهذا وقد دل الدليل على ان الملائكة لا تستغفر الا لاولياء الله وهم المؤمنون فما اراد الله
الا اياهم الا ترى الى قوله في سورة المؤمن ويستغفرون للذين امنوا وحكايته عنهم فاغفر للذين
تابوا واتبعوا سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذ

لم يتوبوا من المصدقين طمعاً في استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار
طلب الحلم والغفران في قوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى ان قال
انه كان حليماً غفوراً وقوله ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم
وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاماً فان قلت قد فسرت قوله تكاد السموات
يتفطرن بتفسيرين فما وجه طباق ما بعده لهما قلت اما على احدهما فكانه قيل تكاد
السموات يتفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه والملائكة الذين هم ملء السبع
الطباق وحافون حول العرش صفوفا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته و صفوف م
تسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن في الارض خوفا عليهم من سطواته واما على الثاني فكانه
قيل يكدن يتفطرن من اقدام اهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله
وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التي يضيفها اليه الجاهلون به حامدين له على ما اولاهم
من الطافه التي انهم عندها يستعصمون مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمؤمني اهل على م
الارض الذين تبرؤوا من تلك الكلمة ومن اهلها او يطلبون الى ربهم ان يحلم عن اهل الارض
ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا في ذلك من المصالح وحرصا على
نجاة الخلق وطمعا في توبة الكفار والفساق منهم والذين اتخذوا من دونه اولياء جعلوا له
شركاء واندادا الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم
ومعاقبهم لا رقيب عليهم الا هو وحده وما انت يا محمد بموكل بهم ولا مفوض اليك امرهم ولا قسرهم
على الايمان انما انت منذر فحسب ومثل ذلك اوحينا اليك وذلك اشارة الى معنى الآية
قبلها من ان الله هو الرقيب عليهم وما انت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لان هذا المعنى كرره
الله تعالى في كتابه في مواضع جمة والكاف مفعول به لاوحينا قرآنا عربيا حال من المفعول

به اي اوحينا اليك وهو قرآن عربي بين لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز
حد الانذار ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى مصدر اوحينا اي ومثل ذلك الايحاء البين
المفهم اوحينا اليك قرآنا عربيا بلسانك لتنذر يقال انذرته كذا وانذرته بكذا وقد
عدي الاول اعني لتنذر ام القرى الى المفعول الاول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع الى
المفعول الثاني ام القرى ام اهل ام القرى كقوله واسأل القرية ومن حولها من العرب و
بيوم الجمع م قرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن يوم القيامة لان الخلائق تجمع فيه قال الله تعالى
يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الارواح والاجساد وقيل يجمع بين كل عامل وعمله ولا ريب
فيه اعتراض لا محل له فريق وفريق بالرفع والنصب فالرفع على منهم فريق ومنهم فريق
والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم اي متفرقين كقوله تعالى
يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فان قلت كيف يكونون مجموعين متفرقين في حالة
كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين وان اريد بالجمع م واحدة قلت هم مجموعون في ذلك اليوم مع افتراقهم في داري البؤس والنعيم بالجمع جمعهم
في الموقف فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق لجعلهم امة واحدة اي مؤمنين كلهم على
القسر والاكراه كقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض
كلهم جميعا والدليل على ان المعنى هو الالجاء الى الايمان قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين وقوله افانت تكره بادخال همزة الانكار على المكره دون فعله دليل على ان الله
وحده هو القادر على هذا الاكراه دون غيره والمعنى ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم جميعا
على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته
وهم المرادون بمن يشاء الا ترى الى وضعهم في مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولي ولا
نصير في عذابه معنى الهمزة في ام الانكار فالله هو الولي هو الذي يجب ان يتولى وحده ويعتقد

انه المولى والسيد والفاء في قوله فالله هو الولي جواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل
كل ولي سواه ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه وهو يحيي الموتى اي
ومن شان هذا الولي انه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا
دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء حكاية قول رسول الله للمؤمنين اي ما خالفكم
فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين فاختلفتم انتم وهم فيه من امر من امور الدين فحكم ذلك
المختلف فيه مفوض الى الله وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين ذلكم الحاكم
بينكم هو الله ربي عليه توكلت في رد كيد اعداء الدين واليه ارجع في كفاية شرهم وقيل وما
اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله ولا تؤثروا على حكومته
غيره كقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل آية
واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله وقيل وما
وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم
كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي فان قلت هل يجوز
حمله على اختلاف المجتهدين في احكام الشريعة قلت لا لان الاجتهاد
لا يجوز بحضرة الرسول فاطر السموات قرئ بالرفع والجر فالرفع على انه احد اخبار ذلكم او
خبر مبتدا محذوف والجر على فحكمه الى الله فاطر السموات وذلكم الى انيب اعتراض بين
الصفة والموصوف جعل لكم خلق لكم من انفسكم من جنسكم من الناس ازواجا ومن الانعام
ازواجا اي وخلق من الانعام ازواجا ومعناه وخلق للانعام ايضا من انفسها ازواجا
يذرؤكم يكثركم يقال ذرا الله الخلق بثهم وكثرهم والذر والذرء والذرو اخوات فيه في هذا التدبير
وهو ان جعل والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير في

الروح

والذرء

للناس

يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي من
الاحكام ذات العلتين فان قلت ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به
قلت جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير الا تراك تقول للحيوان في
خلق الازواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حياة قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن
مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا
نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على اخص اوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب
لا تخفر الذمم كان ابلغ من قولك انت لا تخفر ومنه قولهم قد ايفعت لداته و
بلغت اترابه يريدون ايفاعه وبلوغه وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب
الا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد الى طهارته وطيبه فاذا علم انه من باب الكناية
لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء الا ما تعطيه الكناية من فائدتها و
كانهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله تعالى
بل يداه مبسوطتان فان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت
عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا آخر حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل
هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك ان تزعم ان كلمة التشبيه كررت للتاكيد كما كررها
من قال وصاليات ككما يؤثفين ومن قال فاصبحت مثل كعصف ماكول وقرئ ويقدر
انه بكل شيء عليم فاذا علم ان الغنى خير للعبد اغناه والا افقره شرع لكم من الدين د بر نوح
ومحمد ومن بينهما من الانبياء ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه
بقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد اقامة دين الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته
والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد الشرائع التي هي

مصالح للامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا ومحل ان اقيموا اما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه واما رفع على
الاستيناف كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين ونحوه قوله تعالى ان هذه
امتكم امة واحدة كبر على المشركين عظم عليهم وشق ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله والتوحيد
يجتبي اليه يجتلب ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد من يشاء من ينفع فيهم توفيقه ويجري
عليهم لطفه وما تفرقوا يعني اهل الكتاب بعد انبيائهم الا من بعد ان علموا ان الفرقة ضلال
وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء ولولا كلمة سبقت من ربك وهي عدة التأخير
الى يوم القيامة لقضي بينهم حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم
وهم اهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله لفي شك من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان وقيل
كان الناس امة واحدة مؤمنين بعد ان اهلك الله اهل الارض اجمعين بالطوفان فلما مات
الاباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله اليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم
العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم وقيل وما تفرق اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث
رسول الله كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وان الذين
اورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون اورثوا القرآن من بعد ما اورث اهل الكتاب التورية
والانجيل وقرئ ورثوا وورثوا فلذلك فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب
الكفر شعبا فادع الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القديمة واستقم عليها وعلى
الدعوة اليها كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة بما انزل الله من كتاب باي كتاب
صح ان الله تعالى انزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض
وكفروا ببعض كقوله نؤمن ببعض الى قوله اولئك هم الكافرون حقا لاعدل بينكم في الحكم اذا

ويكفر ببعض

تخاصمتم

تحاكمتم الى لا حجة بيننا وبينكم اي لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة
الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته الله يجمع
بيننا يوم القيامة فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة
والالزام فان قلت كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب
البيوت وقطع النخيل والاجلاء قلت المراد محاجزتهم في مواقف المقاولة لا المقاتلة
يحاجون في الله يخاصمون في دينه من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الاسلام ليردوهم
الى دين الجاهلية كقوله ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود
والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق
وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر واظهر دين الاسلام داحضة
باطلة والله انزل الكتاب اي جنس الكتاب والميزان والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل
انه انزله في كتبه المنزلة وقيل الذي يوزن به بالحق ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل
او بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة او بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك الساعة
في تأويل البعث فلذلك قيل قريب او لعل مجيء الساعة قريب فان قلت كيف يوفق
ذكر اقتراب الساعة مع انزال الكتاب والميزان قلت لان الساعة يوم الحساب
ووضع الموازين بالقسط فكانه قيل امركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل ان يفجأكم اليوم
الذي يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم ويوفي لمن اوفى ويطفف لمن طفف المماراة الملاحة لان
كل واحد منهما يمري ما عند صاحبه لفي ضلال بعيد من الحق لان قيام الساعة غير
مستبعد من قدرة الله ولدلالة الكتاب المعجز على انها آتية لا ريب فيها ولشهادة العقول
على انه لا بد من دار الجزاء لطيف بعباده بر بليغ البر بهم قد توصل بره الى جميعهم وتوصل ان

كل واحد منهم الى حيث لا يبلغه وهم احد من كلياته وجزئياته فان قلت فما معنى قوله يرزق
من يشاء بعد توصل بره الى جميعهم قلت كلهم مبرورون لا يخلو واحد من بره الا ان
البر اصناف وله اوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير
فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لآخر ويصيب هذا حظ له وصف ليس
ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له منهم ما لم يقسم للآخر فقد رزقه وهو الذي اراد
بقوله يرزق من يشاء كما يرزق احد الاخوين ولدا دون الآخر على انه اصابه بنعمة اخرى
لم يرزقها صاحب الولد وهو القوي الباهر القدرة الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي
لا يغلب سمى ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة والزكاء حرثا على المجاز وفرق بين عملي العاملين
بان من عمل للآخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا اعطي شيئا منها
لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه وما له نصيب قط في الآخرة ولم يذكر في
معنى عامل الآخرة وله في الدنيا نصيب على ان رزقه المقسوم له واصل اليه لا محالة للاستهانة
بذلك الى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب معنى الهمزة في ام التقرير
والتقريع وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون
غيرها وهو الدين الذي شرعه لهم الشياطين وتعالى الله عن الاذن فيه والامر به وقيل شركاؤهم اوثانهم
وانما اضيفت اليهم لانهم متخذوها شركاء لله فتارة تضاف اليهم لهذه الملابسة وتارة الى الله و
لما كانت سببا لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال ابراهيم عليه السلام انهن
اضللن كثيرا من الناس ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتأجيل الجزاء او ولولا العدة بان الفصل
اي القضاء يكون يوم القيامة لقضي بينهم اي بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم
وقرا مسلم بن جندب وان الظالمين بالفتح عطفا له على كلمة الفصل يعني لولا كلمة الفصل

وتقدير

وتقدير تعذيب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا ترى الظالمين في الآخرة مشفقين
خائفين خوفا شديدا ارق قلوبهم مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم يريد ووباله واقع
بهم وواصل اليهم لا بد لهم منه اشفقوا او لم يشفقوا كان روضة جنة المؤمن اطيب بقعة
فيها وانزهها عند ربهم منصوب بالظرف لا بيشاؤن قرئ يبشر من بشره ويبشر من ابشر
ويبشر من بشره والاصل ذلك الثواب الذي يبشر الله به عباده فحذف الجار كقوله واختار
موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول كقوله اهذا الذي بعث الله رسولا او ذلك التبشير
الذي يبشره الله عباده وروي انه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون
محمدا يسأل على ما يتعاطاه اجرا فنزلت الآية الا المودة في القربى يجوز ان يكون استثناء
متصلا اي لا اسألكم اجرا الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتي ولم يكن هذا اجرا في الحقيقة لان
قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة ويجوز ان يكون منقطعا اي لا اسألكم اجرا
قط ولكني اسألكم ان تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم فان قلت هلا قيل الا
مودة القربى او الا المودة للقربى وما معنى قوله الا المودة في القربى قلت جعلوا مكانا
للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريد احبهم وهم
مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هي متعلقة
بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة
فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في اهل القربى وروي انها لما
نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما
ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه شكوت الى رسول الله صلعم حسد الناس لي فقال
اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول من يدخل الجنة انا وانت والحسن والحسين وازواجنا عن

اما بنا وشمايلنا وذريتنا خلف ازواجنا وعن النبي صلعم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي
وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا
اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيامة وروي ان الانصار قالوا فعلنا وفعلنا كانهم افتخروا
فقال عباس او ابن عباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله فاتاهم في مجالسهم فقال يا معشر
الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال الم تكونوا ضلالا فهداكم الله
بي قالوا بلى يا رسول الله قال افلا تجيبونني قالوا ما نقول يا رسول الله قال الا تقولون الم يخرجك
قومك فآويناك اولم يكذبوك فصدقناك اولم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا
على الركب وقالوا اموالنا وما في ايدينا لرسول الله فنزلت الآية وقال رسول الله صلعم من
مات على حب آل محمد مات شهيدا الا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له الا ومن
مات على حب آل محمد مات تائبا الا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل
الايمان الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات
على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها الا ومن مات على حب آل محمد
فتح له في قبره بابان الى الجنة الا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة
الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم
القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا الا ومن
مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله
وبينهم قرابة فلما كذبوه وابوا ان يبايعوه نزلت والمعنى الا ان تودوني في القربى اي في حق
القربى ومن اجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعنى في حقه ومن اجله يعني انكم قومي
واحق من اجابني واطاعني فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا

٨٢

علي وقيل ان الانصار اتوا رسول الله صلعم بمال جمعوه وقالوا يا رسول الله قد هدانا الله بك وانت
ابن اختنا وتعروك نوائب وحقوق وما لك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت وردّه وقيل
القربى التقرب الى الله اي الا ان تحبوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح
وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة عن السدي انها المودة في آل رسول الله
نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في اي حسنة كانت الا
انها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القربى دل ذلك على انها تناولت المودة تناولا اوليا
وكأن سائر الحسنات لها توابع وقرئ يزد اي يزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها
كقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهو مصدر
كالبشرى الشكور في صفة الله عز وجل مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على
المثاب ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل اتمالكون ان ينسبوا مثله الى الافتراء
ثم الى الافتراء على الله الذي هو اعظم الفرى وافحشها فان يشاء الله يختم على قلبك فان
يشاء الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذب فانه لا يجترئ على
افتراء الكذب على الله الا من كان في مثل حالهم وهذا الاسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من
مثله وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا ان
يخون بعض الامناء فيقول لعل الله خذلني لعل الله اعمى قلبي وهو لا يريد اثبات الخذلان
وعمى القلب وانما يريد استبعاد ان يخون مثله والتنبيه على انه ركب من تخوينه امر عظيم
ثم قال ومن عادة الله ان يمحو الباطل ويثبت الحق بكلماته بوحيه او بقضائه كقوله بل نقذف
بالحق على الباطل فيدمغه يعني لو كان مفتريا كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف
بالحق على باطله فدمغه ويجوز ان يكون عدة لرسول الله صلعم بانه يمحو الباطل الذي هم عليه من

البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي انت عليه بالقرآن وبقضائه الذي لا مردّ له من نصرتك
عليهم ان الله عليم بما في صدرك وصدورهم فيجري الامر على حسب ذلك وعن قتادة يختم
على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك
وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم **فان قلت** ان كان قوله
ويمح الله الباطل كلاما مبتدأ غير معطوف على يختم فما بال الواو ساقطة في الخط **قلت**
كما سقطت في قوله ويدع الانسان بالشر وقوله سندع الزبانية على انها مثبتة في بعض
المصاحف يقال قبلت منه الشيء وقبلته عنه فمعنى قبلته منه اخذته منه وجعلته مبدأ
قبولي ومنشاءه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال
بالواجب بالندم عليهما والعزم على ان لا يعاود لان المرجوع عنه قبيح واخلال بالواجب
وان كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التفصي على طريقه وروى جابر ان اعرابيا دخل مسجد
رسول الله صلعم وقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له
علي عليه السلم يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج الى التوبة
فقال يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة
ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية و
اذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو
عن السيئات عن الكبائر اذا تيب عنها وعن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر ويعلم ما تفعلون قرئ
بالياء والتاء اي يعلمه فيثيب على حسناته ويعاقب على سيئاته ويستجيب الذين آمنوا اي يستجيب
لهم فحذف اللام كما حذف في قوله واذا كالوهم اي يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم على الثواب تفضلا
واذا دعوه استجاب دعاءهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم وقيل الاستجابة فعلهم اي

يستجيبون له بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم هو من فضله على ثوابهم وعن سعيد بن جبير هذا
من فعلهم يجيبونه اذا دعاهم وعن ابرهيم بن ادهم رحمه الله انه قيل له ما بالنا ندعوا فلا نجاب
قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعوا الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا لبغوا من
البغي وهو الظلم اي لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة
ومنه قوله عليه السلم اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب وقد جعل الوسمي
ينبت بيننا وبين بني رومان نبعا وشوحطا يعني انهم احيوا فحدثوا انفسهم بالبغي والتغابن او
من البغي وهو البذخ والكبر اي لتكبروا في الارض وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد
وقيل نزلت في قوم من اهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى قال خباب بن الارت فينا نزلت
وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها بقدر بقدر يقال
قدره قدرا وقدرا لخبير بصير يعرف ما يؤول اليه احوالهم فيقدر لهم ما هو اصلح لهم واقرب الى
جمع شملهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط كما توجبه الحكمة الربانية ولو اغناهم
جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا **فان قلت** قد نرى الناس يبغي بعضهم على بعض ومنهم مبسوط
لهم ومنهم مقبوض عنهم فان كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم وان كان المقبوض عنهم
يبغون فقد يكون البغي بدون البسط فلم شرطه **قلت** لا شبهة في ان البغي مع الفقر
اقل ومع البسط اكثر وابلغ وكلاهما سبب ظاهر للاقدام على البغي والاحجام عنه فلو عم البسط
لغلب البغي حتى ينقلب الامر الى عكس ما عليه الآن قرئ قنطوا بفتح النون وكسرها وينشر
رحمته اي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له اشتد
القحط وقنط الناس فقال مطروا اذا اراد هذه الآية ويجوز ان يريد رحمته في كل شيء كانه قال
ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر غيرها من رحمته الواسعة الولي الذي يتولى عباده باحسانه

المحمود على ذلك لحمد اهل طاعته وما يشبه يجوز ان يكون مجرورا ومرفوعا بحمل على المضاف
اليه او المضاف قال قلت لم جاز فيهما من دابة والدواب في الارض وحدها قلت
يجوز ان ينسب الشي الى الجميع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد
او شجاع بطل وانما هو في فخذ من افخاذهم او فصيلة من فصايلهم وبنو فلان فعلوا كذا وانما فعله
نويس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان وانما يخرج من الملح ويجوز ان يكون
للملايكة عليهم السلم مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الاناسي ولا يبعد
ان يخلق في السموات حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي سبحان الذي خلق ما نعلم وما لا نعلم
من اصناف الخلق اذا يدخل على المضارع كما يدخل على الماضي قال الله تعالى والليل اذا يغشى
ومنه اذا يشا وقال الشاعر واذا ما اشاء ابعث منها آخر الليل ناشطا مذعورا في مصاحف
اهل العراق فبما كسبت باثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط وفي مصاحف اهل المدينه
بما كسبت بغير فاء على ان ما مبتداء وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى الشرط والاية
مخصوصه بالمجرمين ولا يمتنع ان يستوفي الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض فاما من لا جرم
له كالانبيا والاطفال والمجانين فهولاء اذا اصابهم شي من الم او غيره فللعوض الموفي والمصلحة
وعن النبي صلعم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفو الله عنه
اكثر وعن بعضهم من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصايب باكتسابه وان ما عفا عنه
مولاه اكثر كان قليل النظر في احسان ربه اليه وعن اخر العبد ملازم للجنايات في كل اوان
وجناياته في طاعته اكثر من جناياته من معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة
من وجوه والله يطهر من جناياته بانواع من المصايب ليخفف عنه اثقاله في القيامة ولولا عفوه عبد

والحمة

84

ورحمته لهلك في اول خطوه وعن علي رضي الله عنه وقد رفعه من عفي عنه في الدنيا عفي عنه في
الاخره ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الاخره وعنه رضي الله عنه هذه ارجى آية
للمومنين في القران يجري بن مفاعش ما قضى عليكم من المصايب من ولي من متولي بالرحمة الجواري
السفن وقرى الجوار كالاعلام كالجبال قالت الخنساء كانه علم في راسه نار وقرى الرياح فيظللن
بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل رواكد ثوابت لا تجري على ظهر
على ظهر البحر لكل صبار على بلا الله شكور لنعمايه وهما صفتا المومن المخلص فجعلهما كناية
عنه وهو الذي وكل همته بالنظر في آيات الله عز وجل فهو يستملي منها العبر يوبقهن يهلكهن
والمعنى انه ان يشا يبتلي المسافرين في البحر باحدى بليتين اما ان يسكن الريح فيركد الجواري
على متن البحر ويمنعهن من الجري واما ان يرسل الريح عاصفه فيهلكهن اغراقا بسبب ما كسبوا
من الذنوب ويعفو عن كثير منها قال قلت علام عطف يوبقهن قلت على يسكن
لان المعنى ان يشا يسكن الريح فيركدن او يعصفها فيغرقن بعصفها قال قلت فما معنى
ادخال العفو في حكم الايباق حيث جزم جزمه قلت معناه او ان يشا يهلك ناسا وينج
ناسا على طريق العفو عنهم قال قلت فمن قرا ويعفو قلت قد استانف الكلام قال قلت
فما وجوه القراآت الثلث في ويعلم قلت اما الجزم فعلى ظاهر العطف واما الرفع فعلى
الاستيناف واما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون
ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القران منه قوله تعالى ولنجعله آية للناس و
قوله وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت واما قول الزجاج النصب على
اضمار ان لان قبلها جزاء تقول ما تصنع اصنع مثله واكرمك وان شيت واكرمك على وانا اكرمك
وان شيت واكرمك جزما ففيه نظر لما اورده سيبويه في كتابه قال واعلم ان النصب بالفاء والواو

فى قوله ان يأتنى آتك وأعطيك ضعيف وهو نحو من قوله والحق بالحجاز فأستريحا فهذا يجوز و
ليس بحد الكلام ولا وجهه الا انه فى الجزاء صار اقوى قليلا لانه ليس بواجب انه يفعل الا ان
يكون من الاول فعل فلما ضارع الذى لا يوجبه كالاستفهام ونحوه اجازوا فيه هذا على ضعفه
ولا يجوز ان تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت
من هذا الباب لما اخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظايرها من الايات المشكلة **فان قلت**
فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم **قلت** كانه قال او ان يشأ يجمع بين ثلثة امور هلاك
قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين من محيص من محيد عن عقابه فالاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت
الفاء فى جوابها بخلاف الثانية عن على رضى الله عنه اجتمع لابى بكر مال فتصدق به كله فى
سبيل الله عز وجل والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت والذين يجتنبون عطف
على للذين آمنوا وكذلك ما بعده ومعنى كباير الاثم الكباير من هذا الجنس وقرئ كبير الاثم و
عن ابن عباس كبير الاثم هو الشرك هم يغفرون اى هم الاخصاء بالغفران فى حال الغضب
لا يغول الغضب احلامهم كما يغول حلوم الناس والمجئ بهم وايقاعه مبتدا واسناد يغفرون
اليه لهذه الفايدة ومثله هم ينتصرون والذين استجابوا لربهم نزلت فى الانصار دعاهم الله عز وجل
للايمان به وطاعته فاستجابوا له بان آمنوا به واطاعوه واقاموا الصلوة واتموا الصلوات الخمس
وكانوا قبل الاسلام وقبل مقدم رسول الله صلعم المدينة اذا كان بينهم امر اجتمعوا وتشاوروا
فاثنى الله عليهم اى لا ينفردون برأى حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا
لارشد امرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى قوله وامرهم شورى بينهم اى
ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله صلعم وعمر بن الخطاب الخلافة شورى هو ان ينتصروا
فى الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا يعتدوا وعن النخعى انه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون

ان

٨٥ 90

ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق **فان قلت** اهم محمودون على الانتصار **قلت**
نعم لان من اخذ حقه غير متعد حد الله عز وجل وما امر به فلم يسرف فى القتل ان كان ولى
دم او رده على سفيه محاماة على عرضه او ردعا له فهو مطيع وكل مطيع محمود كلتا الفعلتين
الاولى وجزاؤها سيئة لانها تسوء من تنزل به قال الله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه
من عندك يريد ما يسوءهم من المصايب والبلايا والمعنى انه يجب اذا قوبلت الاساءة ان
تقابل بمثلها من غير زيادة واذا قال اخزاك الله قال اخزاك الله فمن عفا واصلح بينه وبين خصمه
بالعفو والاغضاء كما قال فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم فاجره على الله عدة
مبهمة لا يقاس امرها فى العظم وقوله انه لا يحب الظالمين دلالة على ان الانتصار لا يكاد
يؤمن فيه تجاوز السيئة والاعتداء خصوصا فى حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازى
من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبى صلعم اذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان له اجر
على الله فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا
فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله عز وجل بعد ظلمه من اضافة المصدر الى المفعول وتفسره
قراءة بعد ما ظلم فاولئك اشارة الى معنى من دون لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعاتب من قرأه
والعايب انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدؤنهم بالظلم ويبغون فى الارض
يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون ولمن صبر على الظلم والاذى وغفر ولم ينتصر وفوض امره
الى الله عز وجل ان ذلك منه لمن عزم الامور وحذف الراجع لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن
منوان بدرهم ويحكى ان رجلا سب رجلا فى مجلس الحسن فكان المسبوب يكظم ويعرق
فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الاية فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون وقالوا
العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس الامر فى بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا اليه وذلك

الصح الى الكفر زيادة البغي ووطء مادة الاذى وعن النبي صلعم ما يدل عليه وهو ان زينب اسمعت
عائشة بحضرته وكان ينهاها فلا تنتهي فقال لعائشة دونك فانتصري ومن يضلل الله
ومن يخذل الله فما له من ولي من بعده فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه خاشعين
متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل وقد يعلق من الذل ينظرون ويوقف على خاشعين
من طرف خفي يبتدي نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما يرى المصبور
ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر الى المكاره لا يقدر ان يفتح اجفانه عليها ويملا عينيه
منها كما يفعل في نظره الى المحاب وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم وذلك نظر
من طرف خفي وفيه تعسف يوم القيامة اما ان يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين واقعا
في الدنيا واما ان يتعلق بقال اي يقولون يوم القيمة اذا راوهم على تلك الحالة من الله من صلة
لا مرد اي لا يرده الله بعد ما حكم به او من صلة باتي اي من قبل ان ياتي من الله يوم لا يقدر احد
على رده والنكير الانكار اي ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيئا مما اقترفتموه
ودون في صحايف اعمالكم اراد بالانسان الجمع لا الواحد لقوله وان تصبهم سيئة ولم يرد
الا المجرمين لان اصابة السيئة بما قدمت ايديهم انما تستقيم فيهم والرحمة النعمة من الصحة
والغنى والامن والسيئة البلاء من المرض والفقر والمخاوف والكفور البليغ الكفران ولم يقل
فانه كفور ليسجل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار
ان الانسان لربه لكنود والمعنى انه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة
واصابته بضدها اتبع ذلك ان له الملك وانه يقسم النعمة والبلاء كيف اراد ويهب لعباده
من الاولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم
اخرين فلا يهب لهم ولدا قط فان قلت لم قدم الاناث اولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع

فقدمهم

٨٦

فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث قلت لانه ذكر البلاء في اخر الاية الاولى
وكفران الانسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة
الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر
الاناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الانسان اهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي
كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء واخر الذكور فلما اخرهم لذلك تدارك تاخيرهم وهم احقاء
بالتقديم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير كانه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام
المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتاخير
وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى اخر فقال ذكرانا واناثا كما قال انا
خلقناكم من ذكر وانثى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقيل نزلت في الانبياء عليهم السلام حيث
وهب لشعيب ولوط عليهما السلام اناثا ولابرهيم الذكور ولمحمد عليه السلم ذكورا واناثا و
جعل يحيى وعيسى عقيمين انه عليم بمصالح العباد وقدير على تكوين ما يصلحهم وما كان لبشر وما
صح لاحد من البشر ان يكلمه الله الا على ثلثة اوجه اما على طريق الوحي وهو الالهام والقذف
في القلب او المنام كما اوحى الى ام موسى والى ابرهيم صلوات الله عليه في ذبح ولده وعن مجاهد
اوحى الله عز وجل الزبور الى داود عليه السلم في صدره قال عبيد بن الابرص واوحى الي الله
ان قد امروا بابل الاوفى فقمت على رجل اي الهمني وقذف في قلبي واما على ان يسمعه كلامه
الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه لانه في ذاته غير مرئي وقوله من
وراء حجاب مثل اي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته
ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى صلوات الله عليه ويكلم الملائكة فيوحي الملك اليه كما كلم
الانبياء غير موسى صلوات الله عليه وقيل وحيا كما اوحى الى الرسل بواسطة الملائكة او يرسل رسولا

واما على ان يرسل اليه رسولا من الملا

اى نبيًّا كما كلم امم الانبياء على السنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان
ان يرسل فى معنى ارسالا ومن ورآء حجاب ظرف واقع موقع الحال ايضا كقوله وعلى جنوبهم
والتقدير وما صح ان يكلم احدًا الا موحيًا او مسمعًا من وراء حجاب او مرسلا ويجوز ان يكون
وحيا موضوعًا موضع كلامًا لان الوحى كلام خفى فى سرعة كما تقول لا اكلمه الا جهرًا والا خفاتًا
لان الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك ارسالا جعل الكلام على لسان الرسول صلعم
بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وانما قاله وكيلك او رسولك وقوله او
من وراء حجاب معناه او اسماعًا من وراء حجاب ومن جعل وحيا فى معنى ان يوحى وعطف
يرسل عليه على معنى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا بان يوحى او يرسل فعليه ان يقدر قوله
او من وراء حجاب تقديرًا يطابقهما عليه نحو او ان يسمع من وراء حجاب وقرى او يرسل رسولًا
فيوحى بالرفع على او هو يرسل او بمعنى مرسلا عطفًا على وحيا وروى ان اليهود قالت للنبى
عليه السلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيًّا كما كلمه موسى عليه السلم ونظر اليه فانا لن نؤمن لك
حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى الى الله فنزلت وعن عايشه رضى الله عنهما عنها من زعم
ان محمدًا عليه السلم راى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا ربكم
يقول فتلت هذه الايه انه على عن صفات المخلوقين حكيم يجرى افعاله على موجب الحكمة
فيكلم تارة بواسطة واخرى بغير واسطه اما الهامًا واما خطابًا روحًا من امرنا يريد ما اوحى اليه
لان الخلق يحيون به فى دينهم كما يحيا الجسد بالروح فان قلت قد علم ان رسول الله صلعم
ما كان يدرى ما القران قبل نزوله عليه فما معنى قوله ولا الايمان والانبياء لا يجوز عليهم اذا
عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال ان يخطيهم الايمان بالله وتوحيده ويجب ان يكونوا
معصومين من ارتكاب الكباير ومن الصغاير التى فيها تنفير قبل المبعث فكيف لا يعصمون

الكنز

الكنز قلت الايمان اسم يتناول اشياء بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه
السمع فعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحى الا ترى
انه قد فسر الايمان فى قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم بالصلوه لانها بعض ما يتناوله الايمان
من نشاء من عبادنا من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدى عليه صراط الله بدل وقرى
لتهدى اى يهديك الله وقرى لتدعوا عن رسول الله صلعم من قرا حم عسق كان ممن يصلى عليه
الملايكه ويستغفرون له ويسترحمون له والله تعالى اعلم والحمد لله رب العالمين ۝

سورة الزخرف مكية وقال مقاتل الا قوله وسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا وهى تسع وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله انا جعلناه
قرانا عربيًّا جوابًا للقسم وهو من الايمان الحسنه البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه
وكونهما من واد واحد ونظيره قول ابى تمام وثناياك انها اغريض المبين البين للذين انزل عليهم
لانه بلغتهم واساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذى ابان طرق الهدى من طرق
الضلاله وابان ما تحتاج اليه الامة فى ابواب الديانه جعلناه بمعنى صيرناه معدى الى
المفعولين وبمعنى خلقناه معدى الى واحد كقوله وجعل الظلمات والنور وقرانا عربيًّا حال ولعل
مستعار لمعنى الارادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجى اى خلقناه عربيًّا غير عجمى ارادة ان تعقله علم
العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت اياته وقرى ام الكتاب بالكسر وهى اللوح كقوله بل هو قران
مجيد فى لوح محفوظ سمى بام الكتاب لانه الاصل الذى اثبت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ

غرضه

عن رفع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة اي منزلته عندنا منزلة
كتاب هما صفتاه وهو مثبت في ام الكتاب هكذا افنضرب عنكم الذكر صفحا بمعنى افننحي
عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه
قول الحجاج ولاضربنكم ضرب غرائب الابل وقال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك
بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر
انكارا لان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وخلقه قرانا عربيا ليعقلوه و
يعملوا بموجبه وصفحا على وجهين اما مصدر من صفح عنه اذا اعرض عنه منتصب على انه
مفعول له على معنى افنعزل عنكم انزال القران والزام الحجة اعراضا عنكم واما بمعنى الجانب
من قولهم نظر اليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى افننحيه عنكم جانبا فينتصب على
الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا وتعضده قراءة من قرا صُفحا بالضم وفي هذه
القراءة وجه آخر وهو ان يكون تخفيف صُفُح جمع صَفوح وينتصب على الحال اي صافحين
معرضين ان كنتم اي لان كنتم وقرئ إن كنتم واذ كنتم فان قلت كيف استقام معنى
ان الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت قلت هو من الشرط الذي ذكرت انه يصدر
عن المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي
وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه ان تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في
الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له وما يأتيهم حكاية حال ماضية مستمرة اي كانوا على
ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلعم عن استهزاء قومه الضمير في اشد منهم للقوم المسرفين
لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله يخبره عنهم ومضى مثل الاولين اي سلف في القرآن
في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها ان تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله

٨٨

ووعيد لهم فان قلت قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من الاوصاف عقيبه
ان كان من قولهم فما تصنع بقوله فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون وان كان من قول الله
فما وجهه قلت هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم
الذي من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها الى الذي هذه اوصافه وليسندنه اليه بقدر
بمقدار يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفانا والازواج الاصناف ما تركبون اي ما تركبونه
فان قلت يقال ركبوا الانعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال تركبونه قلت
غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه على ظهوره على ظهور
ما تركبون وهو الفلك والانعام ومعنى ذكر نعمة الله عليهم ان يذكروها في قلوبهم معترفين بها
مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بالسنتهم وهو ما روي عن النبي صلعم انه كان اذا وضع
رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي
سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلثا وهلل ثلثا وقالوا اذا ركب يعني اذا ركب راكب
في السفينة قال بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما
انه راى رجلا ركب دابة فقال سبحان الذي سخر لنا هذا فقال ابهذا امرت فقال بم امرنا
قال ان تذكروا نعمة ربكم كان قد اغفل التحميد فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لاداب الله
ومحافظتهم على دقيقها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم فما احسن
بالعاقل النظر في لطائف الصناعات فكيف بالنظر في لطائف الديانات مقرنين مطيقين
يقال اقرن الشيء اذا اطاقه قال ابن هرمة واقرنت ما حملتني ولقلما يطاق احتمال الصد
يا دعد والهجر وحقيقة اقرنه وجده قرينته وما يقرن به لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف
الا ترى الى قولهم في الضعيف لا يقرن به الصعبة وقرئ مقرنين والمعنى واحد فان قلت

كيف اتصل بذلك قوله وانا الى ربنا لمنقلبون قلت كم من راكب دابة عثرت به او
شمست او تقحمت او طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين في السفينة انكسرت بهم فغرقوا
فلما كان الركوب مباشرة امر مخطر واتصالا بسبب من اسباب التلف كان من حق
الراكب وقد اتصل بسبب من اسباب التلف ان لا ينسى عند اتصاله به يومه وانه هالك
لا محالة فمنقلب الى الله غير منفلت للقاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من ان يكون ركوبه
ذلك من اسباب موته في علم الله وهو غافل عنه ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه
تعالوا نتنزه على الخيل او في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع انفسهم اواني الخمر والمعازف
فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب او في بطون السفن وهي تجري
بهم لا يذكرون الا الشيطان ولا يمتثلون الا اوامره وقد بلغني ان بعض السلاطين ركب
وهو يشرب من بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح الا بعد ما اطمأنت به الدار فلم يشعر
بمسيره ولا احس به فكم بين فعل اولئك الراكبين وبين ما امر الله به في هذه الاية وقيل يذكرون
عند الركوب ركوب الجنازة وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم اي ولئن سألتهم
عن خالق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءا فوصفوه
بصفات المخلوقين ومعنى من عباده جزءا ان قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له وبعضا
منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا له ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعاء
ان الجزء في لغة العرب اسم للاناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم
ذلك حتى اشتقوا منه اجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا ان اجزأت حرة يوما فلا عجب
زوجتها من بنات الاوس مجزئة وقرئ جزؤا بضمتين لكفور مبين لجحود للنعمة ظاهر جحوده
لان نسبة الولد اليه كفر والكفر اصل الكفران كله ام اتخذ بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا

لهم وتعجيبا من شأنهم حيث لم يرضوا بان جعلوا لله من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك الجزء شر
الجزئين وهو الاناث دون الذكور على انهم انفر خلق الله عن الاناث وامقتهم لهن ولقد
بلغ بهم المقت الى ان وأدوهن كانه قيل هبوا ان اضافة اتخاذ الولد اليه جائزة فرضا و
تمثيلا اما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم انه آثركم على نفسه بخير الجزئين
واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما
ذكرت في قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس
الذي جعله له مثلا اي شبها لانه اذا جعل الملائكة جزءا لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه
ومماثلا له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد يعني انهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم
ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتاسفا وهو مملوء
من الكرب وعن بعض العرب ان امرأته وضعت انثى فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت
المرأة ما لابي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا غضبان ان لا نلد البنينا ليس لنا
من امرنا ما شئنا وانما نأخذ ما اعطينا والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل اكثر الافعال الناقصة
بمعناها وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة واقعة موقع
الخبر ثم قال او يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو انه ينشأ
اي يتربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين
ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحتج به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن
عن فطرة الرجال يقال قلما تكلمت امرأة فارادت ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها
وفيه انه جعل النشء في الزينة والنعومة من المعايب والمذام وانه من صفة ربات الحجال
فعلى الرجل ان يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه

اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا وان اراد ان يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى
وقرى ينشا وينشا ويناشا ونظير المناشاه بمعنى الانشا المغالاة بمعنى الاغلا قد جمعوا
في كفرة ثلث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه اخس النوعين وجعلوه
من الملائكة الذين هم اكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم واحتقروهم وقرى عباد الرحمن
وعبيد الرحمن وعند الرحمن وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم واناثا وانثا جمع الجمع ومعنى
جعلوا سموا وقالوا انهم اناث وقرى اشهدوا واشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآشهدوا
بالف بينهما وهذا تهكم بهم بمعنى انهم يقولون ذلك من غير ان يستند قولهم الى
علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا احاطوا به عن خبر
يوجب العلم فلم يبق الا ان يشاهدوا خلقهم فاخبروا عن المشاهدة ستكتب شهادتهم التى
شهدوا بها على الملائكة من انوثتهم ويسالون وهذا وعيد وقرى سيكتب وسنكتب بالياء والنون
وشهاداتهم ويساءلون على يفاعلون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم هما
كفرتان ايضا مضمومتان الى الكفرات الثلث وهما عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم
ان عبادتهم بمشية الله كما يقول اخوانهم المجبرة **فان قلت** ما انكرت على من يقول قالوا
ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مومنين **قلت** لا دليل على انهم
قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل على ان الله تعالى قد حكى عنهم على سبيل الذم
والشهادة بالكفر انهم جعلوا له من عباده جزءا وانه اتخذ بنات واصفاهم بالبنين وانهم
جعلوا الملائكة المكرمين اناثا وانهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين
بها على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكي الذي هو ايمان عنده لو جدوا
في النطق به مدحا لهم من قبل انها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء فبقي ان يكونوا جادين

[illegible]

٨٠

كلها حكي انها كلمات كفر فان قالوا نجعل هذا الاخير وحده مقولا على وجه الهزء دون ما قبله
فما بهم الا تعويج كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبهم
الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزؤا لم يكن لقوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم
الا يخرصون معنى لان من قال لا اله الا الله على طريق الهزء كان الواجب ان ينكر عليه استهزاؤه
ولا يكذب لانه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان او هازئا **فان قلت** ما قولك
فيمن يفسر ما لهم بقولهم ان الملائكة بنات الله من علم ان هم الا يخرصون في ذلك القول لا
في تعليق عبادتهم بمشية الله **قلت** تمحل مبطل وتحريف مكابر ونحوه قوله تعالى سيقول
الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم الضمير
في من قبله للقران او الرسول والمعنى انهم الصقوا عبادة غير الله بمشية الله قولا قالوه غير
مستند الى علم ثم قال ام اتيناهم كتابا قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح الينا
فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به بل لا حجة لهم يستمسكون
بها الا قولهم انا وجدنا اباءنا على امة على دين وقرى على امة بالكسر وكلتاهما من الام وهو القصد
فالامة الطريقة التي تؤم اي تقصد كالرحلة للمرحول اليه والامة الحالة التي يكون عليها الام
وهو القاصد وقيل على نعمة وحالة حسنة على اثارهم مهتدون خبران او الظرف صلة
لمهتدون مترفوها الذين اترفتهم النعمة اي ابطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي و
يعافون مشاق الدين وتكاليفه قرى قل وقال وجئتكم وجئناكم يعني اتتبعون اباءكم ولو جئتكم
بدين اهدى من دين ابائكم قالوا انا ثابتون على دين ابائنا لا ننفك عنه وان جئتنا بما هو
اهدى واهدى قرى براء بفتح الباء وضمها وبري فبري وبراء نحو كريم وكرام وبراء مصدر
كظماء ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمونث يقال نحن البراء منك

ولك الا منك الذى فطرنى فيه غير وجه ان يكون منصوبا على انه استثناء منقطع كانه قال
لكن الذى فطرنى فانه سيهدين وان يكون مجرورا بدلا من المجرور بمن كانه قال اننى براء
مما تعبدون الا من الذى فطرنى **فان قلت** كيف تجعله بدلا وليس من جنس ما يعبدون
من وجهين احدهما ان ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون
والثانى ان الله تعالى غير معبود بينهم والاوثان معبودة **قلت** كانوا يعبدون الله مع
اوثانهم وان تكون الا صفة بمعنى غير على ان ما فى ما تعبدون موصوفة تقديره اننى براء من
الهة تعبدونها غير الذى فطرنى فهو نظير قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا **فان قلت**
ما معنى قوله سيهدين على التسويف **قلت** قال مرة فهو يهدين ومرة فانه سيهدين
فاجمع بينهما وقدر كانه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية فى الحال والاستقبال
وجعلها وجعل ابرهيم عليه السلم كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى قوله اننى براء مما تعبدون الا
الذى فطرنى كلمة باقية فى عقبه فى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعوا الى توحيده لعل
من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم ونحوه ووصى بها ابرهيم بنيه وقيل وجعلها الله
وقرى كلمة على التخفيف وفى عقبه كذلك اى فى عقبه اى خلفه بل متعت هؤلاء يعنى
اهل مكة وهم من عقب ابرهيم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع
الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول
مبين الرسالة واضحها بما معه من الايات البينة فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا
ولم يوجد منهم ما رجاه ابرهيم وقرى بل متعنا **فان قلت** فما وجه من قراء متعت بفتح التاء
قلت كان الله تعالى اعترض على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم
يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة فى الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد

بل متعتهم

واراد

91

واراد بذلك الاطناب فى تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم ان يجعلوا ذلك
سببا فى زيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا
فمثاله ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب فى ذلك بمعروفك
واحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسىء لا تقبيح فعله **فان قلت** قد جعل مجىء الحق
والرسول غاية التمتيع ثم اردفه قوله ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر فما طريقة هذا النظم ومؤداه
قلت المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال
عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية انهم تنبهوا
عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه ثم ابتدا قصتهم عند مجىء الحق فقال ولما جاءهم جاؤا
بما هو شر من غفلتهم التى كانوا عليها وهو ان ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول
ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والاصرار على افعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله
فى تخير محمد من اهل زمانه بقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم و
هى الغاية فى تسوية صورة امرهم وقرى على رجل بسكون الجيم من القريتين من احدى القريتين
كقوله يخرج منهما اللؤلؤ اى من احدهما والقريتان مكة والطايف وقيل من رجلى القريتين
وهما الوليد بن المغيرة المخزومى وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفى عن ابن عباس وعن مجاهد
عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد يا ليل وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفى
وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا القرآن على او على ابى مسعود الثقفى
وابو مسعود كنية عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون ان يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير
الله الحجج ان الرسل لم يكونوا الا رجالا من اهل القرى جاؤا بالانكار من وجه اخر وهو تحكمهم
ان يكون احد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة وارادوا بعظم الرجل رياسته

وتلبثه في الدنيا وعزب عن عقولهم ان العظيم من كان عند الله عظيما اهم يقسمون
رحمة ربك هذه الهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وان
يكونوا هم المدبرين لامر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله
التي لا يتولاها الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته ثم ضرب لهم مثلا فاعلم انهم عاجزون عن تدبير
خويصة امرهم وما يصلحهم في دنياهم وان الله عز وعلا هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر
احوالهم تدبير العالم بها فلم يسو بينهم ولكن فاوت بينهم في اسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل
منهم اقوياء وضعفاء واغنياء ومحاويج وموالي وخدما ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم
ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم
ويحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم الى انفسهم وولاهم تدبير امرهم لضاعوا وهلكوا واذا كانوا في
تدبير امر المعيشة الدنية في الحيوة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير امور الدين الذي
هو رحمة الله الكبرى ورافته العظمى وهو الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة والسلم الى حلول
دار السلام ثم قال ورحمة ربك يريد وهذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير
مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا **فان قلت** معيشتهم ما يعيشون به من المنافع ومنهم من
يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فاذن قد قسم الله الحرام كما قسم الحلال **قلت** الله
تعالى قسم لكل عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع واذن له في تناولها
ولكن شرط عليه وكلفه ان يسلك في تناولها الطرق التي شرعها فاذا سلكها فقد تناول قسمته
من المعيشة حلالا وسماها رزق الله واذا لم يسلكها تناولها حراما وليس له ان يسميها رزق الله
فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة الحرمة بسوء تناولهم
وهو عدولهم فيه عما شرعه الله الى ما لم يشرعه لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز ان يكونا

منزلة

منزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرئ سقفا بفتح السين وسكون القاف وبضمها وسكون
القاف وبضمهما جمع سقف كرهن ورهن ورهن وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كانه لغة
في سقف وسقوفا ومعارج ومعاريج والمعارج جمع معرج او اسم جمع لمعراج وهي المصاعد الى
العلالي عليها يظهرون اي على المعارج يظهرون السطوح يعلونها فما اسطاعوا ان يظهروه وسررا
بفتح الراء لاستثقال الضمتين مع حرف التضعيف لما متاع الحيوة اللام هي الفارقة بين ان
المخففة والنافية وقرئ بكسر اللام اي للذي هو متاع الحيوة كقوله مثلا ما بعوضة ولما بالتشديد
بمعنى الا وان نافية وقرئ الا وقرئ وما كل ذلك الا لما قال خير مما يجمعون فقلل امر الدنيا وصغرها
اردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده من قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة اي ولولا كراهة
ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة زهرة الحيوة الدنيا عندنا للكفار سقوفا و
مصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا اي زينة من كل شيء والزخرف الزينة
والذهب ويجوز ان يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة وبعضها من
ذهب فنصب عطفا على محل من فضة وفي معناه قول رسول الله صلعم لو وزنت عند الله جناح
بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء **فان قلت** فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة
التي كان يؤدي اليها التوسعة عليهم من اطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها
فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الاسلام **قلت** التوسعة عليهم مفسدة ايضا
لما تؤدي اليه من الدخول في الاسلام لاجل الدنيا والدخول في الدين لاجل الدنيا من دين
المنافقين فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل في الفريقين اغنياء وفقراء وغلب الفقر على
الغنى قرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما انه اذا حصلت الآفة في بصره قيل عشي واذا
نظر نظر العشي ولا آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان

من غير عوج. قال الحطيئة: متى تأته تعشو إلى ضوء ناره، أي تنظر إليها نظر العشى لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء، وهو بين في قول حاتم: أعشو إذا ما جارتي برزت حتى يواري جارتي الخدر. وقرئ يعشو على أن من موصولة غير مضمنة معنى الشرط، وحق هذا القارئ أن يرفع نقيض. ومعنى القراءة بالفتح: ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن، كقوله صم بكم عمي. وأما القراءة بالضم فمعناها: ومن يتعام عن ذكره، أي يعرف أنه الحق وهو يتجاهل ويتغابى، كقوله: وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم. نقيض له شيطانا: نخذله ونخل بينه وبين الشياطين، كقوله: وقيضنا لهم قرناء، ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين. وقرئ يقيض، أي يقيض له الرحمن ويقيض له الشيطان. **فإن قلت** لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله وإنهم ليصدونهم **قلت** لأن من مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه، فلما جاز أن يتناولا لإبهامهما غير واحد جاز أن يرجع الضمير إليهما مجموعا. حتى إذا جاءنا العاشي، وقرئ جاءانا على أن الفعل له ولشيطانه. قال لشيطانه: يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين، يريد المشرق والمغرب، فغلب كما قيل العمران والقمران. **فإن قلت** فما بعد المشرقين **قلت** تباعدهما، والأصل بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق، فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية أضاف البعد إليهما. أنكم في محل الرفع على الفاعلية، يعني: ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين في الأمر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل أعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه، وذلك أن كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته. ولك أن تجعل الفعل للتمني في قوله يا ليت بيني وبينك على معنى: ولن ينفعكم اليوم ما أنتم فيه من تمني مباعدة القرين. وقوله إنكم في العذاب مشتركون تعليل، أي لن ينفعكم تمنيكم لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر. وتقويه قراءة من قرأ إنكم بالكسر. وقيل: إذا رأى الممنو بشدة

من مني بمثلها روحه ذلك ونفس بعض كربه، وهو التأسي الذي ذكرته الخنساء: أعزي النفس عنه بالتأسي. فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه. **فإن قلت** ما معنى قوله إذ ظلمتم **قلت** معناه إذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة أنكم كنتم ظالمين، وذلك يوم القيامة. وإذ بدل من اليوم. ونظيره: إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة، أي تبين أني ولد كريمة. كان رسول الله صلعم يجد ويجتهد ويكد روحه في دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه إلا تصميما على الكفر وتماديا في الغي، فأنكر عليه بقوله: أفأنت تسمع، إنكار تعجب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم، وأراد أنه لا يقدر على ذلك منهم إلا هو وحده على سبيل الإلجاء والقسر، كقوله: إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور. ما في قوله فإما نذهبن بمنزلة لام القسم في أنها إذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة، والمعنى: فإن قبضناك قبل أن ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم فإنا منهم منتقمون أشد الانتقام في الآخرة، كقوله: أو نتوفينك فإلينا يرجعون. وإن أردنا أن ننجز في حياتك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا. وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال، ثم أتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة. وقرئ نرينك بالنون الخفيفة. وقرئ بالذي أوحي إليك على البناء للفاعل وهو الله عز وجل. والمعنى: وسواء عجلنا لك الظفر والغلبة أو أخرنا إلى اليوم الآخر فكن مستمسكا بما أوحينا إليك وبالعمل به، فإنه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه إلا ضال شقي، وزد كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله، ولا يخرجك الضجر بأمرهم إلى شيء من اللين والرخاوة في أمرك، ولكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تأخيره. وإنه وإن الذي أوحي إليك لذكر لشرف لك ولقومك، وسوف تسألون عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين. ليس المراد

بسؤال الرسل حقيقة السؤال لاحالته ولكنه مجاز عن النظر في اديانهم والفحص عن مللهم
هل جاءت عبادة الاوثان قط في ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله
المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا فهذه
الاية في نفسها كافية لا حاجة الى غيرها والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال
على الحقيقة كثير منه مسألة الشعراء الديار والرسوم والاطلال وقول من قال سل الارض
من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فانها ان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا
وقيل ان النبي صلعم جمع له الانبياء ليلة الاسراء في بيت المقدس فامهم وقيل له سلهم فلم يشكك
ولم يسال وقيل معناه سل امم من ارسلنا وهم اهل الكتابين التورية والانجيل وعن الفراء هم انما
يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكانه سال الانبياء ما اجابوه به عند قوله اني رسول
رب العالمين محذوف دل عليه قوله فلما جاءهم باياتنا وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة
على دعواه وابراز الاية اذا هم منها يضحكون اي يسخرون منها ويهزؤن بها ويسمونها سحرا
واذا للمفاجاة **فان قلت** كيف جاز ان يجاب لما باذا المفاجاة **قلت** لان
فعل المفاجاة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كانه قال فلما جاءهم باياتنا
فاجاوا وقت ضحكهم **فان قلت** اذا جاءتهم اية واحدة من جملة التسع فما اختها التي فضلت
عليها في الكبر من بقية الايات **قلت** اختها التي هي اية مثلها وهذه صفة كل واحدة
منها فكان المعنى على انها اكبر من بقية الايات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة بعد
واحدة كما تقول هو افضل رجل رايته تريد تفضيله على امة الرجال الذين رايتهم اذا قروتهم
رجلا رجلا **فان قلت** هو كلام متناقض لان معناه ما من اية من التسع الا وهي اكبر
من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة **قلت**

العرض

94

العرض بهذا الكلام انهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الاشياء
التي تتلاقى في الفضل وتتفاوت منازلهم فيه التفاوت اليسير ان تختلف اراء الناس في
فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذلك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رايت رجالا
بعضهم افضل من بعض وربما اختلفت اراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة
يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري
بها الساري وقد فاضلت الانمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما ابصرت مراتبهم متدانية
قليلة التفاوت ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها
لعلهم يرجعون ارادة ان يرجعوا عن الكفر الى الايمان **فان قلت** لو اراد رجوعهم
لكان **قلت** ارادته فعل غيره ليس الا ان يامره به ويطلب منه ايجاده فان كان
ذلك على سبيل القسر وجد والا دار بين ان يوجد وبين ان لا يوجد على حسب اختيار
المكلف وانما لم يكن الرجوع لان الارادة لم تكن قسرا ولم يختاروه والمراد بالعذاب السنون
والطوفان والجراد وغير ذلك وقرئ يا ايه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه **فان قلت**
كيف سموه بالساحر مع قولهم اننا لمهتدون **قلت** قولهم اننا لمهتدون وعد منوي
اخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط ان يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب الا ترى
الى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فما كانت تسميتهم اياه بالساحر بمنافية
لقولهم اننا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر انما هو ساحر لاستعظامهم علم
السحر بما عهد عندك بعهده عندك من ان دعوتك مستجابة او بعهده عندك وهو
النبوة او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة او بما عهد عندك من كشف
العذاب عمن اهتدى ونادى فرعون في قومه جعلهم محلا لندائه وموقعا له والمعنى انه امر

تفضيلها

بالنداء في مجامعهم واماكنهم من نادى فيها بذلك فاسند النداء اليه كقولك قطع الامير اللص
اذا امر بقطعه ويجوز ان يكون عنده عظماء القبط فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه
في جموع القبط فكانه نودي به بينهم فقال اليس لي ملك مصر وهذه الانهار يعني انهار النيل و
معظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجري تحت قصره وقيل
تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني ويجوز ان يكون الواو عاطفة للانهار
على ملك مصر وتجري نصب على الحال منها وان يكون الواو للحال واسم الاشارة مبتدا
والانهار صفة لاسم الاشارة وتجري خبر للمبتدا وليت شعري كيف ارتقت الى دعوى الربوبية
همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدى عظمته وامر فنودي بها في اسواق مصر
وازقتها لئلا تخفى تلك الابهة والجلالة على صغير ولا كبير وحتى يتربع في صدور الدهماء
مقدار عزته وملكوته وعن الرشيد انه لما قراها قال لاولينها اخس عبيدي فولاها
الخصيب وكان على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما شارفها
ووقع عليها بصره قال اهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال اليس لي ملك مصر
والله لهي اقل عندي من ان ادخلها فثنى عنانه ام انا خير ام هذه متصلة لان المعنى
افلا تبصرون ام تبصرون الا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت
خير فهم عنده بصراء وهذا من انزال السبب منزلة المسبب ويجوز ان تكون منقطعة
على بل انا خير والهمزة للتقرير وذلك انه قدم تعديد اسباب الفضل والتقدم عليهم
من ملك مصر وجري الانهار تحته ونادى بذلك وملا به مسامعهم ثم قال انا خير
كانه يقول اثبت عندكم واستقر اني خير وهذه حالي من هذا الذي هو مهين اي
ضعيف حقير وقرى اما انا خير ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة يريد انه ليس

معه

معه من العدد والات الملك والسياسة ما يعتضد به وهو في نفسه مخل بما ينعت به الرجال
من اللسن والفصاحة وكانت الانبياء كلهم ابيناء بلغاء واراد بالقاء الاسورة عليه القاء
مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا ارادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق
من ذهب مقترنين اما مقترنين به من قولك قرنته به فاقترن به واما من اقترنوا بمعنى تقارنوا
لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى عليه السلام ووصفه بالضعف وقلة
الاعضاد اعترض فقال هلا ان كان صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة اعضاده
وانصاره وقرى اساور جمع اسورة واساوير جمع اسوار وهي السوار واساورة على تعويض التاء
من ياء اساوير وقرى القى عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله عز وجل فاستخف
قومه فاستفزهم وحقيقته حملهم على ان يخفوا له ولما اراد منهم وكذلك استفزه من
قولهم للخفيف فز آسفونا منقول من اسف اسفا اذا اشتد غضبه ومنه الحديث في موت
الفجاءة رحمة للمؤمن واخذة اسف للكافر ومعناه انهم افرطوا في المعاصي وعدوا طورهم
فاستوجبوا ان نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وان لا نحلم عنهم وقرى سلفا جمع سالف كخادم
وخدم وسلفا بضمتين جمع سليف اي فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة اي ثلة قد سلفت
ومعناه فجعلناهم قدوة للاخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله
بهم لاتيانهم بمثل افعالهم وحديثا عجيب الشان سائرا مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم
مثل قوم فرعون لما قرا رسول الله صلعم على قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
امتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله بن الزبعرى يا محمد اخاصة
لنا ولالهتنا ام لجميع الامم فقال عليه السلام هو لكم ولالهتكم ولجميع الامم فقال خصمتك ورب الكعبة
الست تزعم ان عيسى بن مريم نبي وتثني عليه خيرا وعلى امه وقد علمت ان النصارى يعبدونهما

وعزير يعبدوا والملائكة تعبدون فان هولاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن والهتنا معهم
ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلعم فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم ونزلت هذه الاية
والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله بعبادة النصارى
اياه اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا
وضحكا بما سمعوا منه من اسكات رسول الله صلعم بجدله كما يرتفع لغط القوم ولجبهم اذا
تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم واما من قرا يصدون بالضم من الصدود اي من اجل هذا
المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف
ويكعف ونظائر لهما وقالوا الهتنا خير ام هو يعنون ان الهتنا عندك ليست بخير من عيسى
واذا كان عيسى من حصب النار كان امر الهتنا هينا ما ضربوه اي ما ضربوا لك هذا المثل
الا جدلا الا لاجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب الميز بين الحق والباطل بل هم قوم
خصمون لد شداد الخصومة دابهم اللجاج كقوله قوما لدا وذلك ان قوله تعالى انكم
وما تعبدون ما اريد به الا الاصنام وكذلك قوله عليه السلام هو لكم ولالهتكم ولجميع الامم انما قصد
به الاصنام ومحال ان يقصد الانبياء والملائكة الا ان ابن الزبعرى بخبثه وخداعه وخبث
دخلته لما راى كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان المراد به اصنامهم
لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف معناه الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريقة
المحك والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله صلعم حتى اجاب
عنه ربه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل به على ان الاية خاصة في الاصنام على ان ظاهر
قوله وما تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم قالوا نحن اهدى
من النصارى لانهم عبدوا ادميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقالوا الهتنا خير ام هو على هذا

القول

القول تفضيل لالهتهم على عيسى لان المراد بهم الملائكة وما ضربوه لك الا جدلا معناه وما قالوا
هذا القول يعني الهتنا خير ام هو الا للجدال وقرئ الهتنا خير باثبات همزة الاستفهام و
باسقاطها لدلالة ام العديلة عليها وفي حرف ابن مسعود خير ام هذا ويجوز ان يكون جدلا
حالا اي جدلين وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده
وانه يستاهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون
يضجون ويضجرون والضمير في ام هو لمحمد صلعم وغرضهم بالموازنة بينه وبين الهتهم السخرية
والاستهزاء ويجوز ان يقولوا لما انكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا
بدعا من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن
اشف منهم قولا وفعلا فانا نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقيل لهم مذهب
النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وما تنصلكم مما انتم عليه بما اوردتموه الا قياس باطل
بباطل وما عيسى الا عبد كساير العبيد انعمنا عليه حيث جعلناه اية بان خلقناه من غير سبب
كما خلقنا ادم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل الساير لبني اسرائيل ولو نشاء
لقدرتنا على عجايب الامور وبدايع الفطر لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم
في الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة
ولتعلموا ان الملائكة اجسام لا تتولد الا من اجسام وذات القديم متعالية عن ذلك وانه
وان عيسى عليه السلم لعلم للساعة اي شرط من اشراطها تعلم به فسمي الشرط علما لحصول العلم
به وقرا ابن عباس لعلم وهو العلامة وقرئ للعلم وقرا ابي لذكر على تسمية ما يذكر به كما سمي
ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى عليه السلم ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه
ممصرتان وشعر راسه دهين وبيده حربة وبها يقتل الدجال فياتي بيت المقدس والناس

في صلوة الصبح والامام يؤمّ بهم فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة
محمد صلعم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنايس ويقتل النصارى
الا من آمن به وعن الحسن ان الضمير للقرآن وان القرآن به تعلم الساعة لان فيه الاعلام
بها فلا تمترن بها من المرية وهي الشك واتبعوني واتبعوا هداي وشرعي او رسولي وقيل هذا
امر لرسول الله ان يقوله هذا صراط مستقيم اي هذا الذي ادعوكم اليه او هذا القرآن
ان جعل الضمير فيه للقرآن عدو مبين قد ابانت عداوته لكم اذ اخرج اباكم من الجنة
ونزع عنه لباس النور بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل والشرائع البينات
الواضحات بالحكمة يعني الانجيل والشرائع فان قلت هلا بين لهم كل الذي يختلفون
فيه ولكن بعضه قلت كانوا يختلفون في الديانات وما يتعلق بالتكليف وفيما
سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسوال عنه وانما بعث ليبين لهم ما اختلفوا فيه
مما يعنيهم من امر دينهم الاحزاب الفرق المتحزبة بعد عيسى وقيل اليهود والنصارى فويل
للذين ظلموا وعيد للاحزاب فان قلت من بينهم الى من يرجع الضمير فيه قلت
الى الذين خاطبهم عيسى في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم ان تأتيهم بدل من
الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة فان قلت اما ادى قوله وهم
لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم بامور دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون ويجوز ان
تأتيهم بغتة وهم فطنون يومئذ منصوب بعدو اي تنقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين
في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا الا الخلة المتصادقين في الله فانها الخلة الباقية
المزدادة قوة اذا راوا ثواب التحاب في الله والتباغض في الله وقيل الا المتقين الا المجتنبين
لاخلاء السوء وقيل نزلت في ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط يا عبادي حكاية لما ينادى

به المتقون المتحابون في الله يومئذ والذين آمنوا منصوب المحل صفة لعبادي لانه منادى
مضاف اي الذين صدقوا بآياتنا وكانوا مسلمين مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة
لطاعتنا وقيل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي مناد يا عبادي فيرجوها الناس كلهم
ثم يتبعها الذين آمنوا فييأس الناس منها غير المسلمين وقرئ يا عباد تحبرون تسرون سرورا
يظهر حباره اي اثره على وجوهكم كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج
تكرمون اكراما بالغ والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل والكوب الكوز لا عروة له وفيها
الضمير للجنة وقرئ تشتهي وتشتهيه وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهاة في القلوب
واما مستلذة في العيون وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وهي مبتدأ والجنة خبر والتي اورثتموها
صفة الجنة (او الجنة) صفة للمبتدأ الذي هو اسم الاشارة والتي اورثتموها خبر المبتدأ او التي اورثتموها
صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف كما في الظروف التي تقع اخبارا وفي الوجه
الاول تتعلق باورثتموها وشبهت في بقائها على اهلها بالميراث الباقي على الورثة وقرئ
ورثتموها منها تاكلون من للتبعيض اي لا تاكلون الا بعضها واعقابها باقية في شجرها فهي
مزينة بالثمار ابدا موقرة بها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا وعن النبي صلعم لا ينزع
رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها لا يفتر عنهم لا يخفف ولا ينقص من قولهم
فترت عنه الحمى اذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها والمبلس اليائس الساكت سكوت
ياس من فرج وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى
ولا يرى هم فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين وقرئ وهم فيها اي في النار وقرأ علي
وابن مسعود يا مال بحذف الكاف للترخيم كقول القائل والحق يا مال غير ما تصفه وقيل لابن
عباس ان ابن مسعود قرأ ونادوا يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم وعن بعضهم

حسن الرحيم انهم لا يستطيعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه وقرا ابو السرار الغنوى
يا مال بالترخيم كما يقال يا حار ليقض علينا من قضى عليه اذا اماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى
سل ربك ان يقضى علينا **فان قلت** كيف قال ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالابلاس
قلت تلك ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون اوقاتا
لغلبة الياس عليهم وعلمهم انه لا فرج ويغوثون اوقاتا لشدة ما بهم ماكثون لابثون
وفيه استهزاء والمراد خالدون وعن ابن عباس انما يجيبهم بعد الف سنة وعن النبي
صلعم يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون
يا مالك ليقض علينا ربك لقد جئناكم بالحق كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرا لقد جئتكم
ويجب ان يكون في قال ضمير الله عز وعلا لما سالوا مالكا ان يسال الله القضاء عليهم اجابهم
الله بذلك كارهون لا تقبلونه وتنفرون عنه وتشمئزون منه لان مع الباطل الدعة ومع
الحق التعب ام ابرموا مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله فانا مبرمون كيدنا كما ابرموا
كيدهم كقوله ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتنادون ويتناجون
في امر رسول الله **فان قلت** ما المراد بالسر والنجوى **قلت** السر ما حدث به
الرجل نفسه او غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم بلى نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا
يريد الحفظة عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازي من ستر من الناس ذنوبه
وابداها للذي لا يخفى عليه شيء في السموات فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو
من علامات النفاق ان كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه
وحجة واضحة تدلون بها فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد
اليه كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض

وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه وان لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة
عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي
محال في نفسها وكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة
وفي معنى نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها ونظيره ان يقول العدلي للمجبر ان كان الله
خالقا للكفر في القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا فانا اول من يقول هو شيطان و
ليس باله فمعنى هذا الكلام وما وضع له اسلوبه ونظمه نفي ان يكون الله خالقا للكفر وتنزيهه
عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا مع الدلالة على
سماجة المذهب وضلالة الذاهب اليه والشهادة القاطعة بإحالته والافصاح عن نفسه
بالبراءة منه وغاية النفار والاشمئزاز من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير
رحمه الله للحجاج حين قال له اما والله لابدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت ان ذلك اليك
ما عبدت الها غيرك وقد تمحل الناس بما اخرجوه به من هذا الاسلوب الشريف الملىء
بالنكت والفوائد المستقل باثبات التوحيد على ابلغ وجوهه فقيل ان كان للرحمن ولد
في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان
كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول الانفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا
اشتد انفه فهو عبد وعابد وقرا بعضهم العبدين وقيل هي ان النافية اي ما كان للرحمن
ولد فانا اول من قال بذلك وعبد ووحد وروي ان النضر بن عبد الدار بن قصي قال
ان الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر الا ترون انه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة
ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له وقرئ
ولد بضم الواو ثم نزه ذاته موصوفة بربوبية السموات والارض والعرش عن اتخاذ الولد

لبدل على انه من صفة الاجسام ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير امره فذرهم
يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم وهذا دليل على ان ما يقولونه
من باب الجهل والخوض واللعب واعلام لرسول الله انهم من المطبوع على قلوبهم الذين
لا يرجعون البتة وان ركب في دعوتهم كل صعب وذلول وخذلان لهم وتخلية كقوله
اعملوا ما شئتم وايذان بالشقاء في العاقبة ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به
الظرف في قوله في السماء وفي الارض كما تقول هو حاتم في طي حاتم في تغلب على التضمين
مع الجواد الذي شهر به كانك قلت هو جواد في طي جواد في تغلب وقرئ وهو الذي
في السماء الله وفي الارض الله ومثله قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض كانه ضمن
معنى المعبود او المالك او نحو ذلك والراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم
ما انا بالذي قائل لك شيئا وزاده طولا ان المعطوف داخل في حيز الصلة ويحتمل ان
يكون في السماء صلة الذي واله خبر مبتدا محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان
كونه في السماء على سبيل الالهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وفيه نفي الالهة التي كانت
تعبد في الارض ترجعون قرئ بضم التاء وفتحها ويرجعون بياء مضمومة وقرئ تحشرون
بالتاء ولا يملك الهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم
عند الله ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وايقان
واخلاص هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع ويجوز ان يكون متصلا لان
في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة وقرئ تدعون بالتاء وتدعون بالتاء وتشديد
الدال وقيله قرئ بالحركات الثلث وذكر في النصب عن الاخفش انه حمله على ام يحسبون
انا لا نسمع سرهم ونجويهم وقيله وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول

عجبت من ضرب زيد وعمرو وحمل الجر على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر
ما بعده وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم
قيله والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه
بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم واقوى من ذلك واوجه ان يكون الجر والنصب
على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم ايمن الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله ان هؤلاء قوم
لا يؤمنون جواب القسم كانه قيل واقسم بقيله يا رب او وقيله يا رب قسمي ان هؤلاء قوم
لا يؤمنون فاصفح عنهم واعرض عن دعوتهم وودعهم وتاركهم وقل لهم سلام اي تسلم منكم
ومتاركة فسوف يعلمون وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله والضمير في وقيله لرسول الله
واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه عن النبي صلعم من قرا سورة الزخرف
كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سُورَةُ الدُّخَانِ مَكِّيَّةٌ اِلَّا قَوْلَهُ اِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا الْاٰيَةَ وَهِيَ سَبْعٌ وَخَمْسُونَ اٰيَةً وَقِيلَ تِسْعٌ وَخَمْسُونَ اٰيَةً

بسم الله الرحمن الرحيم الواو في والكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف
او اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف ان كانت حم
مقسما بها وقوله انا انزلناه جواب القسم والكتاب المبين القران والليلة المباركة ليلة القدر
وقيل ليلة النصف من شعبان ولها اربعة اسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك
وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصك

ان البندار اذا استوفى الخراج من اهل كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده
المومنين البراءة في هذه الليلة وقيل انها مختصة بخمس خصال تفريق كل امر حكيم وفضيلة
العبادة فيها قال رسول الله صلعم من صلى في هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله اليه مائة
ملك ثلثون يبشرونه بالجنة وثلثون يومنونه من عذاب النار وثلثون يدفعون عنه
افات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال عليه السلم ان الله
يرحم امتي في هذه الليلة بعدد شعر اغنام بني كلب وحصول المغفرة قال عليه السلم ان الله
يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا لكاهن او ساحر او مشاحن او مدمن خمر او عاق للوالدين
او مصر على الزنا وما اعطى فيها رسول الله من تمام الشفاعة وذلك انه سال ليلة
الرابع عشر فاعطي الثلث ثم سال ليلة الخامس عشر فاعطي الجميع الا من شرد على الله
شراد البعير ومن عادة الله في هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول
الاكثر ان المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر
والمطابقة قوله فيها يفرق كل امر حكيم لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم
من كل امر وقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران وليلة القدر في اكثر الاقاويل
في شهر رمضان **فان قلت** ما معنى انزال القران في هذه الليلة **قلت**
قالوا انزل جملة واحدة من السماء السابعة الى السماء الدنيا وامر السفرة الكرام بانتساخه في
ليلة القدر وكان جبريل عليه السلم ينزله على رسول الله صلعم نجوما نجوما **فان قلت**
انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم ما موقع هاتين الجملتين **قلت** هما جملتان
مستانفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله انا انزلناه في ليلة مباركة
كانه قيل انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه

بهذه

١٠٠

في هذه الليلة خصوصا لان انزال القران من الامور الحكيمة وهذه الليلة يفرق كل امر
حكيم والمباركة الكثيرة الخير لما يتيح الله فيها من الامور التي يتعلق بها منافع العباد في دينهم
ودنياهم ولو لم يوجد فيها الا انزال القران وحده لكفى به بركة ومعنى يفرق يفصل ويكتب
كل امر حكيم من ارزاق العباد واجالهم وجميع امرهم منها الى الاخرى القابلة وقيل يبدا
في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع
نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرئيل وكذلك الزلازل والصواعق
والخسف ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة
المصائب الى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات اعماله فيلقى على السنة الخلق
مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل على بنائه للفاعل ونصب
كل والفارق الله عز وجل وقرا زيد بن علي رضي الله عنه نفرق بالنون كل امر حكيم كل شان
ذي حكمة اي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب
الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز امرا من عندنا نصب على الاختصاص جعل كل
امر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بان قال اعني بهذا الامر
امرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز ان يراد به الامر
الذي هو ضد النهي ثم اما ان يوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق لان معنى الامر
والفرقان واحد من حيث انه اذا حكم بالشيء وكتبه فقد امر به واوجبه او يكون حالا
من احد الضميرين في انزلناه اما من ضمير الفاعل اي انزلناه امرين امرا او من ضمير المفعول
اي انزلناه في حال كونه امرا من عندنا بما يجب ان يفعل **فان قلت** انا كنا مرسلين
رحمة من ربك بم يتعلق **قلت** يجوز ان يكون بدلا من قوله انا كنا منذرين

ملك م

ورحمةً من ربك مفعولا له على معنى انا انزلنا القران لان من شاننا ارسال الرسل
بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم وان يكون تعليلا ليفرق او لقوله امرا من عندنا
ورحمةً مفعولا به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به في قوله وما يمسك فلا
مرسل له من بعده اي يفصل في هذه الليلة كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا
ان نرسل علينا رحمتنا وفصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها من باب الرحمة وكذلك
الاوامر الصادرة من حضرته عز وعلا لان الغرض في تكليف العباد تعريضهم للمنافع وكل
انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان الربوبية تقتضي الرحمة
على المربوبين وفي قراءة زيد بن علي امرٌ من عندنا على هو امر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص
وقرا الحسن رحمةٌ من ربك على تلك رحمة وهي تنصر انتصابها بانها مفعول له
انه هو السميع العليم وما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه اوصافه وقرئ رب
السموات والارض وربكم ورب ابائكم بالجر بدلا من ربك **فان قلت** ما معنى الشرط
الذي هو قوله ان كنتم موقنين **قلت** كانوا يقرون بان للسموات والارض ربا
وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من رب ثم قيل ان هذا الرب
هو السميع العليم الذي انتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات والارض وما بينهما
ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول هذا انعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه
واشتهر سخاوه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم رد ان يكونوا موقنين بقوله بل هم
في شك يلعبون وان اقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط
بهزؤ ولعب يوم تاتي السماء مفعول به مرتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته
واختلف في الدخان فعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وبه اخذ الحسن انه دخان ياتي من

السماء

السماء قبل يوم القيمة يدخل في اسماع الكفرة حتى يكون راس الواحد كالراس الحنيذ ويعتري
المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن
رسول الله صلعم اول الايات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين
تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله الاية وقال
يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما
الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره وعن ابن مسعود رضي الله عنه خمس قد مضت
الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام ويروى انه قيل لابن مسعود ان قاصا عند ابواب
كندة يقول انه دخان ياتي يوم القيمة فياخذ بانفاس الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن لم
يعلم فليقل الله اعلم فان من علم الرجل ان يقول لشيء لا يعلمه الله اعلم ثم قال الا وساحدثكم
ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلعم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطاتك على
مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعلهز وكان
الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان
فمشى اليه ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان
يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى شركهم بدخان مبين ظاهر حاله لا يشك احد في انه
دخان يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة لدخان وهذا عذاب الى قوله
مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال اي قائلين ذلك
انا مؤمنون موعدة بالايمان ان كشف عنهم العذاب انى لهم الذكرى كيف يذكرون و
يتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل
في وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله من الايات والبينات من

الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان عدّاسا غلاما اعجميا
لبعض ثقيف هو الذي علّمه ونسبوه الى الجنون ثم قال انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون
اى ربما نكشف عنكم العذاب تعودون الى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما انتم عليه
من التضرع والابتهال فان قلت كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيمة
قوله انا كاشفوا العذاب قليلا قلت اذا اتت السماء بالدخان تضور المعذبون
من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون منيبون
فيكشفه الله عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون ثم قال يوم
نبطش البطشة الكبرى يريد يوم القيمة لقوله فاذا جاءت الطامة الكبرى انا منتقمون
منهم في ذلك اليوم فان قلت بم انتصب يوم نبطش قلت بما دل عليه انا
منتقمون وهو ننتقم ولا يصح ان ينتصب بمنتقمون لان ان يحجب عن ذلك وقرئ
نبطش بضم الطاء وقراء الحسن نُبطش بضم النون كانه يحمل الملائكة على ان يبطشوا البطشة
الكبرى او يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر وقرئ ولقد
فتنا بالتشديد للتاكيد او لوقوعه على القوم ومعنى الفتنة انه امهلهم ووسع عليهم في
الرزق فكان ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي واقترافهم الاثام او ابتلاهم بارسال موسى
اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان او سلبهم ملكهم واغرقهم كريم على الله وعلى عباده
المؤمنين او كريم في نفسه لان الله لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادّوا الى ان
هي المفسرة لان مجيء الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله او المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بان الشان والحديث ادّوا
الي وعباد الله مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول ادّوهم الي وارسلوهم معي كقوله ارسل معنا

بنى

اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز ان يكون نداء لهم على ادّوا الي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم
من الايمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي وعلل ذلك بانه رسول امين غير ظنين
قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته وان لا تعلوا ان هذه مثل الاولى في وجهيها اى لا تستكبروا
على نبي الله بسلطان مبين بحجة واضحة ان ترجمون ان تقتلون وقرئ عت بالادغام
ومعناه انه عائذ بربه متكل على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه
من الرجم والقتل فاعتزلون يريد ان لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن فتنحوا
عني واقطعوا اسباب الوصلة عني او فخلوني كفافا لا لي ولا علي ولا تتعرضوا الي بشركم
واذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك ان هؤلاء بان هؤلاء اى دعا ربه بذلك
قيل كان دعاؤه اللهم عجّل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة
للقوم الظالمين وانما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين
وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول اى فدعا ربه فقال ان هؤلاء فاسر قرئ بقطع الهمزة
من اسرى ووصلها من سرى وفيه وجهان احدهما اضمار القول بعد الفاء فقال اسر
بعبادي وان يكون جواب شرط محذوف كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر
بعبادي يعني فاسر ببني اسرائيل فقد دبّر الله ان تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي
المتقدمين ويغرق التابعين رهوا فيه وجهان احدهما انه الساكن قال الاعشى يمشين
رهوا فلا الاعجاز خاذلة اراد موسى عليه السلم لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق
كما ضربه فانفلق فامر بان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق
يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله عليهم
والثاني ان الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض انه راى جملا فالجا فقال سبحان الله رهو

على الله بالاستهانة برسوله ووحيه او

بهم صح

بين سنا مبين اي اتركه مفتوحا على حاله منفرجا انهم جند وقرئ بالفتح بمعنى لانهم و
المقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر والنعمة بالفتح من التنعم
وبالكسر من الانعام وقرئ فاكهين وفكهين كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك
الاخراج اخرجناهم منها واورثناها او في موضع الرفع على الامر كذلك قوما آخرين ليسوا منهم
في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل كانوا متسخرين مستعبدين في ايديهم
فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم اذا مات رجل خطير قالت العرب في
تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس وفي حديث رسول الله
صلعم ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض وقال جرير
تبكي عليك نجوم الليل والقمرا وقالت الخارجية ايا شجر الخابور مالك مورقا كانك لم تجزع
على ابن طريف وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه
وكذلك ما روي عن ابن عباس من بكاء مصلى المؤمن وآثاره في الارض ومصاعد عمله ومهابط
رزقه في السماء تمثيل ونفى ذلك عنهم في قوله فما بكت عليهم السماء والارض فيه تهكم بهم
وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والارض وعن الحسن
فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم اهل السماء
والارض وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا الى الآخرة
بل عجل لهم في الدنيا من فرعون بدل من العذاب المهين كانه في نفسه كان عذابا مهينا
لافراطه في تعذيبهم واهانتهم ويجوز ان يكون المعنى من العذاب المهين واقعا من جهة
فرعون وقرئ من عذاب المهين ووجهه ان يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون
حتى يكون المهين هو فرعون وفي قراءة ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة

والفظاعة

والفظاعة قال من فرعون على هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك
بقوله انه كان عاليا من المسرفين اي كبيرا رفيع الطبقة من بينهم فائقا لهم بليغا في اسرافه او
عاليا متكبرا كقوله ان فرعون علا في الارض ومن المسرفين خبر ثان كانه قيل انه كان متكبرا
مسرفا الضمير في اخترناهم لبني اسرائيل وعلى علم في موضع الحال اي عالمين
بمكان الخيرة وبانهم احقاء بان يختاروا ويجوز ان يكون المعنى مع علم منا بانهم يزيغون ويفرط
منهم الفرطات في بعض الاحوال على العالمين على عالمي زمانهم وقيل على الناس جميعا لكثرة
الانبياء منهم من الآيات من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك
من الآيات العظام التي لم يظهر الله في غيرهم مثلها بلاء مبين نعمة ظاهرة لان الله تعالى
يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة او اختبار ظاهر لننظر كيف تعملون كقوله وفي ذلكم بلاء من ربكم
عظيم هؤلاء اشارة الى كفار قريش فان قلت كان الكلام واقعا في الحيوة الثانيه
لا في الموت فهلا قيل ان هي الا حيوتنا الاولى وما نحن بمنشرين كما قيل ان هي الا حيوتنا
الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله ان هي الا موتتنا الاولى وما معنى ذكر الاولى كانهم و
عدوا موتة اخرى حتى نفوها وجحدوها واثبتوا الاولى قلت معناه والله الموفق
للصواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حيوة وذلك
قوله عز وعلا وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون
ما الموتة التي من شانها ان تتعقبها حيوة الا الموتة الاولى دون الموتة الثانية وما هذه
الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب الحيوة لها الا للموتة الاولى خاصة فلا فرق بين
هذا وبين قوله ان هي الا حيوتنا الدنيا في المعنى يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم فاتوا
بآبائنا خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله والمؤمنين اي ان صدقتم فيما

يقولون فعجلوا لنا احياء من مات من ابائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على ان
ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله
فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه فانه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشؤن
هو تبع الحميري كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وهو الذي سار
بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان اذا كتب قال بسم الله الذي ملك برا وبحرا
وعن النبي صلعم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه عليه السلم ما ادري اكان تبع نبيا او
غير نبي وعن ابن عباس كان نبيا وقيل نظر الى قبرين بناحية حمير قال هذا قبر رضوى
وقبر حبى بنتي تبع لا تشركان بالله شيئا وقيل هو الذي كسى البيت وقيل لملوك اليمن
التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون وسمي الظل تبعا لانه يتبع الشمس
فان قلت ما معنى قوله اهم خير في الفريقين قلت معناه اهم خير في القوة
والمنعة كقوله تعالى اكفاركم خير من اولئكم بعد ذكر آل فرعون وفي تفسير ابن عباس
رضي الله عنه اهم اشد ام قوم تبع وما بينهما وما بين الجنسين وقرا عبيد بن عمير وما بينهن
وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد حسابهم و
جزائهم في يوم الفصل لا يغني مولى اي مولى كان من قرابة او غيرها عن مولاه اي مولى
كان شيئا من اغناء اي قليلا منه ولا هم ينصرون الضمير للموالي لانهم في المعنى كثير لتناول
اللفظ على الابهام والشياع كل مولى من رحم الله في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون
اي لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله ويجوز ان ينتصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه
من عصاه الرحيم لمن اطاعه قرئ ان شجرة الزقوم بكسر الشين وفيها ثلث لغات شجرة بفتح
الشين وكسرها وشيرة بالياء وروي انه لما نزل اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم قال ابن

والاحيرة

الزبعرى

الزبعرى ان اهل اليمن يدعون اكل الزبد والتمر التزقم فدعا ابو جهل بتمر وزبد فقال تزقموا فان
هذا هو الذي يخوفكم به محمد فنزل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وهو الفاجر الكثير الاثام
وعن ابي الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا
وبهذا يستدل على ان ابدال كلمة مكان كلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه اجاز
ابو حنيفة رضي الله عنه القراءة بالفارسية على شريطة وهي ان يؤدي القارئ المعاني على
كمالها من غير ان يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشهد انها اجازة كلا اجازة لان
في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من
لطائف المعاني والاغراض ما لا يستقل بادائه لسان من فارسية وغيرها وما كان ابو حنيفة
رضي الله عنه يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر وروى علي بن الجعد عن ابي
يوسف عن ابي حنيفة مثل قول صاحبيه في انكار القراءة بالفارسية كالمهل قرئ بضم
الميم وفتحها وهو دردي الزيت ويدل عليه قوله يوم تكون السماء كالمهل مع قوله فكانت
وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك
تغلي وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء للطعام والحميم الماء الحار الذي انتهى غليانه يقال للزبانية
خذوه فاعتلوه فقودوه بعنف وغلظة وهو ان يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر الى حبس
او قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي وقرئ بكسر التاء وضمها الى سواء الجحيم الى وسطها و
معظمها فان قلت هلا قيل صبوا فوق راسه من الحميم كقوله يصب من فوق رؤوسهم
الحميم لان الحميم هو المصبوب لا عذابه قلت اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه
عذابه وشدته الا ان صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله صبت عليه صروف الدهر
من صبب وكقوله تعالى افرغ علينا صبرا فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون

اهول واهيب يقال ذق انك انت العزيز الكريم على سبيل الهزء والتهكم بمن كان يتعزز
ويتكرم على قومه وروى ان ابا جهل قال لرسول الله صلعم ما بين جبليها اعز ولا اكرم
مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا وقرئ انك بمعنى لانك وعن
الحسين بن علي رضي الله عنه انه قرأ به على المنبر ان هذا العذاب او ان هذا الامر هو ما كنتم
به تمترون اي تشكون او تتمارون وتتلاجون وقرئ في مقام بالفتح وهو موضع القيام
والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى العموم وبالضم وهو موضع
الاقامة والامين من قولك امن الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخائن فوصف به المكان
استعارة لان المكان المخيف كانما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره قيل السندس
مارق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبره **فان قلت** كيف
ساغ ان يقع في القرآن العربي المبين لفظ اعجمي **قلت** اذا عرب خرج من ان
يكون اعجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره
عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب كذلك الكاف مرفوعة على الامر كذلك او منصوبة
على مثل ذلك اثبناهم وزوجناهم وقرأ عكرمة بحور عين على الاضافة والمعنى بالحور من العين
لان العين اما ان يكون حورا او غير حور فهولاء من الحور العين لا من شهلهن مثلا وفي قراءة
عبد الله بعيس عين والعيساء البيضاء تعلوها حمرة وقرأ عبيد بن عمير لا يذاقون فيها
الموت وقرأ عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت **فان قلت** كيف استثنيت الموتة الاولى
المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها **قلت** اريد ان يقال لا يذوقون
فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها
في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في

المستقبل

المستقبل فانهم يذوقونها وقرئ ووقاهم بالتشديد فضلا من ربك عطاء من ربك وثوابا يعني
كل ما اعطى المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار فهو فضل اي ذلك فضل فانما يسرناه
بلسانك فذلكة للسورة ومعناها ذكرهم بالكتاب المبين فانما يسرناه اي سهلناه حيث
انزلناه عربيا بلسانك بلغتك ارادة ان يفهمه قومك فيتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل
بهم انهم مرتقبون ما يحل بك متربصون بك الدوائر عن رسول الله صلعم من قرأ حم الدخان
في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وعنه عليه السلام من قرأ حم التي يذكر
فيها الدخان في ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلثون آية وقيل ست

بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه بتنزيل الكتاب
لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب ومن الله صلة للتنزيل وان
جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا ان في السموات
والارض يجوز ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم
فان قلت علام عطف وما يبث أعلى الخلق المضاف ام على الضمير المضاف اليه **قلت**
بل على المضاف لان المضاف اليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا ان
يقال مررت بك وزيد وهذا ابوك وعمرو وكذلك ان اكدوه كرهوا ان يقولوا مررت بك
انت وزيد قرئ آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك ان زيدا في الدار وعمرا في
السوق او وعمرو في السوق واما قوله آيات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين
سواء نصبت او رفعت فالعاملان اذا نصبت هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت

الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في آيات وإذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي
عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف وقرأ ابن مسعود وفي اختلاف الليل والنهار فإن قلت
العطف على عاملين على مذهب الأخفش سديد لا مقال فيه وقد أباه سيبويه فما وجه
تخريج الآية عنده قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون على إضمار في والذي حسنه
تقدم ذكره في الآيتين قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود والثاني أن ينتصب آيات على الاختصاص
بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبلها أو على التكرير ورفعها بإضمار هي وقرئ واختلاف الليل
والنهار بالرفع وقرئ آية وكذلك وما يبث من دابة آية وتصريف الريح والمعنى أن المنصفين وقرئ
من العباد إذا نظروا في السموات والأرض النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها
من صانع فآمنوا بالله وأقروا فإذا نظروا في خلق أنفسهم وتنقلها من حال إلى حال وهيئة إلى
هيئة وفي خلق أنفسهم ما في ظهر الأرض من صنوف الحيوان ازدادوا إيمانا وأيقنوا وانتفى
عنهم اللبس فإذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل
والنهار ونزول الأمطار وحياة الأرض بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا ودبورا وقبولا
عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمي المطر رزقا لأنه سبب الرزق تلك إشارة
إلى الآيات المتقدمة أي تلك الآيات آيات الله ونتلوها في محل الحال أي متلوة عليك
بالحق والعامل ما دل عليه تلك من معنى الإشارة ونحوه وهذا بعلي شيخا وقرئ يتلوها بالياء
بعد الله وآياته أي بعد آيات الله كقولهم أعجبني زيد وكرمه يريدون أعجبني كرم زيد و
يجوز أن يراد بعد حديث الله وهو كتابه وقرآنه كقوله الله نزل أحسن الحديث وقرئ تؤمنون
بالياء والتاء الأفاك الكذاب والأثيم المتبالغ في اقتراف الآثام يصر يقبل على كفره ويقيم
عليه وأصله من إصرار الحمار على العانة وهو أن ينحي عليها صارا أذنيه مستكبرا عن الإيمان با

الآيات

الآيات والإذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن
الحارث وما كان يشتري من أحاديث الأعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن
والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله فإن قلت ما معنى ثم في قوله ثم يصر
مستكبرا قلت كمعناه في قول القائل يرى غمرات الموت ثم يزورها وذلك أن غمرات
الموت حقيقة بأن ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها وأما زيارتها والإقدام على
مزاولتها فأمر مستبعد فمعنى ثم الإيذان بأن فعل المقدم عليها بعد ما رآها وعاينها
شيء مستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت
عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول إصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الإيمان
بها كأن مخففة والأصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن كما في قوله كأن ظبية تعطو إلى
ناضر السلم ومحل الجملة النصب على الحال أي يصر مثل غير السامع وإذا بلغه شيء من آياتنا
وعلم أنه منها اتخذها أي اتخذ الآيات هزوا ولم يقل اتخذه للإشعار بأنه إذا أحس بشيء
من الكلام أنه من جملة الآيات التي أنزلها الله على محمد صلعم خاض في الاستهزاء
بجميع الآيات لم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويحتمل وإذا علم من آياتنا شيئا يمكن أن يتشبث
به المعاند ويجد له محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ آيات الله هزوا
وذلك نحو افتراص ابن الزبعرى قوله عز وجل إنكم وما تعبدون من دون حصب جهنم
ومغالطته رسول الله صلعم وقوله خصمتك ويجوز أن يرجع الضمير إلى شيء لأنه في معنى
الآية كقول أبي العتاهية نفسي بشيء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها حيث أراد
عتبة وقرئ علم أولئك إشارة إلى كل أفاك أثيم لشموله الأفاكين والوراء اسم للجهة التي يواريها
الشخص من خلف أو قدام قال أليس ورائي إن تراخت منيتي أدب مع الولدان أزحف كالنسر

ومنه قوله عز وعلا من ورائهم اى من قدامهم ما كسبوا من الاموال فى رحلهم ومتاجرهم ولا
ما اتخذوا من دون الله من الاوثان هذا اشارة الى القرآن يدل عليه قوله والذين كفروا
بآيات ربهم لان آيات ربهم هى القرآن اى هذا القرآن كامل فى الهداية كما تقول
زيد رجل تريد كامل فى الرجولية وايما رجل والرجز اشد العذاب وقرئ بجر اليم ورفعه
ولتبتغوا من فضله بالتجارة او بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطرى وغير
ذلك من منافع البحر فان قلت ما معنى منه فى قوله جميعا منه وما موقعها من الاعراب
قلت هى واقعة موقع الحال والمعنى انه سخر هذه الاشياء كائنة منه وحاصلة من عنده
يعنى انه مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه ويجوز ان يكون خبر مبتدا
محذوف تقديره هى جميعا منه وان يكون وسخر لكم تاكيدا لقوله سخر لكم ثم ابتدى قوله
ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه وان يكون وما فى الارض مبتدا ومنه خبره وقرا
ابن عباس منةً وقرا سلمة بن محارب منّه على ان يكون منه فاعل سخر على الاسناد
المجازى او على انه خبر مبتدا محذوف اى ذلك او هو منه حذف المقول لان الجواب
دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقايع الله باعدائه
من قولهم لوقايع العرب ايام العرب وقيل لا يأملون الاوقات التى وقتها الله لثواب
المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزلت فى عمر
رضى الله عنه وقد شتمه رجل من غفار فهمّ ان يبطش به وعن سعيد بن المسيب كنا بين
يدى عمر بن الخطاب فقرا قارى هذه الآية فقال عمر ليجزى عمر بما صنع ليجزى تعليل
للامر بالمغفرة اى انما امروا بان يغفروا لما اراده الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيمة
فان قلت قوله قوما ما وجه تنكيره وانما اراد الذين آمنوا وهم معارف قلت هو مدح

لهم وثناء عليهم كانه قيل ليجزى ايما قوم وقوما مخصوصين بصبرهم واغضائهم على اذى اعدائهم
من الكفار وعلى ما كانوا يتجرعونه من الغصص وما كانوا يكسبون من الثواب العظيم
بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر ليجزى عمر بما صنع ليجزى بصبره واحتماله
وقوله لرسول الله صلعم عند نزول الآية والذى بعثك بالحق لا ترى الغضب فى وجهى
وقرى ليُجزى قوما اى الله عز وجل وليُجزى قوم وليُجزى قوما على معنى وليجزى الجزاء
قوما الكتاب التورية والحكم الحكمة والفقه او فصل الخصومات بين الناس لان الملك كان
فيهم والنبوة من الطيبات مما احل الله لهم واطاب من الارزاق وفضلناهم على العالمين حيث
لم نؤت غيرهم مثل ما آتيناهم بينات آيات ومعجزات من الامر من امر الدين فما وقع بينهم
الخلاف فى الدين الا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا
لبغى حدث بينهم لعداوة وحسد على شريعة على طريقة ومنهاج من الامر من امر الدين فاتبع
شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه من اهواء الجهال ودينهم المبنى على
هوى وبدعة وهم رؤساء قريش الذين قالوا ارجع الى دين آبائك ولا توالهم انما يوالى الظالمين
من هو ظالم مثلهم واما المتقون فوليهم الله وهم موالوه وما ابين الفصل بين الولايتين هذا
القرآن بصائر للناس جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب كما
جعل روحا وحيوة وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن آمن وايقن وقرئ هذه
بصائر اى هذه الآيات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب
ومنه الجوارح وفلان جارحة اهله اى كاسبهم ان نجعلهم ان نصيرهم وهو من جعل
المتعدى الى مفعولين فاولهما الضمير والثانى الكاف والجملة التى هى سواء محياهم ومماتهم
بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت فى حكم المفرد الا تراك لو قلت ان

نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا ابوه منطلق ومن قرا سوآء
بالنصب اجرى سوآء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا
غير جملة ومن قرا ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق
النجم اى سوآء فى محياهم وفى مماتهم والمعنى انكار ان يستوى المسيئون والمحسنون محيا
وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احيا حيث عاش هولاء على القيام بالطاعات واولئك
على ركوب المعاصى ومماتا حيث مات هولاء على البشرى بالرحمة والوصول الى ثواب الله
ورضوانه واولئك على الياس من رحمة الله والوصول الى هول ما اعد لهم وقيل معناه انكار
ان يستووا فى الممات كما استووا فى الحيوة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم ومماتهم
كلام مستانف على معنى ان محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم
كل يموت على حسب ما عاش عليه وعن تميم الدارى رضى الله عنه كان يصلى ذات ليلة
عند المقام فبلغ هذه الاية فجعل يبكى ويردد الى الصباح ساء ما يحكمون وعن الفضيل انه
بلغها فجعل يرددها ويبكى ويقول يا فضيل ليت شعرى من اى الفريقين انت ولتجزى معطوف
على بالحق لان فيه معنى التعليل او على معلل محذوف تقديره خلق السموات والارض
ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس اى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما يدعوه فكانه يعبده
كما يعبد الرجل الهه وقرى آلهة هواه لانه كان يستحسن الحجر فيعبده فاذا راى ما هو احسن
رفضه اليه فكانه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها واضله الله على علم وتركه
عن الهداية واللطف وخذله على علم عالما بان ذلك لا يجدى عليه وانه ممن لا لطف له
او مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بانواع الالطاف المحصلة والمقربة فمن يهديه من بعد اضلال الله
وقرى غشاوة بالحركات الثلث وغشوة بالكسر والفتح وقرى تتذكرون نموت ونحيا

محياهم فى الرزق والسعة وانما يفترقون
فى الممات وقيل سوآء ح

نموت

نموت نحن ونحيى اولادنا او يموت بعض ويحيى بعض او نكون مواتا نطفا فى الاصلاب
ونحيى بعد ذلك او يصيبنا الامران الموت والحيوة يريدون الحيوة فى الدنيا والموت
بعدها وليس وراء ذلك حيوة وقرى نحيا بضم النون وقرى الا دهر يمر وما يقولون ذلك
عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالى هو المؤثر فى هلاك
الانفس وينكرون ملك الموت وقبضه الارواح بامر الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث
الى الدهر والزمان وترى اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلم لا تسبوا
الدهر فان الله هو الدهر اى فان الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر وقرى حجتهم بالنصب
والرفع على تقديم خبر كان وتاخيره فان قلت لم سمى قولهم حجة وليس بحجة قلت
لانهم ادلوا به كما يدلى المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم او لانه
فى حسبانهم وتقديرهم حجة او لانه فى اسلوب قوله تحية بينهم ضرب وجيع كانه قيل ما كان
حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفى ان تكون لهم حجة البتة فان قلت كيف وقع قوله قل
الله يحييكم جوابا لقولهم ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قلت لما انكروا البعث وكذبوا
الرسل وحسبوا ان ما قالوه قول مبكت الزموا ما هم مقرون به من ان الله عز وجل هو
الذى يحييهم ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا واصغوا
الى داعى الحق وهو جمعهم الى يوم القيمة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائهم
وكان عليه اهون شى عليه عامل النصب فى يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم
جاثية باركة مستوفزة على الركب وقرى جاذية والجذو اشد استيفازا من الجثو لان
الجاذى هو الذى يجلس على اطراف اصابعه وعن ابن عباس جاثية مجتمعة وعن قتادة
جماعات من الجثوة وهى الجماعة وجمعها جثى وفى الحديث من جثى جهنم وقرى كل امة على

الابتداء وكل امة على الابدال من كل امة الى كتابها الى صحايف اعمالها فاكتفى باسم
الجنس كقوله ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه اليوم تجزون محمول على القول
فان قلت كيف اضيف الكتاب اليهم والى الله تعالى قلت الاضافة تكون
للملابسة وقد لابسهم ولابسه اما ملابسته اياهم فلان اعمالهم مثبتة فيه واما ملابسته
اياه فلانه مالكه والامر ملائكته ان يكتبوا فيه اعمال عباده ولا نقصان انا كنا نستنسخ الملائكة
ما كنتم تعملون اى نستكتبهم اعمالكم في رحمته في جنته وجواب اما محذوف تقديره واما
الذين كفروا فيقال لهم افلم تكن آياتي تتلى عليكم والمعنى الم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى
عليكم فحذف المعطوف عليه وقرئ والساعة بالنصب عطفا على الوعد وبالرفع عطفا
على محل ان واسمها ما الساعة اى شيء الساعة فان قلت ما معنى ان نظن الا ظنا
قلت اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرفا النفي والاستثناء
ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين
سيئات ما عملوا اى قبايح اعمالهم السيئات كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ننسيكم نترككم
في العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم هذا وهي الطاعة او نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالى به
كما لم تبالوا انتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال كالشيء الذي يطرح نسيا منسيا فان قلت
ما معنى اضافة اللقاء الى اليوم قلت كمعنى اضافة المكر في قوله بل مكر الليل والنهار
اى نسيتم لقاء الله في يومكم هذا ولقاء جزائه وقرئ لا يخرجون بفتح الياء ولا هم يستعتبون
ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى ان يرضوه فلله الحمد فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب
كل شيء من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة يوجب الحمد والثناء
على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته في السموات والارض وحق مثله ان

ملائكته

اى عقوبات اعمالهم

يكبر ويعظم عن رسول الله صلعم من قرا حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وهي اربع وثلثون آية وقيل خمس

بسم الله الرحمن الرحيم الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح
وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه وهو يوم القيامة والذين كفروا عما انذروا من هول ذلك
اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهائه اليه معرضون لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له
ويجوز ان تكون ما مصدرية اى عن انذارهم ذلك اليوم بكتاب الله من قبل هذا اى من
قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما
من كتاب انزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فائتوا بكتاب واحد
منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم عليه من عبادة غير الله او اثارة من علم او بقية من علم
بقيت عليكم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم اى على بقية شحم
كانت بها من شحم ذاهب وقرئ على اثرة اى من شيء اوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة
به لغيركم وقرئ اثرة بالحركات الثلث في الهمزة مع سكون الثاء فالاثرة بالكسر بمعنى الاثرة
واما الاثرة فالمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه واما الاثرة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم
ما يخطب به ومن اضل معنى الاستفهام فيه انكار ان يكون في الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة
الاصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام ويدعون
من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة احد منهم ما دامت الدنيا والى ان
تقوم القيامة واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا
في الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم

الذي

وانما قيل من وهم لانه اسند اليهم ما يسند الى اولى العلم من الاستجابة والغفلة لانهم كانوا
يصفونهم بالتمييز جهلاً وغباوة ويجوز ان يريد كل معبود من دون الله من الجن والانس
والاوثان فغلب غير الاوثان عليها قرئ ما لا يستجيب وقرئ يدعو غير الله من لا يستجيب
ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقة طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان
تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم بينات
جمع بينة وهي الحجة والشاهد او واضحات مبينات واللام في للحق مثلها في قوله الذين
آمنوا لو كان خيرا اي لاجل الحق ولاجل الذين آمنوا والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا
المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق لما جاءهم
اي بادهوه بالجحود ساعة اتاهم واول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر ومن
عنادهم وظلمهم انهم سموه سحرا مبينا ظاهرا امره في البطلان لا شبهة فيه ام يقولون
افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا افتراه ومعنى الهمزة
في ام الانكار والتعجيب كانه قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك
ان محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون امة العرب لكانت
قدرته عليه معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة تصديقا من الله له والحكيم لا يصدق
الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به القرآن قل ان افتريته على سبيل الفرض
عاجلني الله لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون
دفع شيء من عقابه عني فكيف افتريه واتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب و
لا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم ومن
يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ومنه قوله عليه السلام لا املك لكم من الله شيئا ثم قال

هو اعلم

هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح في وحي الله تعالى والطعن في آياته
وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد
عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم
موعدة بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا واشعار بحلم الله عنهم مع عظم
ما ارتكبوا **فان قلت** فما معنى اسناد الفعل اليهم في قوله فلا تملكون لي **قلت** كان
فيما اتاهم به النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء العاقبة وارادة الخير بهم فكانه قال لهم
ان افتريته وانا اريد بذلك التنصح لكم وصدكم عن عبادة الآلهة الى عبادة الله فما تغنون عني
ايها المنصوحون ان اخذني الله بعقوبة الافتراء عليه البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف
وقرئ بدعا بفتح الدال اي ذا بدع ويجوز ان يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم
ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الآيات ويسالونه عما لم يوح به اليه من الغيوب فقيل له قل
ما كنت بدعا من الرسل فآتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما تسالون عنه من المغيبات
فان الرسل لم يكونوا ياتون الا بما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون الا بما اوحي اليهم ولقد
اجاب موسى عليه السلام عن قول فرعون فما بال القرون الاولى بقوله علمها عند ربي وما
ادري لانه لا علم لي بالغيب ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان من افعاله ويقدر
لي ولكم من قضاياه ان اتبع الا ما يوحى الي وعن الحسن وما ادري ما يصير اليه امري وامركم
في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له اصحابه وقد ضجروا من اذى
المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم أأترك بمكة ام اومر بالخروج
الى ارض قد رفعت لي ورايتها يعني في منامه ذات نخيل وشجر وعن ابن عباس ما يفعل
بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر

ويجوز ان يكون نفيا للدرايه المفصله وقرى ما يفعل بفتح اليا اى يفعل الله عز وجل
فان قلت ان يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بى وبكم قلت
اجل ولكن النفي فيما ادرى لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما فى حيزه صح ذلك وحسن
الا ترى الى قوله اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر كيف
دخلت البا فى خبر ان وذلك لتناول النفي اياها مع ما فى حيزها وما فى ما يفعل يجوز
ان يكون موصوله منصوبه وان يكون استفهاميه مرفوعة وقرى يوحى اى الله عز وعلا
جواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين ويدل
على هذا المحذوف قوله ان الله لا يهدى القوم الظالمين والشاهد من بنى اسرايل
عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلعم المدينه نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب و
تامله فتحقق انه هو النبى المنتظر وقال له انى اسلك عن ثلث لا يعلمهن الا نبى ما اول
اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة وما بال الولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال
عليه السلم اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله
اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فاذا سبق ما الرجل نزعه وان سبق ما المراة
نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان
علموا باسلامى قبل ان تسالهم عنى بهتونى عندك فجات اليهود فقال لهم النبى صلعم اى
رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا فقال
ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف
يا رسول الله واحذر قال سعد بن ابى وقاص ما سمعت رسول الله يقول لاحد يمشى على وجه الارض

انه

111

انه من اهل الجنة الا لعبد الله سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بنى اسرايل على مثله الضمير
للقرآن اى على مثله فى المعنى وهو ما فى التوريه من المعانى المطابقه لمعانى القرآن من
التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله تعالى وانه لفى زبر الاولين
ان هذا لفى الصحف الاولى كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك ويجوز ان يكون
المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعنى كونه من الله عند
فان قلت اخبرنى عن نظم هذا الكلام لاقف على معناه من جهة النظم قلت الواو
الاولى عاطفه لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم فى قوله قل ارايتم ان كان من عند الله
ثم كفرتم به وكذلك الواو الاخيره عاطفه لاستكبرتم على شهد شاهد واما الواو فى وشهد
شاهد فقد عطفت جمله قوله شهد شاهد من بنى اسرايل على مثله فامن واستكبرتم على
جمله قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك ان احسنت اليك واسات واقبلت
عليك واعرضت لم اتفق فى انك اخذت ضميمين فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل
اخبرونى ان اجتمع كون القرآن من عند الله وكفركم به واجتمع شهادة اعلم بنى اسرايل على
نزول مثله وايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به الستم اضل الناس واظلمهم و
قد جعل الايمان فى قوله فامن مسببا عن الشهادة على مثله لانه لما علم ان مثله انزل
على موسى عليه السلم وانه من جنس الوحى وليس من كلام البشر وانصف من نفسه فشهد
عليه واعترف كان الايمان نتيجه ذلك للذين امنوا لاجلهم وهو كلام كفار مكه
قالوا عامه من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود فلو كان
ما جا به خيرا ما سبقنا اليه هولا وقيل لما اسلمت جهينه ومزينه واسلم وغفار قالت بنو
عامر وغطفان واسد واشجع لو كان خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم وقيل ان امة لعمر اسلمت وكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا انى فترت

لن تذك ضربا وكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعوا اليه محمد حقا ما سبقنا
اليه فلان وقيل كان اليهود يقولونه عند اسلام عبد الله واصحابه **فان قلت** لا بد
من عامل في الظرف في قوله اذ لم يهتدوا به ومن متعلق لقوله فسيقولون وغير مستقيم
ان يكون فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع دلالتي المضي والاستقبال فما وجه
هذا الكلام **قلت** العامل في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله
فلما ذهبوا به وقولهم حينئذ الآن وتقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون
هذا افك قديم وهذا المضمر صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون
مسببا عنه كما صح باضمار ان قوله حتى يقول الرسول لمصادفة حتى مجرورها والمضارع
ناصبه وقولهم افك قديم كقولهم اساطير الاولين كتاب موسى مبتدا ومن قبله ظرف
واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب اماما على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقرئ
ومن قبله كتاب موسى على وآتينا الذين قبله التورية ومعنى اماما قدوة يؤتم به في دين الله
وشرائعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه وهذا القرآن كتاب مصدق
لكتاب موسى او لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقرئ مصدق لما بين يديه
ولسانا عربيا حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز ان
ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة وجوز ان يكون مفعولا لمصدق
اي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول وقرئ لتنذر بالتاء والياء ولينذر من نذر
ينذر اذا حذر وبشرى في محل النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له وقرئ
حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وبفتحهما واحسانا وكرها بالفتح والضم
وهما لغتان في معنى المشقة كالفقر والفقر وانتصابه على الحال اي ذات كره او على انه

صفة للمصدر اي حملا ذا كره وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله ثلثون شهرا
وهذا دليل على ان اقل الحمل ستة اشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله
عز وعلا حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة اشهر وقرئ وفصله
والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى **فان قلت** المراد بيان مدة الرضاع
لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال **قلت** لما كان الرضاع يليه الفصال و
يلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي فصالا كما سمي المدة بالامد من قال كل حي مستكمل مدة
العمر ومود اذا انتهى امده وفيه فائدة وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال
ووقته وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده وبلوغ الاشد ان يكتمل ويستوفي السن التي
تستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك اذا اناف على الثلثين وناطح الاربعين وعن قتادة
ثلث وثلثون سنة ووجهه ان يكون ذلك اول الاشد وغايته الاربعون وقيل لم
يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد
والاسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه وقيل في العمل
المرضي هو الصلوات الخمس **فان قلت** ما معنى في في قوله واصلح لي في ذريتي **قلت**
معناه ان يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي الصلاح في ذريتي
واوقعه فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي من المسلمين من المخلصين وقرئ يتقبل
ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما لله عز وجل وقرئا بالنون **فان قلت** ما معنى
قوله في اصحاب الجنة **قلت** هو نحو قولك اكرمني الامير في ناس من اصحابه يريد
اكرمني في جملة من اكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين
في اصحاب الجنة ومعدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز
وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز

وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وفي ابيه ابي قحافة وامه ام الخير وفي اولاده
واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن احد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار اسلم
هو ووالداه وبناته غير ابي بكر والذي قال لوالديه مبتدأ خبره اولئك الذين حق (وبنوه م)
عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا
وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد
سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه وقد
دعاه ابوه ابو بكر وامه ام رومان الى الاسلام فافف بهما وقال ابعثوا الى جدعان بن عمرو
وعثمان بن عمرو وهما من اجداده حتى اسألهما عما يقول محمد ويشهد لبطلانه ان المراد بالذي
قال جنس القائلين ذلك وان قوله الذين حق عليهم القول هم اصحاب النار وعبد الرحمن
كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة رضي الله عنها انكار نزولها فيه وحين كتب معوية
الى مروان بان يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية اتبايعون لابنائكم
فقال مروان يا ايها الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما فسمعت
عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت ان اسميه لسميته ولكن الله لعن اباك
وانت في صلبه فانت فضض من لعنة الله وقرئ اف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحركات
الثلث مع التنوين وهو صوت اذا صوت به الانسان علم انه متضجر كما اذا قال حس
علم انه متوجع واللام للبيان معناه هذا التأفيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما وقرئ
اتعدانني بنونين واتعداني باحدهما واتعداني بالادغام وقد قرأ بعضهم اتعدانني بفتح النون
كأنه استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الاولى تحريا للتخفيف كما تحراه من
ادغم ومن طرح احدهما ان اخرج ان ابعث واخرج من الارض وقرئ اخرج وقد خلت

القرون

القرون من قبلي يعني ولم يبعث منهم احد يستغيثان الله يقولان الغياث بالله
منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويلك دعاء عليه بالثبور والمراد الحث و
التحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك ان امن نحو قوله في اصحاب الجنة وقرئ ان بالفتح
على امن بان وعد الله حق ولكل من الجنسين المذكورين درجات مما عملوا اي منازل
ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا منهما فان قلت كيف
قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات قلت يجوز ان يقال
ذلك على وجه التغليب لاشتمال كل على الفريقين وليوفيهم وقرئ بالنون تعليل
معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كانه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر
جزاءهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ناصب
الظرف هو القول المضمر قبل اذهبتم وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض
بنو فلان على السيف اذا قتلوا به ومنه قوله تعالى يعرضون عليها ويجوز ان يراد عرض
(الحوض م) النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه
تفسير ابن عباس يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها اذهبتم طيباتكم اي ما كتب لكم
حظ من الطيبات الا ما قد اصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به واخذتموه فلم يبق لكم بعد
استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لدعوت بصلائق وصناب
وكراكر واسنمة ولكني رأيت الله نعى على قوم طيباتهم فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم
الدنيا وعنه لو شئت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكني استبقي طيباتي وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل على اهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون
لها رقاعا فقال انتم اليوم خير ام يوم يغدو احدكم في حلة ويروح في اخرى ويغدى عليه بجفنة

ويُراح عليه بأخرى ويستر بينه كما يستر الكعبة قالوا اخش يومئذ خير قال بل انتم اليوم
خير وقرئ أأذهبتم بهمزة الاستفهام وآاذهبتم بألف بين همزتين الهون الهوان وقرئ
عذاب الهوان وقرئ تفسقون بضم السين وكسرها الاحقاف جمع حقف وهو رمل
مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد
يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان و
مهرة والنذر جمع نذير بمعنى المنذر والانذار من بين يديه من قبله ومن خلفه من
بعده وقرئ من بين يديه ومن بعده والمعنى ان هودا عليه السلام قد انذرهم فقال لهم لا
تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم العذاب واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين
سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره وعن ابن عباس رضي الله عنه يعني الرسل
الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد
انذاره هذا اذا علقت وقد خلت النذر بقوله انذر قومه ولك ان تجعل قوله وقد
خلت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضا بين انذر قومه وبين ان لا تعبدوا ويكون
المعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من
الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم الافك الصرف يقال افكه عن رأيه عن آلهتنا
عن عبادتها ما تعدنا من معاجلة العذاب على الشرك ان كنت صادقا في وعدك ○
فان قلت من اين طابق قوله انما العلم عند الله جوابا لقولهم فأتنا بما تعدنا قلت
من حيث ان قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب ألا ترى الى قوله بل هو ما استعجلتم به
فقال لهم لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابا انما علم ذلك
عند الله فكيف ادعوه بأن يأتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه انتم ومعنى وابلغكم

ما ارسلت

ما ارسلت به وقرئ بالتخفيف ان الذي هو شاني ان ابلغكم ما ارسلت به من الانذار
والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدي ولكنكم جاهلون لا تعلمون ان
الرسل لم يبعثوا الا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما اذن لهم فيه فلما رأوه في
الضمير وجهان ان يرجع الى ما تعدنا وان يكون مبهما قد وضح امره بقوله عارضا اما
تمييزا واما حالا وهذا الوجه اعرب وافصح والعارض السحاب الذي يعرض في افق
من السماء ومثله الحبي والعنان من حبى وعن اذا عرض واضافة مستقبل وممطر
مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين وصفا للنكرة بل هو
القول قبله والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرئ
بل ما استعجلتم به هي ريح اي قال الله قل ريح تدمر كل شيء تهلك من نفوس عاد واموالهم
الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك ترى الخطاب
للرائي من كان وقرئ لا يرى على البناء للمفعول بالياء والتاء وتأويل القراءة بالتاء وهي
عن الحسن لا ترى بقايا ولا اشياء الا مساكنهم ومنه بيت ذي الرمة وما بقيت الا
الضلوع الجراشع وليست بالقوية وقرئ لا ترى الا مسكنهم ولا يرى الا مسكنهم وروي
الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة وقيل
اول من ابصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي ان
اول ما عرفوا به انه عذاب انهم رأوا ما كان في الصحراء من رجالهم ومواشيهم تطير بهم
الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب و
صرعتهم وامال الله عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم كشف
الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي ان هودا لما احس بالريح خط على نفسه

وعلى المؤمنين الحجب عن تبع وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم
من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض
وتدمغهم بالحجارة وعن النبي صلعم انه كان اذا راى الريح فزع وقال اللهم اني اسئلك
خيرها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما ارسلت به واذا راى مخيلة
قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال له يا رسول الله ما تخاف فيقول اني اخاف
ان يكون مثل قوم عاد حيث قالوا عارض ممطرنا **فان قلت** ما فائدة اضافة الرب
الى الريح **قلت** الدلالة على ان الريح وتصريف اعنتها مما يشهد لعظم قدرته لانها
من اعاجيب خلقه واكابر جنوده وذكر الامر وكونها مامورة من جهته عز وعلا يعضد
ذلك ويقويه ان نافية اى فيما ما مكناكم فيه الا ان ان احسن في اللفظ لما في مجامعة ما
مثلها من التكرير المستبشع ومثله مجتنب الا ترى ان الاصل في مهما ما ما فلبشاعة التكرير
قلبوا الالف هاء ولقد اغث ابو الطيب في قوله لعمرك ما ما بان منك لضارب وما
ماضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك ان ما بان دون ادناه الخطوب
وقيل ان صلة اي فيما مكناكم والوجه هو الاول ولقد جاء عليه آية في القرآن هم عليهم
احسن اثاثا ورئيا كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا وهو ابلغ في التوبيخ وادخل في الحث
على الاعتبار من شيء اى من شيء من الاغناء وهو القليل منه **فان قلت** بم انتصب
اذ كانوا يجحدون **قلت** بقوله فما اغنى **فان قلت** لم جرى مجرى التعليل
قلت لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لاساءته وضربته اذ اساء
لانك اذا ضربته في وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا ان اذ وحيث
غلبتا دون ساير الظروف في ذلك ما حولكم يا اهل مكة من القرى من نحو حجر ثمود وقرية سدوم

وغيرهما

وغيرهما والمراد اهل القرى ولذلك قال لعلهم يرجعون القربان ما تقرب به الى الله اى
اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واحد مفعولي
اتخذ الراجع الى الذين المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال ولا يصح ان يكون قربانا مفعولا
ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم
بل ضلوا عنهم اى غابوا عن نصرتهم وذلك اشارة الى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم
اى وذلك اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب
من كونه ذا شركاء وقرئ افكهم والافك كالحذر والحذر وقرئ وذلك افكهم اى
وذلك الاتخاذ الذي هذا اثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ افكهم على التشديد للمبالغة
وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم اى قولهم الافك ذو الافك كما تقول قول كاذب وذلك
افك مما كانوا يفترون اى بعض ما كانوا يفترون من الافك صرفنا اليك نفرا امِلناهم
اليك واقبلنا بهم نحوك وقرئ صرّفنا بالتشديد لانهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع
انفارا وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه لو كان هاهنا احد من انفارنا فلما حضروه الضمير
للقرآن اى فلما كان بمسمع منهم او لرسول الله صلعم وتعضده قراءة من قرا فلما قضى
اى اتم قراءته وفرغ منها قالوا قال بعضهم لبعض انصتوا اسكتوا مستمعين يقال انصت
لكذا واستنصت له روى ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب
قالوا ما هذا الا لنبا حدث فنهض سبعة نفر او تسعة من اشراف جن نصيبين او نينوى
منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلعم وهو
قايم في جوف الليل يصلى او في صلوة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطايف
حين خرج اليهم يستنصرهم فلم يجيبوه الى طلبته واغروا به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن

بن جبير رضي الله عنه ما قرأ رسول الله على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلوته فمروا به فوقفوا
مستمعين وهو لا يشعر فانبأه الله باستماعهم وقيل بل امر الله رسوله ان ينذر الجن ويقرأ
عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني
قالها ثلثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن احد غيري
فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطا وقال لا تخرج منه حتى اعود
اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله وغشيته اسودة
كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله
هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين
وكانوا بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قرأها عليهم
اقرأ باسم ربك **فان قلت** كيف قالوا من بعد موسى **قلت** عن عطاء انهم
كانوا على اليهودية وعن ابن عباس ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى فلذلك قالت من بعد موسى
فان قلت لم بعض في قوله من ذنوبكم **قلت** لان من الذنوب ما لا يغفر بالايمان
كذنوب المظالم ونحوها قوله عز وعلا ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ونحوها صح
ذنوبكم **فان قلت** هل للجن ثواب كما للانس **قلت** اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم
الا النجاة من النار لقوله ويجركم من عذاب اليم واليه كان يذهب ابو حنيفة رضي الله عنه
والصحيح انهم في حكم بني آدم لانهم مكلفون مثلهم فليس بمعجز في الارض اي لا
ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحوه قوله وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض
ولن نعجزه هربا بقادر محله الرفع لانه خبر ان يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت
الباء لاشتمال النفي في اول الآية على ان وما في حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت ان

زيدا

زيدا يقاومهم جاز كانه قيل اليس الله بقادر الا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث
وغيره لا لرؤيتهم وقرئ بقدر ويقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه ومنه افعيينا بالخلق
الاول اليس هذا بالحق محكي بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب الظرف وهذا اشارة
الى العذاب بدليل قوله فذوقوا العذاب والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم
بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين اولوا العزم اولوا الجد والثبات والصبر ومن
يجوز ان يكون للتبعيض ويراد باولي العزم بعض الانبياء قيل هم نوح صبر على اذى قومه
كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابرهيم على النار وذبح ولده واسحق على الذبح ويعقوب
على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى
قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة
وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقال الله تعالى في آدم و
لم نجد له عزما وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز ان يكون للبيان فيكون اولوا ...... العزم
صفة الرسل كلهم ولا تستعجل لكفار قريش بالعذاب اي لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل
بهم لا محالة وان تأخر وانهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة
من نهار بلاغ هذا بلاغ اي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او هذا تبليغ من الرسول
فهل يهلك الا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه ويدل على معنى التبليغ قراءة من قرأ
بلغ فهل يهلك وقرئ بلاغا اي بلغوا بلاغا وقرئ يهلك بفتح الياء وكسر اللام وفتحها من هلك
وهلك ونهلك بالنون الا القوم الفاسقين عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الاحقاف
كتب له عشر حسنات بعدد
كل رملة في الدنيا

سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية عند مجاهد وقال الضحاك وسعيد بن جبير مكية وهي سورة القتال وهي تسع وثلثون آية وقيل ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم وصدوا واعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الاسلام او
صدوا غيرهم عنه قال ابن عباس رضي الله هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثني
عشر رجلا من اهل الشرك يصدون الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل هم اهل الكتاب
الذين كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل
من كفر وصد اضل اعمالهم ابطلها واحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضايعة ليس لها من
يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل التي هي بمضيعة لا رب لها يحفظها ويعتني
بامرها او جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم مغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن واعمالهم ما
عملوا في كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى وقرى الاضياف
وحفظ الجوار وقيل ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلعم والصد عن سبيل الله بان نصره
عليهم واظهر دينه على الدين كله والذين آمنوا قال مقاتل هم ناس من قريش وقيل من الانصار
وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل هو عام وقوله وآمنوا بما نزل على محمد اختصاص
للايمان بالمنزل على رسول الله من بين ما يجب به الايمان تعظيما لشانه وتعليما لانه لا يصح
الايمان ولا يتم الا به واكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله وهو الحق من ربهم وقيل معنا
ها

117

ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره وقرئ نُزِّلَ وأُنزل على البناء
للمفعول ونَزَل على البناء
للفاعل ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر و
المعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم واصلح بالهم اي حالهم وشانهم بالتوفيق في امور الدين وبالتسليط
على الدنيا بما اعطاهم من النصرة والتاييد ذلك مبتدا وما بعده خبره اي ذلك الامر وهو
اضلال اعمال احد الفريقين وتكفير سيئات الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء
الباطل وهؤلاء الحق ويجوز ان يكون ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر كما ذكر بهذا السبب
فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا ومرفوعا على الاول والباطل ما لا ينتفع به وعن مجاهد
الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله
للناس امثالهم والضمير راجع الى الناس او الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب
امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم **فان قلت** اين ضرب الامثال **قلت**
في ان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين او في ان
جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين لقيتم من اللقاء
وهو الحرب فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر
فانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر
وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان الواجب ان
تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء وذلك انهم كانوا يقولون ضرب
الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه اذا قتله وذلك ان قتل
الانسان اكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته من المقاتل
كما ذكرنا في قوله بما كسبت ايديكم على ان في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس

في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صورة وهو حز العنق واطارة العضو الذي
هو راس البدن وعلوه واوجه اعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله فاضربوا فوق
الاعناق واضربوا منهم كل بنان اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين و
هو الغليظ اي اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم
والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين اي فاما تمنون
منا واما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الاسر بين ان يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين ان
يفادوهم فان قلت كيف حكم اسارى المشركين قلت اما عند ابي حنيفة
واصحابه رضي الله عنهم فاحد امرين اما قتلهم واما استرقاقهم ايهما راى الامام ويقولون في
المن والفداء المذكورين في الاية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من
ولا فداء وانما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل
ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من اهل الذمة وبالفداء ان يفادي
باساراهم اسارى المشركين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن ابي حنيفة والمشهور انه لا يرى
فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين واما الشافعي رضي الله عنه
فيقول للامام ان يختار احد الاربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهو القتل والاسترقاق
والفداء باسارى المسلمين والمن ويحتج بان رسول الله صلعم من على ابي عزة الجمحي وعلى
اثال الحنفي وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند اصحاب الراي نسخه
وقرئ فدا بالقصر مع الفتح اوزار الحرب آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع
قال الاعشى واعددت للحرب اوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا وسميت اوزارها لانه لما
لم يكن لها بد من جرها فكانها تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكانها وضعتها وقيل اوزارها آثامها

وضعتها

يعني حتى يترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا فان قلت
حتى بم تعلقت قلت لا تخلو من ان تتعلق بالضرب والشد او بالمن والفداء فالمعنى
على كلا المتعلقين عند الشافعي رضي الله عنه انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون
حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلم وعند ابي حنيفة
رضي الله عنه اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس
الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن
عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتاول المن والفداء بما ذكرنا من
التاويل ذلك اي الامر ذلك او افعلوا ذلك لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب
الهلك من خسف او رجفة او حاصب او غرق او موت جارف ولكن امركم بالقتال
ليبلو المؤمنين بالكافرين والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض ما وجب
لهم من العذاب وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقاتلوا وقرئ فلن تضل اعمالهم
وتضل اعمالهم على البناء للمفعول ويضل اعمالهم من ضل وعن قتادة انها نزلت في يوم
احد عرفها لهم اعلمها لهم وبينها بما يعلم به كل احد منزله ودرجته قال مجاهد يهتدي اهل
الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها
وعن مقاتل ان الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء
اعطاه الله او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة وفي كلام بعضهم عزف كنوح
القماري وعرف كفوح القماري او حددها لهم فجنة كل احد محدودة مفروزة عن غيرها
من عرف الدار وارفها والعرف والارف الحدود ان تنصروا دين الله ورسوله ينصركم
على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب او على محجة الاسلام والذين كفروا

بان يجاهدوا او يصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم

يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره فتعسا لهم كانه قيل اتعس الذين كفروا
فان قلت علام عطف قوله واضل اعمالهم قلت على الفعل الذي نصب
تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وتعسا له نقيض لعا له قال الاعشى
فالتعس اولى لها من ان اقول لعا يريد فالعثور والانحطاط اقرب لها من الانتعاش
والثبوت وعن ابن عباس يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي في النار كرهوا القرآن
وما انزل الله فيه من التكاليف والاحكام لانهم قد الفوا الاهمال واطلاق العنان في
الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم دمره اهلكه ودمر عليه اهلك عليه
ما يختص به والمعنى دمر الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واولادهم واموالهم وكل ما كان
لهم وللكافرين امثالها الضمير للعاقبة المذكورة او للهلكة لان التدمير يدل عليها والسنة
لقوله عز وعلا سنة الله في الذين خلوا مولى الذين آمنوا وليهم وناصرهم وفي قراءة ابن
مسعود ولي الذين آمنوا وروي ان رسول الله صلعم كان في الشعب يوم احد وقد فشت
فيهم الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون اعل هبل فنادى المسلمون الله اعلى
واجل فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال ان لنا عزى ولا عزى لكم فقال
رسول الله صلعم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة اما قتلانا فاحياء يرزقون
واما قتلاكم ففي النار يعذبون فان قلت قوله تعالى وردوا الى الله مولاهم الحق
مناقض لهذه الاية قلت لا تناقض بينهما لان الله مولى عباده جميعا على معنى انه ربهم
ومالك امرهم واما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة يتمتعون ينتفعون بمتاع الحياة
الدنيا اياما قلائل وياكلون غافلين غير متفكرين في العاقبة كما تاكل الانعام في مسارحها و
معالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح مثوى لهم منزل ومقام وقرى وكاين بوزن

كاعن

كاعن واراد بالقرية اهلها ولذلك قال اهلكناهم كانه قال وكم من قوم هم اشد قوة
من قومك الذين اخرجوك اهلكناهم ومعنى اخرجوك كانوا سبب خروجك فان قلت
كيف قال فلا ناصر لهم وانما هو امر قد مضى قلت مجراه مجرى الحال المحكية كقولك
اهلكناهم فهم لا ينصرون من زين لهم اهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم
لله ورسوله ومن كان على بينة من ربه اي على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن
المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله صلعم وقرئ امن كان على بينة من ربه وقال سوء عمله
واتبعوا حملا على لفظ من ومعناه فان قلت ما معنى قوله مثل الجنة التي وعد
المتقون فيها انهار كمن هو خالد في النار قلت هو كلام في صورة الاثبات ومعنى
النفي والانكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وانخراطه
في سلكه وهو قوله افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وكانه قيل امثل الجنة كمن
هو خالد في النار اي كمثل جزاء من هو خالد في النار فان قلت فلم عري من حرف
الانكار وما فائدة التعرية قلت تعريته من حرف الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة
من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري
فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى اهلها الحميم ونظيره قول القائل أفرح ان أرزأ الكرام
وان أورث ذودا شصائصا نبلا هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه
من حرف الانكار لانطوائه تحت حكم قول من قال له اتفرح بموت اخيك وبوراثة ابله و
الذي طرح لاجله حرف الانكار ارادة ان يصور قبح ما أزن به وكانه قال له نعم مثلي يفرح
بمرزئة الكرام وبان يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته كل انكار
ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشان وهو مبتدا وخبره كمن هو خالد وقوله فيها انهار
داخل في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التي فيها انهار ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف هي فيها انهار

وكان قايلا قال وما مثلها فقيل فيها انهار وان تكون في موضع الحال اي مستقرة
فيها انهار وفي قراءة علي رضي الله امثال الجنة اي ما صفاتها كصفات النار وقرى .
اسن يقال اسن الماء واجن اذا تغير طعمه وريحه وانشد ليزيد بن معونة لقد سقتني رضابا
عذب ذي اسن كالمسك فت على ماء العناقيد من لبن لم يتغير طعمه كما يتغير البان الدنيا
فلا يعود قارصا ولا حازرا ولا ما يكره من الطعوم لذة تانيث لذ وهو اللذيذ او وصف
بمصدر وقرى بالحركات الثلث فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الانهار والنصب على
العلة اي لاجل لذة الشاربين والمعنى ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا
صداع ولا افة من افات الخمر مصفى لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره ماء
حميما قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة روسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم هم
المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلعم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا
يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا ذاك للعلماء وقيل قالوه لعبد الله ابن مسعود
وعن ابن عباس انا منهم وقد سميت فيمن سيل آنفا وقرى انفا على فعل نصب على الظرف
قال الزجاج هو من استانفت الشي اذا ابتداته والمعنى ماذا قال في اول وقت
يقرب منا زادهم الله هدى بالتوفيق واتاهم تقويهم اعانهم عليها او اتاهم جزاء تقواهم
وعن السدي بين لهم ما يتقون وقرى واعطاهم وقيل الضمير في زادهم لقول الرسول او
لاستهزاء المنافقين ان تاتيهم بدل اشتمال من الساعة نحو ان تطاوهم من قوله رجال
مومنون ونساء مومنات وقرى ان تاتهم بالوقف على الساعة واستيناف الشرط وهي
في مصاحف اهل مكة كذلك **فان قلت** فما جزاء الشرط **قلت** قوله فانى
لهم ومعناه ان تاتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم الساعة

يعني لا ينفعهم الذكرى حينئذ كقوله يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى
فان قلت بم يتصل قوله فقد جاء اشراطها على القراءتين **قلت** باتيان
الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك ان اكرمني زيد فانا حقيق بالاكرام اكرمه و
الاشراط العلامات قال ابو الاسود فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا فقد جعلت
اشراط اوله تبدو وقيل مبعث محمد خاتم الانبياء صلعم وعليهم منها وانشقاق
القمر والدخان وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة
الكرام وكثرة اللئام وقرى بغتة بوزن جربة وهي غريبة لم ترد في المصادر اختها وهي مروية
عن ابي عمرو وما اخوفني ان تكون غلطة من الراوي على ابي عمرو وان يكون الصواب بغتة
بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم لما ذكر حال المومنين وحال الكافرين
فقال اذا علمت ان الامر كما ذكر من سعادة هولاء وشقاوة هولاء فاثبت على ما انت
عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من
على دينك والله يعلم احوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون
من منازلكم او متقلبكم في حيواتكم ومثويكم في القبور او متقلبكم في اعمالكم ومثواكم من الجنة
والنار ومثله حقيق بان يخشى ويتقى وان يستغفر ويسترحم وعن سفيان بن عيينة انه سئل
عن فضل العلم قال الم تسمع قوله حين بدا به فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فامر بالعمل
بعد العلم وقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الى قوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال
واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم وقال واعلموا انما غنمتم من شي فان لله
خمسه ثم امر بالعمل بعد كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بالسنتهم ويقولون لولا
انزلت سورة في معنى الجهاد فاذا انزلت وامروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق

عليهم وسقطوا في ايديهم كقوله فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس
محكمة مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها
ذكر القتال فهي محكمة وهي اشد القرآن على المنافقين وقيل لها محكمة لان النسخ لا
يرد عليها من قبل ان القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى
يوم القيمة وقيل هي المحدثة لانها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك
او تبقى غير منسوخة وفي قراءة عبد الله سورة محدثة وقرى فاذا نزلت سورة وذكر فيها
القتال على البناء للفاعل ونصب القتال الذين في قلوبهم مرض هم الذين كانوا على حرف
غير ثابتي الاقدام نظر المغشي عليه من الموت اى تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كما ينظر
من اصابته الغشية عند الموت فاولى لهم وعيد بمعنى فويل لهم وهو افعل من الولي
وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه طاعة وقول معروف كلام مستانف
اى طاعة وقول معروف خير لهم وقيل هي حكاية قولهم اى قالوا طاعة وقول معروف
بمعنى امرنا طاعة وقول معروف ويشهد له قراءة ابى يقولون طاعة وقول معروف فاذا
عزم الامر اى جد والعزم والجد لاصحاب الامر وانما يسندان الى الامر اسنادا مجازيا
ومنه قوله ان ذلك لمن عزم الامور فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص على الجهاد او
فلو صدقوا في ايمانهم وواطات قلوبهم فيه السنتهم عسيتم وعسيتم لغة اهل الحجاز
واما بنو تميم فيقولون ان يفعل وعسى ان يفعلوا ولا يلحقون الضماير وقرا نافع بكسر السين عسى ص
وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون ابلغ
في التوبيخ **فان قلت** ما معنى فهل عسيتم ان تفسدوا في الارض **قلت**
معناه هل يتوقع منكم الافساد **فان قلت** فكيف يصح هذا في كلام الله عز وعلا

وهو

وهو عالم بما كان وما يكون **قلت** معناه انكم لما عهد منكم احقاء بان يقول لكم كل
من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم
ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل ان تفسدوا
في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا وقيل ان اعرضتم
وتوليتم عن دين رسول الله صلعم وسنته ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد
في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد
البنات وقرى وليتم وفي قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه توليتم اى ان تولاكم
ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وافسدتم بافسادهم وقرى وتقطعوا
وتقطعوا من التقطيع والتقطع اولئك اشارة الى المذكورين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم
الارحام فمنعهم الطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعظة وعموا عن ابصار طريق
الهدى ويجوز ان يريد بالذين امنوا المؤمنين الخلص الثابتين وانهم يتشوفون الى الوحي
اذا ابطا عليهم فاذا انزلت سورة في معنى الجهاد رايت المنافقين فيما بينهم يضجرون
منها افلا يتدبرون القرآن ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة
حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال ام على قلوب اقفالها وام بمعنى بل وهمزة التقرير
للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر وعن قتادة اذن والله يجدوا
في القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبروا ولكنهم اخذوا بالمتشابه فهلكوا **فان قلت**
لم نكرت القلوب واضيفت الاقفال اليها **قلت** اما التنكير ففيه وجهان ان يراد
على قلوب قاسية مبهم امرها في ذلك او يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين
واما اضافة الاقفال فلانه يريد الاقفال المختصة بها وهي اقفال الكفر التي استغلقت

فلا تفتح وقرى اِدغامها على المصدر الشيطان سول لهم جملة من مبتدا وخبر وقعت
خبرا لان كقولك ان زيدا عمرو مر به سول لهم سهل لهم ركوب العظايم من السول وهو
الاسترخاء وقد اشتقه من السول من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا واملى لهم و
مد لهم في الآمال والاماني وقرى واُملي لهم يعني ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم كقوله
انما نملي لهم وقرى واُملي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد في عمرهم وقرى سول لهم و
معناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف **فان قلت** من هولاء
قلت اليهود كفروا بمحمد صلعم من بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعته في التورية
وقيل هم المنافقون الذين قالوا القايلون اليهود والذين كرهوا ما انزل الله المنافقون
وقيل عكسه وانه قول المنافقين لقريظه والنضير لين اخرجتم لنخرجن معكم وقيل بعض
الامر التكذيب برسول الله او بلا اله الا الله او ترك القتال معه وقيل هو قول احد
الفريقين للمشركين سنطيعكم في التضافر على عداوة رسول الله والقعود عن الجهاد معه
ومعنى في بعض الامر في بعض ما تامرون به او في بعض الامر الذي تهمكم والله يعلم اسرارهم
وقرى اِسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم فافشاه الله عليهم فكيف يعملون وما
حيلتهم حينئذ وقرى توفاهم ويحتمل ان يكون ماضيا ومضارعا قد حذفت احدى
تائيه كقوله ان الذين توفاهم الملايكة وعن ابن عباس لا يتوفى احد على معصية الله الا
تضرب من الملايكة في وجهه ودبره ذلك اشارة الى التوفي الموصوف ما اسخط الله من
كتمان نعت رسول الله ورضوانه الايمان برسول الله اضغانهم احقادهم واخراجها ابرازها
لرسول الله وللمومنين واظهارهم على نفاقهم وعداوتهم له وكانت صدورهم تغلي حنقا
عليهم لاريناكهم لعرفناكهم ودللناك عليهم حتى تعرفهم باعيانهم لا يخفون عليك بسيماهم

لعلامتهم وهو ان يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن انس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله
بعد هذه الاية شي من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها
تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى جبهة كل واحد
مكتوب هذا منافق **فان قلت** اي فرق بين اللامين في فلعرفتهم ولتعرفنهم
قلت الاولى هي الداخلة في جواب لو كالتي في لاريناكهم كررت في المعطوف واما
اللام في ولتعرفنهم فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف في لحن القول في نحوه واسلوبه
وعن ابن عباس هو قولهم ما لنا ان اطعنا الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب
وقيل اللحن ان تلحن بكلامك اي تميله الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض
والتورية قال ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا واللحن يعرفه ذوو الالباب وقيل للمخطي لاحن
لانه يعدل بالكلام عن الصواب اخباركم ما يحكى عنكم وما يخبر به عن اعمالكم ليعلم حسنها
من قبيحها لان الخبر على حسب المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح وقرا يعقوب
ونبلو بسكون الواو على معنى ونحن نبلو اخباركم وقرى وليبلونكم ويعلم ويبلو بالياء وعن
الفضيل انه كان اذا قراها بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا
وعذبتنا وسيحبط اعمالهم التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب لانها مع كفرهم برسول الله
باطله وهم قريظه والنضير او سيحبط اعمالهم التي عملوها والمكايد التي نصبوها في مشاقة
الرسول اي سيبطلها فلا يصلون منها الى اغراضهم بل يستضرون بها ولا تثمر لهم الا القتل
والجلاء عن اوطانهم وقيل هم روسا قريش والمطعمون يوم بدر ولا تبطلوا اعمالكم اي لا تحبطوا
الطاعات بالكباير كقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى ان قال ان تحبط اعمالكم
وعن ابي العاليه كان اصحاب رسول الله يرون انه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك

عملٌ حتى نزلت ولا تبطلوا اعمالكم فكانوا يخافون الكبائر على اعمالهم وعن حذيفة فخافوا
ان تحبط الكبائر اعمالهم وعن ابن عمر كنا نرى انه ليس شيء من حسناتنا الا مقبولا حتى
نزل ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش
حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول في ذلك
فكنا نخاف على من اصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحم الله عبدا لم يحبط
عمله الصالح بعمله السيئ وقيل لا تبطلوها بمعصيتها وعن ابن عباس لا تبطلوها بالرياء و
السمعة وعنه بالشك والنفاق وقيل بالعجب فان العجب ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب
وقيل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ثم ماتوا وهم قيل هم اصحاب القليب والظاهر العموم كفارٌ
فلا تهنوا فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو ولا تدعوا الى السلم وقرئ السلم وهما المسالمة وانتم
الاعلون اى الاغلبون الاقهرون والله معكم اى ناصركم وعن قتادة لا تكونوا اول الطائفتين
ضرعت الى صاحبتها بالموادعة وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم وتداعوا اذا دعوا
نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي او منصوب لاضمار
ان ونحو قوله وانتم الاعلون قوله انك انت الاعلى ولن يتركم من وترت الرجل اذا قتلت له
قتيلا من ولد او اخ او حميم او حربته وحقيقته افردته من قريبه او ماله من الوتر وهو الفرد
فشبه اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه قوله عليه
السلام من فاته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله اى افرد عنهما قتلا ونهبا يؤتكم اجوركم ثواب
ايمانكم وتقواكم ولا يسالكم اموالكم اى ولا يسالكم جميعها انما يقتصر منكم على ربع العشر ثم قال
ان يسالكموها فيحفكم اى يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء
يقال احفاه في المسالة اذا لم يترك شيئا من الالحاح واحفى شاربه اذا استاصله تبخلوا

ويخرج اضغانكم اى تضطغنون على رسول الله وتضيق صدوركم لذلك واظهرتم
كراهتكم ومقتكم لدين يذهب باموالكم والضمير في يخرج لله عز وجل اى يضغنكم بطلب
اموالكم او للبخل لانه سبب الاضطغان وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والتاء مع
فتحهما ورفع اضغانكم هؤلاء موصول بمعنى الذين صلته تدعون اى انتم الذين تدعون او انتم
يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استانف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون
لتنفقوا في سبيل الله قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكوة كانه قيل الدليل على انه لو احفاكم
لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم انكم تدعون الى اداء ربع العشر فمنكم يبخلون به ثم قال ناس
ومن يبخل بالصدقة واداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وانما يبخل على نفسه يقال بخلت
عليه وعنه كذلك ضننت عليه وعنه ثم اخبر انه لا يامر بذلك ولا يدعوكم اليه لحاجته اليه
فهو الغني الذي تستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب وان تتولوا
معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا يستبدل قوما غيركم يخلق قوما سواكم على خلاف
صفتكم راغبين في الايمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله ويات بخلق جديد وقيل هم
الملائكة وقيل الانصار وعن ابن عباس كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة
فارس والروم وسئل رسول الله صلعم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه
وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من
فارس عن رسول الله صلعم من قرا سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلعم عن مكة

عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه
في أخباره لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة
على علو شأن المخبر ما لا يخفى **فإن قلت** كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة
قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الأمور الأربعة وهي المغفرة
وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك
على عدوك ليجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل ويجوز أن يكون فتح مكة
من حيث إنه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد عنوة أو
صلحا بحرب أو بغير حرب لأنه منغلق ما لم يظفر به فإذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح
وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة وعن
ابن عباس رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا
الصلح **فإن قلت** كيف يكون فتحا وقد أحصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية
قلت كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا وعن
موسى بن عقبة أقبل رسول الله صلعم من الحديبية راجعا فقال رجل من أنصاره اصحابه صح
ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي صلعم فقال بئس الكلام هذا
بل هو أعظم الفتوح وقد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألوكم القضية
ويرغبوا إليكم في الأمان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن الشعبي نزلت بالحديبية وأصاب
رسول الله صلعم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة أصاب أن بويع بيعة الرضوان وغفر له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدي محله وأطعموا نخل خيبر
وكان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك أنه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض

رسول الله

رسول الله ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى
امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم وقيل فتح الله له
بالإسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح
كلها إذ لا فتح من فتوح الإسلام إلا وهو تحته ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء
بينا على أهل مكة أن تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة
وهي الحكومة وكذا عن قتادة ما تقدم من ذنبك وما تأخر يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل
ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد نصرا
عزيزا فيه عز ومنعة أو وصف بصفة المنصور إسنادا مجازيا أو عزيزا صاحبه السكينة
للسكون كالبهيتة للبهتان أي أنزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح والأمن
ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الأمن بعد الخوف والهدنة غب القتال فيزدادوا يقينا
إلى يقينهم أو أنزل فيها السكون إلى ما جاء به محمد عليه السلام من الشرائع ليزدادوا
إيمانا بالشرائع مقرونا إلى إيمانهم وهو التوحيد عن ابن عباس أن أول ما أتاهم به النبي صلعم التوحيد
فلما آمنوا بالله وحده أنزل الصلوة والزكوة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا إيمانا إلى إيمانهم أو
أنزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك إيمانا إلى إيمانهم وقيل أنزل
فيها الرحمة ليتراحموا فيزدادوا إيمانهم ولله جنود السموات والأرض يسلط بعضها على بعض
كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن
يفتح لهم وإنما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب
فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه وقع السوء عبارة عن
رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه فقيل في المرضي الصالح من الأفعال فعل

رداءة الشيء

صدق وفي المخطوط الفاسد فيها فعل سوء ومعنى ظن السوء ظنهم ان الله تعالى لا
ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا عليهم دايرة
السوء اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهي حايقة بهم ودايرة عليهم والسوء الهلاك
والدمار وقرئ دايرة السوء بالفتح اي الدايرة التي يذمونها ويسخطونها فهي عندهم دايرة
السوء وعند المؤمنين دايرة صدق **فان قلت** هل من فرق بين السوء
والسوء **قلت** هما كالكره والكره والضعف والضعف من ساء الا ان المفتوح غلب في ان الضعف
يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير
يقال اراد به السوء واراد به الخير ولذلك اضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت
الدايرة محمودة فكان حقها ان لا تضاف اليه الا على التاويل الذي ذكرنا واما دايرة السوء
بالضم فلان الذي اصابهم مكروه وشدة فصح ان يقع عليه اسم السوء كقوله عز وعلا
ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة شاهدا تشهد على امتك كقوله ويكون الرسول عليكم
شهيدا لتؤمنوا الضمير للناس وتعزروه وتقووه بالنصرة وتوقروه وتعظموه وتسبحوه
من التسبيح او من السبحة والضماير لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله
ومن فرق الضماير فقد ابعد وقرئ لتؤمنوا وتعزروه وتوقروه بالتاء والخطاب لرسول الله
ولامته وقرئ وتعزروه بضم الزاي وكسرها وتعزروه بضم التاء والتخفيف وتعززوه بالزايين
وتوقروه من اوقره بمعنى وقره وتسبحوا الله بكرة واصيلا عن ابن عباس صلوة الفجر
وصلوة الظهر والعصر لما قال انما يبايعون الله اكده تاكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله
فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن
الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده

مع الله

مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله والمراد بيعة الرضوان
فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله رضي الله بايعنا
رسول الله صلعم تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا
جد بن قيس وكان منافقا اختبا تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم وقرئ انما يبايعون الله ٤ه
اي لاجل الله ولوجهه وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها وبما عاهد وعهد فسنوتيه
بالنون والياء يقال وفيت بالعهد واوفيت به وهي لغة تهامة ومنها قوله اوفوا بالعقود
والموفون بعهدهم هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع
واسلم والديل وذلك انه صلعم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من
حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له
بحرب او يصدوه عن البيت واحرم هو صلعم وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد حربا
فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا يذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه
فيقاتلهم وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم وانه ليس
لهم من يقوم باشغالهم وقرئ شغلتنا بالتشديد يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب
لهم في اعتذارهم وان الذي خلفهم ليس بما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق وطلبهم
الاستغفار ايضا ليس بصادر عن حقيقة فمن يملك لكم فمن يمنعكم من مشية الله وقضايه ان
اراد بكم ما يضركم من قتل او هزيمة او اراد بكم نفعا من ظفر وغنيمة وقرئ ضرا بالفتح والضم
الاهلون جمع اهل يقال اهلات على تقدير تاء التانيث كارض وارضات وقد جاء اهلة
واما اهال فاسم جمع كليال وقرئ الى اهلهم وزين على البناء للفاعل وهو الشيطان او الله
عز وجل وكلاهما جاء في القران وزين لهم الشيطان اعمالهم وزينا لهم اعمالهم والبور من باره

كالملك من هلك بناءً ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين في انفسكم وقلوبكم
ونياتكم لا خير فيكم او هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه للكافرين مقام مقام لهم
للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر ونكر سعيرا لانها
نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى ولله ملك السموات والارض يدبر تدبير قادر حكيم
فيغفر ويعذب بمشيئته ومشيئته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب
المصر وكان الله غفورا رحيما رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيئات باجتناب
الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة سيقول المخلفون الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم
الى مغانم اي مغانم خيبر ان يبدلوا كلام الله وقرئ كلم الله ان يغيروا موعد الله لاهل
الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين
لا يصيبون منهم شيئا وقيل هو قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا بل تحسدوننا ان نصيب
معكم من الغنائم وقرئ بضم السين وكسرها لا يفقهون لا يفهمون الا فهما قليلا وهو فطنتهم
لامور الدنيا دون امور الدين كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا فان قلت
ما الفرق بين حرفي الاضراب قلت الاول اضراب معناه رد ان يكون حكم الله
ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين
الى وصفهم بما هو اطم منه وهو الجهل وقلة الفقه قل للمخلفين هم الذين تخلفوا عن الحديبية
الى قوم اولي باس شديد يعني بني حنيفة قوم مسيلمة واهل الردة الذين حاربهم ابو بكر
الصديق رضي الله عنه لان مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام
او السيف عند ابي حنيفة ومن عداهم من مشركي العجم واهل الكتاب والمجوس تقبل منهم الجزية
وعند الشافعي رضي الله عنه

بلغ

لا يقبل الجزية الا من اهل الكتاب والمجوس دون مشركي العرب والعجم وهذا دليل
على امامة ابي بكر الصديق رضي الله عنه فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام رسول الله صلعم
ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله صلعم مع قوله تعالى فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن
تقاتلوا معي عدوا وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون لان الروم نصارى و
فارس مجوس يقبل منهم اعطاء الجزية فان قلت عن قتادة انهم ثقيف وهوازن و
كان ذلك في ايام رسول الله صلعم قلت ان صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا معي
ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين او على قول مجاهد
كان الموعد انهم لا يتبعون رسول الله الا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم كما توليتم من
قبل في غزوة الحديبية او يسلمون معطوف على تقاتلونهم اي يكون احد الامرين اما
المقاتلة او الاسلام لا ثالث لهما وفي قراءة ابي او يسلموا بمعنى الى ان يسلموا نفى الحرج
عن هؤلاء من ذوي العاهات في التخلف عن الغزو وقرئ ندخله ونعذبه بالنون هي
بيعة الرضوان سميت بهذه الاية وقصتها ان النبي صلعم حين نزل بالحديبية بعث خراش
بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر رضي الله عنه
ليبعثه فقال اني اخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي اياهم وما بمكة عدوي يمنعني ولكني
ادلك على رجل هو اعز بها مني واحب اليهم عثمان بن عفان فبعثه فخبرهم انه لم يأت
لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف
بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلعم واحتبس عندهم
فارجف بانهم قتلوه فقال رسول الله صلعم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى
البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر بن عبد الله لو كنت ابصر لاريتكم مكانها قيل

بطلح

كان رسول الله صلعم جالسا فی اصل الشجرة وعلی ظهره غصن من اغصانها قال عبد الله
بن المغفل وكنت قائما علی راسه وبیدی غصن من الشجرة اذب عنه فرفعت الغصن
عن ظهره فبایعوه علی الموت دونه وعلی ان لا یفروا فقال لهم رسول الله انتم الیوم خیر
اهل الارض وكان عدد المبایعین الفا وخمسمائة وخمسة وعشرین وقیل الفا واربعمائة فعلم
ما فی قلوبهم من الاخلاص وصدق الضمایر فیما بایعوا علیه فانزل السكینة
ای الطمانینة والامن بسبب الصلح علی قلوبهم واثابهم فتحا قریبا وهو فتح
خیبر غب انصرافهم من مكة وعن الحسن فتح هجر وهو اجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا ومغانم
كثیرة یاخذونها هی مغانم خیبر وكانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها علیهم ثم اتاه عثمان
بالصلح فصالحهم وانصرف بعد ان نحر بالحدیبیة وحلق وعدكم الله مغانم كثیرة وهی ما یفیء
علی المؤمنین الی یوم القیامة فعجل لكم هذه الغنائم یعنی مغانم خیبر وكف ایدی الناس عنكم
یعنی ایدی اهل خیبر وحلفائهم من اسد وغطفان حین جاؤا لنصرتهم فقذف الله فی قلوبهم
الرعب فنكصوا وقیل ایدی اهل مكة بالصلح ولتكون هذه الكفة آیة للمؤمنین وعبرة یعرفون
بها انهم من الله بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح علیهم وقیل رای رسول الله صلعم فتح
مكة فی منامه ورؤیا الانبیاء وحی فتاخر ذلك الی السنة القابلة فجعل فتح خیبر علامة
وعنوانا لفتح مكة ویهدیكم صراطا مستقیما ویزیدكم بصیرة ویقینا وثقة بفضل الله واخری
معطوفة علی هذه ای فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخری لم تقدروا علیها وهی مغانم
هوازن فی غزوة حنین وقال لم تقدروا علیها لما كان فیها من الجولة قد احاط الله بها ای
قدر علیها واستولی واظهركم علیها وغنمكموها ویجوز فی اخری النصب بفعل مضمر یفسره
قد احاط الله بها تقدیره وقضی الله اخری قد احاط بها واما لم تقدروا علیها فصفة لاخری و

الفتح

والرفع علی الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد احاط بها خبر المبتدا والجر باضمار رب
فان قلت قوله ولتكون آیة للمؤمنین كیف موقعه قلت هو كلام معترض ومعناه
ولتكون الكفة آیة للمؤمنین فعل ذلك ویجوز ان یكون المعنی وعدكم المغانم فعجل هذه الغنیمة
وكف الاعداء لینفعكم بها ولتكون آیة للمؤمنین اذا وجدوا وعد الله بها صادقا لان صدق
الاخبار عن الغیوب معجزة وآیة ویزیدكم بذلك هدایة وایقانا ولو قاتلكم الذین كفروا من
اهل مكة ولم یصالحوا وقیل من حلفاء اهل خیبر لغلبوا وانهزموا سنة الله فی موضع المصدر المؤكد
ای سن الله غلبة انبیائه سنة وهو قوله لاغلبن انا ورسلی اید یهم ایدی اهل مكة ای قضی بینهم
وبینكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر علیهم والغلبة وذلك یوم الفتح وبه استشهد
ابو حنیفة رضی الله عنه علی ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وقیل كان ذلك فی غزوة
الحدیبیة لما روی ان عكرمة بن ابی جهل خرج فی خمسمائة فبعث رسول الله صلعم من هزمه
وادخله حیطان مكة وعن ابن عباس اظهر الله المسلمین علیهم بالحجارة حتی ادخلوهم البیوت
وقری تعملون بالتاء والیاء قری والهدی والهدی بتخفیف الیاء وتشدیدها
وهو ما یهدی الی الكعبة بالنصب عطفا علی الضمیر المنصوب فی صدوكم ای صدوكم وصدوا
الهدی وبالجر عطفا علی المسجد الحرام بمعنی وصدوكم عن نحر الهدی معكوفا ان یبلغ محله
محبوسا عن ان یبلغ وبالرفع علی وصد الهدی ومحله مكانه الذی یحل فیه نحره ای یجب
وهذا دلیل لابی حنیفة علی ان المحصر محل هدیه الحرم فان قلت فكیف حل رسول الله
ومن معه وانما نحر هدیهم بالحدیبیة قلت بعض الحدیبیة من الحرم وروی ان مضارب
رسول الله كانت فی الحل ومصلاه فی الحرم فان قلت فاذن قد نحر فی الحرم فلم قیل معكوفا
ان یبلغ محله قلت المراد المحل المعهود وهو منی لم تعلموهم صفة للرجال والنساء جمیعا

وان تطاوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم والمعرة مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه وبغير علم متعلق بان تطاوهم يعني ان تطاوهم غير عالمين بهم والوطاء والدوس عبارة عن الايقاع والابادة قال ووطئتنا وطأ على حنق وطأ المقيد نابت الهرم وقال رسول الله صلعم وان اخر وطأة وطئها الله بوج والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفي الاماكن فقيل ولولا كراهة ان تهلكوا اناسا مومنين بين ظهراني المشركين وانتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف ايديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مومنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب **فان قلت** اي معرة تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون **قلت** يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والمأثم اذا جرى منهم بعض التقصير **فان قلت** قوله ليدخل الله في رحمته من يشاء تعليل لماذا **قلت** لما دلت عليه الاية وسيقت له من كف الايدي عن اهل مكة والمنع من قتلهم صونا لمن بين اظهرهم من المومنين كانه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مومنيهم او ليدخل في الاسلام من رغب فيه من مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ لو تزايلوا اذ يجوز ان يعمل فيه ما قبله اي لعذبناهم او صدوهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت وان ينتصب باضمار اذكر والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المومنين والحمية الانفة والسكينة الوقار وروي ان رسول الله صلعم لما نزل بالحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ابن الاحنف على ان يعرضوا على النبي صلعم ان يرجع من عامه ذلك على ان

لنخلي

١٢٨

تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلم لعلي رضي الله عنه اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه السلم اكتب ما يريدون فانا اشهد اني رسول الله وانا محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يابوا ذلك ويشمئزوا منه فانزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا وكلمة التقوى بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه وللذين معه اهل الخير ومستحقيه ومن هو اولى بالهداية من غيرهم وقيل هي كلمة الشهادة وعن الحسن كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى اضافتها الى التقوى انها سبب التقوى واساسها وقيل كلمة اهل التقوى وفي مصحف الحارث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا اهلها واحق بها وهو الذي دفن مصحفه ايام الحجاج راى رسول الله صلعم قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرويا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رويا رسول الله حق فلما تاخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى صدق الله رسوله الرويا صدقه في روياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار واوصل الفعل كقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه **فان قلت** بم تعلق بالحق **قلت** اما بصدق اي صدقه فيما راى وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المومن المخلص وبين من في قلبه مرض ويجوز ان يتعلق بالرويا حالا منها اي صدقه الرويا ملتبسة بالحق على معنى انها لم تكن من اضغاث الاحلام ويجوز ان يكون بالحق

اضغاث

فيما اما بالحق الذي هو نقيض الباطل او بالحق الذي هو من اسمائه ولتدخلن جوابه وعلى
الاول هو جواب قسم محذوف **فان قلت** ما وجه دخول ان شاء الله في اخبار الله
عز وجل **قلت** فيه وجوه ان يعلق عدته بمشيته تعليما لعباده ان يقولوا في عداتهم
مثل ذلك متادبين بادب الله ومقتدين بسنته وان يريد لتدخلن جميعا ان شاء الله
ولم يمت منكم احد او كان ذلك على لسان ملك فادخل الملك ان شاء الله او هي حكاية
ما قال رسول الله صلعم لاصحابه وقص عليهم وقيل هو متعلق بآمنين فعلم ما لم تعلموا من
الحكمة والصواب في تاخير فتح مكة الى العام القابل فجعل من دون ذلك اي من دون
فتح مكة فتحا قريبا وهو فتح خيبر ليستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الفتح الموعود
بالهدى ودين الحق بدين الاسلام ليظهره ليغلبه على الدين كله على جنس الدين كله يريد
الاديان المختلفة من اديان المشركين والجاحدين واهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه
فانك لا ترى دينا قط الا وللاسلام دونه العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى حين
لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والايات وفي هذه الاية تاكيد لما وعد من
الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على ان الله سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على
الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن عن الحسن شهد
على نفسه انه سيظهر دينك محمد اما خبر مبتدا اي هو محمد لتقدم قوله هو الذي ارسل رسوله
واما مبتدا ورسول الله عطف بيان وعن ابن عباس انه قرا رسول الله بالنصب على
المدح والذين معه اصحابه اشداء على الكفار رحماء بينهم جمع شديد ورحيم ونحوه اذلة على
المؤمنين اعزة على الكافرين واغلظ عليهم بالمؤمنين رؤوف رحيم وعن الحسن بلغ من تشددهم
على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من

ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه والمصافحة لم تختلف فيها
الفقهاء واما المعانقة فقد كرهها ابو حنيفة رضي الله عنه وكذلك التقبيل قال لا احب
ان يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئا من جسده وقد رخص ابو يوسف رضي الله
عنه في المعانقة ومن حق المسلمين في كل زمان ان يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف
فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه ويعاشروا اخوتهم في الاسلام متعطفين
بالبر والصلة وكف الاذى والمعونة والاحتمال والاخلاق السجيحة ووجه من قرا
اشداء ورحماء بالنصب ان ينصبهما على المدح او على الحال بالمقدر في معه ويجعل تراهم
الخبر سيماهم علامتهم وقرئ سيماؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيمياء والمراد بها السمة
التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله من اثر السجود يفسرها اي من التاثير الذي
يؤثره السجود وكان كل من العليين علي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن
عباس ابي الاملاك يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما احدثت في مواقعه منهما اشباه
ثفنات البعير وقرئ من اثر السجود من آثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير **فان قلت** فقد جاء
عن النبي صلعم لا تعلبوا صوركم وعن ابن عمر رضي الله عنه انه راى رجلا قد اثر في وجهه
السجود فقال ان صورة وجهك انفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك
قلت ذلك اذا اعتمد بجبهته على الارض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء و
نفاق يستعاذ بالله منه ونحن فيما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله
وعن بعض المتقدمين كنا نصلي فلا يرى بين اعيننا شيء ونرى احدنا الآن يصلي فترى بين
عينيه ركبة البعير فما ندري اثقلت الاروس ام خشنت الارض وانما اراد بذلك من تعمد
ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه من خشية الله وعن الضحاك ليس بالندب في الوجوه

ولكنه صفرة عن سعيد بن المسيب ندى الطهور وتراب الارض وعن عطاء استنارت
وجوههم من طول ما صلوا بالليل كقوله من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار ذلك
الوصف مثلهم اى وصفهم العجيب الشان فى الكتابين جميعا ثم ابتدئ فقال كزرع يريد هم
كزرع وقيل تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم فى التورية ثم ابتدئ ومثلهم فى الانجيل كزرع
ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة اوضحت بقوله كزرع اخرج شطأه كقوله وقضينا
اليه ذلك الامر ان دابر هولاء مقطوع مصبحين وفى الانجيل بفتح الهمزة شطأه
فراخه يقال اشطأ الزرع اذا فرخ وقرئ شطاه بفتح الطاء وشطاه بتخفيف
الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا
فآزره من الموازرة وهى المعاونة وعن الاخفش انه افعل وقرئ فازره بالتخفيف والتشديد
اى فشد ازره وقواه ومن جعل آزر افعل فهو فى معنى القرائتين فاستغلظ فصار من الدقة
الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وقيل مكتوب فى الانجيل
سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة اخرج
شطأه بابى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى وهذا مثل ضربه الله
لبدء امر الاسلام وترقيه فى الزيادة الى ان قوى واستحكم لان النبى صلعم قام وحده ثم
قواه الله بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى
يعجب الزراع **فان قلت** قوله ليغيظ بهم الكفار تعليل لماذا **قلت** لما دل
عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم فى الزيادة والقوة ويجوز ان يعلل به وعد الله الذين
لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم فى الاخرة مع ما يعزهم به فى الدنيا غاظهم ذلك ومعنى منهم
للبيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الفتح

فكانما

فكانما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم قدمه واقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من
قدمه اذا تقدمه فى قوله تعالى يقدم قومه ونظيرهما معنى ونقلا سلفه واسلفه وفى قوله
لا تقدموا من غير ذكر مفعول وجهان احدهما ان يحذف ليتناول كل ما يقع فى النفس مما
تقدم والثانى ان لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهى الى نفس التقدمة
كانه قيل لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله هو الذى يحيى
ويميت ويجوز ان يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف
ساقته وهى الجماعة المتقدمة منه وتعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى تائى تتقدموا
الا ان الاول املأ بالحسن واوجه واشد ملاءمة لبلاغة القران والعلماء له اقبل وقرئ
لا تقدموا من القدوم اى لا تقدموا الى امر من امور الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما وحقيقة
قولهم جلست بين يدى فلان ان تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه
فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشئ باسم
غيره اذا جاوره وداناه فى غير موضع وقد جرت هذه العبارة ها هنا على سنن ضرب من
المجاز وهو الذى يسميه اهل البيان تمثيلا ولتجريها هكذا فائدة جليلة ليست فى الكلام
العريان وهى تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر من الامور دون الاحتذاء
على امثلة الكتاب والسنة والمعنى ان لا تقطعوا امرا الا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه
فتكونوا اما عاملين بالوحى المنزل واما مقتدين برسول الله وعليه يدور تفسير ابن عباس

رضي الله عنه وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يقضيه على لسان رسوله ويجوز ان
يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله واعجبت بعمرو وكرمه وفائدة هذا الاسلوب
الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلعم من الله بالمكان الذي لا يخفى
سلك به ذلك المسلك وفي هذا تمهيد وتوطية لما نقم منهم فيما يتلوها من رفع اصواتهم فوق
صوته لان من احظاه الله بهذه الاثرة واختصه هذا الاختصاص القوي كان ادنى ما يجب
من الهيبة والاجلال ان يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام وقيل بعث
رسول الله صلعم الى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر بن عمرو الساعدي
فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل الا ثلثة نفر نجوا فلقوا رجلين من بني سليم قرب
المدينة فاعتزيا لهم الى بني عامر لانهم اعز من بني سليم فقتلوهما وسلبوهما ثم اتوا رسول الله
فقال بئسما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما فوداهما رسول الله ونزلت اي لا تعملوا شيا
من ذات انفسكم حتى تستامروا رسول الله وعن مسروق دخلت على عائشة في اليوم
الذي يشك فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت اني صائم فقالت قد نهى الله عن
صوم هذا اليوم وفيه نزلت وعن الحسن ان ناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلوة فنزلت
وامرهم رسول الله ان يعيدوا ذبحا اخر وهذا مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه الا ان
تزول الشمس وعند الشافعي رضي الله عنه يجوز الذبح اذا مضى من الوقت مقدار الصلوة
وعن الحسن ايضا لما استقر رسول الله بالمدينة اتته الوفود من الافاق فاكثروا عليه بالمسائل
فنهوا ان يبتدؤه بالمسئلة حتى يكون هو المبتدي وعن قتادة ذكر لنا ان ناسا يقولون
لو انزل في كذا لكان كذا فكره الله ذلك منهم وانزلها وقيل هي عامة في كل قول وفعل ويدخل
فيه انه اذا جرت مسئلة في مجلس رسول الله صلعم لم يسبقوه بالجواب وان لا تمشي بين يديه

الا لحاجة وان تستاني في الافتتاح بالطعام واتقوا الله فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن
التقدمة المنهي عنها وعن جميع ما تقتضي مراقبة الله تجنبه فان التقي حذر لا يشافه امرا الا
عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك في ان لا تبعة عليه فيه وهذا كما تقول لمن يقارف بعض
الرذائل لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العار فتنهاه اولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع
وتامره بما لو امتثل فيه امرك لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها ان
الله سميع لما تقولون عليم بما تعملون وحق مثله ان يتقى ويراقب اعادة النداء عليهم استدعاء
منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتطرية الانصات لكل حكم نازل وتحريك
منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تاملهم وما اخذوا به عند حضور مجلس رسول الله صلعم من
الادب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظم الجدوى في دينهم وذلك لان في اعظام
صاحب الشرع اعظام ما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه ان يالو عملا بما يحدوه
عليه وارتداعا عما يصده عنه وانتهاء الى كل خير والمراد بقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي انه اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته
وان تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته
عليكم لائحة وسابقته واضحة وامتيازه عن جمهوركم كشية الابلق غير خاف لا ان تغمروا
صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم وبقوله ولا تجهروا له بالقول انكم اذا كلمتموه وهو
صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الاصوات بل عليكم ان لا تبلغوا به الجهر
الدائر بينكم وان تتعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر
كما تكون مخاطبة المهيب المعظم عاملين بقوله عز اسمه وتعزروه وتوقروه وقيل معنى ولا
تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال

ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر رضي الله عنه انه كان يكلم النبي صلعم كاخي
السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر اذا قدم على رسول الله وفد ارسل اليهم من
يعلمهم كيف يسلمون ويامرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله وليس الغرض برفع
الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون
وانما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء و
يوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين فيه المامور به من
التعزير والتوقير ولم يتناول النهي ايضا رفع الصوت الذي لا يتاذى به رسول الله و
هو ما كان منهم في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو وما اشبه ذلك ففي الحديث
انه قال عليه السلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان
العباس اجهر الناس صوتا يروى ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت
الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بني جعدة زجر ابي عروة السباع اذا اشفقن ان
يختلطن بالغنم زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه
وفي قراءة ابن مسعود لا ترفعوا باصواتكم والباء مزيدة محذو بها حذو التشديد في قول الاعلم
الهذلي رفعت عيني بالحجاز الى اناس بالمناقب وليس المعنى في هذه القراءة انهم نهوا عن
الرفع الشديد تخيلا ان يكون ما دون الشديد مسوغا لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا
عليه من الجلبة واستخفاؤهم فيما كانوا يفعلون وعن ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس
بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان اذا تكلم رفع صوته وربما كان
يكلم رسول الله فيتاذى بصوته وعن انس ان هذه الآية لما نزلت فقد ثابت فتفقده
رسول الله فاخبر بشانه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني

رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله لست هناك انك
انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن انها نزلت
فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله فمحمله والخطاب للمؤمنين
على ان ينهى المؤمنون ليندرج المنافقون تحت النهي ليكون الامر اغلظ عليهم واشق
قيل كان المنافقون يرفعون اصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم فيقتدي بهم ضعفة
المسلمين وكاف التشبيه في محل النصب اي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض
وفي هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان يكلموه بالهمس والمخافتة وانما
نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة اعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما
بينهم وهو الخلو من مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وان
جلت عن رتبتها ان تحبط اعمالكم منصوب الموضع على انه مفعول له وفي متعلقه وجهان
احدهما ان يتعلق بمعنى النهي فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اي لخشية
حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا والثاني ان يتعلق
بنفس الفعل ويكون المعنى انهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لاجل الحبوط لانه لما كان
بصدد الاداء الى الحبوط جعل كانه فعل لاجله وكانه العلة والسبب في ايجاده على
سبيل التمثيل كقوله ليكون لهم عدوا **فان قلت** لخص الفرق بين الوجهين **قلت**
تلخيصه ان يقدر الفعل في الثاني مضموما اليه المفعول له كانهما شيء واحد ثم يصب
النهي عليهما جميعا صبا وفي الاول يقدر النهي موجها على الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا
عنه **فان قلت** باي النهيين تعلق المفعول له **قلت** بالثاني عند البصريين مقدرا
اضماره عند الاول كقوله آتوني افرغ عليه قطرا وبالعكس عند الكوفيين وايهما كان فمرجع

المعنى ان الرفع والجهر كلاهما منصوص اداوه الى حبوط العمل وقراءة ابن مسعود
فتحبط اعمالكم اظهر نصا بذلك لان ما بعد الفاء لا يكون الا مسببا عما قبله فيتنزل
الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان في قوله فيحل عليكم غضبي والحبوط من
حبطت الابل اذا اكلت الخضر فنفخ بطونها وربما هلكت ومنه قوله عليه السلام وان
مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا او يلم ومن اخواته حبجت الابل اذا اكلت العرفج
فاصابها ذلك واحبض عمله مثل احبطه وحبط الجرح وحبر اذا غفر وهو نكسه وترامیه
الى الفساد جعل العمل السيئ في اضراره بالعمل الصالح كالداء والحرص لمن يصاب
به اعاذنا الله من حبط الاعمال وخيبة الآمال وقد دلت الآية على امرين هائلين احدهما
ان فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله والثاني ان في آثامه ما لا يدري انه
محبط ولعله عند الله كذلك فعلى المؤمن ان يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال
يحترز ويتوقى ويتحفظ امتحن الله قلوبهم للتقوى من قولك امتحن فلان لامر كذا و
جرب له ودرب للنهوض فهو مضطلع به غير وان عنه والمعنى انهم صبر على التقوى
اقوياء على احتمال مشاقها او وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشيء باختباره
كما يوضع الخبر موضعها فكانه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى وتكون اللام متعلقة بمحذوف
واللام هي التي في قولك انت لهذا الامر اي كائن له ومختص به قال انت لها احمد من بين
البشر اعداء من لليعملات على الوجى وهي مع معمولها منصوبة على الحال او ضرب الله
قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الصعبة لاجل التقوى اي لتثبت وتظهر تقواهم ويعلم انهم متقون
لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها وقيل اخلصها للتقوى
من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وعن عمر رضي الله عنه

اذهب

١٣٣

اذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ وبلاء جهيد قال ابو عمرو
كل شيء جهدته فقد محنته وانشد اتت رذايا بادبا كلالها قد محنت واضطرب آطالها قيل
انزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت والبلوغ به اخا السرار
وهذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه من ايقاع الغاضين اصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير
خبرها جملة من مبتدا وخبر معرفين معا والمبتدا اسم الاشارة واستيناف الجملة المستودعة
ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما امر ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد و
الارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله من خفض اصواتهم وفي الاعلام بمبلغ عزة رسول الله و
قدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون اصواتهم واستيجابهم ضد ما
استوجب هؤلاء والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله من خلف او قدام ومن لابتداء
الغاية وان المناداة نشأت من ذلك المكان فان قلت افرق بين الكلامين بين ما ثبت
فيه وما سقط عنه قلت الفرق بينهما ان المنادي والمنادى في احدهما يجوز ان يجمعهما
الوراء وفي الثاني لا يجوز لان الوراء تصير بدخول من مبتدا الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة
ان تكون مبتدا ومنتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه
الدار ولا دبرها ولكن اي قطر من اقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين واختصاص و
الانكار لم يتوجه عليهم من قبل ان النداء وقع منهم في ادبار الحجرات او في وجوهها وانما
انكر عليهم انهم نادوه من البر والخارج مناداة الاجلاف بعضهم لبعض من غير قصد الى
جهة دون جهة والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى
الحجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم
والحجرات بتسكينها وقرئ بهن جميعا والمراد حجرات نساء رسول الله وكانت لكل منهن حجرة

ومناداتهم من ورائها يحتمل انهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من
وراء هذه وبعض من وراء تلك وانهم قد اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها وانهم نادوه
من وراء الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله ولمكان حرمته وان كان مسندا
الى جميعهم فانه يجوز ان يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكانهم تولوه جميعا فقد ذكر الاصم
ان الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والاخبار عن اكثرهم بانهم لا يعقلون
يحتمل ان يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل ان يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفي
ان يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم وروي ان وفد بني تميم اتوا
رسول الله صلعم وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا فاستيقظ
فخرج ونزلت وسئل رسول الله عنهم فقال هم جفاة بني تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا
للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم وورود الاية على النمط الذي وردت عليه
فيه ما لا يخفى على الناظر من بينات اكبار محل رسول الله واجلاله منها مجيئها على النظم
المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما اقدموا عليه ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية
عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذي
تبين به ما استنكر عليهم ومنها التعريف باللام دون الاضافة ومنها ان شفع ذمهم باستجفائهم
واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله
وتسلية له واماطة لما تداخله من ايحاش تعجرفهم وسوء ادبهم وهلم جرا من اول السورة
الى اخر هذه الاية فتامل كيف ابتدئ بايجاب ان تكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة
على الامور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم اردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع
الصوت والجهر كان الاول بساط للثاني ووطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا

ذكر

ذلك فغضوا اصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله ثم جيء على عقب ذلك بما هو
اطم وهجنته اتم من الصياح برسول الله في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر
كما يصاح باهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما جروا اليه وجسروا عليه لان من رفع
الله قدره عن ان يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين والانصار باخي السرار
كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا ومن هذا وامثاله يقتطف ثمر الالباب
وتقتبس محاسن الادب كما يحكى عن ابي عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما
لا يخفى انه قال ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه انهم صبروا في موضع
الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها
قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول
وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس فلهذا قيل للحبس على اليمين او القتل
صبر وفي كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر فان قلت هل من فرق بين حتى تخرج
والى ان تخرج قلت ان حتى مختصة بالغاية المضروبة تقول اكلت السمكة حتى راسها
ولو قلت حتى نصفها او صدرها لم يجز والى عامة في كل غاية فقد افادت حتى بوضعها
ان خروج رسول الله صلعم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم ان يقطعوا امرا دون الانتهاء
اليه فان قلت فاي فائدة في قوله اليهم قلت فيه انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم
ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه اليهم لكان خيرا لهم في كان اما ضمير
فاعل الفعل المضمر بعد لو واما ضمير مصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا له والله غفور
رحيم بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وانابوا
بعث رسول الله صلعم الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد

سعد بن ابي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر اربعا ثم قال هل ازيدكم فعزله عثمان عنهم
مصدقا الى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين
لحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فوردوا وقالوا نعوذ [اي اخذ الصدقة]
بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم فقال لتنتهن او لابعثن اليكم رجلا هو عندي
كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي رضي الله عنه وقيل
بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوات متهجدين فسلموا اليه الصدقات
فرجع وفي تنكير الفاسق والنبا شياع في الفساق والانبا كانه قال اي فاسق جاءكم باي
نبا فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان
من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه والفسوق الخروج من
الشي والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقشت البيضة اذا
كسرتها واخرجت ما فيها ومن مقلوبه ايضا فقست الشي اذا اخرجته من يد مالكه مغتصبا
له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد والانسلاخ من الحق قال روبه فواسقا عن قصدها
جوائرا وقرا ابن مسعود فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان الثبات والبيان والتعرف [وهما طلب]
ولما كان رسول الله صلعم والذين معه بالمنزلة التي لا يجسر احد ان يخبرهم بكذب وما كان
يقع مثل ما فرط من الوليد الا في الندرة قيل ان جاءكم بحرف الشك وفيه ان على المؤمنين
ان يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور ان تصيبوا مفعول له اي كراهة
اصابتكم قوما بجهالة حال كقوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم يعني جاهلين بحقيقة الامر وكنه
القصة والاصباح بمعنى الصيرورة والندم ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك
تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزام لانه كلما تذكر المتندم عليه راجعه

من الندام وهو لزام الشريب ودوام صحبته ومن مقلوباته ادمن الامر ادامه ومدن بالمكان
اقام به ومنه المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا ويوصف
بانه لا يفارق صاحبه الجملة المصدرة بلو لا تكون كلاما مستانفا لادائه الى تنافر النظم ولكن
متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين في فيكم المستتر المرفوع او البارز المجرور وكلاهما مذهب
سديد والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها او انتم على حالة يجب عليكم
تغييرها وهي انكم تحاولون منه ان يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من راي واستصواب
فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذي على امثلته ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في
الجهد والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا اي يطلب ما يوديه الى الهلاك وقد اعنت العظم اذا
هيض بعد الجبر وهذا يدل على ان بعض المومنين زينوا لرسول الله صلعم الايقاع ببني المصطلق
وتصديق قول الوليد وان نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وان بعضهم كانوا
يتصونون ويزعهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله ولكن الله
حبب اليكم الايمان اي الى بعضكم ولكنه اغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة
غيرهم وهذا من ايجازات القران ولمحاته اللطيفة التي لا يفطن لها الا الخواص وعن
بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله اولئك هم الراشدون والخطاب
لرسول الله صلعم اي اولئك المستثنون يصدق ما قلته **فان قلت** ما فائدة تقديم خبر
ان على اسمها **قلت** القصد الى توبيخ بعض المومنين على ما استهجن من استتباعهم رسول الله
لارائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض اليه **فان قلت** فلم قيل يطيعكم دون اطاعكم
قلت للدلالة على انه كان في ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه وانه كلما عن لهم راي
في امر كان معمولا عليه بدليل قوله في كثير من الامر كقولك فلان يقري الضيف ويحمي الحريم

يريد انه مما اعتاده ووجد منه مستمرا فان قلت كيف موقع لكن وشريطتها مفقودة
من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا قلت هي مفقودة من حيث اللفظ حاصلة
من حيث المعنى لان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم
فوقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف و
الامداد بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق وكل ذي لب وراجع الى بصيرة وذهن لا يغبى
عليه ان الرجل لا يمدح بغير فعله وحمل الاية على ظاهرها يؤدي الى ان يثني عليهم
بفعل الله وقد نفى الله هذا على الذين انزل فيهم ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فان قلت
فان العرب تمدح بالجمال وحسن الوجوه وذلك فعل الله وهو مدح مقبول عند الناس غير
مردود قلت الذي سوغ ذلك لهم انهم راوا حسن الرواء ووسامة المنظر في الغالب
يسفر عن مخبر مرضي واخلاق محمودة ومن ثم قالوا احسن ما في الدميم وجهه فلم يجعلوه
من صفات المدح لذاته ولكن لدلالته على غيره على ان من محققة النقاد وعلماء البيان
من دفع صحة ذلك وخطا المادح به وقصر المدح على النعت بامهات الخير وهي الفصاحة
والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب منها ويرجع اليها وجعل الوصف بالجمال والثروة
وكثرة الحفدة والاعضاد وغير ذلك مما ليس للانسان فيه عمل غلطا ومخالفة عن المعقول
والكفر تغطية نعم الله تعالى وغمطها بالجحود والفسوق الخروج عن قصد الايمان ومحجته
بركوب الكبائر والعصيان ترك الانقياد والمضي لما امر به الشارع والعرق العاصي العائد
واعتصت النواة اشتدت والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة
وهي الصخرة قال ابو الوازع كل صخرة رشادة وانشد وغير مقلد وموشمات صلين الضوء
من صتم الرشاد وفضلا مفعول له او مصدر من غير فعله فان قلت من اين جاز وقوعه

مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله والشرط ان يتحد الفاعل قلت لما وقع
الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة الى اسمه تقدست اسماؤه صار
الرشد كانه فعله فجاز ان ينتصب عنه او لا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل
المسند الى اسم الله تعالى والجملة التي هي اولئك هم الراشدون اعتراض او عن فعل مقدر
كانه قيل جرى ذلك او كان ذلك فضلا من الله واما كونه مصدرا من غير فعله فان
يوضع موضع رشدا لان رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى
الافضال والانعام والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم حين يفضل
وينعم بالتوفيق على افاضلهم عن ابن عباس رضي الله عنه قال وقف رسول الله صلعم على
مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك عبد الله بن ابي بانفه وقال خل
سبيل حمارك فقد اذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لاطيب من
مسكك وروي حماره افضل منك وبول حماره اطيب من مسكك ومضى رسول الله
صلعم وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا
بالعصي وقيل بالايدي والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله واصلح بينهم ونزلت وعن
مقاتل قراها عليهم فاصطلحوا والبغي الاستطالة والظلم واباء الصلح والفيء الرجوع وقد
سمي به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار
الى المسلمين وعن ابي عمرو حتى تفي بغير همز ووجهه ان ابا عمرو خفف الاولى من الهمزتين الملتقيين
فلطفت على الراوي تلك الخلسة فظنه قد طرحها فان قلت ما وجه قوله اقتتلوا
والقياس اقتتلتا كما قرا ابن ابي عبلة او اقتتلا كما قرا ابن عمير على تاويل الرهطين او
النفريين قلت هو مما حمل على المعنى دون اللفظ لان الطائفتين في معنى القوم والناس

وفي قراءة عبد الله حتى يفيئوا الى امر الله فان فاءوا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية
وجوب قتالها ما قاتلت وعن ابن عمر ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت من امر هذه
الآية ان لم اقاتل هذه الفئة الباغية كما امرني الله قاله بعد ان اعتزل فاذا كفت
وقبضت عن الحرب ايديها تركت واذا تولت عمل بما روي عن النبي صلعم انه قال
يا ابن ام عبد هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله اعلم قال
لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيئها ولا تخلو الفئتان
من المسلمين في اقتتالهما اما ان يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا فالواجب في ذلك ان يمشى
بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة فان لم تتحاجزا ولم تصطلحا واقامتا
على البغي صير الى مقاتلتهما واما ان يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند
انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما على مراشد
الحق وان ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا اليه ونصحتا به من اتباع الحق بعد
وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين واما ان تكون احداهما الباغية على الاخرى
فالواجب ان تقاتل فئة البغي الى ان تكف وتتوب فان فعلت اصلح بينها وبين المبغي
عليها بالقسط والعدل وفي ذلك تفاصيل ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا
منعة لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا عند
محمد بن الحسن فانه كان يفتي بان الضمان يلزمها اذا فاءت واما قبل التجمع والتجند او حين
تتفرق عند وضع الحرب اوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع فمحمل الاصلاح بالعدل في
قوله فاصلحوا بينهما بالعدل على مذهب محمد رح واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول
غيره وجهه ان يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذي ذكروا ان الغرض اماتة الضغائن وسل

الاحقاد

الاحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمامور به من اعمال العدل ومراعاة
القسط **فان قلت** فلم قرن بالاصلاح الثاني العدل دون الاول **قلت** لان
المراد بالاقتتال في اول الآية ان يقتتلا باغيتين معا او راكبتي شبهة وايتهما كانت فالذي
يجب على المسلمين ان ياخذوا به في شانهما اصلاح ذات البين وتسكين الدهماء باراءة الحق
والمواعظ الشافية ونفي الشبهة الا اذا اصرتا فحينئذ تجب المقاتلة واما الضمان
فلا يتجه وليس كذلك اذا بغت احداهما فان الضمان متجه على الوجهين المذكورين و
اقسطوا امر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما امر به في اصلاح ذات البين و
القول فيه مثله في الامر باتقاء الله على عقب النهي عن التقدم بين يديه والقسط بالفتح
الجور من القسط وهو اعوجاج في الرجلين وعود قاسط يابس واقسطته الرياح واما
القسط بمعنى العدل فالفعل منه اقسط وهمزته للسلب اي ازال القسط وهو الجور
هذا تقرير لما الزمه من تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين
وبيان ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم
يفضل الاخوة ولم يبرز عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس
على انه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الولاد لزم السائر ان يتناهضوا في
رفعه وازاحته ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما الى ان يصادف
ما وهى من الوفاق من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالاخوة في الدين احق
بذلك وباشد منه وعن النبي صلعم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول
عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ
منكم الا قليل **فان قلت** فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع **قلت** لان اقل من

يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا لزمت المصلحة بين الاثنين كانت بين الاكثر الزم لان الفساد
في شقاق الجمع اكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ
بين اخوتكم واخوانكم والمعنى ليس المؤمنون الا اخوة وانهم خلص لذلك متمحضون
قد انزاحت عنهم شبهات الاجنبية وابى لطف حالهم في التمازج والاتحاد ان يقدموا
على ما يتولد منه التقاطع فبادروا وقطع ما يقع من ذلك ان وقع واحسموه واتقوا الله فانكم
ان فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل والايتلاف والمسارعة الى اماطة ما يفرط
منه وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم واشتمال رافته عليكم حقيقا بان
تعقدوا به رجاءكم القوم الرجال خاصة لانهم القوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال
قوامون على النساء وقال عليه السلم النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال النساء
وهو في الاصل جمع قايم كصوم وزور في جمع صايم وزاير او تسمية بالمصدر عن بعض العرب
اذا اكلت طعاما احببت نوما وابغضت قوما اي قياما واختصاص القوم بالرجال صريح
في الاية وفي قول زهير اقوم ال حصن ام نساء واما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم
الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك
ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين ان يراد لا
يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان تقصد افادة الشياع وان تصير كل
جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امراة من امراة على التوحيد
اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشان
الذي كانوا عليه ولان مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا
ياتي ما عليه من النهي والانكار فيكون شريك الساخر وتلوه في تحمل الوزر وكذلك كل من

بطرق

يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدي ذلك وان اوجده واحد الى تكثر السخرة
وانقلاب الواحد جماعة وقوما وقوله عسى ان يكونوا خيرا منهم كلام مستانف قد ورد
مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه والا فقد كان حقه ان يوصل
بما قبله بالفاء والمعنى وجوب ان يعتقد كل احد ان المسخور منه ربما يكون عند الله خيرا
من الساخر لان الناس لا يطلعون الا على ظواهر الاحوال ولا علم لهم بالخفيات وانما الذي
يزن عند الله خلوص الضماير وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغي ان لا يجترئ
احد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا راه رث الحال او ذا عاهة في بدنه او غير
لبيق في محادثته فلعله اخلص ضميرا واتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه
بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف افراط توقيهم وتصونهم
من ذلك ان قال عمرو بن شرحبيل لو رايت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت
ان اصنع مثل الذي صنعه وعن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من
كلب خشيت ان احول كلبا وفي قراءة عبد الله عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى
على هذه القراءة هي ذات الخبر كالتي في قوله فهل عسيتم وعلى الاولى التي لا خبر لها كقوله
وعسى ان تكرهوا شيئا واللمز الطعن والضرب باللسان ولا تلمزوا بالضم والمعنى وخصوا وفي
ايها المؤمنون انفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم ان تعيبوا غيركم ممن لا يدين
بدينكم ولا يسير بسيرتكم ففي الحديث عن رسول الله صلعم اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره
الناس وعن الحسن في ذكر الحجاج اخرج الي بنانا قصيرة قلما عرقت فيها الاعنة في سبيل الله
ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا با سعيد يا سعيد وقال لما مات اللهم انت امته
فاقطع سنته فانه اتانا اخيفش اعيمش يخطر في مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلوة

لامن الله سقي ولامن الناس يسحي نوره الله وبخته مايه الف او يزيدون لا تقول له
قايل الصلوة ايها الرجل الصلوة ايها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط
وقيل معناه لا يعب بعضكم بعضا لان المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن
فكانما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد
لمز نفسه حقيقة والتنابز بالالقاب التداعي بها تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون
ويتنابزون ويقال النبز والنزب لقب السوء والتلقيب المنهي عنه ما يتداخل المدعو به
كراهة لكونه تقصيرا به وذما له وشينا فاما ما يحبه مما يزينه وينوه به فلا باس به روي عن
النبي صلعم من حق المؤمن على اخيه ان يسميه باحب اسمائه اليه ولهذا كانت التكنية
من السنة والادب الحسن قال عمر رضي الله عنه اشيعوا الكنى فانها منبهة ولقد لقب
ابو بكر بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق وحمزة باسد الله وخالد بسيف الله وقل من المشاهير
في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب الحسنة في الامم كلها من
العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير روي عن الضحاك ان قوما
من بني تميم استهزءوا ببلال وخباب وعمار وصهيب وابي ذر وسالم مولى حذيفة فنزلت
وعن عايشة رضي الله عنها انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة
وعن ابن عباس ان ام سلمة ربطت حقويها بسبيبة وسدلت طرفها خلفها وكانت
تجره فقالت عايشة لحفصة انظري ما تجر خلفها كانه لسان كلب وعن انس عيرت
نساء رسول الله ام سلمة وعن عكرمة عن ابن عباس ان صفية بنت حيي اتت رسول الله
فقالت ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول الله هلا قلت
ان ابي هارون وان عمي موسى وان زوجي محمد وروي انها نزلت في ثابت بن قيس

وكان

وكان به وقر وكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله ليسمع فاتى يوما وهو يقول تفسحوا
له حتى انتهى الى رسول الله فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل انا فلان
فقال بل انت ابن فلانة يريد اما كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال
ثابت لا افخر على احد في الحسب ابدا الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في
الناس بالكرم او باللوم كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع
بين الناس الا ترى الى قولهم اشاد بذكره كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب
هذه الجرائر ان يذكروا بالفسق وفي قوله بعد الايمان ثلثة اوجه احدها استقباح الجمع
بين الايمان وبين الفسق الذي ياباه الايمان ويحظره كما تقول بئس الشان بعد الكبرة
الصبوة والثاني انه كان في شتايمهم لمن اسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه
وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه والجملة على هذا التفسير
متعلقة بالنهي عن التنابز والثالث ان يجعل من فسق غير مؤمن كما تقول للمتحول عن
التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه
وحقيقته جعله منه في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله تعالى واجنبني وبني ان
نعبد الاصنام ثم يقال في مطاوعه اجتنب الشر فينقص المطاوعة مفعولا والمامور
باجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى قوله ان بعض
الظن اثم فان قلت بين الفصل بين كثيرا حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة قلت
مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية وان في الظنون ما يجب ان يجتنب من غير تبيين
لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ احد على ظن الا بعد نظر وتامل وتمييز بين حقه وباطله بامارة
بينة مع استشعار للتقوى والحذر ولو عرف لكان الامر باجتناب الظن منوطا بما يكثر

منه دون ما نقل ووجب ان يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه
بالقلة مرخصا في تظنيه والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها ان
كل ما لم تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك
اذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح واونست منه الامانة في الظاهر
فظن الفساد والخيانة به محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة
بالخبائث عن النبي صلعم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء
وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام وانت اليوم في زمان اعمل واسكت
وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه ان الفاسق اذا اظهر فسقه وهتك
ستره هتكه الله واذا استتر لم يظهر الله عليه لعله ان يتوب وقد روي من القى جلباب
الحياء فلا غيبة له والاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته
الاثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال قال لقد فعلت هذي النوى بي
فعلة اصاب قبل الممات اثامها والهمزة فيه عن الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها باحباطه النوى
وقرئ ولا تحسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث
عنه تفعل من الجس كما ان التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما في اللمس من الطلب
وقد جاء بمعنى الطلب في قوله وانا لمسنا السماء والتحسس التعرف من الحس ولتقاربهما
قيل لمشاعر الانسان الحواس بالحاء والجيم والمراد النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم
والاستكشاف عما ستروه وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله وعن النبي صلعم انه
خطب فرفع صوته حتى اسمع العواتق في خدورهن قال يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص
الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى

يفضحه

يفضحه ولو في جوف بيته وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة
بن ابي معيط تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا
شي اخذنا به غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال
وهي ذكر السوء في الغيبة وسئل رسول الله صلعم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك
بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فقد بهته وعن ابن عباس الغيبة ادام
كلاب الناس ايحب احدكم تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب
على افظع وجه وافحشه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها
جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار
بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم
الانسان حتى جعل الانسان اخا ومنها ان لم يقتصر على اكل لحم الاخ حتى جعل ميتا و
عن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة ان تاكل منها كذلك فاكره لحم اخيك وهو
حي وانتصب ميتا على الحال من اللحم ويجوز ان ينتصب عن الاخ وقرئ ميتا ولما
قررهم عز وجل بان احدا منهم لا يحب ان ياكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله
فكرهتموه معناه فقد كرهتموه واستقر ذلك وفيه معنى الشرط اي ان صح هذا
فكرهتموه وهي الفاء الفصيحة اي فتحققت بوجوب الاقرار عليكم وبانكم لا تقدرون على
دفعه وانكاره لاباء البشرية عليكم ان تجحدوه كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق ايضا ان
تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في اعراض المسلمين وقرئ فكرهتموه اي جبلتم على كراهته
فان قلت هلا عدي باليا كما عدي في قوله وكره اليكم الكفر وايهما القياس قلت
القياس تعديه بنفسه لانه ذو مفعول واحد قيل تثقيله حشوه تقول كرهت الشيء فاذا

نقل استدعى زيادة مفعول واما تعديته بالى فلاجراء كرّه مجرى بغّض لان
بغّض منقول من بغض اليه الشيء فهو بغيض اليه كقولك حبّب اليه الشيء فهو
حبيب اليه والمبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده او لانه
ما من ذنب يقترفه المقترف الا كان معفوا عنه بالتوبة او لانه بليغ في قبول التوبة
منزّل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا الله بترك ما امرتم
باجتنابه والندم على ما جاء منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وانعم عليكم بثواب
المتقين التائبين وعن ابن عباس ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوّي
لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه الى رسول الله يبغي لهما اداما وكان اسامة على
طعام رسول الله فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان بذلك فقالا لو بعثناه الى بئر
سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله قال لهما مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما
فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت من ذكر وانثى من آدم وحواء وقيل خلقنا
كل واحد منكم من اب وام فما منكم احد الا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء
فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب والشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست
التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب
يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ
تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ
والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها وقرئ لتعارفوا
ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا اي لتعلموا كيف تتناسبون ولتتعرفوا والمعنى ان الحكمة
التي من اجلها رتبكم على شعوب وقبائل هي ان يعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزي الى غير

آبائه

آبائه لا ان تتفاخروا بالآباء والاجداد وتدّعوا التفاوت والتفاضل في الانساب ثم بيّن الخصلة
التي بها يفضل الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال ان اكرمكم عند الله
اتقاكم وقرئ ان بالفتح كانه قيل لم لا يتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم
لا انسبكم وعن النبي صلعم انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله
الذي اذهب عنكم عُبِّيّة الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي
كريم على الله وفاجر شقي هيّن على الله ثم قرا الآية وعنه عليه السلام من سره ان يكون اكرم
الناس فليتق الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وعن يزيد بن
شجرة مر رسول الله صلعم في سوق المدينة فرأى غلاما اسود يقول من اشتراني فعلى شرط
لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله فاشتراه رجل فكان رسول الله يراه في
كل صلوة ففقده يوما فسأل عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سأل عنه بعد ثلثة ايام
فقال هو لما به فجاءه وهو في ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار
امر عظيم فنزلت الايمان هو التصديق بالله مع الثقة وطمأنينة النفس والاسلام الدخول في
السلم والخروج من ان يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين الا ترى الى قوله ولما يدخل الايمان
في قلوبكم فاعلم ان كل ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام
وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان فان قلت ما وجه قوله قل لم تؤمنوا ولكن قولوا
اسلمنا والذي يقتضيه نظم الكلام ان يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او قل لم تؤمنوا
ولكن اسلمتم قلت افاد هذا النظم تكذيب دعواهم اولا ودفع ما انتحلوه فقيل قل لم
تؤمنوا وروعي في هذا النوع من التكذيب ادب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم
ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم

في قوله في صفة المخلصين اولئك هم الصادقون تعريضا بان هولاء هم الكاذبون ورب
تعريض لا يقاومه التصريح واستغنى بالجملة التي هي لم تؤمنوا عن ان يقال لا تقولوا
آمنا لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالايمان ثم وصلت بها
الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون خارجا
مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن اسلمتم لكان خروجه
في معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به **فان قلت** قوله ولما يدخل
الايمان في قلوبكم بعد قوله قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة
قلت ليس كذلك فان فائدة قوله لم تؤمنوا تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الايمان
في قلوبكم توقيت لما امروا به ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا حين لم تثبت موا طاة
قلوبكم لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا وما في لما من معنى التوقع
دال على ان هولاء قد آمنوا فيما بعد لا يلتكم لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال ألته السلطان
حقه اشد الالت وهي لغة غطفان ولغة اسد واهل الحجاز لاته ليتا وحكى الاصمعي عن
ام هشام السلولية انها قالت الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه الاصوات و
قرئ باللغتين لا يلتكم ولا يألتكم ونحوه في المعنى ولا تظلمون نقيرا ومعنى طاعة الله ورسوله ان يتوبوا
عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الايمان ويعملوا بمقتضياته فان فعلوا ذلك
تقبل الله توبتهم ووهب لهم مغفرته وانعم عليهم بجزيل ثوابه وعن ابن عباس ان نفرا من
بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا الشهادة وافسدوا طرق المدينة بالعذرات
واغلوا اسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول الله ويقولون اتتك العرب بانفسها
على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال يريدون الصدقة ويمنون عليه فنزلت ارتاب مطاوع

ولا يألتكم

والقذرات صح

رابه

رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة والمعنى انهم آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا
به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بان الحق منه **فان قلت** ما معنى ثم هاهنا وهي للتراخي
وعدم الارتياب يجب ان يكون مقارنا للايمان لانه وصف فيه لما يقتضيه من افادة
الايمان معنى الثقة والطمانينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب **قلت** الجواب على
طريقين احدهما ان من وجد منه الايمان ربما اعترضه الشيطان او بعض المضلين بعد
ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه او نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على
الشك ثم يستمر على ذلك راكبا راسه لا يطلب له مخرجا فوصف المومنون حقا بالبعد
عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا والثاني ان الايقان وزوال الريب لما كان
لما كان ملاك الايمان افرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على
الايمان بكلمة التراخي اشعارا باستقراره في الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا
وجاهدوا يجوز ان يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب او الشيطان او الهوى و
ان يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز ان يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وان يتناول
العبادات باجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة وان
يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من اعمال البر التي يتحامل فيها الرجل على ماله
لوجه الله اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب اعراب
بني اسد او هم الذين ايمانهم ايمان صدق وايمان حق وجد وثبات يقال ما علمت بقدومك
اي ما شعرت به ولا احطت به ومنه قوله تعالى اتعلمون الله بدينكم وفيه تجهيل لهم يقال
من عليه بيد اسداها اليه كقولك انعم عليه وافضل عليه والمنة النعمة التي لا يستثيب مسديها
من يزلها اليه واشتقاقها من المن الذي هو القطع لانه انما يسديها اليه ليقطع بها حاجته

علیه ص

لا غير من غير ان يعمل لطلب مثوبة ثم قال مَنّ عليه صنعه اذا اعتدّه منه وانعامًا
وسياق هذه الاية فيه لطف ورشاقة وذلك ان الكائن من الاعاريب قد سماه
الله اسلامًا ونفى ان يكون كما زعموا ايمانًا فلما منّوا على رسول الله صلعم ما كان منهم قال
الله سبحانه وتعالى لرسوله عليه السلم ان هؤلاء يعتدّون عليك بما ليس جديرًا
بالاعتداد به من حدثهم الذي حق تسميته ان يقال له اسلام فقل لهم لا تعتدّوا عليّ
اسلامكم اي حدثكم المسمى اسلامًا عندي لا ايمانًا ثم قال بل الله يمنّ عليكم ان امدّكم
بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم انكم ارشدتم اليه ووفقتم له ان صح
زعمكم وصدقت دعواكم الا انكم تزعمون وتدعون ما الله عالم بخلافه وفي اضافة الاسلام
اليهم وايراد الايمان غير مضاف ما لا يخفى على المتامل وجواب الشرط محذوف لدلالة
ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان فلله المنة عليكم وقرئ ان
هداكم بكسر الهمزة وفي قراءة ابن مسعود اذ هداكم وقرئ تعملون بالتاء والياء وهذا بيان
لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني انه عز وجل يعلم كل مستتر في العالم ويبصر
كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شيء فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم
ولا يظهر على صدقكم وكذبكم وذلك ان حاله مع كل معلوم واحد لا يختلف عن رسول الله
صلعم من قرا سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله ومن عصاه والله اعلم

سورة ق مكية وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الكلام في ق والقرآن المجيد
بل عجبوا نحوه في ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما في اسلوب

واحد

واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن احاط علمًا بمعانيه وعمل بما فيه مجد
عند الله وعند الناس وهو بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته قوله بل عجبوا
ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم بالمخوف رجل منهم
قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وامانته ومن كان على صفته لم يكن الا ناصحًا لقومه
مترفقًا عليهم خائفًا ان ينالهم سوء ويحل بهم مكروه واذا علم ان مخوفًا اظلّهم لزمه ان
ينذرهم ويحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وانكار لتعجبهم مما
انذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والارض وما بينهما
وعلى اختراع كل شيء وابداعه واقرارهم بالنشاة الاولى مع شهادة العقل بانه لا بد من
الجزاء ثم عوّل على احد الانكارين بقوله فقال الكافرون هذا شيء عجيب اذا متنا ج
دلالة على ان تعجبهم من البعث ادخل في الاستبعاد واحق بالانكار ووضع الكافرون
موضع المضمر للشهادة على انهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة
الى الرجع واذا منصوب بمضمر معناه احين نموت ونبلى نرجع ذلك رجع بعيد مستبعد
مستنكر كقولك هذا قول بعيد وقد ابعد فلان في قوله ومعناه بعيد من الوهم والعادة
ويجوز ان يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادًا
لانكارهم ما انذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن وقرئ اذا متنا
على لفظ الخبر ومعناه اذا متنا بعد ان نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد فان قلت
فما ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع قلت ما دل عليه المنذر من المنذر
به وهو البعث قد علمنا رد لاستبعادهم الرجع لان من لطف علمه حتى تغلغل الى ما تنقص
الارض من اجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم وعن السدي ما تنقص الارض

منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين ومن التغير
وهو اللوح المحفوظ او حافظ لما اودعه وكتب فيه بل كذبوا اضراب اتبع الاضراب
الاول للدلالة على انهم جاؤوا بما هو افظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة
الثابتة بالمعجزات في اول وهلة من غير تفكر ولا تدبر فهم في امر مريج مضطرب يقال
مرج الخاتم في اصبعه وجرج فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن لا يثبتون
على شيء واحد وقرئ لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام هي التي في قولهم لخمس
خلون اي عند مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث افلم ينظروا حين
كفروا بالبعث الى آثار قدرة الله في خلق العالم بنيناها رفعناها بغير عمد من فروج من
فتوق يعني انها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله هل
ترى من فطور مددناها دحوناها رواسي جبالا ثوابت لولا هي لتكفأت من كل زوج من
كل صنف بهيج يبتهج به لحسنه تبصرة وذكرى لتبصر به ويتذكر كل عبد منيب راجع
الى ربه متفكر في بدائع خلقه وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع اي خلقها تبصرة ماء مباركا كثير
المنافع وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شانه ان يحصد وهو ما يقتات به من
الحنطة والشعير باسقات طوالا في السماء وفي قراءة رسول الله صلعم باصقات بابدال السين
صادا لاجل القاف نضيد منضود بعضه فوق بعض اما ان يراد كثرة الطلع وتراكمه او
كثرة ما فيه من الثمر رزقا على انبتنا رزقا لان الانبات في معنى الرزق او على انه مفعول له
اي انبتناها لنرزقهم كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون احياء
بعد موتكم والكاف في محل الرفع على الابتداء اراد بفرعون قومه كقوله من فرعون وملائهم
لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات كل يجوز ان يراد به كل واحد منهم

وان يراد

وان يراد جميعهم الا انه وحد الضمير الراجع اليه على اللفظ دون المعنى فحق وعيد فوجب
وحل وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله صلعم وتهديد لهم افعيينا عيي بالامر اذا لم
يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والمعنى انا لم نعجز كما علموا عن الخلق الاول حتى نعجز عن
ثم قال هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول واعترافهم بذلك في طيه الاعتراف بالقدرة
على الاعادة بل هم في لبس اي في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم و
منه قول علي رضي الله عنه يا حار انه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف اهله ولبس الشيطان
عليهم تسويله اليهم ان احياء الموتى امر خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح
ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة اقدر **فان قلت** لم نكر الخلق الجديد و
هلا عرف كما عرف الخلق الاول **قلت** قصد في تنكيره الى خلق جديد له شان عظيم
وحال شديد حق من سمع به ان يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله
الوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي ووسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان
ويهجس في ضميره من حديث النفس والباء مثلها في قولك صوت بكذا وهمس به ويجوز
ان يكون للتعدية والضمير للانسان اي ما تجعله موسوسا وما مصدرية لانهم يقولون
حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه قال واكذب النفس اذا حدثتها ونحن
اقرب اليه مجاز والمراد قرب علمه منه وانه يتعلق بمعلومه منه ومن احواله تعلقا لا يخفى
عليه شيء من خفياته فكأن ذاته قريبة منه كما يقال الله في كل مكان وقد جل عن الامكنة
وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقولهم هو مني مقعد القابلة ومعقد الازار قال ذو الرمة
والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق شبه بواحد الحبال الا ترى الى قوله كأن وريديه
رشاء خلب والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين

يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده فان قلت ما وجه اضافة الحبل الى الوريد والشيء لا يضاف الى نفسه قلت فيه وجهان احدهما ان تكون الاضافة للبيان كقولهم بعير سانية والثاني ان يراد حبل العاتق فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد كما لو قيل حبل العلباء مثلا اذ منصوب باقرب وساغ ذلك لان المعاني تعمل في الظرف متقدمة ومتاخرة والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس ولا شيء اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين امر هو غني عنه وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على اخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطة الله بعمله من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات وعن النبي صلعم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما ويجوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب يعني ونحن قريبون منه مطلعون على احواله مهيمنون عليه اذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك احدهما لدلالة الثاني عليه كقوله كنت منه ووالدي بريا رقيب ملك يرقب عمله عتيد حاضر واختلف فيما يكتب الملكان فقيل يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما يوجر عليه او يوزر به ويدل عليه قوله عليه السلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا

واذا

واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وقيل ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه وعند جماعه وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله وجاءت سكرة الموت ونفخ في الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء في بالحق للتعدية يعني و احضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي انطق الله به كتبه وبعث به رسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة المرء وشقاوته وقيل الحق الذي خلق له الانسان من ان كل نفس ذائقة الموت ويجوز ان يكون الباء مثلها في قوله تنبت بالدهن اي جاءت ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغرض الصحيح كقوله خلق الله السموات والارض بالحق وقرا ابو بكر وابن مسعود رضي الله عنهما سكرة الحق بالموت على اضافة السكرة الى الحق والدلالة على انها السكرة التي كتبت على الانسان واوجبت له وانها الحكمة والباء للتعدية لانها سبب زهوق الروح لشدتها ولان الموت يعقبها فكانها جاءت به ويجوز ان يكون المعنى جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق سكرة الله اضيفت اليه تفظيعا لشانها وتهويلا وقرئ سكرات الموت ذلك اشارة الى الموت والخطاب للانسان في قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات او الى الحق والخطاب للفاجر تحيد تنفر وتهرب وعن بعضهم انه سال زيد بن اسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما سن عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عباس فقال اخالفهما جميعا هو للبر والفاجر

ذلك يوم الوعيد على تقدير حذف المضاف اى وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة
الى مصدر نفخ سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والاخر يشهد عليه بعمله او ملك
واحد جامع بين الامرين كانه قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل معها سائق النصب
على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة وقرئ لقد كنت عنك غطاءك
فبصرك بالكسر على خطاب النفس اى يقال لها لقد كنت جعلت الغفلة كانها غطاء غطى
به جسدك كله او غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت
عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته
حديدا لتيقظه وقال قرينه هو الشيطان الذي قيض له في قوله نقيض له شيطانا فهو له
قرين يشهد له قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته هذا ما لدي عتيد هذا شيء لدي وفي ملكتي
عتيد لجهنم والمعنى ان ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد اعتدته
لجهنم وهيأته لها باغوائي واضلالي **فان قلت** كيف اعراب هذا الكلام **قلت**
ان جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل او خبر بعد خبر او
خبر مبتدا محذوف القيا خطاب من الله للملكين السائقين او السائق والشهيد ويجوز ان
يكون خطابا للواحد على وجهين احدهما قول المبرد ان تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية
الفعل لاتحادهما كانه قيل الق الق للتاكيد والثاني ان العرب اكثر ما يرافق الرجل منهم
اثنين وكثر على السنتهم ان يقولوا خليلي وصاحبي قفا واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب
الاثنين عن الحجاج انه كان يقول يا حرسي اضربا عنقه وقراءة الحسن القين بالنون الخفيفة
ويجوز ان تكون الالف في القيا بدلا من النون اجراء للوصل مجرى الوقف عنيد معاند
مجانب للحق معاند لاهله مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل

منه شيئا قط او مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه وبينهم وقيل نزلت في الوليد بن
المغيرة كان يمنع بني اخيه من الاسلام وكان يقول من دخل منكم فيه لم انفعه بخير ما
عشت معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مبتدا متضمن
معنى الشرط ولذلك اجيب بالفاء ويجوز ان يكون الذي جعل منصوبا بدلا من كل كفار
ويكون فالقياه تكريرا للتوكيد **فان قلت** لم اخليت هذه الجملة من الواو وادخلت
على الاولى **قلت** لانها استؤنفت كما تستانف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما
رايت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون **فان قلت** فاين التقاول ههنا
قلت لما قال قرينه هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته و
تلاه لا تختصموا لدي علم ان ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كانه قال
رب هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته واما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة
على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه
ما قال له ما اطغيته ما جعلته طاغيا وما اوقعته في الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة
على الهدى كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال لا تختصموا
استئناف مثل قوله قال قرينه كان قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا
في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد اوعدتكم بعذابي
على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فما تركت لكم حجة علي ثم قال لا تطمعوا ان ابدل قولي
ووعيدي فاعفيكم عما اوعدتكم به وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس بمستوجب للعذاب
والباء في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او معدية على ان قدم
مطاوع بمعنى تقدم ويجوز ان يقع الفعل على جملة قوله ما يبدل القول لدي وما انا بظلام

للعبيد ويكون بالوعيد حالا اى قدمته اليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته
اليكم موعدا لكم به **فان قلت** ان قوله وقد قدمت واقع موقع الحال من لا تختصموا
والتقديم بالوعيد فى الدنيا والخصومة فى الآخرة واجتماعهما فى زمان واحد واجب **قلت**
معناه لا تختصموا وقد صح عندكم انى قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم فى الآخرة
فان قلت كيف قال بظلام على لفظ المبالغة **قلت** فيه وجهان ان يكون من قولك
هو ظالم لعبده وظلام لعبيده وان يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط
الظلم فنفى ذلك قرئ نقول بالنون والياء وعن سعيد بن جبير يوم يقول الله لجهنم وعن
ابن مسعود والحسن يقال وانتصاب اليوم بظلام او بمضمر نحو اذكر وانذر ويجوز ان ينتصب
بنفخ كانه قيل ونفخ فى الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا يشار بذلك الى يوم نقول ولا يقدر
حذف المضاف وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذى يقصد به تصوير المعنى فى القلب
وتبيينه وفيه معنيان احدهما انها تمتلئ مع اتساعها وتباعد اطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد
على امتلائها كقوله لاملان جهنم والثانى انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها
موضع ويجوز ان يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبداعا للزيادة للمزيد
عليهم لفرط كثرتهم او طلبا للزيادة غيظا على العصاة والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد
واما اسم مفعول كالمبيع غير بعيد نصب على الظرف اى مكانا غير بعيد او على الحال
وتذكيره لانه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوى فى الوصف بها المذكر
والمؤنث او على حذف الموصوف اى شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب
غير بعيد وعزيز غير ذليل قرئ توعدون بالتاء والياء وهى جملة اعتراضية ولكل اواب
بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وهذا اشارة الى الثواب

اوالى

او الى مصدر ازلفت والاواب الرجاع الى ذكر الله والحفيظ الحافظ لحدوده ومن خشى
بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز ان يكون بدلا عن موصوف اواب وحفيظ ولا يجوز ان
يكون فى حكم اواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا
بالذى وحده ويجوز ان يكون مبتدأ خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لان من فى معنى الجمع
ويجوز ان يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا احسن الى وحذف حرف النداء للتقريب
بالغيب حال من المفعول اى خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا الا بطريق
الاستدلال او صفة لمصدر خشى اى خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه
وهو غائب او خشيه بسبب الغيب الذى اوعده به من عذابه وقيل فى الخلوة حيث لا
يراه احد **فان قلت** كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة **قلت** للثناء
البليغ على الخاشى وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما اثنى عليه بانه خاشى مع
ان المخشى عنه غائب ونحوه والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل
مع كثرة الطاعات وصف القلب بالانابة وهى الرجوع الى الله لان الاعتبار بما ثبت
منها فى القلب يقال لهم ادخلوها بسلام اى سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما
عليكم يسلم عليكم الله وملائكته يوم الخلود اى يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين
اى مقدرين الخلود ولدينا مزيد هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه امانيهم حتى يشاؤه وقيل ان
السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال الله عز وجل ولدينا مزيد
فنقبوا وقرئ بالتخفيف فخرقوا فى البلاد ودوخوا والتنقيب التنقير عن الامر والبحث
والطلب قال الحارث بن حلزة نقبوا فى البلاد من حذر الموت وجالوا فى الارض كل مجال
ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم اشد منهم بطشا اى شدة بطشهم ابطرتهم واقدرتهم على

السقيب وقوتهم عليه ويجوز ان يراد فنقب اهل مكة في اسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون
فهل راوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم والدليل على صحته قراءة من قرا فنقبوا
على الامر كقوله فسيحوا في الارض وقرئ بكسر القاف مخففة من النقب وهو ان ينتقب
خف البعير قال ما مسها من نقب ولا دبر والمعنى فنقبت اخفاف ابلهم او حفيت اقدامهم
ونقبت كما تنقب اخفاف الابل لكثرة طوفهم في البلاد هل من محيص من الله او من الموت
لمن كان له قلب اي قلب واع لان من لا يعي قلبه فكانه لا قلب له والقى السمع اصغى
وهو شهيد حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غايب وقد ملح الامام
عبد القاهر في قوله لبعض من ياخذ عنه ما شئت من زهزهة والفتى بصقلاباذ
لسقي الزروع او وهو مؤمن شاهد على صحته وانه وحي من الله او وهو بعض الشهداء في
قوله لتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من اهل الكتاب لوجود
نعته عنده وقرا السدي وجماعة القي السمع على البناء للمفعول ومعناه لمن القى غيره السمع
وفتح اذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن وقيل القى سمعه او السمع
منه اللغوب الاعياء وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوع قيل نزلت في اليهود لعنت
تكذيبا لقولهم خلق الله السموات والارض في ستة ايام اولها الاحد وآخرها الجمعة
واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذي وقع من التشبيه في هذه الامة
انما وقع من اليهود ومنهم اخذ فاصبر على ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه وقيل
فاصبر على ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم
والانتقام منهم وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل الصبر مأمور به في كل حال بحمد ربك
حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره او على الصلوة فالصلوة قبل طلوع الفجر وقبل

الغروب



السجود

الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاآن وقيل التهجد وادبار السجود التسبيح في آثار الصلوات
والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلوة وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن علي رضي الله عنه
الركعتان بعد المغرب وروي عن النبي صلعم من صلى بعد المغرب قبل ان يتكلم كتبت
صلوته في عليين وعن ابن عباس الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وقرئ وادبار
ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم
واستمع يعني واستمع لما اخبرك به من حال يوم القيمة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشان المخبر
به والمحدث عنه كما يروى عن النبي صلعم انه قال سبعة ايام لمعاذ بن جبل يا معاذ
اسمع ما اقول لك ثم حدثه بعد ذلك فان قلت ثم انتصب اليوم قلت بما دل عليه
ذلك يوم الخروج اي ينادي المنادي يخرجون من القبور ويوم يسمعون بدل من يوم يوم م
ينادي والمنادي اسرافيل ينفخ في الصور وينادي ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة و
اللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل
ينفخ وجبرئيل ينادي بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهي اقرب الارض من السماء
باثني عشر ميلا وهي وسط الارض وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل
شعرة ايتها العظام البالية والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر
للجزاء قرئ تشقق وتشقق بادغام التاء في الشين وتشقق على البناء للمفعول وتنشق سراعا حال
من المجرور علينا يسير تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم
الا على القادر الذات الذي لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة نحن اعلم بما يقولون تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلعم بجبار كقوله بمسيطر حتى
تقسرهم على الايمان انما انت داع وباعث وقيل اريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم ويجوز

ان يكون من جبره على الامر بمعنى اجبره اى ما انت بوال عليهم تجبرهم على الايمان وعلى بمنزلة
في قولك اذا كان واليهم ومالك امرهم من يخاف وعيد كقوله انما انت منذر من
يخشيها لانه لا ينفع الا فيه دون المصر على الكفر عن رسول الله صلعم من قرا سورة ق هون الله
عليه تارات الموت وسكراته

هو عليهم م

بسم الله الرحمن الرحيم الذاريات الرياح لانها تذروا التراب وغيره قال
الله تعالى تذروه الرياح وقرى بادغام التاء في الذال والحاملات وقرا السحاب لانها تحمل
المطر وقرى وقرا بفتح الواو وعلى تسمية المحمول بالمصدر او على ايقاعه موقع حملا و
الجاريات يسرا الفلك ومعنى يسرا جريا ذا يسر اى ذا سهولة والمقسمات امرا الملايكة
لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او تفعل التقسيم مامورة بذلك وعن
مجاهد تتولى تقسيم امر العباد جبريل للغلظة وميكاييل الرحمة وملك الموت لقبض الارواح
واسرافيل للنفخ وعن علي رضي الله عنه انه قال وهو على المنبر سلوني قبل ان لا تسالوني ولن تسالوا
بعدي مثلي فقام ابن الكوا فقال ما الذاريات قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال
السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات امرا قال الملايكة وكذا عن ابن عباس
وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله بها ارزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة
ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشي السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا
وتقسم الامطار بتصريف السحاب فان قلت ما معنى الفاء على التفسيرين قلت
اما على الاول فمعنى التعقيب فيها انه تعالى اقسم بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه فبالفلك

التي

149

التي تجريها بهبوبها فبالملايكة التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر
ومنافعه واما على الثاني فلانها تبتدي بالهبوب فتذروا التراب والحصباء فتقل السحاب
فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر انما توعدون جواب القسم وما موصولة او مصدرية
والموعود البعث ووعد صادق كعيشة راضية والدين الجزاء والواقع الحاصل الحبك
الطرايق مثل حبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر اثار تثنيه وتكسره
قال زهير يصف غديرا مكلل باصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك والدرع محبوكة
لان حلقها مطرق طرايق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها و
المعنى انها تزينها كما تزين الموشي طرايق الوشي وقيل حبكها صفاقتها واحكامها من قولهم
فرس محبوك المعاقم اى محكمها واذا اجاد الحايك الحياكة قالوا ما احسن حبكه وهو جمع حباك
كمثال ومثل وحبيكة كطريقة وطرق وقرى الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك
والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق والحبك بوزن النعم والحبك بوزن الابل لفي
قول مختلف قولهم في الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفي القران شعر وسحر واساطير الاولين
وعن الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وعن قتادة منكم مصدق
ومكذب ومقر ومنكر يوفك عنه الضمير للقران او الرسول اى يصرف عنه من صرف الصرف
الذي لا صرف اشد منه واعظم كقوله لا يهلك على الله الا هالك وقيل يصرف عنه من
صرف في سابق علم الله اى علم فيما لم يزل انه مافوك عن الحق لا يرعوي ويجوز ان يكون الضمير
لما توعدون او للدين اقسم بالذاريات على ان وقوع امر القيامة حق ثم اقسم بالسماء على انهم
في قولهم المختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال عن الاقرار بامر القيامة من
هو المافوك ووجه اخر وهو ان يرجع الضمير الى قول مختلف وعن مثله في قوله ينهون عن اكل

يوفكم م

وعن شرب اى تناهون فى السمن بسبب الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم فى
السمن عنهما وكذلك يصدر افكهم عن القول المختلف وقرأ سعيد بن جبير يؤفك
عنه من افك على البناء للفاعل اى من افك الناس عنه وهم قريش وذلك ان الحى
كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والرأى ليسأل عن رسول الله فيقولون له احذره فيرجع
فيخبرهم وعن زيد بن على يأفك عنه من افك اى يصرف الناس عنه من هو مافوك فى
نفسه وعنه ايضا يأفك عنه من أفك اى يصرف الناس عنه من هو افاك كذاب وقرئ يؤفن
عنه من أفن اى يحرمه من حرم من افن الضرع اذا نهكه حلبا قتل الخراصون دعاء عليهم
كقوله قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح
والخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم اصحاب القول المختلف واللام اشارة
اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اى قتل الله فى غمرة فى جهل يغمرهم
ساهون غافلون عما امروا به يسألون فيقولون ايان يوم الدين اى متى يوم الجزاء و
قرئ بكسر الهمزة وهى لغة فان قلت كيف وقع ايان ظرفا لليوم وانما تقع الاحيان
ظروفا للحدثان قلت معناه ايان وقوع يوم الدين فان قلت فيم انتصب اليوم
الواقع فى الجواب قلت بفعل مضمر دل عليه السؤال اى يقع يوم هم على النار يفتنون
ويجوز ان يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة فان قلت فما محله مفتوحا
قلت يجوز ان يكون محله نصبا بالمضمر الذى هو يقع ورفعا على هو يوم هم على النار يفتنون
وقراءة ابن ابى عبلة بالرفع يفتنون يحرقون ويعذبون ومنه الفتين وهو الحرة لان حجارتها
كانها محرقة ذوقوا فتنتكم فى محل الحال اى مقولا لهم هذا القول هذا مبتدأ والذى خبره
اى هذا العذاب هو الذى كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم اى ذوقوا

هذا

150

هذا العذاب آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لكل ما اعطاهم راضين به يعنى انه ليس فيما
آتاهم الا ما هو متلقى بالقبول مرضى غير مسخوط لان جميعه حسن طيب ومنه قوله
تعالى ويأخذ الصدقات اى يقبلها ويرضاها محسنين قد احسنوا اعمالهم وتفسير احسانهم
ما بعده ما مزيدة والمعنى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل ان جعلت قليلا ظرفا
ولك ان تجعله صفة للمصدر اى كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز ان يكون ما مصدرية
او موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية
وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم قال قد حصت البيضة راسى فما اطعم نوما
غير تهجاع وقوله قليلا ومن الليل لان الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة
لذلك وصفهم بانهم يحيون الليل متهجدين فاذا اسحروا اخذوا فى الاستغفار كانهم
اسلفوا فى ليلهم الجرائم وقوله هم يستغفرون فيه انهم هم المستغفرون الاحقاء بالا
بالاستغفار دون المصرين فكانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه فان قلت
هل يجوز ان تكون ما نافية كما قال بعضهم وان يكون المعنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا و
يحيونه كله قلت لا لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها تقول زيدا لم اضرب
ولا تقول زيدا ما ضربت السائل الذى يستجدى والمحروم الذى يحسب غنيا فيحرم الصدقة
لتعففه وعن النبى صلعم ليس المسكين الذى ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان قالوا
فما هو قال الذى لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذى لا ينمى له مال وقيل المحارف الذى
لا يكاد يكسب وفى الارض آيات تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هى مدحوة
كالبساط لما فوقها كما قال الذى جعل لكم الارض مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين
فيها والماشين فى مناكبها وهى مجزأة فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من صلبة

ورخوة وعذاة وسبخة وهي كالطروقة تلقح بانواع النبات وانواع الاشجار
بالثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على
بعض في الاكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم
وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب المنبثة في برها وبحرها المختلفة
الصور والاشكال والافعال من الوحشي والانسي والهوام وغير ذلك للموقنين الموقنون
الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة و
افهام نافذة كلما راوا آية عرفوا وجه تاملها فازدادوا ايمانا مع ايمانهم وايقانا الى ايقانهم
وفي انفسكم في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب
الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول
وخصت به من اصناف المعاني وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها
ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المدبر دع الاسماع والابصار
والاطراف وسائر الجوارح وتاتيها لما خلقت له وما سوى في الاعضاء من المفاصل للانعطاف
والتثني فانه اذا جسا شيء منها جاء العجز واذا استرخى اناخ الذل فتبارك الله احسن
الخالقين رزقكم هو المطر لانه سبب الاقوات وعن سعيد بن جبير هو الثلج وكل عين دائمة منه
وعن الحسن انه كان اذا راى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه
بخطاياكم وما توعدون الجنة هي على ظهر السماء السابعة تحت العرش او اراد ان ما ترزقونه
في الدنيا وما توعدون به في العقبى كله مقدر مكتوب في السماء قرئ مثل ما بالرفع صفة
للحق اي حق مثل نطقكم وبالنصب على انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز ان يكون فتحا لاضافته
الى غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل وهذا كقول الناس ان هذا لحق كما انك ترى وتسمع

ومثل

مثل ما انك ها هنا وهذا الضمير اشارة الى ما ذكر من امر الآيات وامر الرزق وامر النبي
صلعم او الى ما توعدون وعن الاصمعي اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابي على قعود
فقال من الرجل قلت من بني اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام
الرحمن فقال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك
فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما
حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف بي بصوت دقيق فالتفت فاذا
انا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرا السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد
وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرات فورب السماء والارض انه لحق
فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى
الجاوه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه هل اتاك تفخيم للحديث وتنبيه على
انه ليس من علم رسول الله وانما عرفه بالوحي والضيف للواحد والجماعة كالزور
والصوم لانه في الاصل مصدر ضافه وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل
وقيل ثلثة جبريل وميكائيل وملك معهما وجعلهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف
حيث اضافهم ابرهيم او لانهم كانوا في حسبانه كذلك واكرامهم ان ابرهيم خدمهم
بنفسه واخدمهم امراته وعجل لهم القرى او انهم في انفسهم مكرمون قال الله تعالى بل عباد
مكرمون اذ دخلوا انتصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابرهيم والا فبما في ضيف من معنى
الفعل او باضمار اذكر سلاما مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه واصله نسلم
عليكم سلاما واما سلام فمعدول به الى الرفع على الابتداء وخبره محذوف معناه عليكم سلام
للدلالة على ثبات السلام كانه قصد ان يحييهم باحسن مما حيوه به اخذا بادب الله وهذا

وهذا ايضا من اكرامه لهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلاما قال سلما والسلم السلام و
قرئ سلاما قال سلم قوم منكرون انكرهم للسلام الذي هو علم الاسلام او اراد انهم
ليسوا من معارفه او من جنس الناس الذين عهدهم كما لو ابصر العرب قوما من الخزر
او رأى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم او كان هذا سؤالا لهم كانه قال
انتم قوم منكرون فعرفوني من انتم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيوفه ومن
ادب المضيف ان يخفي امره وان يبادره بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا
من ان يكفه ويعذره قال قتادة كان عامة مال نبي الله ابرهيم البقر فجاء بعجل سمين والهمزة
في الا تاكلون للانكار انكر عليهم ترك الاكل او حثهم عليه فاوجس فاضمر وانما خافهم
لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن انهم يريدون به سوءا عن ابن عباس وقع في نفسه انهم ملائكة
ارسلوا للعذاب وعن عون بن شداد مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه بغلام عليم
اي يبلغ ويعلم وعن الحسن عليم نبي والمبشر به اسحق وهو اكثر الاقاويل واصحها لان
الصفة صفة سارة لا هاجر وهي امراة ابرهيم وهو بعلها وعن مجاهد هو اسمعيل
في صرة في صيحة من صر الجندب وصر القلم والباب ومحله النصب على الحال اي
فجاءت صارة قال الحسن اقبلت الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم لانها
وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء وقيل فاخذت في صرة كما تقول اقبل يشتمني
وقيل صرتها قولها اوه وقيل يا ويلتى وعن عكرمة رنتها فصكت فلطمت ببسط يديها وقيل
فضربت باطراف اصابعها جبهتها فعل المتعجب عجوز انا عجوز فكيف الد كذلك مثل ذلك الذي
قلنا واخبرنا به قال ربك اي انما نخبرك عن الله والله قادر على ما تستبعدين وروي ان
جبريل قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة فلما علم انهم

ملائكة

الخزر جيل من الناس ويقال لهم الغز

عون خ

ملائكة وانهم لا ينزلون الا باذن الله تعالى رسلا في بعض الامور قال فما خطبكم اي
فما شانكم وما طلبكم الى قوم مجرمين الى قوم لوط حجارة من طين يريد السجيل وهو طين
طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة مسومة معلمة من السومة وهي العلامة
على كل واحد منها اسم من يهلك به وقيل اعلمت بانها من حجارة العذاب وقيل بعلامة
تدل انها ليست من حجارة الدنيا سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم وعدوانهم
في عملهم حيث لم يقنعوا بما ابيح لهم الضمير في فيها للقرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة
وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد وانهما صفتا مدح قيل هم لوط وابنتاه وقيل
كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلثة عشر عن قتادة لو كان فيها اكثر من ذلك لانجاهم
ليعلموا ان الايمان محفوظ لا ضيعة على اهله عند الله آية علامة يعتبر بها الخائفون دون
القاسية قلوبهم قال ابن جريج هي صخرة منضود فيها وقيل ماء اسود منتن وفي موسى
عطف على وفي الارض آيات او على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى
آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا فتولى بركنه فازور واعرض كقوله ونأى بجانبه وقيل
فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه وقرئ بركنه بضم الكاف ساحر اي هو ساحر
مليم آت بما يلام عليه من كفره وعناده والجملة مع الواو حال من الضمير في فاخذناه **فان قلت**
كيف وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه بما وصف به فرعون في قوله فالتقمه الحوت
وهو مليم **قلت** موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم
فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها وكذلك مقترف الصغيرة الا ترى الى قوله وعصوا رسله وعصى
ادم ربه لان الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة العقيم

التي لا خير فيها من انشاء مطر او القاح شجر وهي ريح الهلاك واختلف فيها
فعن علي رضي الله عنه النكباء وعن ابن عباس الدبور وعن ابن المسيب الجنوب
الرميم كل ما رم اي بلي وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك حتى حين تفسيره
قوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله وقرئ الصعقة
وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة نفسها وهم ينظرون كانت
نهارا يعاينونها وروي ان العمالقة كانوا معهم في الوادي ينظرون اليهم وما ضرتهم
فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به
اذا عجز عن دفعه منتصرين ممتنعين من العذاب وقوم قرئ بالجر على معنى وفي قوم
نوح وتقويه قراءة عبد الله وفي قوم نوح وبالنصب على معنى واهلكنا قوم نوح لان ما
قبله يدل عليه او واذكر قوم نوح بايد بقوة والايد والآد القوة وقد آد يئيد وهو
ايد وانا لموسعون لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع القوي على الانفاق وعن
الحسن لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين الارض سعة فنعم الماهدون نحن
ومن كل شيء اي من كل شيء من الحيوان خلقنا زوجين ذكرا وانثى وعن الحسن السماء والارض
والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحيوة فعدد الاشياء وقال كل اثنين
منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك كله من بناء السماء
وفرش الارض وخلق الازواج ارادة ان تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه ففروا الى الله الى
طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به وكرر قوله اني لكم منه نذير مبين
عند الامر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع عند الله الا الجامع بينهما الا ترى

الى قوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا والمعنى قل لهم
ففروا الى الله كذلك الامر مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا
ومجنونا ثم فسر ما اجمل بقوله ما اتى ولا يصح ان تكون الكاف منصوبة باتى لان ما النافية
لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يات لكان صحيحا على معنى مثل ذلك الاتيان لم
يات من قبلهم رسول الا قالوا اتواصوا به الضمير للقول يعني اتواصى الاولون والآخرون
بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه بل هم قوم طاغون اي لم يتواصوا به لانهم لم
يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان والطغيان هو الحامل
عليه فتول عنهم فاعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد
واللجاج فلا لوم عليك في اعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ و
الدعوة ولا تدع التذكير والموعظة بايام الله فان الذكرى تنفع المؤمنين اي تؤثر في الذين
عرف الله منهم انهم يدخلون في الايمان او تزيد الداخلين فيه ايمانا وروي انه لما نزلت
فتول عنهم حزن رسول الله واشتد ذلك على اصحابه ورأوا ان الوحي قد انقطع و
ان العذاب قد حضر فانزل الله وذكر اي وما خلقت الجن والانس الا لاجل العبادة ولم
ارد من جميعهم الا اياها فان قلت لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا
قلت انما اراد منهم ان يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين اليها لانه خلقهم ممكنين
فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدا لها ولو ارادها على القسر والالجاء لوجدت
من جميعهم ما اريد ان شاني مع عبادي ليس كشان السادة مع عبيدهم فان ملاك العبيد
انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وارزاقهم فاما مجهز في تجارة ليفيء ربحا
او مرتب في فلاحة ليغل ارضا او مسلم في حرفة لينتفع باجرته او محتطب او محتش او

مستقٍ او طابخ او خابز وما اشبه ذلك من الاعمال والمهن التي هي تصرف في اسباب
المعيشة وابواب الرزق فاما مالك ملك العبيد وقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم
في انفسكم ولا اريد ان اصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم وانا غني عنكم وعن مرافقكم و
متفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي فما هو الا انا وحدي المتين الشديد
القوة وقرئ بالرفع صفة لذو وبالجر صفة للقوة على تاويل الاقتدار والمعنى في وصفه بالقوة
والمتانة انه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء وقرئ الرازق وفي قراءة النبي صلعم اني
انا الرازق الذنوب الدلو العظيمة وهذا تمثيل اصله في السقاة يتقسمون الماء
فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال لها ذنوب ولكم ذنوب فان ابيتم فلنا القليب
ولما قال عمرو بن شاس وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب قال
الملك نعم واذنبة والمعنى وان للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب من اهل مكة لهم نصيب
من عذاب الله مثل نصيب اصحابهم ونظرائهم من القرون وعن قتادة سجلا من عذاب الله
مثل سجل اصحابهم من يومهم من يوم القيمة وقيل من يوم بدر عن رسول الله صلعم من قرأ
سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور تسع واربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الطور الجبل الذي كلم الله
عليه موسى عليه السلم وهو بمدين والكتاب المسطور في رق منشور والرق الصحيفة
وقيل الجلد الذي يكتب فيه الكتاب الذي يكتب فيه الاعمال وقال الله تعالى ونخرج له
يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقيل هو ما كتبه الله لموسى وهو يسمع صرير القلم وقيل اللوح

المحفوظ

104

المحفوظ وقيل القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب كقوله ونفس وما
سواها والبيت المعمور الضراح في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة وقيل
الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين والسقف المرفوع السماء والبحر المسجور
المملوء وقيل الموقد من قوله واذا البحار سجرت وروي ان الله تعالى يجعل يوم القيمة
البحار كلها نارا تسجر بها نار جهنم وعن علي رضي الله عنه انه سأل يهوديا اين موضع
النار في كتابكم قال في البحر قال علي ما اراه الا صادقا لقوله والبحر المسجور لواقع لنازل
قال جبير بن مطعم اتيت رسول الله اكلمه في الاسارى فالفيته في صلوة الفجر يقرأ
سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع به اسلمت خوفا من ان ينزل العذاب
تمور تضطرب وتجيء وتذهب وقيل المور تحرك في تموج وهو الشيء يتردد في عرض
كالداغصة في الركبة غلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض
مع الخائضين وخضتم كالذي خاضوا الدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة
النار يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار
دفعا على وجوههم وزخا في اقفيتهم وقرأ زيد بن علي يدعون من الدعاء اي يقال لهم
هلموا الى النار وادخلوا النار دعا مدعوعين يقال لهم هذه النار افسحر هذا يعني
انكم تقولون للوحي هذا سحر افسحر هذا يريد اهذا المصداق ايضا سحر ودخلت
الفاء لهذا المعنى ام انتم لا تبصرون كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام انتم عمي عن
المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم سواء خبر محذوف اي سواء عليكم
الامران الصبر وعدمه فان قلت لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله انما تجزون ما كنتم
تعملون قلت لان الصبر انما يكون له المزية على الجزع لنفعه في العاقبة بان يجازى

عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذي هو الجزاء فلا عاقبة له ولا منفعة
ولا مزية له على الجزع في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم بمعنى الكمال في الصفة
او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة وقرئ فاكهين وفكهين و
فاكهون من نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا جعل الظرف لغوا
اي متلذذين بما آتاهم ربهم فان قلت علام عطف قوله ووقاهم ربهم قلت
على قوله في جنات او على آتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين باتيانهم
ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم ويجوز ان تكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة يقال لهم
كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز
ان يكون مثله في قوله هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت اعني
صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع
بالفعل كانه قيل هنأ عزة المستحل من اعراضنا وكذلك معنى هنيئا ها هنا هنأكم الاكل
والشرب او هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما في كفى بالله والباء
متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب وقرئ بعيس عين والذين
آمنوا معطوف على حور عين اي قرناهم بالحور وبالذين آمنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم
كقوله اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الاخوان
المؤمنين واتبعناهم ذرياتهم قال رسول الله صلعم ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته
وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية فيجمع الله لهم انواع السرور بسعادتهم
في انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الاخوان المؤمنين وباجتماع اولادهم ونسلهم
بهم ثم قال بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء

الحقنا

الحقنا بدرجاتهم ذرياتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم لنتم سرورهم
ونكمل نعيمهم فان قلت ما معنى تنكير الايمان قلت معناه الدلالة على انه ايمان
خاص عظيم المنزلة ويجوز ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كانه قيل بشيء من الايمان
قال م
لا يؤهلهم لدرجة الآباء الحقناهم بهم وقرئ واتبعتهم ذريتهم واتبعناهم ذريتهم وذرياتهم
وذرياتهم بكسر الذال ووجه آخر وهو ان يكون والذين آمنوا مبتدأ خبره بايمان
الحقنا بهم ذرياتهم وما بينهما اعتراض وما ألتناهم وما نقصناهم يعني وفرنا عليهم
جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل وما نقصناهم من ثواب عملهم من شيء وقيل معناه وما
نقصناهم من ثوابهم شيئا بعطية الابناء حتى يلحقوا بهم انما الحقناهم بهم على سبيل التفضل
وقرئ ألتناهم وهو من باب من ألت يألت ومن ألات يليت كامات يميت وآلتناهم
من آلت يولت كآمن يؤمن ولتناهم من ولت يلت ومعناهن واحد كل امرئ بما
كسب رهين اي مرهون كان نفس العبد رهن عند الله تعالى بالعمل الصالح الذي هو
مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها والا اوبقها
وامددناهم وزدناهم في وقت بعد وقت يتنازعون يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم
من اقربائهم واخوانهم كأسا خمرا لا لغو فيها في شربها ولا تأثيم اي لا يتكلمون في اثناء
الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين في الدنيا على الشراب
في سفههم وعربدتهم ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار
التكليف من الكذب والشتم والفواحش وانما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن
متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم
غلمان لهم اي مملوكون لهم مخصوصون بهم مكنون في الصدف لانه رطبا احسن واصفى

او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم
فقال قال رسول الله صلعم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم
كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب وعنه عليه السلم ان ادنى اهل الجنة منزلة من
ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك يتساءلون يتحادثون ويسأل
بعضهم بعضا عن احواله واعماله وما استوجب به نيل ما عند الله مشفقين ارقاء القلوب من
خشية الله وقرى ووقانا بالتشديد عذاب السموم عذاب النار ووهجها ولفحها والسموم الريح
الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها بهذه الصفة من قبل من لقاء الله قبل هم
والمصير اليه يعنون في الدنيا ندعوه نعبده ونسأله الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم
العظيم الرحمة الذي اذا عُبد اثاب واذا سئل اجاب وقرى انه بالفتح بمعنى لانه
فذكّر فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن ومجنون و
لا تبال به فانه قول باطل متناقض لان الكاهن يحتاج في كهانته الى فطنة ودقة نظر و
المجنون مغطى على عقله وما انت بحمد الله وانعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل
احد هذين نتربص به ريب المنون على المفعول وريب المنون ما يقلق النفوس ويشخص
بها من حوادث الدهر قال امن المنون وريبه تتوجع وقيل المنون الموت وهو في الاصل
فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سميت شعوب قالوا ننتظر به نوائب
الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة من المتربصين اتربص هلاككم كما
تتربصون هلاكي احلامهم عقولهم والبابهم ومنه قولهم احلام عاد والمعنى اتأمرهم
احلامهم بهذا التناقض في القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش
يدعون اهل الاحلام والنهى ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم

مقطوع

فان قلت

فان قلت ما معنى كون الاحلام آمرة قلت هو مجاز لاداتها الى ذلك كقوله اصلواتك
تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا وقرى بل هم قوم طاغون تقوّله اختلقه من تلقاء نفسه
بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه
ليس بمتقوّل لعجز العرب وما محمد الا واحد من العرب وقرى بحديث مثله على الاضافة
والضمير لرسول الله صلعم ومعناه ان مثل محمد في فصاحته ليس بمعوز في العرب
فان قدر محمد على نظمه كان مثله قادرا عليه فليأتوا بحديث ذلك المثل ام خلقوا
ام احدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم من غير شيء من غير مقدر ام هم الذين
خلقوا انفسهم حيث لا يعبدون الخالق بل لا يوقنون اي اذا سئلوا من خلقكم و
خلق السموات والارض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون وقيل اخلقوا
من اجل لا شيء من جزاء ولا حساب وقيل اخلقوا من غير اب وام ام عندهم خزاين
الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاءوا او اعندهم خزاين علمه حتى يختاروا لها من اختياره
حكمة ومصلحة ام هم المسيطرون الارباب الغالبون حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا
الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرى المصيطرون بالصاد ام لهم سلم منصوب الى السماء
يستمعون صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما
هو كائن من تقدم هلاكه على هلاككم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون بسلطان
مبين بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم المغرم ان يلتزم الانسان ما ليس
عليه اي لزمهم مغرم تثقل فدحهم فزهدهم ذلك في اتباعك ام عندهم الغيب اي
اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب ام يريدون
كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلعم وبالمؤمنين فالذين كفروا اشارة اليهم

اوارين بهم كل من كفر بالله هم المكيدون هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم وحيق بهم
مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته الكسف
القطعة وهو جواب قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد انهم لشدة
طغيانهم وعنادهم لو اسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض
يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب وقرئ حتى يلقوا ويلقوا يصعقون يموتون
وقرئ يصعقون يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعق وان
للذين ظلموا وان لهؤلاء الظلمة عذابا دون ذلك دون يوم القيمة وهو القتل
ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر وفي مصحف عبد الله دون ذلك قريبا لحكم
ربك بامهالهم وما يلحقك فيه من المشقة والكلفة فانك باعيننا مثل اي بحيث نراك و
نكلاك وجمع العين لان الضمير بلفظ ضمير الجماعة الا ترى الى قوله ولتصنع على عيني و
قرئ باعينا بالادغام حين تقوم من اي مكان قمت وقيل من منامك وادبار النجوم
واذا ادبرت النجوم من آخر الليل وقرئ وادبار بالفتح بمعنى في اعقاب النجوم واثارها
اذا غربت والمراد الامر بقول سبحان الله وبحمده في هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلوة
اذا قام من نومه ومن الليل صلوة العشائين وادبار النجوم صلوة الفجر عن رسول الله صلعم
من قرا سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

سورة النجم ستون واثنان مكية

بسم الله الرحمن الرحيم النجم الثريا وهو اسم غالب لها قال
اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء او جنس النجوم قال فباتت تعد النجم في مستحيرة

يريد

يريد النجوم اذا هوى اذا غرب او انتثر يوم القيمة او النجم الذي يرجم به اذا هوى اذا
انقض او النجم من نجوم القران وقد نزل منجما في عشرين سنة اذا هوى اذا نزل او
النبات اذا هوى اذا سقط على الارض وعن عروة بن الزبير ان عتبة ابن ابي لهب
وكانت تحته بنت رسول الله صلعم اراد الخروج الى الشام فقال لاتين محمدا فلاوذينه
فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجه
رسول الله صلعم ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلعم اللهم سلط عليه
كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان اغناك يا ابن اخي عن
هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم
راهب من الدير فقال ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا معشر
قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا اجمالهم واناخوها حولهم واحدقوا
بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان من يرجع العام
الى اهله فما اكيل السبع بالراجع ما ضل صاحبكم يعني صلعم والخطاب لقريش هو جواب
القسم والضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد اي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون
من نسبتكم اياه الى الضلال والغي وما اتاكم به من القران ليس بمنطق يصدر عن هواه و
رايه وانما هو وحي من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه الاية من لا يرى الاجتهاد للانبياء
ويجاب بان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا
لا نطقا عن الهوى شديد القوى والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة
الى فاعلها وهو جبريل عليه السلم ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها
على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه

ملك شديد قواه

على الانبياء وصعوده في اوحى من رجعة الطرف وراى ابليس يكلّم عيسى عليه السلم
على بعض عقاب الارض المقدسه فنفحه بجناحه نفحة فالقاه في اقصى جبل بالهند
ذو مرة ذو حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه فاستوى فاستقام على صورة
نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل
في صورة دحية وذلك ان رسول الله احب ان يراه في صورته التي جبل عليها
فاستوى له في الافق الاعلى وهو افق الشمس فملأ الافق وقيل ما راه احد من الانبياء في
صورته الحقيقية غير محمد صلعم مرتين مرة في الارض ومرة في السماء ثم دنى من رسول الله
صلعم فتدلّى فتعلق عليه في الهواء ومنه تدلّت الثمرة ودلّى رجليه من السرير والدوالي
الثمر المعلّق قال تدلّى عليها بين سبّ وخيطة ويقال هو مثل القرلّى ان راى خيرا
تدلّى وان لم يره تولّى قاب قاد وقرى قيد وقدر وقد جاء التقدير بالقوس والرمح
والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لا صلوة الى ان ترتفع
الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة وموضع قدّه خير من الدنيا
وما فيها والقدّ السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال وقد جعلتني من حزيمة اصبعا
فان قلت كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين قلت تقديره فكان مقدار
مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال ابو علي في قوله
وقد جعلتني من حزيمة اصبعا اى ذا مقدار مسافة اصبع او ادنى اى على تقديركم كقوله
او يزيدون الى عبده الى عبد الله وان لم يجر لاسمه عز وجل ذكر لانه لا يلبس كقوله على
ظهرها ما اوحى تفخيم للوحي الذي اوحى اليه قيل اوحى اليه ان الجنة على الانبياء حتى
تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب فؤاد محمد ما راه ببصره من صورة جبريل

محرمة

اي ما قال

اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعني انه رآه
بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما رآه حق وقرى ما كذّب اى صدقه ولم يشك
انه جبريل بصورته افتمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى
الناقة كان كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرى افتمرونه افتغلبونه
في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدّى بعلى كما تقول غلبته على كذا
وقيل افتمرونه افتجحدونه وانشدوا لئن هجرت اخا صدق ومكرمة لقد مريت
اخا ما كان يمريكا وقالوا يقال مريته حقه اذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح الا على
مذهب التضمين نزلة اخرى مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي
هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها اى نزل عليه جبريل نزلة
اخرى في صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج قيل في سدرة المنتهى هي شجرة
نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع
من اصلها الانهار التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها
والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء او الانتهاء كانها في منتهى الجنة واخرها وقيل لم يجاوزها
احد واليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهي اليها ارواح
الشهداء جنة المأوى الجنة التي يصير اليها المتقون عن الحسن وقيل تأوي اليها ارواح
الشهداء وقرا علي وابن الزبير وجماعة جنّه المأوى اى ستره بظلاله ودخل فيه عن
عائشة انها انكرته وقالت من قرا به فاجنّه الله ما يغشى تكثير وتعظيم لما يغشاها فقد علم
بهذه العبارة ان ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله اشياء لا يكتنهها
النعت ولا يحيط بها الوصف وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها

عن رسول الله صلعم رايت على كل ورقة من ورقها ملكا قايما يسبح الله وعنه عليه السلم
يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش من ذهب ما زاغ بصر
رسول الله صلعم وما طغى اى اثبت ما راه اثباتا مستيقنا صحيحا من غير ان يزيغ
بصره عنه او يتجاوزه او ما عدل عن رؤية العجايب التى امر برؤيتها ومكن منها
وما طغى وما جاوزها امر برؤيته لقد راى والله لقد راى من ايات ربه الايات التى هى
كبراها وعظماها يعنى حين رقى به الى السماء فارى عجايب الملكوت اللات والعزى
ومناة اصنام كانت لهم وهى مونثات فاللات كانت لثقيف بالطايف وقيل كانت
بنخلة تعبدها قريش وهى فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة
او يلتوون عليها اى يطوفون وقرى اللات بالتشديد وزعموا انه سمى برجل كان
يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطايف
وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى كانت لغطفان وهى سمرة واصلها تانيث
الاعز وبعث اليها رسول الله خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة
ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على راسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها
وهو يقول يا عز كفرانك لا سبحانك انى رايت الله قد اهانك ورجع فاخبر رسول الله
صلعم فقال عليه السلم تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة
وعن ابن عباس لثقيف وقرى ومناءة وكانها سميت مناة لان دماء النسايك كانت
تمنى عندها اى تراق ومناءة مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء
تبركا بها والاخرى ذم وهى المتاخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت اخراهم لاولاهم
اى وضعاوهم لرؤسايهم واشرافهم ويجوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم للات و

العزى

والعزى كانوا يقولون ان الملايكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم و
يزعمون انهم شفعاؤهم عند الله مع وادهم البنات فقيل لهم الكم الذكر وله الانثى و
يجوز ان يراد ان اللات والعزى ومناة اناث وقد جعلتموهن لله شركاء ومن
شانكم ان تحتقروا الاناث وتستنكفوا من ان يولدن لكم وينسبن اليكم فكيف
تجعلون هولاء الاناث اندادا لله وتسمونهن الهة قسمة ضيزى جايرة من ضازه
يضيزه اذا ضامه والاصل ضوزى ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم الياء وقرى ضيزى
من ضازه بالهمز وضيزى بفتح الضاد هى ضمير الاصنام اى ما هى الا اسماء ليس تحتها
فى الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو ابعد شى منها واشده منافاة
لها ونحوه قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها او ضمير الاسماء وهى
قولهم اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بهذه الاسماء الالهة يعنى ما هذه الاسماء
الا اسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون
به ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد ان يتبعون وقرى بالتاء
الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق وان الهتهم شفعاؤهم وما تشتهيه انفسهم ويتركون
ما جاءهم من الهدى والدليل على ان دينهم باطل ام للانسان ما تمنى هى ام المنقطعة ومعنى
الهمزة فيها الانكار اى ليس للانسان ما تمنى والمراد طمعهم فى شفاعة الالهة وهو تمن على
فى غاية البعد وقيل هو قولهم ولين رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقيل هو قول الوليد
بن المغيرة لاوتين مالا وولدا وقيل هو تمنى بعضهم ان يكون هو النبى فلله الاخرة و
الاولى هو مالكهما فهو يعطى منهما من يشاء ويمنع من يشاء وليس لاحد ان يتحكم فى شى منهما علم
يعنى ان امر الشفاعة ضيق وذلك ان الملايكة مع قربتهم وزلفاهم وكثرتهم واغتصاص

السموات بجموعهم لو شفعوا باجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا قط ولم تنفع
الا اذا شفعوا من بعد ان ياذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه
ويراه اهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليه لعبدتهم ليسمون الملائكة اي كل
واحد منهم تسمية الانثى لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا
وهي تسمية الانثى به من علم اي بذلك وبما يقولون وفي قراءة ابي بها بالملائكة او التسمية
لا يغني من الحق شيئا يعني انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم
والتيقن لا بالظن والتوهم فاعرض عن دعوة من رايته معرضا عن ذكر الله وعن
الآخرة ولم يرد الا الدنيا ولا تتهالك على اسلامه ثم قال ان ربك هو اعلم اي
انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب وانت لا تعلم فخفض على نفسك ولا تتعبها فانك
لا تهدي من احببت وما عليك الا البلاغ وقوله وقوله ذلك مبلغهم من العلم اعتراض
او فاعرض عنه ولا تقابله ان ربك هو اعلم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما بما يستحقان
من الجزاء قرئ ليجزي ولنجزي بالياء والنون فيهما ومعناه ان الله عز وجل انما خلق
العالم وسوى هذه الملكوت لهذا الغرض وهو ان يجازي المحسن من المكلفين والمسيء
منهم ويجوز ان يتعلق بقوله هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى لان نتيجة
العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء وبالحسنى بالمثوبة الحسنى
وهي الجنة او بسبب ما عملوا من السوء وبسبب الاعمال الحسنى كبائر الاثم اي الكبائر
من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التي لا يسقط عقابها
الا بالتوبة وقيل التي يكبر عقابها بالاضافة الى ثواب صاحبها والفواحش ما فحش من
الكبائر كانه قال والفواحش منها خاصة وقرئ كبير الاثم اي النوع الكبير منه وقيل

هو

هو الشرك بالله واللمم ما قل وصغر ومنه اللمم المس من الجنون واللوثة منه والم بالمكان
اذا قل فيه لبثه والم بالطعام قل منه اكله ومنه لقاء اخلاء الصفاء لمام والمراد الصغائر
من الذنوب ولا يخلو قوله الا اللمم من ان يكون استثناء منقطعا او صفة كقوله لو كان
فيهما آلهة الا الله كانه قيل كبائر الاثم غير اللمم وآلهة غير الله وعن ابي سعيد الخدري اللمم
هي النظرة والغمزة والقبلة وعن السدي الخطرة من الذنب وعن الكلبي كل ذنب لم
يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين ان ربك واسع
المغفرة حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة فلا تزكوا انفسكم فلا تنسبوها
الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات او الى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا
تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي اولا وآخرا قبل ان يخرجكم من
صلب آدم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم
يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب او الرياء فاما
من اعتقد ان ما عمله من العمل الصالح من الله بتوفيقه وتاييده ولم يقصد به التمدح لم يكن
من المزكين انفسهم لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر اكدى قطع عطيته وامسك
واصله اكداء الحافر وهو ان تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر ونحوه اجبل
الحافر ثم استعير فقيل اجبل الشاعر اذا افحم وروي ان عثمان رضي الله عنه كان يعطي
ماله في الخير فقال له عبد الله بن سعد بن ابي سرح وهو اخوه من الرضاعة يوشك ان لا يبقى
لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني اطلب بما اصنع رضا الله وارجو عفوه
فقال عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه
وامسك عن العطاء فنزلت ومعنى تولى ترك المركز يوم احد فعاد عثمان الى احسن من

ذلك واجمل صنو يرى يعلم ان ما قاله اخوه من احتمال الوزار حق وفي قرئ
مخففا ومشددا والتشديد مبالغة في الوفاء او بمعنى وفر واتم كقوله فاتمهن و
اطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله باعباء النبوة
والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمرود وقيامه باضيافه وخدمته اياهم بنفسه وانه
كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وعن
الحسن ما امره الله بشيء الا وفى به وعن الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وابرهيم يؤخذ
الرجل بجريرة غيره ويقتل بابيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامرأته والعبد بسيده فاول
من خالفهم ابرهيم وعن عطاء بن السائب عهد ان لا يسأل مخلوقا فلما قذف في النار
قال له جبريل وميكائيل الك حاجة فقال اما اليكم فلا وعن النبي صلعم وفى عمله كل
يوم باربع ركعات في صدر النهار وهي صلوة الضحى وروى الا اخبركم لم سمى الله خليله
الذي وفى كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون وحين تظهرون
وقيل وفى سهام الاسلام وهي ثلثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة في الاحزاب ان
المسلمين وعشرة في المومنين قد افلح المومنون وقرئ في صحف بالتخفيف الا تزر ان
مخففة من الثقيلة والمعنى انه لا تزر والضمير ضمير الشان ومحل ان وما بعدها الجر بدلا
مما في صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كان قائلا قال وما في صحف موسى
وابرهيم فقيل ان لا تزر الا ما سعى الا سعيه **فان قيل** اما صح في الاخبار الصدقة عن الميت
والحج عنه وله الاضعاف **قلت** فيه جوابان احدها ان سعي غيره لما لم ينفعه الا
مبنيا على سعي نفسه هو ان يكون مومنا صالحا وكذلك الاضعاف كان سعي غيره كانه
سعي نفسه لكونه تابعا وقائما بقيامه والثاني ان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن

اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه ثم يجزاه ثم يجزى
العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز
ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الاوفى او ابدل عنه كقوله واسروا النجوى
الذين ظلموا وان الى ربك المنتهى قرئ بالفتح على معنى ان هذا كله في الصحف و
بالكسر على الابتداء وكذلك ما بعده والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء اي ينتهي اليه الخلق و
يرجعون اليه كقوله والى الله المصير اضحك وابكى خلق قوتي الضحك والبكاء اذا تمنى اذا
تدفق في الرحم يقال مني وامنى وعن الاخفش تخلق من منى الماني اي قدر المقدر وقرئ
النشاءة والنشاءة بالمد وقال عليه لانها واجبة عليه في الحكمة ليجازي على الاحسان
والاساءة واقنى واعطى القنية وهي المال الذي تأثلته وعزمت ان لا تخرجه
من يدك الشعرى مرزم الجوزاء وهي التي تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان
الغميصاء والعبور واراد العبور وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة
رجل من اشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلعم ابو كبشة تشبيها له لمخالفته
اياهم في دينهم يريد انه رب معبودهم هذا عادا الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم
وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح او المتقدمون في الدنيا الاشراف
وقرئ عادا لولى وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وطرح همزة اولى ونقل ضمتها
الى لام التعريف وثمودا وقرئ وثمود اظلم واطغى لانهم كانوا يوذونه ويضربونه حتى
لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وما اثر
فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة والموتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهم قوم
لوط يقال افكه فائتفك وقرئ والموتفكات اهوى رفعها الى السماء على جناح جبريل

ثم اهواها الى الارض اى اسقطها ما غشى تهويل وتعظيم لما صب عليهما من العذاب
وامطر عليها من الصخر المنضود فباى الاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب لرسول الله
صلعم او للانسان على الاطلاق وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها الاء من قبل ما فى نقمه
من المزاجر والمواعظ للمعتبرين هذا القران نذير من النذر الاولى اى انذار من جنس
النذارات الاولى التى انذر بها من قبلكم او هذا الرسول منذر من المنذرين الاولين
وقال الاولى على تاويل الجماعة ازفت الازفة قربت الموصوفة بالقرب فى قوله
اقتربت الساعة ليس لها نفس كاشفة اى مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها
الا هو وليس لها نفس كاشفة اى قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها
او ليس لها الآن نفس كاشفة بالتاخير وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية
والطاغية ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة وهى على الظالمين ساءت الغاشية
افمن هذا الحديث وهو القران تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون والبكاء
والخشوع حق عليكم وعن رسول الله صلعم انه لم ير ضاحكا بعد نزولها وقرى تعجبون
تضحكون بغير واو وانتم سامدون شامخون مبرطمون وقيل لاهون لاعبون
وقال بعضهم لجارية اسمدى لنا اى غنى لنا فاسجدوا لله واعبدوه ولا تعبدوا الالهة
عن رسول الله صلعم من قرا سورة والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد
وجحد به
بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم اشتقاق القمر من آيات رسول الله صلعم و
معجزاته النيرة عن انس بن مالك ان الكفار سالوا رسول الله آية فانشق القمر مرتين و

كذا

وكذا عن ابن عباس وابن مسعود قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت
وقال ابن مسعود رايت حراء بين فلقتى القمر وعن بعض الناس ان معناه ينشق يوم القيمة
وقوله وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر يرده وكفى به رادا وفى قراءة حذيفة
وقد انشق القمر اى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق
كما تقول اقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه وعن حذيفة انه خطب بالمداين ثم قال الا
ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم مستمر دائم مطرد و
كل شىء قد انقادت طريقته ودامت حالته قيل فيه قد استمر لما راوا تتابع المعجزات و
ترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر قوى محكم من قولهم استمر مريره وقيل
هو من استمر الشىء اذا اشتدت مرارته اى مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر ان
نسيغه كما لا يساغ المر الممقر وقيل مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم و
تعليلا وقرى وان يروا واتبعوا اهواءهم وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره
وكل امر مستقر اى كل امر لابد ان يصير الى غاية يستقر عليها وان امر محمد سيصير
الى غاية يتبين عندها انه حق او باطل وسيظهر لهم عاقبته او وكل امر من امورهم وامره
مستقر اى سيثبت ويستقر على حالة خذلان او نصرة فى الدنيا او شقاوة او سعادة
فى الاخرى وقرى بفتح القاف يعنى كل امر ذو مستقر اى ذو استقرار او ذو موضع
استقرار او زمان استقرار وعن ابى جعفر مستقر بكسر القاف والجر عطفا على الساعة اى اقتربت الساعة م
واقترب كل امر مستقر يستقر ويتبين حاله من الانباء من القرآن المودع انباء القرون
الخالية او انباء الاخرة وما وصف من عذاب الكفار مزدجر ازدجار او موضع ازدجار

والمعنى هو في نفسه موضع الازدجار ومظنة له كقوله لكم في رسول الله اسوة حسنة اى
هو اسوة وقرى مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وادغام الزاى فيها حكمة بالغة بدل
من ما او على هو حكمة وقرى بالنصب حكمةً حالاً فكيف تعمل ان كانت موصوفة وهو الظاهر
قلت تخصصها الصفة فيحسن نصب الحال عنها فما تغنى النذر نفي او انكار وما منصوبة
اى فاى غناء تغنى النذر فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغنى فيهم نصب يوم يدع الداعى
بيخرجون او باضمار اذكر وقرى باسقاط الياء اكتفاء بالكسرة عنها والداعى اسرافيل او جبريل
كقوله يوم ينادى المنادى الى شيء نكر منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو
هول يوم القيمة وقرى نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم حال من الخارجين
فعل للابصار وذكر كما تقول يخشع ابصارهم وقرى خاشعة على تخشع ابصارهم وخشعا
على يخشعن ابصارهم وقرى خاشعة وهى لغة من يقول اكلونى البراغيث وهم طى ويجوز
ان يكون في خشعا ضميرهم ويقع ابصارهم بدلا عنه وقرى خشع ابصارهم على الابتداء والخبر
ومحل الجملة النصب على الحال كقوله وجدته حاضراه الجود والكرم وخشوع الابصار كناية
عن الذلة والانخزال لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما وقرى يخرجون
من الاجداث من القبور كانهم جراد منتشر الجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير
المائج بعضه في بعض جاؤا كالجراد وكالدبا منتشر في كل مكان لكثرته مهطعين الى
الداعى مسرعين مادى اعناقهم اليه وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم قال تعبدنى
نمر بن سعد وقد ارى ونمر بن سعد لى مطيع ومهطع قبلهم قبل اهل مكة فكذبوا عبدنا يعنى
نوحا فان قلت ما معنى قوله فكذبوا بعد قوله كذبت قلت معناه كذبوا فكذبوا

حالا من ما فان قلت ان كانت ما موصولة ساغ لك ان تنصب حكمة حالا صح

عبدنا

عبدنا اى كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب
او كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا اى لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة
راسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل مجنون هو مجنون وازدجر وانتهروه بالضرب
والشتم والوعيد بالرجم فى قولهم لتكونن من المرجومين وقيل هو من جملة قيلهم اى
قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه قرى انى
بمعنى فدعا بانى وانى على ارادة القول فدعا فقال انى مغلوب غلبنى قومى فلم يسمعوا منى
واستحكم الياس من اجابتهم لى فانتصر فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا بذلك
بعد ما طم عليه الامر وبلغ السيل الزبى فقد روى ان الواحد من امته كان يلقاه فيخنقه
حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وقرى ففتحنا
مخففا ومشددا وكذلك وفجرنا منهمر منصب فى كثرة وتتابع لم ينقطع اربعين يوما وفجرنا
الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون تتفجر وهو ابلغ من قولك وفجرنا عيون الارض
ونظيره فى النظم واشتعل الراس شيبا فالتقى الماء يعنى مياه السماء والارض وقرى الماءان
اى النوعان من الماء السماوى والارضى ونحوه قولك عندى تمران تريد ضربان من التمر
برنى ومعقلى قال لنا ابلان فيهما ما علمتم وقرا الحسن الماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم
علباوان على امر قد قدر على حال قدرها الله كيف شاء وقيل على حال جاءت مقدرة مستوية
وهى ان قدر ما انزل من السماء كقدر ما اخرج من الارض سواء بسواء وقيل على امر قد قدر
فى اللوح انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان على ذات الواح ودسر اراد السفينة
وهى من الصفات التى تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدى مؤداها بحيث
لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قميصى مسرودة من حديد اراد ولكن قميصى درع وكذلك

ولو في عيون النازيات بأكرع اراد ولو في عيون الجراد الا ترى انك لو جمعت بين
السفينه وبين هذه الصفه او بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح وهذا من فصيح
الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به
منفذه جزاء مفعول له لما قدم من فتح ابواب السماء وما بعده اي فعلنا ذلك جزاء لمن
كان كفر وهو نوح عليه السلم وجعله مكفورا لان النبي نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى و
ما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما يحكى ان رجلا
قال للرشيد الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام قال انت نعمة حمدت الله
عليها ويجوز ان يكون على تقدير حذف الجار وايصال الفعل وقرا قتادة كفر اي جزاء
للكافرين وقرا الحسن جزاء اي مجازاة والضمير في تركناها للسفينه او للفعله اي جعلناها
آية يعتبر بها وعن قتادة ابقاها الله بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر
اليها اوايل هذه الامه والمدكر المعتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا وادغام
الذال فيها وهذا نحو مزجر والنذر جمع نذير وهو الانذار ولقد يسرنا القرآن للذكر سهلناه للا... دكار
والاتعاظ بان شحناه بالمواعظ الشافيه وصرفنا فيه من الوعد والوعيد فهل من متعظ
وقيل ولقد سهلناه للحفظ واعنا عليه من اراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه
ويجوز ان يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا
اسرجه والجمه قال وقمت اليه باللجام ميسرا هنالك يجزيني الذي كنت اصنع ويروى
ان كتب اهل الاديان نحو التوراة والانجيل لا يتلوها اهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا
كما القرآن ونذر وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله او لانذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم في يوم
نحس في يوم شوم وقرئ في يوم نحس كقوله في ايام نحسات فاستمر عليهم ودام حتى اهلكهم

او استمر

ينساقطون على الارض امواتا و
طوال عظام كانهم

او استمر عليهم جميعا على صغيرهم وكبيرهم حتى لم يبق منهم نسمه وكان في اربعاء في آخر
الشهر لا تدور ويجوز ان يريد بالمستمر الشديد المرارة والبشاعه تنزع الناس تقلعهم
عن اماكنهم وكانوا يصطفون آخذين بعضهم بايدي بعض ويدخلون في الشعاب
ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم كانهم اعجاز نخل منقعر يعني
انهم كانوا اعجاز نخل وهي اصولها بلا فروع منقعر منقلع عن مغارسه وقيل شبهوا
باعجاز النخل لان الريح كانت تقطع روسهم فتبقى اجسادا بلا روس وذكر صفة نخل على
اللفظ ولو حملها على المعنى لانث كما قال اعجاز نخل خاوية ابشرا منا واحدا
نصب بفعل يفسره نتبعه وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء ونتبعه خبره والاول اوجه
للاستفهام كان يقول ان لم تتبعون كنتم في ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا
عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل الضلال الخطا والبعد عن الصواب والسعر
الجنون يقال ناقه مسعورة قال كان بها سعرا اذا العيس هزها ذميل وارخاء من السير
متعب فان قلت كيف انكروا ان يتبعوا بشرا منهم واحدا قلت قالوا ابشرا
انكارا لان يتبعوا مثلهم في الجنسيه وطلبوا ان يكون من جنس اعلى من جنس البشر وهم الملايكه
وقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثله اقوى وقالوا واحدا انكارا لان يتبع الامه
رجلا واحدا او ارادوا واحدا من افنائهم ليس باشرفهم وافضلهم ويدل عليه قولهم االقي
الذكر عليه من بيننا اي انزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو احق منه بالاختيار للنبوة
اشر بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك سيعلمون غدا
عند نزول العذاب بهم او يوم القيامة من الكذاب الاشر اصالح ام من كذبه وقرئ ستعلمون
بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم او هو كلام الله على سبيل الالتفات وقرئ الاشر

حدث وحذر

بضم الشين كقولهم حدث وحذر واخوات لها وقرئ الاشر وهو الابلغ في الشرارة والاخير
والاشر اصل قولهم هو خير منه وشر منه وهو اصل مرفوض وقد حكى ابن الانباري قول
العرب هو اخير واشر وما اخيره وما اشره مرسلوا الناقة باعثوها ومخرجوها من الهضبة
كما سالوا فتنة لهم امتحانا لهم وابتلاء فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون واصطبر
على اذاهم ولا تعجل حتى ياتيك امري قسمة بينهم مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم
شرب يوم وانما قال بينهم تغليبا للعقلاء محتضر محضور لهم وللناقة وقيل يحضرون
الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فاجترأ على
تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها
او فتعاطى السيف صيحة واحدة صيحة جبريل والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر
والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطأه البهائم فيتحطم
ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار اي الحظيرة حاصبا ريحا تحصبهم
بالحجارة اي ترميهم بسحر بقطع من الليل وهو السدس الاخير منه وقيل هما سحران فالسحر
الاعلى قبل انصداع الفجر والاخر عند انصداعه وانشد مرت باعلى السحرين تذأل
وصرف لانه نكرة ويقال لقيته سحرا اذا لقيته في سحر يومه نعمة مفعول له من شكر
نعمة الله بايمانه وطاعته ولقد انذرهم لوط عليه السلم بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا
فكذبوا بالنذر متشاكين فطمسنا اعينهم فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى
لها شق روي انهم لما عالجوا باب لوط ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل
ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى
الباب حتى اخرجهم لوط فذوقوا فقلت لهم ذوقوا على السنة الملائكة بكرة اول النهار وباكره

كقوله

كقوله مشرقين ومصبحين وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه بكرة غير منصرفة يقول
اتيته بكرة وغدوة بالتنوين اذا اردت التنكير وبكرة وغدوة اذا عرفت وقصدت
بكرة نهارك وغدوته عذاب مستقر ثابت قد استقر عليهم الى ان يفضي بهم الى عذاب الاخرة
فان قلت ما فائدة قوله فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
قلت فائدته ان يجددوا عند استماع كل نبأ من انباء الاولين ادكارا واتعاظا و
ان يستانفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث وان يقرع لهم العصا
مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا يستولي عليهم الغفلة وهكذا
حكم التكرير لقوله فباي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن وقوله ويل
يومئذ عند كل آية اوردها في سورة والمرسلات وكذلك تكرير الانباء والقصص
في انفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية
في كل اوان النذر موسى وهارون وغيرهما من الانبياء لانهما عرضا عليهم ما انذر به
المرسلون او جمع نذير وهو الانذار بآياتنا كلها بالآيات التسع اخذ عزيز لا يغالب
مقتدر لا يعجزه شيء أكفاركم يا اهل مكة خير من اولئكم الكفار المعدودين قوم نوح وهود
وصالح ولوط وآل فرعون اي اهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا او اقل كفرا وعنادا يعني
ان كفاركم مثل اولئك بل شر منهم ام انزلت عليكم يا اهل مكة براءة في الكتب المتقدمة ان
من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فامنتم بتلك البراءة نحن جميع جماعة
امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نضام ولا نرام وعن ابي جهل انه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم في
الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فنزلت سيهزم الجمع عن عكرمة لما
نزلت هذه الآية قال عمر اي جمع يهزم فلما رأى رسول الله يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع

بكرة يوم

عرفنا ويلها ويولون الدبر اى الادبار كما قالوا كلوا فى بعض بطنكم وقرئ الادبار ادهى
اشد وافظع والداهية الامر المنكر الذى لا يهتدى لدوائه وامر من الهزيمة و
القتل والاسر وقرئ سيهزم الجمع فى ضلال وسعر فى هلاك ونيران او فى ضلال عن الحق
فى الدنيا ونيران فى الاخرة مس سقر كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لان
النار اذا اصابتهم بحرها ولحقتهم بايلامها فكانما تمسهم مسا بذلك كما يمس الحيوان
ويباشر بما يؤذى ويؤلم ذوقوا على ارادة القول وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته
اذا لوحته قال ذو الرمة اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها بافنان مربوع الصريمة
معبل وعدم صرفها للتعريف والتانيث كل شئ منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر
وقرئ كل شئ بالرفع والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما اى خلقنا كل شئ مقدرا
محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة او مقدرا مكتوبا فى اللوح معلوما قبل كونه قد
علمنا حاله وزمانه وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين كلمح بالبصر اراد
قوله كن يعنى انه اذا اراد تكوين شئ لم يلبث كونه اشياعكم اشباهكم فى الكفر من الامم فى
الزبر فى دواوين الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال ومن كل ما هو كائن مستطر مسطور
فى اللوح ونهر وانهار اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء من النهار وقرئ بسكون
الهاء ونهر جمع نهر كاسد واسد فى مقعد صدق فى مكان مرضى وقرئ فى مقاعد صدق
عند مليك مقتدر مقربين عند مليك مبهم امره فى الملك والاقتدار فلا شئ الا وهو تحت
ملكه وقدرته فاى منزلة عن رسول الله صلعم من قرأ سورة القمر فى كل غب بعثه الله
يوم القيمة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وقيل فيها مكى ومدنى وهى ست وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

عدد الله عز وعلا
الاءه فاراد ان يقدم اول شئ ما هو اسبق قدما من ضروب الائه واصناف نعمائه و
هى نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو فى اعلى مراتبها واقصى مراقيها وهو انعامه
بالقران الشاهد العدل المهيمن والعيار عليها واخر ذكر خلق الانسان عن ذكره
ثم اتبعه اياه ليعلم انه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الانسان من
اجله وكان الغرض علما بوحيه وكتبه وما خلق فى انشائه كان مقدما عليه وسابقا
له ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير
والرحمن مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرها اخبار مترادفة واخلاؤها عن العاطف
لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد اغناك بعد فقر اعزك بعد ذل كثرك بعد
قلة فعل بك ما لم يفعل احد باحد فما تنكر من احسانه بحسبان بحساب معلوم
وتقدير سوى يجريان فى بروجهما ومنازلهما وفى ذلك منافع للناس عظيمة منها
علم السنين والحساب والنجم الذى له ساق وسجودهما انقيادهما لله فيما خلقا له و
انهما لا يمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين فى انقياده فان قلت كيف
اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن قلت استغنى فيهما عن الوصل اللفظى بالوصل
المعنوى لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه
والنجم والشجر يسجدان له فان قلت كيف اخل بالعاطف فى الجمل الاولى ثم جئ به بعد
قلت بكت بتلك الجمل الاول واردة على سنن التعديد الذين انكروا الرحمن والاءه
كما يبكت منكر ايادى المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه فى المثال الذى قدمته ثم رد

وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحى الله
رتبة واعلاه منزلة واحسنه فى ابواب
الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية
ومصداقها

النبات الذى ينجم من الارض لا ساق له كالبقول
والشجر

الكلام الى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب
بالعاطف **فان قلت** اى تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف
قلت ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان فبين القبيلين تناسب
من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جري
الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر وقيل
علم القرآن جعله علامة وآية وعن ابن عباس الانسان آدم وعنه محمد صلعم وعن مجاهد
النجم نجوم السماء والسماء رفعها خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ احكامه
ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على
انبيائه ونبه بذلك على كبرياء شانه وملكه وسلطانه ووضع الميزان وفي قراءة عبد الله
وخفض الميزان واراد به كل ما يوزن به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون
ومكيال ومقياس اى خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام (وهو القبان)
عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم ان لا
تطغوا لان لا تطغوا او هي ان المفسرة وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير ان على ارادة القول
واقيموا الوزن بالقسط وقوموا وزنكم بالعدل ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه امر بالتسوية
ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان
وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه وقرئ والسماء
بالرفع ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره وخسره
واما الفتح فعلى ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل وضعها
خفضها مدحوة على الماء للانام للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن

الانس

الانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها فاكهة (فيها صح) ضروب مما يتفكه به والاكمام كل ما يكم
اى يغطى من ليفه وسعفه وكفراه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره كم بكسر الكاف
والعصف ورق الزرع وقيل التبن والريحان الرزق وهو اللب اراد فيها ما يتلذذ
به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب
وقرئ والريحان بالكسر ومعناه والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان
الذي هو مطعم الناس وبالضم على وذو الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذي يشم وفي مصاحف اهل الشام والحب
ذا العصف والريحان اى وخلق الحب والريحان او واخص الحب والريحان
ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والخطاب
في ربكما تكذبان للثقلين بدلالة الانام عليهما وقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان الصلصال
الطين اليابس له صلصلة والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف **فان قلت**
قد اختلف التنزيل في هذا وذلك قوله عز وجل من حماء مسنون من طين لازب
من تراب **قلت** هو متفق في المعنى ومفيد انه خلقه من تراب جعله طينا
ثم حماء مسنونا ثم صلصالا والجان ابو الجن وقيل هو ابليس والمارج اللهب الصافي الذي
لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشيء اذا اضطرب واختلط
فان قلت فما معنى قوله من نار **قلت** هو بيان لمارج كانه قيل من صاف
من نار او مختلط من نار او اراد من نار مخصوصة كقوله فانذرتكم نارا تلظى قرئ رب
المشرقين ورب المغربين بالجر بدلا من ربكما واراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما
مرج البحرين ارسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين في مرأى

(في الهامش: خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فبأي آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فبأي آلاء ربكما تكذبان)

(في الهامش: مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان)

العين بينهما برزخ حاجز من قدرة الله لا يبغيان لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي احدهما
على الاخر بالممازجة قرى يخرج ويخرج من اخرج وخرج ويخرج اى الله تعالى اللؤلؤ
والمرجان بالنصب ويخرج بالنون واللؤلؤ الدر والمرجان هذا الخرز الاحمر وهو
البسذ وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره **فان قلت** لم قال منهما وانما
يخرجان من الملح **قلت** لما التقيا وصارا كالشى الواحد جاز ان يقال يخرجان
منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت
من البلد وانما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان
الا من ملتقى الملح والعذب الجوارى السفن وقرى الجوار بحذف الياء ورفع الراء
ونحوه لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان والمنشئات المرفوعات الشرع وقرى
بكسر الشين وهى الرافعات الشرع او اللاتى ينشين الامواج بجريهن والاعلام جمع علم
وهو الجبل الطويل عليها على الارض وجه ربك ذاته والوجه يعبر به عن الجملة سقد ... من
من الحوان وذو الجلال والاكرام صفة الوجه وقرا عبد الله ذى على صفة ربك ومعناه
ومعناه الذى يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن افعالهم او الذى يقال له ما اجلك
واكرمك او من عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات
الله ولقد قال رسول الله صلعم الظوا بياذا الجلال والاكرام وعنه عليه السلم انه مر برجل
وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك **فان قلت** ما النعمه
فى ذلك **قلت** اعظم النعمه وهى مجى وقت الجزاء عقيب ذلك كل من فى السموات
والارض مفتقرون اليه فيسال له اهل السموات ما يتعلق بدينهم واهل الارض ما يتعلق بدينهم
ودنياهم كل يوم هو فى شان اى كل وقت وحين يحدث امورا ويجدد احوالا كما روى عن

رسول الله

رسول الله صلعم انه تلاها فقيل له وما ذلك الشان فقال من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا
ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله يومان احدهما اليوم الذى هو
مدة الدنيا فشانه فيه الامر والنهى والاماته والاحياء والاعطاء والمنع والاخر يوم القيمة
فشانه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت فى اليهود حين قالوا ان الله لا يقضى يوم السبت
شيئا وسال بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها
فقال غلام له اسود يا مولاى اخبرنى ما اصابك لعل الله يسهل لك على يدى فاخبره فقال
انا افسرها للملك فاعلمه فقال ايها الملك شان الله انه يولج الليل فى النهار ويولج النهار
فى الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويشفى سقيما ويسقم سليما ويبتلى
معافا ويعافى مبتلا ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغنى فقيرا فقال الامير احسنت
وامر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاى هذا من شان الله وعن عبد الله
بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت على ثلث آيات دعوتك لتكشفها
لى قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو فى شان وقد صح ان القلم جف بما هو كاين الى يوم القيامه وقوله وان ليس
للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة فى
تلك الامه ويكون توبة فى هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامه بخصايص لم يشاركهم
فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله وان ليس للانسان
الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولى ان اجزيه بواحدة الفا فضلا واما قوله كل
يوم هو فى شان فانها شوون يبديها لا شوون يبتديها فقام عبد الله وقبل راسه
وسوغ خراجه سنفرغ لكم مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سافرغ لك يريد ساتجرد
للايقاع بك من كل ما يشغلنى عنه حتى لا يكون لى شغل سواه والمراد التوفر على

يوم هو فى شان ان القلم جف بما هو كاين الى يوم

النكاية بالكسر وشنه قتل وجراحت تبشيكم

النكاية فيه والانتقام منه ويجوز ان يراد ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها وينتهي عند ذلك
شؤون الخلق التي ارادها بقوله كل يوم هو في شان فلا يبقى الا شأن واحد وهو جزاؤكم
فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل وقرئ سيفرغ لكم اي الله تعالى وسافرغ لكم وسنفرغ
بالنون مفتوحا ومكسورا وبفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحا ومضموما مع فتح الراء وفي
قراءة ابي سنفرغ اليكم بمعنى سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا
الارض يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله ايها الثقلان ان استطعتم ان تنفذوا
من اقطاري وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وارضي فافعلوا ثم قال لا تقدرون على النفوذ
الا بسلطان يعني بقوة وغلبة واني لكم ذلك ونحوه وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء
وروي ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا راهم الجن والانس هربوا فلا ياتون وجها
الا وجدوا الملائكة احاطت به شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر والشواظ اللهب
الخالص والنحاس الدخان وانشد تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا وقيل
الصفر المذاب يصب على رؤسهم وعن ابن عباس اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى
المحشر وقرئ ونحاس مرفوعا عطفا على شواظ ومجرورا عطفا على نار وقرئ ونحس جمع
نحاس وهو الدخان نحو لحاف ولحف وقرئ ونحس اي ونقتل بالعذاب وقرئ نرسل
عليكما شواظا من نار ونحاسا فلا تنتصران فلا تمتنعان وردة حمراء كالدهان كدهن الزيت
كما قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن او اسم ما يدهن به كالحزام والادام قال
الشاعر كانهما مزادتا متعجل فريان لما تدهنا بدهان وقيل الدهان الاديم
الاحمر وقرأ عمرو بن عبيد وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذي
يسمى التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة نحو الغنائم او يموت كريم انس بعض من

فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان
فباي الاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس

الانس

الانس والجان اريد به ولا بعض من الجن فوضع الجان الذي هو ابو الجن موضع
الجن كما يقال هاشم ويراد ولده وانما وحد ضمير الانس في قوله عن ذنبه لكونه في معنى البعض
والمعنى لا يسألون لانهم يعرفون بسيماء المجرمين وهي سواد الوجوه وزرقة العيون
فان قلت هذا خلاف قوله فوربك لنسألنهم اجمعين وقوله وقفوهم انهم مسؤلون
قلت ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون في موطن ولا يسألون في آخر قال قتادة
قد كانت مسئلة ثم ختم على افواه القوم وتكلمت ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون
وقيل لا يسأل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسأل سؤال توبيخ وقرأ الحسن وعمرو بن
عبيد ولا جان فرارا عن التقاء الساكنين وان كان على حده فيؤخذ بالنواصي والاقدام
عن الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة
تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالاقدام حميم آن ماء حار قد انتهى حره ونضجه اي يعاقب عليهم
بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم
وقيل ان واديا من اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم في الاغلال
فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منها وقد احدث الله لهم خلقا جديدا
وقرئ يطوفون من التطويف ويطوفون اي يتطوفون ويطافون وفي قراءة عبد الله هذه
جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليان لا تموتان فيها ولا تحييان يطوفون بينها ونعمة الله
فيما ذكره من هول العذاب نجاة الناجي منه برحمته وفضله وما في الانذار به من اللطف
مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب
العالمين ونحوه لمن خاف مقامي ويجوز ان يراد بمقام ربه ان الله قائم عليه اي حافظ
مهيمن من قوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته

يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي
والاقدام فباي الاء ربكما تكذبان
هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون
يطوفون بينها وبين حميم ان فباي الاء ربكما تكذبان

ولمن خاف مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد
ولمن خاف مقام ربه جنتان فباي الاء ربكما تكذبان
ذواتا افنان فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان
تجريان فباي الاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة
زوجان فباي الاء ربكما تكذبان متكئين
على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان
فباي الاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف
لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي الاء ربكما تكذبان
كانهن الياقوت والمرجان فباي الاء ربكما تكذبان

وقيل هو مقحم كما تقول لمن خاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وانشد ونفيت عنه مقام
الذيب **فان قلت** لم قال جنتان **قلت** الخطاب للثقلين فكانه قيل لكل خائفين
منكما جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني ويجوز ان يقال جنة لفعل
الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف دائر عليهما وان يقال جنة يثاب
بها واخرى تضم اليها على وجه التفضل كقوله وزيادة خص الافنان بالذكر وهي الغصنة
التي تتشعب من فروع الشجرة لانها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى
الثمار وقيل الافنان الوان النعم ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قال ومن كل افنان اللذاذة
والصبى لهوت به والعيش اخضر ناضر عينان تجريان حيث شاؤا في الاعالي والاسافل قيل
تجريان من جبل من مسك وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احدهما التسنيم والاخرى
السلسبيل زوجان صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب متكئين نصب
على المدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع بطائنها من استبرق
من ديباج ثخين واذا كانت البطائن من استبرق فما ظنك بالظهائر وقيل ظهائرها
من سندس بطائنها من نور دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم وقرئ وجنى
بكسر الجيم فيهن في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى او
في الجنتين لاشتمالهما على اماكن وقصور ومجالس قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن
على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمث الانسيات منهن احد من الانس ولا الجنيات
احد من الجن وهذا دليل على ان الجن يطمثون كما يطمث الانس وقرئ لم يطمثهن بضم
الميم قيل هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر انصع بياضا قيل
ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة

البيضا

كالرجل اللعين يريد ونفيت عنه الذيب

احسن احسن اليه وكل من اساء اسي اليه
ومن دونهما ع

البيضا هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب وعن محمد بن الحنفية
هي مسجلة للبر والفاجر اي مرسلة يعني ان كل من ومن دون تينك الجنتين الموعودتين
للمقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين مدهامتان قد ادهامتا من شدة
الخضرة نضاختان فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح لان النضح غير معجمة مثل الرش
فان قلت لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها **قلت** اختصاصا
لهما وبيانا لفضلهما كانهما لما لهما من المزية جنسان اخران كقوله جبريل وميكائيل او لان
النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال ابو حنيفة
رضي الله عنه اذا حلف لا ياكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه
خيرات خيرات فخفف كقوله عليه السلم هينون لينون واما خير الذي بمعنى اخير فلا يقال
فيه خيرون ولا خيرات وقرئ خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان
الخلق مقصورات قصرن في خدورهن يقال امراة قصيرة وقصورة ومقصورة مخدرة
وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة قبلهم قبل اصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين
متكئين نصب على الاختصاص رفرف ضرب من البسط وقيل البسط وقيل الوسائد
وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف
ورفرف السحاب هيدبه والعبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه بلد الجن فينسبون
اليه كل شيء عجيب وقرئ رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدائني نسبة الى عباقر في اسم
البلد وروى ابو حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته **فان قلت**
كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاوليين حتى قيل ومن دونهما **قلت**
لان مدهامتان دون ذواتا افنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة

وكرر بك فاكهه وكذلك صفه للحور والمتكا وقرى ذو الجلال صفه للاسم عن رسول الله
صلعم من قرا سوره الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وهي سبع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم وقعت الواقعة كقولك كانت الكائنة وحلت الحادثة والمراد القيامة وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة فكانه قيل اذا وقعت التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت اتوقع نزوله اي نزل ما كنت اترقب نزوله

فان قلت بم انتصب اذا قلت بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل او بمحذوف يعني اذا وقعت كان كيت وكيت او باضمار اذكر كاذبة نفس كاذبة اي لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة واكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة بغتة واللام مثلها في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لن تكوني او هي من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى انها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة لان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الامور وتزين له احتمالها واطاقتها لانهم يومئذ اضعف من ذلك واذل الا ترى الى قوله كالفراش المبثوث والفراش مثل في الضعف وقيل كاذبة مصدر كالعافية بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب

اى

اى فما جبن وما تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من اطاقته له واقدامه عليه قال زهير ليث بعثر يصطاد الرجال اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا اي اذا وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد خافضة رافعة على هي خافضة رافعة ترفع اقواما وتضع آخرين اما وصفا لها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس الى مراتب ويتضع ناس واما لان الاشقياء يحطون الى الدركات والسعداء يرفعون الى الدرجات واما انها تزلزل الاشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب وقرى خافضة رافعة بالنصب على الحال رجت حركت تحريكا شديدا حتى يهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء وبست الجبال وفتت حتى تعود كالسويق او سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال منبثا متفرقا وقرى بالتاء اي منقطعا وقرى رجت وبست اي ارتجت وذهبت وفي كلام بنت الخس عينها هاج وصلاها راج وهي تمشي وتفاج فان قلت بم انتصب اذا رجت قلت هو بدل من اذا وقعت ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض ازواجا اصنافا يقال للاصناف التي بعضها مع بعض او يذكر بعضها مع بعض ازواج فاصحاب الميمنة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم واصحاب المشامة الذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل ولتفاؤلهم بالسانح وتطيرهم من البارح فلذلك اشتقوا لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشؤمى وقيل اصحاب الميمنة واصحاب المشامة

الى مراتب ويتضع ناس واما لان الاشقياء يحطون

اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم

اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة

اصحاب الميمنة والشوم لان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقيا مشايم عليها بمعصيتهم وقيل يوخذ باهل الجنة ذات اليمين و باهل النار ذات الشمال و السابقون المخلصون الذين سبقوا الى ما دعاهم الله اليه وشقوا الغبار في طلب مرضاة الله وقيل الناس ثلثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشامة تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى اى شى هم والسابقون السابقون يريد و السابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله وعبد الله عبد الله وقول ابى النجم وشعرى شعرى كانه قال وشعرى ما انتهى اليك وسمعت بفصاحته وبراعته وقد جعل السابقون تاكيدا واولئك المقربون خبرا وليس بذاك ووقف بعضهم على والسابقون وابتدا السابقون اولئك المقربون والصواب ان يوقف على الثانى لانه تمام الجملة وهو في مقابلة ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشامة المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش واعليت مراتبهم وقرى في جنة النعيم الثلة الامة من الناس الكثيرة قال وجاءت اليهم ثلة خندفية بجيش كتيار من السيل مزبد وقوله وقليل من الاخرين كفى به دليلا على الكثرة وهى من الثل وهو الكسر كما ان الامة من الام وهو الشج كانها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى ان السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن ادم الى محمد صلى الله عليهما وقليل من الاخرين وهم امة محمد وقيل من الاولين من متقدمى هذه الامة ومن الاخرين من متاخريها وعن النبى صلعم الثلتان جميعا من امتى فان قلت كيف قال وقليل من الاخرين ثم قال

وثلة

ثلة من الاولين وقليل من الاخرين

وثلة من الاخرين قلت هذا في السابقين وذاك في اصحاب اليمين وانهم يتكاثرون من الاولين والاخرين جميعا فان قلت فقد روى انه لما نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول الله يراجع ربه حتى نزلت ثلة من الاولين وثلة من الاخرين قلت هذا لا يصح لامرين احدهما ان هذه الاية واردة في السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية في اصحاب اليمين الا ترى كيف عطف اصحاب اليمين ووعدهم والثانى ان النسخ في الاخبار غير جائز وعن الحسن سابقوا الامم اكثر من سابقى امتنا وتابعوا الامم مثل تابعى هذه الامة وثلة خبر مبتدا محذوف اى هم ثلة موضونة مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد دوخل بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع قال الاعشى ومن نسج داود موضونة وقيل متواصلة ادنى بعضها من بعض متكئين حال من الضمير في على وهو العامل فيها اى استقروا عليها متكئين متقابلين لا ينظر بعضهم في اقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والادب مخلدون مبقون ابدا على شكل الولدان وحد الوصافة لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط قيل هم اولاد اهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روى عن على رضى الله عنه وعن الحسن في الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة الاكواب اوان بلا عرى وخراطيم والاباريق ذوات الخراطيم لا يصدعون عنها اى بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها او لا يفرقون عنها وقرا مجاهد لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون ويصدعون اى لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقونهم يتخيرون ياخذون خيره وافضله يشتهون يتمنون وقرى ولحوم طير وقرى وحور عين بالرفع على وفيها حور عين كبيت الكتاب الا رواكد جمرهن هباء

على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكاس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون

وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون

ومستح اوللعطف على ولدان وبالجر عطفا على جنات النعيم كانه قال هم في جنات
وفاكهة ولحم وحور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب
ينعمون باكواب وبالنصب على ويؤتون حورا جزاء مفعول له اى يفعل بهم ذلك
كله جزاء باعمالهم سلاما سلاما اما بدل من قيلا بدليل قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما
واما مفعول به لقيلا بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم
يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقرئ سلامٌ سلامٌ على الحكاية السدر
شجر النبق والمخضود الذى لا شوك له كانما خضد شوكه وعن مجاهد الموقر الذى
تثنى اغصانه كثرة حمله من خضد الغصن اذا اثناه وهو رطب والطلح شجر الموز
وقيل شجر ام غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة وعن السدى شجر يشبه طلح الدنيا
ولكن له ثمر احلى من العسل وعن على رضى الله عنه انه قرا وطلع وما شان الطلح وقرا
قوله لها طلع نضيد فقيل او نحولها فقال آى القرآن لا تهاج اليوم ولا تحول وعن
ابن عباس نحوه والمنضود الذى نضد بالحمل من اسفله الى اعلاه فليست له ساق
بارزة وظل ممدود منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس مسكوب
يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا لا يتعنون فيه وقيل دائم الجرية لا ينقطع وقيل
مصبوب يجرى على الارض في غير اخدود لا مقطوعة هي دائمة لا تنقطع في بعض الاوقات
كفواكه الدنيا ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين
الدنيا وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة كقوله وحور عين وفرش جمع فراش
وقرئ وفرش بالتخفيف مرفوعة نضدت حتى ارتفعت او مرفوعة على الاسرة وقيل
هى النساء لان المراة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الارائك قال الله تعالى هم وازواجهم

لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة

ظلال

في ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله انا انشاناهن انشاء وعلى التفسير الاول
اضمر لهن لان ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن انشاناهن انشاء ابتدانا خلقهن ابتداء
جديدا من غير ولادة فاما ان يراد اللاتى ابتدى انشاؤهن واللاتى اعيد انشاؤهن
وعن رسول الله صلعم ان ام سلمة سالته عن قول الله تعالى انا انشاناهن فقال يا ام سلمة
هن اللاتى قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد
واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت رسول الله صلعم
عائشة ذلك قالت واوجعاه فقال رسول الله ليس هناك وجع وقالت عجوز لرسول الله
ادع الله ان يدخلنى الجنة فقال ان الجنة لا تدخلها العجائز فولت وهي تبكى فقال عليه
اخبروها انها ليست يومئذ بعجوز وقرا الآية عربا وقرئ عربا بالتخفيف جمع عروب
وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل اترابا مستويات في السن بنات ثلث و
ثلثين وازواجهن ايضا كذلك عن رسول الله صلعم يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا
بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلث وثلثين واللام في لاصحاب اليمين من صلة انشانا وجعلنا
في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء حار متناه في الحرارة وظل من يحموم من
دخان اسود بهيم لا بارد ولا كريم نفى لصفتى الظل عنه يريد انه ظل ولكن لا كسائر
الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه لمن ياوى اليه من اذى الحر و
ذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار الا ان
للنفى في نحو هذا شانا ليس للاثبات وفيه تهكم باصحاب المشامة وانهم لا يستاهلون
الظل البارد الكريم هو لاضدادهم في الجنة وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع اى لا هو كذلك
والحنث الذنب العظيم ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اى الحلم ووقت المواخذة بالماثم

انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا لاصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين

واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اواباؤنا الاولون قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم

ومنه حنث في يمينه خلاف برّ فيها ويقال تحنّث اذا تأثّم وتحرّج اوآباؤنا دخلت
همزة الاستفهام على حرف العطف فان قلت كيف حسن العطف على المضمر
في لمبعوثون من غير تأكيد بنحن قلت حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن
في قوله ما اشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي وقرئ اوْ آباؤنا وقرئ لمجموعون الى
ميقات يوم معلوم الى ما وُقّتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة
والميقات ما وقت به الشيء اي حُدّ ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها
من يريد دخول مكة الا محرما ايها الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث واهل مكة
ومن نحو مثل حالهم من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره
وانث ضمير الشجر على المعنى وذكّره على اللفظ في قوله منها وعليه ومن قرأ من شجرة من
زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وانما ذكّر الثاني على تأويل الزقوم لانه تفسيرها وهي في
معناه شرب الهيم قرئ بالحركات الثلث فالفتح والضم مصدران وعن جعفر الصادق
ايام اكلٍ وشَربٍ بفتح الشين واما المكسور فبمعنى المشروب اي ما يشربه الهيم وهي الابل
التي بها الهُيام وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت
كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هُيامها وقيل الهيم الرمال ووجهه ان
يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فُعُل كسحاب وسحب
ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى
اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملؤوا منه البطون يسلط عليهم من العطش ما
يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم فان قلت كيف
صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان

عطفا للشيء على نفسه قلت ليستا متفقتين من حيث ان كونهم شاربين للحميم
على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب
الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين النزل الرزق الذي يعد للنازل
تكرمة له وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب وكقول ابي السعر الضبي وكنا اذا الجبار
بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نُزُلا وقرئ نزلهم بالتخفيف فلولا تصدقون
تحضيض على التصديق اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين الا انهم لما كان مذهبهم
خلاف ما يقتضيه التصديق فكانهم مكذبون به واما بالبعث لان من خلق اولا لم
يمتنع عليه ان يخلق ثانيا ما تمنون ما تمنونه اي تقذفونه في الارحام من النطف وقرأ
ابن السماك بفتح التاء يقال امنى النطفة ومناها قال الله تعالى من نطفة اذا تمنى تخلقونه
تقدرونه وتصورونه قدرنا بينكم الموت تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف
وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت اعماركم من قصير وطويل ومتوسط وقرئ
قدَرنا بالتخفيف سبقته على الشيء اذا اعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه فمعنى
قوله وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم انا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وامثالكم
جمع مِثل اي على ان نبدل منكم ومكانكم اشباهكم من الخلق وعلى ان ننشئكم في خلق
لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعني انا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما ماثلكم فكيف نعجز (وما لا ماثلكم)
عن اعادتكم ويجوز ان يكون امثالكم جمع مَثَل اي على ان نبدل ونغير صفاتكم التي انتم
عليها في خلقكم واخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها قرئ النشأة والنشاءة وفي هذا
دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى افرأيتم
ما تحرثون من الطعام اي تبذرون حبه وتعملون في ارضه ءانتم تزرعونه تنبتونه وتردونه

نبأ نابتا وينمي إلى أن يبلغ الغاية وعن رسول الله صلعم لا يقولن أحدكم زرعت وليقل
حرثت قال أبو هريرة أرأيتم إلى قوله أفرأيتم الماء الآية والحطام من حطم كالفتات والجذاذ
من فت وجذ وهو ما صار هشيما وتحطم فظلتم وقرئ بالكسر وفظللتم على الأصل تفكهون
تعجبون وعن الحسن تندمون على تعبكم وانفاقكم عليه أو على ما اقترفتم من المعاصي
التي أصبتم بذلك من أجلها وقرئ تفكنون ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء
ويتركها القرباء فبيناهم إذ غار ماؤها فانتفع بها قوم يتفكنون أي يتندمون إنا لمغرمون
لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك بل نحن محرومون
محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا وقرئ
أئنا الماء الذي تشربون يريد الماء العذب الصالح للشرب والمزن السحاب الواحدة
مزنة وقيل هو السحاب الأبيض خاصة وهو أعذب ماء أجاجا ملحا زعاقا لا يقدر
على شربه **فإن قلت** لم أدخل اللام على جواب لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت
منه هاهنا **قلت** إن لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعلق
الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كإن ولا عاملة مثلها وإنما سرى فيها معنى الشرط
اتفاقا من حيث إفادتها في مضموني جملتيها أن الثاني امتنع لامتناع الأول افتقرت
في جوابها إلى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك
فإذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلأن الشيء إذا علم وشهر موقعه وصار
مألوفا ومأنوسا به لم يبال بإسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع ألا ترى
إلى ما يحكى عن رؤبة أنه كان يقول خير لمن قال له كيف أصبحت فحذف الجار لعلم كل
أحد بمكانه وتساوي حالي حذفه وإثباته لشهرة أمره وناهيك بقول أوس حتى إذا

الكلاب

الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا طلبا وحذفه لم أر فإذن حذفها اختصار لفظي وهي
ثابتة في الحق فاستوى الموضعان لا فرق بينهما على أن تقدم ذكرها والمسافة قصيرة
مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه ويجوز أن يقال إن هذه اللام مفيدة معنى التوكيد
لا محالة فادخلت في آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن أمر المطعوم
مقدم على أمر المشروب وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب إنما
يحتاج إليه تبعا للمطعوم ألا ترى أنك إنما تسقي ضيفك بعد أن تطعمه ولو عكست قعدت
تحت قول أبي العلاء إذا سقيت ضيوف الناس محضا سقوا أضيافهم شبما زلالا
وسقي بعض العرب فقال أنا لا أشرب إلا على ثميلة ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب
تورون تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما
على الآخر ويسمون الأعلى الزند والأسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة شجرتها
التي منها الزناد تذكرة تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعايش كلها وعممنا
بالحاجة إليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها ويذكرون ما أوعدوا به
أو جعلناها تذكرة وأنموذجا من جهنم لما روي عن رسول الله صلعم ناركم هذه التي يوقد
بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين الذين ينزلون القواء
وهي القفر أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام يقال أقويت من أيام أي لم
آكل شيئا فسبح باسم ربك فأحدث التسبيح بذكر اسم ربك أو أراد بالاسم الذكر أي بذكر ربك
والعظيم صفة للمضاف أو للمضاف إليه والمعنى أنه لما ذكر ما دل على قدرته وإنعامه
على عباده قال فأحدث التسبيح وهو أن يقول سبحان الله إما تنزيها له عما يقول الظالمون
الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته وإما تعجبا من أمرهم في غمط آلائه وأياديه

غمط النعمة كفرها

الطاهرة واما شكر الله على النعم التي عدها ونبه عليها فلا اقسم معناه فاقسم ولا مزيدة
موكدة مثلها في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وقرا الحسن فلأقسم ومعناه فلانا اقسم
اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدا وخبر وهي انا اقسم كقولك لزيد منطلق
ثم حذف المبتدا ولا يصح ان يكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان تقرن بها
النون الموكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لا فعل في جواب القسم الاستقبال
وفعل القسم يجب ان يكون للحال بمواقع النجوم بمساقطها ومغاربها ولعل لله تعالى
في اخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات
موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة
والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم
او اراد بمواقعها منازلها ومسايرها وله في ذلك من الدليل على عظيم القدرة و
الحكمة مما لا يحيط به الوصف وقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض لانه
اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله انه لقران كريم واعترض بلو تعلمون بين الموصوف و
وصفه وقيل بمواقع النجوم اوقات وقوع نجوم القران اي اوقات نزولها كريم
حسن مرضي في جنسه من الكتب او نفاع جم المنافع او كريم على الله في كتاب مكنون
مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الادناس
ادناس الذنوب وما سواها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلته
صفة للقران فالمعنى لا ينبغي ان يمسه الا من هو على طهارة من الناس يعني مس المكتوب
منه ومن الناس من حمله على القراءة ايضا وعن ابن عمر احب الي ان لا يقرا الا وهو
طاهر وعن ابن عباس في رواية انه كان يبيح القراءة للجنب ونحوه قول رسول الله صلعم

المسلم

المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه وقرئ المتطهرون والمطهرون
من اطهره بمعنى طهره والمطهّرون بمعنى يطهرون انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والكتب
الذي يتلونه تنزيل صفة رابعة للقران اي منزل من رب العالمين ووصف بالمصدر
لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله تعالى فكانه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض
اسمائه فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل او هو تنزيل على حذف المبتدا وقرئ
تنزيلا على نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعني القران وتجعلون شكر رزقكم التكذيب اي وضعتم
التكذيب موضع الشكر وقرا علي رضي الله عنه وتجعلون شكركم انكم تكذبون وقيل
هي قراءة رسول الله صلعم والمعنى تجعلون شكركم لنعمة القران انكم تكذبون به وقيل
نزلت في الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر يعني وتجعلون شكر ما يرزقكم الله
من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم وقرئ تكذبون وهو
قولهم في القران سحر وشعر وافتراء وفي المطر هو من الانواء ولان كل مكذب بالحق كاذب
ترتيب الاية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة
للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس وهي الروح وفي اقرب اليه للمحتضر غير مدينين غير
مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم ونحن اقرب اليه منكم يا اهل الميت بقدرتنا
وعلمنا او بملائكة الموت والمعنى انكم تجحدون افعال الله واياته في كل شيء ان انزل عليكم
معجزا قلتم سحر وافتراء وان ارسل اليكم رسولا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم
به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدي الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح
الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثمة قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي
المميت المبدي المعيد فاما ان كان المتوفى من المقربين من السابقين من الازواج الثلاثة

انتم مدهنون كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب به تهاونا به وتجعلون رزقكم انكم تكذبون على حذف المضاف يعني صح

المذكوره فى اول السورة فروح استراحه وروت عايشه عن رسول الله صلعم فروح بالضم
وقرا به الحسن وقال الروح الرحمة لانها كالحيوة للمرحوم وقيل البقآء اى فهذان
له معًا وهو الخلود مع الرزق والنعيم والريحان الرزق فسلام لك من اصحاب اليمين
اى فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اى يسلمون عليك كقوله
الا قيلا سلامًا سلامًا فنزل من حميم كقوله هذا نزلهم يوم الدين وقرى بالتخفيف وتصلية
جحيم قرى بالرفع والجر عطفًا على نزل وحميم ان هذا الذى انزل فى هذه السورة لهو
حق اليقين اى الحق الثابت من اليقين عن النبى صلعم من قرا سورة الواقعه فى كل ليله لم تصبه
فاقة ابدًا

سورة الحديد مكية وهى تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم جاء فى بعض الفواتح سبح على لفظ الماضى وفى
بعضها على لفظ المضارع وكل واحد منهما معناه ان من شان من اسند اليه التسبيح
ان يسبحه وذلك هجيراه ودَيْدَنه وقد عدى هذا الفعل باللام تارة وبنفسه اخرى
فى قوله وسبحوه واصله التعدى بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء منقول من
سبح اذا ذهب وبعد فاللام لا تخلوا اما ان يكون مثل اللام فى نصحته ونصحت له واما
ان يراد بسبح لله احدث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصًا ما فى السموات والارض
ما يتاتى منه التسبيح ويصح فان قلت ما محل يحيى قلت يجوز ان لا يكون له
محل ويكون جمله براسها كقوله له ملك السموات وان يكون مرفوعًا على هو يحيى ويميت
ومنصوبا حالا من المجرور فى له والجار عاملا فيها ومعناه يحيى النطف والبيض والموتى
يوم القيامة ويميت الاحياء هو الاول هو القديم الذى كان قبل كل شى والاخر الذى

يبقى

يبقى بعد هلاك كل شى والظاهر بالادلة الدالة عليه والباطن لكونه غير مدرك بالحواس
فان قلت فما معنى الواو قلت الواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين
الصفتين الاولية والاخرية والثالثة على انه الجامع بين الظهور والخفاء واما الوسطى فعلى
انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود
فى جميع الاوقات الماضية والاتية وهو فى جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة و
الخفاء فلا يدرك بالحواس وفى هذا حجة على من جوز ادراكه فى الاخرة بالحاسه وقيل الظاهر
العالى على كل شى الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذى بطن كل شى
اى علم باطنه وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم مستخلفين فيه يعنى ان الاموال
التى فى ايديكم انما هى اموال الله بخلقه وانشايه لها وانما مولكم اياها وخولكم الاستمتاع بها
وجعلكم خلفاء فى التصرف فيها فليست هى باموالكم فى الحقيقه وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلا
والنواب فانفقوا منها فى حقوق الله وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقه
من مال غيره اذا اذن له فيه او جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما فى ايديكم بتوريثه
اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينقل منكم الى من بعدكم ولا تبخلوا
به وانفقوا بالانفاق منها انفسكم لا تومنون حال من معنى الفعل فى ما لكم كما تقول ما لك
قائمًا بمعنى ما تصنع قائمًا اى وما لكم كافرين بالله والواو فى والرسول يدعوكم واو الحال
فهما حالان متداخلتان وقرى وما لكم لا تومنون بالله ورسوله يدعوكم والمعنى واى
عذر لكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق
بالبراهين والحجج وقد ذلك قد اخذ الله ميثاقكم بالايمان حيث ركب فيكم العقول ونصب
لكم الادلة ومكنكم من النظر وازاح عللكم فاذا لم تبق لكم علة بعد ادلة العقول وتنبيه الرسول

والرسول

فما لكم لا تؤمنون ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه وقرئ
اخذ ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله تعالى ليخرجكم الله باياته من ظلمات الكفر الى نور
الايمان او ليخرجكم الرسول بدعوته لرؤوف وقرئ لرؤف الا تنفقوا في ان لا تنفقوا
ولله ميراث السموات والارض يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعني
واي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث اموالكم
وهو من ابلغ البعث على الانفاق في سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال لا
يستوي منكم من انفق من قبل الفتح قبل فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس في دين الله
افواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن انفق من بعد الفتح فحذف لوضوح
الدلالة اولئك الذين انفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار
الذين قال فيهم النبي صلعم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اعظم درجة
وقرئ قبل الفتح وكلا وكل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى اى المثوبة الحسنى
وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ بالرفع على وكل وعده الله وقيل نزلت في ابي بكر
رضي الله عنه لانه اول من اسلم واول من انفق في سبيل الله القرض الحسن الانفاق في
سبيله شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا اعطى ماله لوجه الله فكانه اقرضه
اياه فيضاعفه له اي يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا اضعافا من فضله وله اجر كريم يعني
وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه وقرئ فيضعفه وقرئا منصوبين على
جواب الاستفهام والرفع عطف على يقرض او على فهو يضاعفه يوم ترى ظرف لقوله وله
اجر كريم او منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم وانما قال بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء
يؤتون صحايف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمايلهم ومن وراء ظهورهم

فيجعل

فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم واية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحايفهم البيض
افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون بسعيهم ذلك النور
جنيبا لهم ومتقدما ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملايكة بشريكم اليوم وقرئ ذلك الفوز
يوم يقول بدل من يوم ترى انظرونا انظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبروق
الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة وانظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم
بوجوههم والنور بين ايديهم فيستضيئون به وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم
في المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من نوركم نصيب منه وذلك ان يلحقوا
بهم فيستنيروا به قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا طرد لهم وتهكم بهم اي ارجعوا الى الموقف
الى حيث اعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس او ارجعوا الى الدنيا فا
لتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان او ارجعوا خايبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا
اخر فلا سبيل لكم الى هذا النور وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما هو تخييب واقناط لهم
فضرب بينهم بسور بين المؤمنين والمنافقين بحايط حايل بين شق الجنة وشق النار قيل
هو الاعراف لذلك السور باب لاهل الجنة يدخلون منه باطنه باطن السور او الباب
وهو الشق الذي يلي الجنة فظاهره ما ظهر لاهل النار من قبله من عنده ومن جهته العذاب
وهو الظلمة والنار وقرا زيد بن علي فضرب بينهم على البناء للفاعل الم نكن معكم يريدون
موافقتهم في الظاهر فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين الدواير
وغرتكم الاماني طول الامال والطمع في امتداد الاعمار حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم
بالله الغرور وغركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فدية
ما تفتدى به هي مولاكم قيل هي اولى بكم وانشد قول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب

انه مولى النار فمطلعها واماحها وحقيقته مولاكم مجراكم ومقمنكم اى مكانكم الذى يقال فيه
هو اولى بكم كما يقال هو مئنة للكرم اى مكان لقول القائل انه لكريم ويجوز ان يراد هو
ناصركم لا ناصر لكم غيرها والمراد نفى الناصر على البتات ونحوه قولهم اصيب فلان
بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقيل تتولاكم كما توليتم فى الدنيا
اعمال اهل النار الم يأن من انى الامر يانى اذا جاء اناه اى وقته وقرئ الم يئن من آن
يئين بمعنى انى والما يأن قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة
ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين
ان عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين وعن ابن عباس ان الله استبطأ قلوب المؤمنين
فعاتبهم على راس ثلث عشرة من نزول القران وعن الحسن اما والله لقد استبطأهم
وهم يقرؤن من القران اقل مما تقرؤن فانظروا فى طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من
الفسق وعن ابى بكر رضى الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل
اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب وقرئ نزل ونزل
وانزل ولا يكونوا عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات ويجوز ان يكون نهيا لهم
عن مماثلة اهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بنى اسرائيل كان
الحق يحول بينهم وبين شهواتهم فاذا سمعوا التورية والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما
طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا واحدثوا ما احدثوا من التحريف وغيره
فان قلت ما معنى لذكر الله وما نزل من الحق قلت يجوز ان يراد بالذكر وما نزل من
الحق القران لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء وان يراد خشوعها
اذا ذكر الله واذا تلى القران كقوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته

زادتهم

زادتهم ايمانا اراد بالامد الاجل كقوله اذا انتهى امده وقرئ الامد اى الوقت الاطول
وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما فى الكتابين اعلموا ان الله يحيى
الارض بعد موتها قيل هذا تمثيل لاثر الذكر فى القلوب وانه يحييها كما يحيى الغيث
الارض المصدقين المتصدقين وقرئ على الاصل والمصدقين من صدق وهم الذين
صدقوا الله ورسوله يعنى المؤمنين فان قلت علام عطف قوله واقرضوا قلت
على معنى الفعل فى المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل
ان الذين اصدقوا واقرضوا والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة النفس
وصحة النية على المستحق وقرئ يضعف ويضاعف بكسر العين اى يضاعف الله يريد
ان المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق
واستشهدوا فى سبيل الله لهم اجرهم ونورهم اى مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم
فان قلت كيف يسوى بينهم فى الاجر ولا بد من التفاوت قلت المعنى ان الله
يعطى المؤمنين اجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوى اجرهم مع اضعافه اجر اولئك و
يجوز ان يكون والشهداء مبتدا ولهم اجرهم خبره اراد ان الدنيا ليست الا محقرات
من الامور وهى اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر واما الآخرة فما هى الا امور عظام
وهى العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله وشبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع
قلة جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى واكتهل واعجب به الكفار الجاحدون
لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما
عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع
وقرئ مصفارا سابقوا سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم فى المضمار الى جنة عرضها

كعرض السماء والارض قال السدى كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر العرض
دون الطول لان كل ما له عرض وطول فان عرضه اقل من طوله فاذا وصف عرضه
بالبسطة عرف ان طوله ابسط وامد ويجوز ان يراد بالعرض البسطة كقوله فذو دعاء
عريض لما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم امر الاخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل
ما وعد من ذلك وهى المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة
ذلك الموعود من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه من يشاء وهم المؤمنون المصيبة
في الارض نحو الجدب وآفات الزروع والثمار وفى الانفس نحو الادواء والموت فى
كتاب فى اللوح من قبل ان نبراها يعنى الانفس او المصائب ان ذلك ان تقدير ذلك
واثباته فى كتاب على الله يسير وان كان عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين وجه الحكمة
فيه فقال لكيلا تاسوا ولا تفرحوا يعنى انكم اذا علمتم ان كل شىء مقدر مكتوب عند الله قل
اساكم على الفائت وفرحكم على الاتى لان من علم ان ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه
عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله
لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله والله لا يحب كل مختال فخور لان من فرح بحظ
من الدنيا وعظم فى نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس قرى بما آتاكم واتاكم من الايتاء
والاتيان وفى قراءة ابن مسعود بما اوتيتم **فان قلت** فلا احد يملك نفسه عند مضرة تنزل
به ولا عند منفعة ينالها ان لا يحزن ولا يفرح **قلت** المراد الحزن المخرج الى ما يذهل
صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغى الملهى عن الشكر
فاما الحزن الذى لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد
بها مع الشكر فلا باس بهما الذين يبخلون بدل من قوله كل مختال فخور كانه قال لا يحب

180

الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغى اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم
له وعزته عندهم وعظمه فى عيونهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به ولا يكفيهم انهم
بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل ويرغبوهم فى الامساك ويزينوه لهم وذلك كله نتيجة
فرحهم به وبطرهم عند اصابته ومن يتول عن اوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهى عنه
من الاسى على الفائت والفرح بالاتى فان الله غنى عنه وقرى بالبخل وقرا نافع فان الله
الغنى وهو فى مصاحف اهل المدينة والشام كذلك لقد ارسلنا رسلنا يعنى الملائكة
الى الانبياء بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اى الوحى والميزان وروى
ان جبريل نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به وانزلنا الحديد قيل
نزل آدم من الجنة ومعه خمسة اشياء من الحديد السندان والكلبتان والميقعة و
المطرقة والابرة وروى ومعه المر والمسحاة وعن النبى صلعم ان الله تعالى انزل اربع بركات
من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والماء والملح وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه
كقوله وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تنزل من السماء وقضاياه واحكامه
فيه باس شديد وهو القتال به ومنافع للناس فى مصالحهم ومعايشهم وصنايعهم فما من
صناعة الا والحديد آلة فيها او ما يعمل بالحديد وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر
السلاح فى مجاهدة اعداء الدين بالغيب غائبا عنهم قال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه
ان الله قوى عزيز غنى بقدرته وعزته فى اهلاك من يريد هلاكه عنهم وانما كلفهم الجهاد
لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب والكتاب والوحى وعن ابن عباس
الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم
ذكر الارسال والمرسلين وهذا تفصيل لحالهم اى فمنهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة للفساق

وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل والسكينة فيمن رواهما بفتح الفاء
لان الكلمة اعجمية لا يلزم فيها حفظ ابنية العرب وقرئ رآفة على فعالة اي وفقناهم
للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في صفة اصحاب رسول الله رحماء بينهم والرهبانية
ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين انفسهم للعبادة وذلك ان الجبابرة
ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى فقاتلوهم ثلث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا
القليل فخافوا ان يفتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان
وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ ورهبانية بالضم كانها نسبة
الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره
وابتدعوا رهبانية ابتدعوها يعني واحدثوها من عند انفسهم ونذروها ما كتبناها عليهم
لم نفرضها نحن عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء
رضوان الله فما رعوها حق رعايتها كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل
نكثه فآتينا الذين آمنوا يريد اهل الرحمة والرافة الذين اتبعوا عيسى وكثير منهم فاسقون
الذين لم يحافظوا على نذرهم ويجوز ان تكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها وابتدعوها
صفة لها في محل النصب اي وجعلنا في قلوبهم رافة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم
بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم الا ليبتغوا
بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على انه كتبها عليهم والزمها اياهم ليتخلصوا من الفتن
ويبتغوا بذلك رضى الله وثوابه فما رعوها جميعا حق رعايتها ولكن بعضهم فآتينا المؤمنين
المراعين منهم للرهبانية اجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها يا ايها الذين آمنوا
يجوز ان يكون خطابا للذين آمنوا من اهل الكتاب والذين آمنوا من غيرهم فان كان

خطابا

خطابا لمؤمني اهل الكتاب فالمعنى يا ايها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد صلعم يؤتكم الله
كفلين اي نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله ويجعل لكم يوم القيمة
نورا تمشون به وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر و
المعاصي لئلا يعلم ليعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا ولا مزيدة ان لا يقدرون ان مخففة
من الثقيلة اصله انه لا يقدرون يعني ان الشان لا يقدرون على شيء من فضل الله اي لا
ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله
فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط وان كان خطابا لغيرهم فالمعنى اتقوا
الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب من الكفلين في
قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين
احد من رسله روي ان رسول الله صلعم بعث جعفرا في سبعين راكبا الى النجاشي
يدعوه فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن آمن من اهل مملكته وهم اربعون
رجلا ائذن لنا في الوفادة على رسول الله فاذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة احد
فلما راوا ما بالمسلمين من خصاصة استاذنوا رسول الله فرجعوا وقدموا باموال لهم فآسوا
بها المسلمين فانزل الله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم
يؤمن من اهل الكتاب قوله يؤتون اجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا اما من آمن بكتابكم
وكتابنا فله اجره مرتين واما من لم يؤمن بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزلت وروي
ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا
الفضل عليهم فنزلت وقرئ لكي يعلم ولكي لا يعلم وليعلم ولان يعلم بادغام النون في
الياء وليتعلم بقلب الهمزة ياء وادغام النون في الياء وعن الحسن ليلا يعلم بفتح اللام

وسكون الياء ودواه قطرب بكسر اللام وقيل في وجهها حذفت همزة ان وادغمت
نونها في لام لا فصار للا ثم ابدلت من اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط و
من فتح اللام فعلى ان اصل لام الجر الفتح كما انشد ارى لا شيء ذكرها وقرى ان لا يقدروا
بيد الله في ملكه وتصرفه واليد مثل يؤتيه من يشاء ولا يشاء الا اياه من سبحه عن النبي
صلعم من قرا سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية وهي ثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قالت عايشة الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات
لقد كلمت المجادلة رسول الله في جانب البيت وانا عنده لا اسمع وقد سمع لها وعن
عمر رضي الله عنه انه كان اذا دخلت عليه اكرمها وقال قد سمع الله لها وقرى تحاورك
اي تراجعك الكلام وتحاورك اي تسائلك وهي خولة بنت ثعلبة امراة اوس بن الصامت
اخي عبادة راها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب
وكان به خفة ولمم فظاهر منها فاتت رسول الله فقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة
مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني اي كثر ولدي جعلني عليه كامه وروى انها قالت
له ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال ما عندي في
امرك شيء وروى انه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا وانما هو ابو
ولدي واحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووجدي كلما
قال رسول الله حرمت عليه هتفت وشكت الى الله فنزلت في زوجها في شانه ومعناه ان الله
سميع بصير يصح ان يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر فان قلت ما معنى قد في قوله قد سمع

182 قلت معناه التوقع لان رسول الله والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع الله مجادلتها
وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها الذين يظاهرون منكم في منكم توبيخ للعرب وتهجين
لعادتهم في الظهار لانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون ساير الامم ما هن
امهاتهم وقرى بالرفع على اللغتين الحجازية والتميمية وفي قراءة ابن مسعود بامهاتهم و
زيادة الباء في لغة من ينصب والمعنى ان من يقول لامراته انت علي كظهر امي ملحق
في كلامه هذا للزوج بالام وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين ان
امهاتهم الا اللاي ولدنهم يريد ان الامهات على الحقيقة انما هن الوالدات وغيرهن
ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات امهات لانهن لما ارضعن دخلن بالرضاع
في حكم الامهات وكذلك ازواج رسول الله امهات المؤمنين لان الله حرم نكاحهن
على الامة فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من الامومة
لانهن لسن بامهات على الحقيقة ولا بداخلات في حكم الامهات فكان قول المظاهر منكرا
من القول تنكره الحقيقة وتنكره الاحكام الشرعية وزورا وكذبا باطلا منحرفا عن الحق
وان الله لعفو غفور لما سلف منه اذا تيب عنه ولم يعد اليه ثم قال والذين يظاهرون
من نسايهم ثم يعودون لما قالوا يعني والذين كانت عادتهم ان يقولوا هذا القول
المنكر فقطعوه بالاسلام ثم يعودون لمثله فكفارة من عاد ان يحرر رقبة ثم يماس
المظاهر منها لا تحل له مماستها الا بعد تقديم الكفارة ووجه ثم يعودون لما قالوا
ثم يتداركون ما قالوا لان المتدارك للامر عائد اليه ومنه المثل عاد غيث على ما افسد
اي تداركه بالاصلاح والمعنى ان تدارك هذا القول وتلافيه بان يكفر حتى يرجع حالها
كما كانت قبل الظهار ووجه ثالث هو ان يراد بما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ

الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه نحو ما ذكرنا في قوله ونرثه ما يقول ويكون المعنى
ثم يريدون العود للتماس والمماسة الاستمتاع بها من جماع او لمس بشهوة او نظر الى فرجها
بشهوة ذلكم الحكم توعظون به لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب ان
تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه فان قلت
هل يصح الظهار بغير هذا اللفظ قلت نعم اذا وضع مكان انت عضوا منها يعبر
به عن الجملة كالرأس والوجه والرقبة والفرج او مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر اليه
من الام كالبطن والفخذ او مكان الام ذات رحم محرم منه من نسب او رضاع او صهر
او جماع نحو ان يقول انت علي كظهر اختي من الرضاع او عمتي من النسب او امرأة ابني
او ابي او ام امرأتي او بنتها فهو مظاهر وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وعن الحسن والنخعي
والزهري والاوزاعي والثوري وغيرهم نحوه وقال الشافعي لا يكون الظهار الا بالام
وحدها وهو قول قتادة والشعبي وعن الشعبي لم ينس الله ان يذكر البنات والاخوات
والعمات والخالات اذ اخبر ان الظهار انما يكون بالامهات الوالدات دون المرضعات
وعن بعضهم لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا فان قلت فاذا امتنع المظاهر
من الكفارة هل للمرأة ان ترافعه قلت لها ذلك وعلى القاضي ان يجبره على ان
يكفر وان يحبسه ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه
يضر بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فيلزم ايفاء حقها فان قلت فان
مس قبل ان يكفر قلت عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روي ان سلمة بن صخر
البياضي قال لرسول الله ظاهرت من امرأتي ثم ابصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها
فقال صلعم استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر فان قلت اي رقبة تجزي في كفارة الظهار

قلت

قلت المسلمة والكافرة جميعا لانها في الآية مطلقة وعند الشافعي رضي الله عنه لا
تجزي الا المؤمنة لقوله تعالى في كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة ولا تجزي ام
الولد والمدبر والمكاتب الذي ادى شيئا فان لم يؤد شيئا جاز وعند الشافعي
لا يجوز فان قلت فان اعتق بعض الرقبة او صام بعض الصيام ثم مس قلت
عليه ان يستأنف نهارا مس او ليلا ناسيا او عامدا عند ابي حنيفة وعند ابي يوسف
ومحمد عتق بعض الرقبة عتق كلها فيجزيه وان كان المس يفسد الصوم استقبل
والا بنى فان قلت كم يعطي المسكين في الاطعام قلت نصف صاع من بر او
صاعا من غيره عند ابي حنيفة وعند الشافعي مدا من طعام بلده الذي يقتات فيه
فان قلت فما بال التماس لم يذكر عند الكفارة في الاطعام كما ذكر عند الكفارتين
قلت اختلف في ذلك فعند ابي حنيفة انه لا فرق بين الكفارات الثلاث في
وجوب تقديمها على المساس وانما ترك ذكره عند الاطعام دلالة على انه اذا وجد في
خلال الاطعام لم يستأنف كما استأنف الصوم اذا وقع في خلاله وعند غيره لم يذكر
للدلالة على ان التكفير قبله وبعده سواء فان قلت الضمير في ان يتماسا الام يرجع قلت
الى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها ذلك البيان والتعليم للاحكام والتنبيه
عليها لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم
عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين الذين لا يتبعونها ولا يعملون
عليها عذاب اليم يحادون يعادون ويشاقون كبتوا اخزوا واهلكوا كما كبت من قبلهم من
اعداء الرسل قيل اريد كبتهم يوم الخندق وقد انزلنا آيات بينات تدل على صدق الرسول
وصحة ما جاء به وللكافرين بهذه الآيات عذاب مهين يذهب بعزتهم وكبرهم يوم يبعثهم

منصوب بلهم او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم جميعا كلهم لا يترك منهم احد غير مبعوث
او مجتمعين في حال واحدة كما تقول حي جميع فينبئهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا
بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤس الاشهاد احصاه
الله احاط به عددا لم يفته منه شيء ونسوه لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه لم يبالوا به لضراوتهم
بالمعاصي وانما تحفظ معظمات الامور ما يكون من كان التامة وقرئ بالياء والتاء والياء
على ان النجوى تانيثها غير حقيقي ومن فاصلة او على ان المعنى ما يكون شيء من النجوى والنجوى
التناجي فلا تخلو اما ان تكون مضافة الى ثلثة اي من نجوى ثلثة نفر او موصوفة بها اي
من اهل نجوى ثلثة فحذف الاهل او جعلوا نجوى في انفسهم مبالغة كقوله خلصوا نجيا
وقرأ ابن ابي عبلة ثلثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون لان نجوى يدل عليه
او على تاويل نجوى بمتناجين ونصبها من المستكن فيه فان قلت ما الداعي الى تخصيص
الثلثة والخمسة قلت فيه وجهان احدهما ان قوما من المنافقين تحلقوا للتناجي مغايظين
للمؤمنين على هذين العددين ثلثة وخمسة فقيل ما يتناجى منهم ثلثة ولا خمسة كما تراهم يتناجون
كذلك ولا ادنى من عددهم ولا اكثر الا والله معهم يسمع ما يقولون فقد روي عن ابن عباس
رضي الله عنه انها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن امية كانوا يوما يتحدثون
فقال احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث
ان كان يعلم بعضا فهو يعلم كله وصدق لان من علم بعض الاشياء بغير سبب فقد علمها كلها
لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثاني انه قصد ان يذكر ما جرت عليه
العادة من اعداد اهل النجوى والمتخالين للشورى والمندوبين لذلك ليسوا بكل احد
وانما هم طائفة مجتباة من اولي النهى والاحلام ورهط من اهل الرأي والتجارب واول

عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال وحكمة الاستصواب
الا ترى الى عمر بن الخطاب كيف ترك الامر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها الى سابع
فذكر عز وعلا الثلثة والخمسة وقال ولا ادنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة
وقال ولا اكثر فدل على ما يلي هذا العدد ويقاربه وفي مصحف عبد الله الا الله رابعهم
ولا اربعة الا الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا اقل من ذلك ولا اكثر الا الله
معهم اذا انتجوا وقرئ ولا ادنى من ذلك ولا اكثر بالنصب على ان لا لنفي الجنس ويجوز
ان يكون ولا اكثر بالرفع معطوفا على محل لا مع ادنى كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بفتح
الحول ورفع القوة ويجوز ان يكونا مرفوعين على الابتداء كقولك لا حول ولا قوة الا بالله
وان يكون ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كانه قيل ما يكون ادنى ولا اكثر الا هو معهم ويجوز
ان يكونا مجرورين عطفا على نجوى كانه قيل ما يكون من ادنى ولا اكثر الا هو معهم
وقرئ ولا اكبر بالباء ومعنى كونه معهم انه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه فكانه
مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة وقرئ ثم ينبئهم على التخفيف
كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين
يريدون ان يغيظوهم فنهاهم رسول الله فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم
وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته وقرئ ويتنجون بالاثم والعدوان بكسر
العين ومعصيات الرسول حيوك بما لم يحيك به الله يعني انهم يقولون في تحيتك السام
عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا ايها
الرسول ويا ايها النبي لولا يعذبنا الله بما نقول كانوا يقولون ما له ان كان نبيا لا يدعو
علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فقال الله تعالى حسبهم جهنم عذابا يا ايها الذين امنوا

خطاب للمنافقين والذين امنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون للمؤمنين اي اذا تناجيتم فلا
تتشبهوا باولئك في تناجيهم بالشر وتناجوا بالبر والتقوى وعن النبي صلعم اذا كنتم ثلثة فلا
يتناجى اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه وروي دون الثالث وقرئ فلا تنتجوا
وعن ابن مسعود اذا انتجيتم فلا تنتجوا انما النجوى اللام اشارة الى النجوى بالاثم والعدوان
بدليل قوله ليحزن الذين امنوا والمعنى ان الشيطان يزينها لهم فكانها منه ليغيظ
الذين امنوا ويحزنهم وليس الشيطان او الحزن بضارهم شيئا الا باذن الله فان قلت
كيف لا يضرهم الشيطان او الحزن الا باذن الله قلت كانوا يوهمون المؤمنين في
نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان او الحزن
بذلك الموهم الا باذن الله اي بمشيته وهو ان يقضي الموت على اقاربهم او الغلبة على
الغزاة وقرئ ليحزن وليحزن تفسحوا في المجلس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض
من قولهم افسح عني اي تنح ولا تتضاموا وقرئ تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله و
كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس
من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله مقاعد للقتال وقرئ في المجالس قيل كان
الرجل ياتي الصف فيقول تفسحوا فيابون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس
بفتح اللام وهو الجلوس اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه يفسح الله لكم مطلق
في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك انشزوا
انهضوا للتوسعة على المقبلين او انهضوا عن مجلس رسول الله اذا امرتم بالنهوض عنه
ولا تملوا رسول الله بالارتكاز فيه او انهضوا الى الصلوة والجهاد واعمال الخير اذا استنهضتم
ولا تثبطوا ولا تفرطوا يرفع الله المؤمنين بامتثال اوامره واوامر رسوله والعالمين منهم خاصة

درجات

درجات بما تعملون قرئ بالتاء والياء وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه كان
اذا قراها قال يا ايها الناس افهموا هذه الاية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلعم بين العالم
والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه السلم
فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلم يشفع
يوم القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشها
دة بشهادة رسول الله وعن ابن عباس خير سليمان بين العلم والمال والملك فاختار العلم
فاعطي المال والملك معه وقال عليه السلم اوحى الله الى ابراهيم يا ابراهيم اني عليم احب
كل عليم وعن بعض الحكما ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فات من
ادرك العلم وعن الاحنف كاد العلماء يكونون اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل
ما يصير وعن الزهري العلم ذكر فلا تحبه الا ذكورة الرجال بين يدي نجويكم استعارة
ممن له يدان والمعنى قبل نجويكم كقول عمر من افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل
امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته ذلكم الصدق خير لكم
في دينكم واطهر لان الصدقة طهرة روي ان الناس اكثروا مناجاة رسول الله صلعم بما
يريدون حتى املوه وابرموه فاريد ان يكفوا عن ذلك فامروا بان من اراد ان يناجيه قدم
قبل مناجاته صدقة قال علي رضي الله عنه لما نزلت دعاني رسول الله فقال ما تقول في
دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد فلما راوا ذلك
اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا اما الفقير فلعسرته واما الغني فلشحه وقيل كان ذلك عشر
ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله لاية
ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته

تصدقت بدرهم قال الكلبي تصدق به عشر كلمات سألهن رسول الله وعن ابن عمر
كان لعلي ثلث لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة
واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى قال ابن عباس هي منسوخة بالآية التي بعدها
وقيل هي منسوخة بالزكوة ااشفقتم اخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذي
تكرهونه وان الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق
عليكم وتاب الله عليكم وعذركم ورخص لكم في ان لا تفعلوه فلا تفرطوا في الصلوة والزكوة
وساير الطاعات بما تعملون قرئ بالتاء والياء كان المنافقون يتولون اليهود وهم
الذين غضب الله عليهم في قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ويناصحونهم وينقلون
اليهم اسرار المؤمنين ما هم منكم يا مسلمون ولا منهم ولا من اليهود كقوله مذبذبين بين ذلك
لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ويحلفون على الكذب اي يقولون والله انا لمسلمون فيحلفون
على الكذب الذي هو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب بحت فان قلت
ما فائدة قوله وهم يعلمون قلت الكذب ان يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه
سواء علم المخبر او لم يعلم فالمعنى انهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه
وهم عالمون بذلك متعمدون كمن يحلف بالغموس وقيل كان عبد الله بن نبتل المنافق
يجالس رسول الله صلعم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله في حجرة من حجره اذ
قال لاصحابه يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل ابن
نبتل وكان ازرق فقال له النبي صلعم علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل
فقال عليه السلام فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت عذابا شديدا
نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون يعني انهم كانوا في الزمان الماضي

المتقاول

١٨٦

وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا
واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله
صلعم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله عليا و
عمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة
خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت
فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي رضي الله عنه
والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب او تضعي راسك فاخرجته
من عقاص شعرها وروي ان رسول الله آمن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي احدهم
فاستحضر رسول الله حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت
ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش
وروي عزيزا فيهم اي غريبا ولم اكن من انفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة
يحمون اهاليهم واموالهم غيري فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت
ان الله تعالى ينزل عليهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه وقبل عذره فقال عمر
دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على
اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله
اعلم فنزلت عدوي اتخذ الى مفعوليه وهما عدوي اولياء والعدو فعول من عدا كعفو من
عفا ولكونه على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد فان قلت تلقون
بم يتعلق قلت يجوز ان يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره وباولياء صفة له ويجوز
ان يكون استينافا فان قلت اذا جعلته صفة لاولياء وقد جرى على غير من هو له

فان الضمير البارز وهو قولك تلقون اليهم انتم بالمودة قلت ذلك انما اشترطوه
في الاسماء دون الافعال لو قيل اولياء ملقين اليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من
الضمير البارز والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم يقال القى اليه خراشي
صدره وافضى اليه بشقوره والباء في بالمودة اما زائدة مؤكدة للتعدي مثلها في ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة واما ثابتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم اخبار
رسول الله بسبب المودة التي بينكم وبينهم وكذلك قوله تسرون اليهم بالمودة اي تفضون
اليهم بمودتكم سرا او تسرون اليهم اسرار رسول الله بسبب المودة فان قلت
وقد كفروا حال مماذا قلت اما من لا تتخذوا واما من يلقون اي لا تتولوهم او توادونهم
وهذه حالهم ويخرجون استيناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم او حال من كفروا وان
تؤمنوا تعليل ليخرجون اي يخرجونكم لايمانكم وان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني
لا تتولوا اعداي ان كنتم اوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة
ما قبله عليه وتسرون استيناف ومعناه اي طائل لكم في اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء
والاعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما وانا مطلع رسولي على ما تسرون ومن يفعله ومن
يفعل هذا الاسرار فقد اخطأ طريق الحق والصواب وقرأ الجحدري لما جاءكم اي كفروا لاجل
ما جاءكم بمعنى ان ما كان يجب ان يكون سبب ايمانهم جعلوه سببا لكفرهم ان يثقفوكم ان يظفروا
بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعداء خالصي العداوة ولا يكونوا لكم اولياء كما انتم ويبسطوا اليكم
ايديهم والسنتهم بالسوء بالقتال والشتم وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذن موادة امثالهم
ومناصحتهم خطأ عظيم منكم ومغالطة لانفسكم ونحوه قوله تعالى لا يالونكم خبالا فان قلت
كيف اورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي قلت الماضي

وان

وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا
قبل كل شيء كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا
من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا وردكم كفارا اسبق المضار عندهم واولها لعلمهم
ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو اهم شي عنده ان يقصد اعز
شي عند صاحبه لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون الكفار من اجلهم و
تتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال يوم القيمة يفصل بينكم وبين اقاربكم واولادكم يوم يفر
المرء من اخيه الاية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا فخطأ رأيهم في موالاة
الكفار بما يرجع الى حال من والوه اولا ثم بما يرجع الى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيا ليريهم
ان ما اقدموا عليه من اي جهة نظرت فيه وجدته باطلا وقرئ يُفْصَل ويُفَصَّل على البناء
للمفعول ويَفْصِل ويُفَصِّل على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونَفْصِل ونُفَصِّل بالنون وقرئ اُسوة
واُسوة وهو اسم المؤتسى به اي كان فيهم مذهب حسن مرضي بان يؤتسى به ويتبع اثره
وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم بالعداوة وقشروا لهم العصا واظهروا البغضاء
والمقت وصرحوا بان سبب عداوتهم وبغضائهم ليس الا كفرهم بالله وما دام هذا السبب
قائما كانت العداوة قائمة حتى ان ازالوه وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة
والبغضاء محبة والمقت مقة فافصحوا عن محض الاخلاص ومعنى كفرنا بكم وبما تعبدون
من دون الله انا لا نعتد بشانكم ولا بشان الهتكم وما انتم عندنا على شيء فان قلت
مم استثنى قوله الا قول ابرهيم قلت من قوله اسوة حسنة لانه اراد بالاسوة
الحسنة قولهم الذي حق عليهم ان ياتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها فان قلت فان
كان قوله لاستغفرن لك مستثنى من القول الذي هو اسوة حسنة فما بال قوله وما املك

لك من الله من شيء وهو غير حقيق بالاستثناء الا ترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله شيئا
قلت اراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه
وتابع له كانه قال انا استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار فان قلت بم اتصل
قوله ربنا عليك توكلنا قلت بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة ويجوز ان
يكون المعنى قولوا ربنا امرا من الله تعالى للمؤمنين بان يقولوه وتعليما منه لهم تتميما لما وصاهم
به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار والائتساء بابرهيم وقومه في البراءة منهم وتنبيها على
الانابة الى الله والاستعاذة من فتنة اهل الكفر والاستغفار مما فرط منهم وقرئ براء كشركاء
وبراء كظراف وبراء على ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب وبراء على الوصف بالمصدر
والبراء والبراءة كالظماء والظماءة ثم كرر الحث على الائتساء بابرهيم وقومه تقريرا وتاكيدا
عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية في التاكيد وابدل عن قوله لكم قوله لمن
كان يرجوا الله واليوم الاخر وعقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فلم يترك
نوعا من التوكيد الا جاء به ولما نزلت هذه الآيات تشدد المؤمنون في عداوة ابائهم
وابنائهم وجميع اقربائهم من المشركين ومقاطعتهم فلما راى الله منهم الجد والصبر على الوجد
الشديد وطول التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه
فلما يسر فتح مكة اظفرهم الله بامنيتهم فاسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم وقيل
تزوج رسول الله ام حبيبة فعند ذلك ام حبيبة قد اسلمت وهاجرت مع زوجها عبد الله بن
جحش الى الحبشة فتنصر وارادها على النصرانية فابت وصبرت على دينها ومات زوجها
فبعث رسول الله الى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه اليها اربعمائة دينار وبلغ ذلك اباها
فقال ذلك الفحل لا يقدع انفه وعسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في

بعض

١٨٨

بعض الحوائج عسى او لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك او قصد به اطماع المؤمنين والله
قدير على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور رحيم لمن
اسلم من المشركين ان تبروهم بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك ان تولوهم من الذين قاتلوكم
والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهاكم عن تولي هؤلاء وهذا ايضا رحمة لهم لتشددهم
وجدهم في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير اسلام قومهم حيث رخص لهم في صلة من لم
يهاجر منهم بقتال المؤمنين واخراجهم من ديارهم وقيل اراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا
رسول الله على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه وعن مجاهد هم الذين امنوا بمكة ولم يهاجروا
وقيل هم النساء والصبيان وقيل قدمت على اسماء بنت ابي بكر امها قتيلة بنت عبد
العزى وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله
ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وعن قتادة نسختها اية القتال وتقسطوا
اليهم وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله المؤمنين ان يستعملوا
القسط مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم اخيه المسلم
اذا جاءكم المؤمنات سماهن مؤمنات لتصديقهن بالسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم
يظهر منهن ما ينافي ذلك او لانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان فامتحنوهن
فابتلوهن بالحلف والنظر في الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وكان رسول الله
صلعم يقول للممتحنة بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة
عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله الله
اعلم بايمانهن منكم لانكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم وان استحلفتموهن ورزتم
احوالهن وعند الله حقيقة العلم به فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو

الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات ولا ترجعوهن الى الكفار ولا تردوهن الى ازواجهن
المشركين لانه لا حل بين المؤمنة والمشرك واتوهم ما انفقوا واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا
اليهن من المهور وذلك ان الصلح الحديبية كان على ان من اتاكم من اهل مكة رد اليهم و
من اتى مكة لم يرد اليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية
مسلمة والنبي صلعم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال
يا محمد اردد علي امراتي فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب
لم تجف فنزلت بيانا لان الشرط انما كان في الرجال دون النساء وعن الضحاك كان بين
رسول الله وبين المشركين عهد ان لا ياتيك منا امراة ليست على دينك الا رددتها الينا فان
دخلت في دينك ولها زوج ان ترد على زوجها الذي انفق عليها وللنبي صلعم من الشرط مثل
ذلك وعن قتادة ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة فاستحلفها رسول الله فحلفت فاعطى
زوجها ما انفق وتزوجها عمر **فان قلت** كيف سمى الظن علما في قوله فان علمتموهن
قلت ايذانا بان الظن الغالب وما يفضي اليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم
وان صاحبه غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم **فان قلت** فما فائدة قوله
الله اعلم بايمانهن وذلك معلوم لا شبهة فيه **قلت** فائدته بيان ان لا سبيل لكم
الى ما تطمئن به النفس وثلج الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استاثر به
علام الغيوب وان ما يؤدي اليه الامتحان من العلم كاف في ذلك وان تكليفكم لا يعدوه
ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات اذا اتوهن اجورهن اي مهورهن لان المهر
اجر البضع ولا يخلو اما ان يراد بها ما كان يدفع اليهن ليدفعنه الى ازواجهن فيشترط في اباحة
تزوجهن تقديم ادائه واما ان يراد ان ذلك اذا دفع اليهن على سبيل القرض ثم تزوجن

على ذلك

على ذلك لم يكن به باس واما ان يبين لهم ان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر وانه لا بد
من اصداق وبه احتج ابو حنيفة رضي الله عنه على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب
مسلما او بذمة وبقي الاخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها
الا ان تكون حاملا ولا تمسكوا بعصم الكوافر والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعني
اياكم واياهن ولا تكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس من كانت له امراة
كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها وعن النخعي هي
المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن
واسئلوا ما انفقتم من مهور ازواجكم اللاحقات بالكفار وليسئلوا ما انفقوا من مهور نسائهم المهاجرات
وقرئ ولا تمسكوا بالتخفيف ولا تمسكوا بالتثقيل ولا تمسّكوا اي ولا تتمسكوا ذلكم حكم الله
يعني جميع ما ذكر في هذه الاية يحكم بينكم كلام مستانف وحال من حكم الله على حذف
الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة روي انه لما نزلت الاية ادى المؤمنون
ما امروا به من اداء المهور للمهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا
شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم
شيء من ازواجكم احد منهن الى الكفار وهو قراءة ابن مسعود **فان قلت** هل لايقاع
شيء في هذا الموضع فائدة **قلت** نعم الفائدة فيه ان لا يغادر شيء من هذا الجنس و
ان قل وحقر غير معوض عنه تغليظا في هذا الحكم وتشديدا فيه فعاقبتم من العقبة وهي النوبة
شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واولئك مهور
نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم
من اداء المهر فاتوا من فاتته امراته الى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر

وهكذا عن الزهري يعطي من صداق من لحق بهم وقرئ فأعقبتم فعقّبتم بالتشديد فعقبتم
بالتخفيف مع فتح القاف وكسرها بمعنى أعقبتم دخلتم في العقبة وعقبتم من عقبه إذا قفاه
لأن كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه وعقّبتم
نحو تعقبتم وقال الزجاج فعاقبتم فأصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم والذي ذهبت
زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر وفسر غيرها من القراءات فكانت العقبى لكم أي كانت
الغلبة لكم حتى غنمتم وقيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة عن
الإسلام ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري
وفاطمة بنت أبي أمية كانت تحت عمر بن الخطاب وهي أخت أم سلمة وبروع بنت عقبة
كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن فضلة وزوجها عمرو بن عبد
ود وهند بنت أبي جهل كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر
وأعطاهم رسول الله صلعم مهور نسائهم من الغنيمة ولا يقتلن أولادهن وقرئ يقتّلن بالتشديد
يريد وأد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن كانت المرأة تلتقط المولود
فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي
تلصقه بزوجها كذبا لأن بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين
ولا يعصينك في معروف فيما تأمرهن به من المحسنات وتنهاهن عنه من المقبحات وقيل
كل ما وافق طاعة الله فهو معروف **فإن قلت** لو اقتصر على قوله ولا يعصينك فقد علم
أن رسول الله لا يأمر إلا بمعروف **قلت** نبه بذلك على أن طاعة المخلوق في معصية
الخالق جديرة بغاية التوقي والاجتناب وروي أن رسول الله صلعم لما فرغ يوم فتح مكة
من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أسفل منه

يبايعهن

١٨٠

يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متقنعة متنكرة خوفا
من رسول الله أن يعرفها فقال عليه السلام أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا فرفعت هند رأسها
وقالت والله لقد عبدنا الأصنام وإنك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال
تبايع الرجال على الإسلام والجهاد فقال عليه السلام ولا يسرقن فقالت إن أبا سفيان رجل
شحيح وإني أصبت من ماله هنات فما أدري أتحل لي أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من
شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله وعرفها فقال لها وإنك لهند بنت
عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت أو تزني
الحرة وفي رواية ما زنت منهن امرأة قط فقال عليه السلام ولا يقتلن أولادهن فقالت ربيناهم
صغارا وقتلتهم كبارا فأنتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك
عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله إن البهتان لأمر قبيح
وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا
مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء وقيل في كيفية المبايعة دعا بقدح من ماء
فغمس فيه يده ثم غمس أيديهن وقيل صافحهن وكان على يده ثوب قطري وقيل كان عمر ○
يصافحهن عنه روي أن بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم
فقيل لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من أن يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله
وهم يعلمون أنه الرسول المبعوث في التوراة كما يئس الكفار من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا
أحياء وقيل من أصحاب القبور بيان للكفار أي كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة
لأنهم تيقنوا قبح حالهم وسوء منقلبهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة صدق الله العظيم

سورة الصف مكية وهي اربع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم لم هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل
عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم وممّ وعمّ والامَ وعلامَ وانما حذفت الالف
لان ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالها كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل
قليلا والوقف على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن في الوصل فلاجرائه
مجرى الوقف كما سمع ثلثة اربعه بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول
الكذب واخلاف المواعيد وروي ان المؤمنين قالوا قبل ان يؤمروا بالقتال لو
نعلم احب الاعمال الى الله لعملناه ولبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فدلهم الله على الجهاد
في سبيله فولوا يوم احد فعيرهم وقيل لما اخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا
قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد ولم يفوا وقيل كان الرجل يقول قتلت
ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل قد اذى
المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب اخبر النبي
عليه السلام انك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب قال
كذلك يا ابا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل وعن الحسن نزلت في المنافقين ونداؤهم
بالايمان تهكم بهم وبايمانهم هذا من افصح الكلام وابلغه في معناه قصد في كبر التعجب من
غير لفظه كقوله غلت ناب كليب بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين
لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج عن نظائره واشكاله واسند الى ان يقولوا ونصب
مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت

منه

منه واختير لفظ المقت لانه اشد البغض وابلغه ومنه قيل نكاح المقت للعقد على الرابة
ولم يقتصر على ان جعل البغض كبيرا حتى جعل اشده وافحشه وعند الله ابلغ من ذلك
لانه اذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك وعن بعض
السلف انه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال اتامرونني ان اقول ما لا افعل
فاستعجل مقت الله في قوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله عقيب ذكر مقت
المخلف دليل على ان المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار
فلم يفوا وهذا زيادة على يقاتلون بفتح وقرئ يُقَتَّلون صفا صافين انفسهم او مصفوفين
كانهم في تراصهم من غير فرجة وخلل بنيان رص بعضه الى بعض ورصف وقيل
يجوز ان يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص
وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه
الصفة وقوله صفا كانهم بنيان حالان متداخلتان واذ منصوب باضمار اذكر او وحين
قال لهم ما قال كان كذا وكذا تؤذونني كانوا يؤذونه بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه
في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله
جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه وقد تعلمون في موضع الحال اي تؤذونني
عالمين علما يقينا اني رسول الله اليكم وقضية علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري
لا ان تؤذونني وتستهينوا بي لان من عرف الله وعظمته عظم رسوله علما بان تعظيمه
في تعظيم رسوله ولان من آذاه كان وعيد الله لاحقا به فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم
بان منع الطافه عنهم والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يلطف بهم لانهم ليسوا من اهل
اللطف فان قلت ما معنى قد في قوله وقد تعلمون قلت معناه التوكيد كانه

قال وتعلمون علماً يقيناً لا شبهة لكم فيه قيل انما قال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال
موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه والمعنى ارسلت اليكم في حال تصديقي ما
تقدمني من التوراة وفي حال تبشيري برسول يأتي من بعدي اسمه احمد يعني ان ديني
التصديق بكتب الله وانبيائه جميعاً من تقدم وتأخر من بعدي بسكون الياء وفتحها
والخليل وسيبويه يختاران الفتح وعن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله
هل بعدنا من امة قال نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون
من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل فان قلت بم انتصب مصدقا
ومبشرا أبما في الرسول من معنى الارسال ام باليكم قلت بل بمعنى الارسال لان
اليكم صلة للرسول فلا يجوز ان يعمل شيئاً لان حروف الجر لا تعمل بانفسها ولكن بما
فيها من معنى الفعل فاذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن اين تعمل وقرئ هذا
ساحر مبين واي الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذي له فيه
سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو
دعاء عباده الى الحق هذا سحر لان السحر كذب وتمويه وقرأ طلحة بن مصرف وهو يدّعي
بمعنى يدعى دعاه وادّعاه نحو لمسه والتمسه وعنه يدّعي بمعنى يدعو وهو الله عز وجل
اصله يريدون ان يطفئوا كما جاء في سورة براءة وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الارادة
تأكيداً له لما فيها من معنى الارادة في قولك جئتك لاكرامك كما زيدت اللام في لا اباً لك
تأكيداً لمعنى الاضافة في لا اباك واطفاء نور الله بافواههم تهكم بهم في ارادتهم ابطال الاسلام
بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم
نوره اي متم الحق ومبلغه غايته وقرئ بالاضافة ودين الحق الملة الحنيفية ليظهره ليعليه على

الدين

الدين كله على جميع الاديان المخالفة له ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الاديان الا وهو
مغلوب مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد اذا نزل عيسى لم يكن في الارض الا دين
الاسلام وقرئ تنجيكم مخففا ومثقلا وتؤمنون استئناف كانهم
قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو خبر في معنى الامر ولهذا اجيب بقوله يغفر لكم
وتدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا فان قلت لم جيء به على لفظ
الخبر قلت للايذان بوجوب الامتثال وكانه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد
موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء
كأنها كانت ووجدت فان قلت هل لقول الفراء انه جواب هل ادلكم وجه
قلت وجهه ان متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد فكانه
قيل هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم فان قلت فما وجه قراءة زيد بن علي رضي الله عنه
تؤمنوا وتجاهدوا قلت وجهها ان تكون على اضمار لام الامر كقوله محمد تفد نفسك
كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا وعن ابن عباس انهم قالوا لو نعلم احب الاعمال الى الله
لعملناها فنزلت هذه الآية فمكثوا ما شاء الله ليتنا نعلم ما هي فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون
وهذا دليل على ان تؤمنون كلام مستانف وعلى ان الامر الوارد على النفوس بعد
تشوق وتطلع منها اليه اوقع فيها واقرب من قبولها له مما فوجئت به ذلكم يعني ما ذكر
من الايمان والجهاد خير لكم من اموالكم وانفسكم فان قلت ما معنى قوله ان كنتم تعلمون
قلت معناه ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك و
اعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون
واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة اخرى

علجله محبوبه اليكم ثم فسرها بقوله نصر من الله وفتح قريب اى عاجل وهو فتح
مكه وقال الحسن فتح فارس والروم وفى تحبونها شى من التوبيخ على محبة العاجل
فان قلت علام عطف قوله وبشر المومنين قلت على تؤمنون لانه فى معنى الامر
كانه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المومنين بذلك فان قلت
لم نصب من قرا نصرا من الله وفتحا قريبا قلت يجوز ان ينصب على الاختصاص او على
تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويوتكم اخرى نصرا ابن
مسعود كونوا انتم انصار الله وفيه زيادة حث للنصرة عليهم فان قلت ما وجه صحة
التشبيه وظاهره تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى صلوات الله عليه من انصارى الى الله
قلت التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا انصار الله كما كان الحواريون
انصار عيسى حين قال لهم من انصارى الى الله فان قلت ما معنى قوله من انصارى الى الله
قلت يجب ان يكون معناه مطابقا لجواب الحواريين نحن انصار الله والذى يطابقه
ان يكون المعنى من جندى متوجها الى نصرة الله واضافة انصارى خلاف اضافة انصار الله
فان معنى نحن انصار الله نحن الذين ينصرون الله ومعنى من انصارى من الانصار الذين
يختصون بى ويكونون معى فى نصرة الله ولا يصح ان يكون معناه من ينصرنى مع الله لانه
لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من قرا من انصار الله والحواريون اصفياؤه وهم اول
من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا وحوارى الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض
الخالص والحوارى الدرمك ومنه قوله عليه السلام الزبير ابن عمتى وحوارى من امتى وقيل كانوا
قصارين يحورون الثياب يبيضونها ونظير الحوارى فى زنته الحوالى الكثير الحيل فآمنت
طايفه منهم بعيسى وكفرت به طائفه فايدنا مومنهم على كفارهم فظهروا عليهم وعن زيد بن على

كان

كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صلعم من قرا سورة الصف كان عيسى مصليا مستغفرا
له ما دام فى الدنيا وهو يوم القيمه رفيقه

سورة الجمعة مدنية وهى احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قرئت صفات الله
عز وعلا بالرفع على المدح كانه قيل هو الملك القدوس ولو قرئت منصوبة لكان
وجها كقول العرب الحمد لله اهل الحمد الامى منسوب الى امة العرب لانهم كانوا لا يكتبون
ولا يقرؤون من بين الامم وقيل بدات الكتابة بالطايف اخذوها من اهل الحيرة واهل
الحيرة من اهل الانبار ومعنى بعث فى الاميين رسولا منهم بعث رجلا اميا فى قوم اميين
كما جاء فى حديث شعيا انى ابعث اعمى فى عميان واميا فى قوم اميين وقيل منهم كقوله
من انفسكم يعلمون نسبه واحواله وقرئ فى الامين بحذف ياء النسب يتلو عليهم آياته
يقروها عليهم مع كونه اميا مثلهم لم تعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة امى بغير
تعلم آية بينة ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن
والسنة وان فى وان كانوا هى المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها اى كانوا فى ضلال
لا ترى ضلالا اعظم منه وآخرين مجرور عطف على الاميين يعنى انه بعثه فى الاميين الذين
على عهده وفى آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة
رضى الله عنهم وقيل لما نزلت قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان ثم قال لو كان
الايمان عند الثريا لتناوله رجال من هولاء وقيل هم الذين ياتون من بعدهم الى يوم القيمه
ويجوز ان ينتصب عطفا على المنصوب فى ويعلمهم اى يعلمهم ويعلم آخرين لان التعليم اذا تناسق

الى اخر الدهر كان كله مستندًا الى اوله وكانه هو الذى تولى كل ما وجد منه وهو العزيز
الحكيم فى تمكينه رجلا اميًا من ذلك الامر العظيم وتاييده عليه واختياره اياه من بين كافة
البشر ذلك الفضل الذى اعطاه محمدا وهو ان يكون نبى ابناء عصره ونبى
ابناء العصور الغوابر هو فضل الله يوتيه من يشاء اعطاءه وتقتضيه حكمته شبه اليهود
فى انهم حملة التوريه وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم انهم غير عاملين بها ولا منتفعين باياتها وذلك
ان فيها نعت رسول الله صلعم والبشارة به ولم يومنوا به بالحمار يحمل اسفارًا اى كتبا
كبارا من كتب العلم فهو يمشى بها ولا يدرى منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل
من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بايات الله
وهم اليهود الذين كذبوا بايات الله الداله على صحة نبوة محمد صلعم ومعنى حملوا التوريه
كلفوا علمها والعمل بها ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا بها فكانهم لم يحملوها وقرى حملوا التورية
اى حملوها ثم لم يحملوها فى الحقيقة لفقد العمل وقرى يحمل الاسفار قال قلت
يحمل ما محلها قلت النصب على الحال او الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم فى قوله
ولقد امر على اللئيم يسبنى هادوا هودا اذا تهودوا اولياء لله كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه
اى ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله ان يميتكم وينقلكم سريعًا الى دار كرامته
التى اعدها لاوليائه ثم قال ولا يتمنونه ابدا بسبب ما قدموا من الكفر وقد قال لهم رسول الله
صلعم والذى نفسى بيده لا يقولها احد منكم الا غص بريقه فلولا انهم كانوا موقنين بصدق
رسول الله لتمنوا ولكنهم علموا انهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمالك احد
ان تمنوه هى احدى المعجزات وقرى فتمنوا الموت بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا ولا فرق
بين لا ولن فى ان كل واحد منهما نفى للمستقبل الا ان فى لن تاكيدا وتشديدا ليس فى لا فاتى مرة

بلفظ

بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه ثم قيل لهم ان الموت الذى تفرون
منه ولا تجسرون ان تتمنوه خيفة ان توخذوا بوبال كفركم لا تفوتونه وهو ملاقيكم لا
محالة ثم تردون الى الله فيجازيكم بما انتم اهله من العقاب وقرا زيد بن على رضى الله عنه
انه ملاقيكم وفى قراءة ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم وهى ظاهرة واما التى بالفاء فلتضمن
الذى معنى الشرط وقد جعل ان الموت الذى تفرون منه كلامًا براسه فى قراءة زيد
اى ان الموت هو الشى الذى تفرون منه ثم استونف انه ملاقيكم يوم الجمعة يوم الفوج
المجموع كقولهم ضحكه للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة
ولعنه ولعبه ويوم الجمعة تثقيل للجمعة كما قيل عشرة فى عشر وقرى بهن جميعا قال قلت
من فى قوله من يوم الجمعة ما هى قلت هى بيان لاذا وتفسير له والنداء الاذان وقالوا المراد
به الاذان عند قعود الامام على المنبر وقد كان لرسول الله صلعم موذن واحد فكان اذا
جلس على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل اقام للصلوة ثم كان ابو بكر وعمر رضى الله
عنهما كذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد موذنا اخر فامر بالتاذين
الاول على داره التى تسمى زوراء فاذا جلس على المنبر اذن الموذن الثانى فاذا نزل اقام للصلوة
فلم يعب ذلك عليه وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لوى وكان يقال لها العروبة وقيل
ان الانصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه فى كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا
نجعل لنا يومًا نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى
فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم
فيه فانزل الله اية الجمعة فهى اول جمعة كانت فى الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلعم
فهى انه لما قدم المدينة مهاجرًا نزل قباء على بنى عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلاثاء

والاربعاء والخميس واستتر متحيرهم ثم خرج يوم الجمعة عامداً المدينة فادركته صلوة الجمعة
في بني سالم بن عوف في بطن وادٍ لهم فخطب وصلى الجمعة وعن بعضهم قد ابطل الله قول اليهود
في ثلث افتخروا بانهم اولياء الله واحباؤه وكذبهم في قولهم فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
وبانهم اهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل اسفارا وبالسبت وانه ليس
للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة وعن النبي صلعم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق
ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد
وعنه عليه السلم اتاني جبريل وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك
لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه الى الاخرة يوم
المزيد وعنه ان لله في كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار وعن كعب ان الله فضل من
البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال عليه السلم من مات يوم الجمعة
كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة القبر وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على
ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم
وكانت الطرقات في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة
يمشون بالسرج وقيل اول بدعة احدث في الاسلام ترك البكور الى الجمعة وعن ابن مسعود
رضي الله عنه انه بكر فراى ثلثة نفر سبقوه فاغتم واخذ يعاتب نفسه يقول اراك رابع اربعة
وما رابع اربعة بسعيد ولا تقام الجمعة عند ابي حنيفة رضي الله عنه الا في مصر جامع لقوله عليه السلم
لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا اضحى الا في مصر جامع والمصر الجامع ما اقيمت فيه الحدود ونفذت
فيه الاحكام ومن شروطها الامام او من يقوم مقامه لقوله عليه السلم من تركها وله امام عادل
او جائر الحديث وقوله اربع الى الولاة الفيء والصدقات والحدود والجمعات فان امر جلب بعد اذن

الامام

الامام او من ولاه من قاض او صاحب شرطة فلم يجز وان لم يكن الاستيذان فاجتمعوا على واحد
فصلى بهم جاز وهي تنعقد بثلثة سوى الامام وعند الشافعي رضي الله عنه باربعين ولا
جمعة على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى والزمنى ولا على الاعمى عند ابي حنيفة
ولا على الشيخ الذي لا يمشي الا بقائد وقرا عمر وابن عباس وابن مسعود وغيرهم فامضوا
وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرا فاسعوا فقال من اقراك هذا قال ابي بن كعب فقال
لا يزال يقرا بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وقيل المراد بالسعي
القصد دون العدو والسعي التصرف في كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه السعي وان ليس
للانسان الا ما سعى وعن الحسن ليس السعي على الاقدام ولكنه على النيات والقلوب وذكر
محمد بن الحسن في موطاه ان ابن عمر سمع الاقامة وهو بالبقيع فاسرع المشي قال محمد وهذا
لا باس به ما لم يجهد نفسه الى ذكر الله الى الخطبة والصلوة وتسمية الله الخطبة ذكرا له قال
ابو حنيفة رضي الله عنه ان اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله
الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان رضي الله عنه انه صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه
فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانتم الى امام فعال احوج منكم الى
امام قوال وستاتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة ولم ينكر عليه احد
وعند صاحبيه والشافعي رضي الله عنه لا بد من كلام يسمى خطبة فان قلت
كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله قلت ما كان من ذكر رسول الله والثناء
عليه وعلى خلفائه الراشدين واتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله فاما
ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك فمن
ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل واذا قال المنصت للخطبة لصاحبه صه فقد لغا

اولا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة الاسلام ونكد الايام اذا الامر
بترك يا اهل عز ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يهبط
الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل اوب ووقت هبوطهم واجتماعهم
واغتصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر
التجارة ويتكاثر البيع والشرى فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله و
المضي الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي
لا شيء انفع منه وذروا البيع الذي نفعه يسير وربحه مقارب **فان قلت** فاذا كان
البيع في هذا الوقت مامورا بتركه محرما فهل هو فاسد **قلت** عامة العلماء على ان ذلك
لا يوجب فساد البيع قالوا لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو
كالصلوة في الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس
انه فاسد ثم اطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلوة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية
باكثار الذكر وان لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه وان تكون هممهم في جميع احوالهم واوقاتهم
موكلة به لا يتفصون عنه لان فلاحهم فيه وفوزهم منوط به وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب
شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد
بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع وعن بعض السلف انه كان يشتغل نفسه
بعد الجمعة بشيء من امور الدنيا نظرا الى هذه الآية روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء
شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلعم يخطب يوم الجمعة فقاموا
اليه خشوا ان يسبقوا اليه فما بقي معه الا يسير قيل ثمانية واحد عشر واثنا عشر واربعون فقال
عليه السلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا

اقبلت

اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وعن قتادة فعلوا ذلك
ثلث مرات في كل مقدم عير **فان قلت** فان اتفق تفرق الناس عن الامام في صلوة
الجمعة كيف يصنع **قلت** ان بقي وحده او مع اقل من ثلثة فعند ابي حنيفة رضي الله عنه
يستانف الظهر اذا نفروا عنه قبل الركوع وعند صاحبيه اذا كبر وهم معه مضى فيها وعند
زفر اذا نفروا قبل التشهد بطلت **فان قلت** كيف قال اليها وقد ذكر شيئين **قلت**
تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه
وكذلك قراءة من قرا انفضوا اليه وقراءة من قرا لهوا او تجارة انفضوا اليها وقري اليهما
عن رسول الله صلعم من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة
وبعدد من لم ياتها في امصار المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم ارادوا بقولهم نشهد انك لرسول الله شهادة
واطات فيها قلوبهم السنتهم فقال الله عز وجل قالوا ذلك والامر كما يدل عليه قولهم انك
لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون في قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطاة او انهم
الكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطاة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة
او اراد والله يشهد انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله
كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه **فان قلت** اي فائدة في قوله والله يعلم انك
لرسوله **قلت** لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان
قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام اتخذوا ايمانهم

الله يعلم انك

محله
امساکیه رمضان المبارک لعرض [illegible]

ليال	ساعت	دقيقه
١	٨	٤١
٢	٨	٤٤
٣	٨	٤٦
٤	٨	٤٩
٥	٨	٥١
٦	٨	٥٤
٧	٨	٥٦
٨	٨	٥٩
٩	٩	١
١٠	٩	٤
١١	٩	٦
١٢	٩	٩
١٣	٩	١١
١٤	٩	١٤
١٥	٩	١٦
١٦	٩	١٩
١٧	٩	٢١
١٨	٩	٢٤
١٩	٩	٢٦
٢٠	٩	٢٩
٢١	٩	٣١
٢٢	٩	٣٤
٢٣	٩	٣٦
٢٤	٩	٣٩
٢٥	٩	٤١
٢٦	٩	٤٤
٢٧	٩	٤٦
٢٨	٩	٤٩
٢٩	٩	٥١
[illegible]	٩	[illegible]

انهم

جنة ويجوز ان يراد ان قولهم نشهد لرسول الله يمين من ايمانهم الكاذبة لان الشهادة تجري
مجرى الحلف فيما يراد من التوكيد يقول الرجل اشهد واشهد بالله واعزم واعزم بالله في
موضع اقسم واولى وبه استشهد ابو حنيفة رضي الله عنه على ان اشهد يمين ويجوز ان يكون
وصفا للمنافقين في استجنانهم بالايمان وقرا الحسن ايمانهم اي ما اظهروه من الايمان بالسنتهم
ويعضده قوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم الناس عن
سبيل الله وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى
قوله ساء ما كانوا يعملون اي ذلك القول الشاهد عليهم بانهم اسوء الناس اعمالا بسبب
انهم امنوا ثم كفروا او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالايمان اي
ذلك كله بسبب انهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فجسروا على كل عظيمة فان قلت
المنافقون لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله امنوا ثم كفروا قلت فيه
ثلاثة اوجه احدها امنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام
ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن
حمير وقولهم في غزوة تبوك ايطمع هذا الرجل ان يفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات
ونحوه قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اي وظهر كفرهم
بعد ان اسلموا ونحوه قوله لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم والثاني امنوا اي نطقوا بالايمان عند
المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين الى قوله
انما نحن مستهزءون والثالث ان يراد اهل الردة منهم وقرى فطبع على قلوبهم وقرا زيد بن
علي رضي الله عنه فطبع الله كان عبد الله بن ابي رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم
من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله فيستندون

فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن فكان النبي ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون
الى كلامهم فان قلت ما معنى قوله كانهم خشب مسندة قلت شبهوا في استنادهم
وما هم الا اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط ولان الخشب اذا
انتفع به كان في سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير
منتفع به اسند الى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع ويجوز ان يراد بالخشب المسندة
الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة
جدواهم والخطاب في رايتهم وتعجبك لرسول الله او لكل من يخاطب وقرى يسمع على
البناء للمفعول وموضع كانهم خشب رفع على هم كانهم خشب او هو كلام مستانف
لا محل له وقرى خشب جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر وخشب كمدرة
ومدر وهي في قراءة ابن عباس وعن اليزيدي انه قال في خشب جمع خشباء والخشباء
الخشبة التي دعر جوفها شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم عليهم ثاني مفعولي يحسبون
اي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم من الرعب
اذا نادى مناد في العسكر او انفلتت دابة او انشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم وقيل كانوا
على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم ومنه اخذ الاخطل
ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تكر عليهم ورجالا يوقف على عليهم ويبتدا هم العدو
اي هم الكاملون في العداوة لان اعدى الاعداء العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت
ضلوعه الداء الدوي فاحذرهم فلا تغترر بظاهرهم ويجوز ان يكون هم العدو المفعول الثاني
كما لو طرحت الضمير فان قلت فحقه ان يقال هي العدو قلت منظور فيه الى
الخبر كما ذكر في هذا ربي وان يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل اهل صيحة فانهم

فألهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم
بذلك أنى يؤفكون كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم لووا رؤسهم عطفوها
وأمالوها إعراضا عن ذلك واستكبارا وقرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير روي أن
رسول الله صلعم حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم
على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر يقود فرسه وسنان الجهني حليف لعبد الله بن أبي و
اقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان بالأنصار فأعان جهجاها جعال من فقراء
المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وأنت هناك وقال ما صحبنا محمدا إلا لنلطم و
الله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن
الأعز منها الأذل عنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم
أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام
لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا أن يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد
فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك
ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فإنما كنت ألعب فأخبر زيد
رسول الله فقال عمر إذن ترعد أنف كثيرة بيثرب قال فإن كرهت أن يقتله مهاجري
فأمر به أنصاريا فقال فكيف إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وقال عليه السلام
لعبد الله أنت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي أنزل عليك الكتاب
ما قلت شيئا من ذلك وإن زيدا لكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا أيمانهم جنة فقال
الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم
وروي أن رسول الله قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله أخطأ سمعك قال لا قال

فلعله

فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت لحق رسول الله زيدا من خلفه فعرك أذنه وقال وفت
أذنك يا غلام إن الله قد صدقك وكذب المنافقين ولما أراد عبد الله أن يدخل المدينة
اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله غير رسول الله اسمه وقال إن حبابا اسم
شيطان وكان مخلصا وقال وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله الأعز وأنا
الأذل فلم يزل حبيسا في يده حتى أمره رسول الله بتخليته وروي أنه قال له لئن لم تقر لله و
رسوله بالعز لأضربن عنقك فقال ويحك أفاعل أنت قال نعم فلما رأى منه الجد قال
أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك
آي شداد فاذهب إلى رسول الله يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتموني أن أومن فآمنت
وأمرتموني أن أزكي مالي فزكيت فما بقي إلا أن أسجد لمحمد فنزلت وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم
رسول الله ولم يلبث إلا أياما قلائل حتى اشتكى ومات سواء عليهم الاستغفار وعدمه
لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعتدون به لكفرهم أو لأن الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت
على حذف حرف الاستفهام لأن أم المعادلة تدل عليه وقرأ أبو جعفر آستغفرت إشباعا
لهمزة الاستفهام للإظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل ألفا كما في آلسحر وآلله ينفضوا
يتفرقوا وقرئ ينفضوا من أنفض القوم إذا فنيت أزوادهم وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزاودهم
ولله خزائن السموات والأرض وبيده الأرزاق والقسم فهو رازقهم منها وإن أبى أهل المدينة
أن ينفقوا عليهم ولكن عبد الله وأضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم
الشيطان وقرئ ليخرجن الأعز منها الأذل بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول
وقرأ الحسن وابن أبي عبلة لنخرجن بالنون ونصب الأعز والأذل ومعناه خروج الأذل
أو إخراج الأذل أو مثل الأذل ولله العزة الغلبة والقوة ولمن أعزه الله وأيده من رسوله و

فقال رسول الله لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا

المومنين وهم المخصا بذلك كما ان المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين و
المنافقين وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة الست على الاسلام وهو العز
الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن على رضى الله عنه ان رجلا
قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الاية لا تلهكم
لا تشغلكم اموالكم والتصرف فيها والسعى في تدبير امرها والتهالك على طلب النماء فيها
بالتجارة والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها ولا اولادكم وسروركم
بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلحهم من معايشهم في حيوتكم وبعد مماتكم و
قد عرفتم قدر منفعة الاموال والاولاد وانه اهون شى وادونه في جنب ما عند الله عن
ذكر الله وايثاره عليها ومن يفعل ذلك يريد الشغل بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون
في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى وقيل ذكر الله الصلوات
الخمس وعن الحسن جميع الفرائض كانه قال عن طاعة الله وقيل القرآن وعن الكلبى الجهاد
مع رسول الله من في مما رزقناكم للتبعيض والمراد الانفاق الواجب من ان ياتى احدكم الموت
من قبل ان يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الامهال ويضيق به الخناق ويتعذر عليه
الانفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض اناملة على فقد ما كان متمكنا منه
ولا يقبل توبة ولا يشفع عمل وعنه ما يمنع احدكم اذا كان له مال ان يزكى واذا اطاق الحج
ان يحج من قبل ان ياتيه الموت فيسال ربه الكرة فلا يعطاها وعنه انها نزلت في مانعى الزكوة
ووالله لو راى خيرا ما سال الرجعة فقيل له اما تتقى الله يسئل المومنون الكرة قال نعم انا
اقرا عليكم به قرآنا يعنى انها نزلت في المومنين وهم المخاطبون بها وكذا عن الحسن ما من احد
لم يزك ولم يصم ولم يحج الا سال الرجعة وعن عكرمة انها نزلت في اهل القبلة لولا اخرتنى و

وقرى

199

وقرى اخرتنى يريد هلا اخرت موتى الى اجل قريب الى زمان قليل فاصدق وقرا ابى فاتصدق
على الاصل وقرى واكن عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتنى اصدق واكن ومن
قرا واكون على النصب فعلى اللفظ وقرا عبيد بن عمير واكون على وانا اكون عدة منه
بالصلاح ولن يوخر الله نفسا نفى للتاخير على وجه التوكيد الذى معناه منافاة المنفى للحكمة
والمعنى انكم اذا علمتم ان تاخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه وانه هاجم لا محالة
وان الله عليم باعمالكم فمجازيكم عليها من منع واجب وغيره لم يبق الا المسارعة الى الخروج عن
عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله وقرى يعملون بالياء والتاء عن رسول الله صلعم
من قرا سورة المنافقين برى من النفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك
لان الملك على الحقيقة له لانه مبدى كل شى ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك
الحمد لان اصول النعم وفروعها منه واما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمد اعتداد
بان نعمة الله جرت على يده هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن يعنى فمنكم آت بالكفر وفاعل
له ومنكم آت بالايمان وفاعل له كقوله وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير
منهم فاسقون والدليل عليه قوله والله بما تعملون بصير اى عالم بكفركم وايمانكم اللذين هما
من عملكم والمعنى هو الذى تفضل عليكم باصل النعم الذى هو الخلق والايجاد عن العدم فكان
يجب ان تنظروا النظر الصحيح وتكونوا باجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم

شيئاً وسرقتم أعمالكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر منهم وقيل
هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهو الدهرية ومنكم مؤمن به **فان قلت** نعم ان العباد هم
الفاعلون للكفر ولكن قد سبق في علم الله الحكيم انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر ولم يختاروا
غيره فما دعاه الى خلقهم مع علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح الا واحد
وهل مثله الا مثل من وهب سيفا باترا لمن شُهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل
به مؤمنا اما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروته كما يذمون القاتل بل
انحاهم باللوائم على الواهب اشد **قلت** قد علمنا ان الله حكيم عالم بقبح القبيح
عالم بغناه عنه فقد علمنا ان افعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب ان
يكون حسنا وان يكون له وجه حسن وخفاء وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه كما لا يقدح
في حسن اكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة الى خلقها بالحق بالغرض الصحيح والحكمة البالغة
وهو ان جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم وصوركم فاحسن صوركم بالكسر ليشكروا واليه وقرى صوركم
مصيركم فيجازيكم على الشكر والتفريط فيه **فان قلت** كيف احسن صورهم **قلت**
جعلهم احسن الحيوان كله وابهاه بدليل ان الانسان لا يتمنى ان تكون صورته على خلاف
ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته انه خلق منتصبا غير منكب كما قال عز وعلا
في احسن تقويم **فان قلت** فكم من دميم مشوه الصور سمج الخلقة تقتحمه العيون **قلت**
لا سماجة ثمة ولكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب فلانحطاط بعض الصور
عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا واضافتها الى الموفي عليها لا تستملح والا فهي داخلة في
في حيز الحسن غير خارجة من حده الا ترى انك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى
الدنيا بها ثم ترى املح واعلى في مراتب الحسن فينبو عن الاولى طرفك وتستثقل النظر

اليها

اليها بعد افتتانك بها وتهالكك عليها وقالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان نبه
بعلمه ما في السموات والارض ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذوات الصدور
ان شيئا من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه ان يتقى ويحذر
ولا يجترا على شيء مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد
قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وانكار ان يعصى الخالق
ولا تشكر نعمته فما اجهل من يمزج الكفر بالخلق ويجعله من جملته والخلق اعظم نعمة من الله
على عباده والكفر اعظم كفران من العباد لربهم الم يأتكم الخطاب لكفار مكة وذلك اشارة
الى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوا في الدنيا وما اعد لهم من العذاب في الاخرة بانه بان الشان
والحديث كانت تاتيهم رسلهم ابشر يهدوننا انكروا ان تكون الرسل بشرا ولم ينكروا
ان يكون الله حجرا واستغنى الله اطلق ليتناول كل شيء ومن جملته ايمانهم وطاعتهم
فان قلت قوله وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولي والاستغناء معا والله تعالى
لم يزل غنيا **قلت** معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم
اليه مع قدرته على ذلك الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه السلام زعموا مطية الكذب وعن
شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى الى المفعولين تعدي العلم قال ولم
ازعمك عن ذاك معزلا وان مع ما في حيزه قائم مقامهما والذين كفروا اهل مكة وبلى اثبات
لما بعد لن وهو البعث وذلك على الله يسير اي لا يصرفه عنه صارف وعني برسوله والنور
محمدا صلعم والقران وقرى نجمعكم ونكفر وندخله بالياء والنون **فان قلت**
بم انتصب الظرف **قلت** بقوله لتنبؤن او بخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل
والله معاقبكم يوم يجمعكم او باضمار اذكر ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والاخرون التغابن

مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل
الاشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء التي كانوا ينزلونها لو
كانوا اشقياء وفيه تهكم بالاشقياء لان نزولهم ليس بغبن وفي حديث رسول الله صلعم
ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد
يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة ومعنى ذلك يوم التغابن
وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام وان تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن
في امور الدنيا وان جلت وعظمت صالحا صفة للمصدر اي عملا صالحا الا باذن الله الا بتقديره
ومشيئته كانه اذن للمصيبة ان تصيبه يهد قلبه يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير
وقيل هو الاسترجاع عند المصيبة وعن مجاهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه الضحاك
وما اخطاه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلى صبر وان اعطى شكر وان ظلم غفر و
قرئ يهد قلبه على البناء للمفعول والقلب مرفوع او منصوب ووجه النصب ان يكون
مثل سفه نفسه اي يهد في قلبه ويجوز ان يكون المعنى ان الكافر ضال عن قلبه بعيد
عنه والمؤمن واجد له مهتد اليه كقوله لمن كان له قلب وقرئ نهد قلبه بالنون ويهدا
قلبه بمعنى يهتدي ويهدا قلبه يطمئن ويهدا ويهدي على التخفيف والله بكل شيء عليم يعلم
ما يؤثر فيه اللطف من القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه ويمنعه فان توليتم فلا عليه اذا توليتم
لانه لم يكتب عليه طاعتكم انما كتب عليه ان يبلغ ويبين فحسب وعلى الله فليتوكل المؤمنون
بعث لرسول الله على التوكل عليه والتقوي به في امره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه ان
من الازواج ازواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم ومن الاولاد اولادا يعادون
اباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والاذى فاحذروهم الضمير للعدو او للازواج والاولاد جميعا

اي

اي لما علمتم ان هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تامنوا غوائلهم وشرهم
وان تعفوا عنهم اذا اطلعتم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها فان الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر
عنكم وقيل ان ناسا ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون و
تضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك وراوا الذين سبقوهم قد فقهوا في
الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون
بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما
هاجروا منعوهم الخير فحثوا ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة وقيل كان عوف
بن مالك الاشجعي ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو تعلقوا به وبكوا اليه ورققوه
فكانه هم باذاهم فنزلت فتنة بلاء ومحنة لانهم يوقعون في الاثم والعقوبة ولا بلاء اعظم
منهما الا ترى الى قوله والله عنده اجر عظيم وفي الحديث يؤتى برجل يوم القيامة فيقال
اكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبي صلعم انه كان يخطب
فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يعثران ويقومان فنزل اليهما فاخذهما
ووضعهما في حجره على المنبر فقال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة رايت هذين الصبيين
فلم اصبر عنهما ثم اخذ في خطبته وقيل اذا امكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتنكم الميل الى الاموال
والاولاد عنهما ما استطعتم جهدكم ووسعكم اي ابذلوا فيها استطاعتكم واسمعوا ما توعظون
به واطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه وانفقوا في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها
خيرا لانفسكم نصب بمحذوف تقديره ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهذا
تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد
وما انتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا وذكر القرض تلطف في الاستدعاء

يضاعفه لكم يكتب لكم بالواحدة عشراً او سبعمائة الى ما شاء من الزيادة وروي يضعفه
شكور مجازٍ اي يفعل بكم ما يفعل المبالغ في الشكر من عظيم الثواب وكذا حليم يفعل
بكم ما يفعل من يحلم عن المسيء فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم عن رسول الله صلعم
من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة

سورة الطلاق وهي مدنية احدى عشرة او اثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم خص النبي صلعم بالنداء وعم بالخطاب لان النبي امام
امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهاراً لتقدمه
واعتباراً لترؤسه وانه مدرة قومه ولسانهم والذي يصدرون عن رايه ولا يستبدون
بامر دونه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم ومعنى اذا طلقتم النساء
اذا اردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع
فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشي الى الصلوة والمنتظر
لها في حكم المصلي فطلقوهن لعدتهن فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقولك اتيته
لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها وفي قراءة رسول الله صلعم في قبل عدتهن واذا
طلقت المرأة في الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد
ان يطلقن في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله
في السنة وابعده من الندم ويدل عليه ما روي عن النخعي ان اصحاب رسول الله كانوا
يستحبون ان لا يطلقوا للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان
احسن عندهم من ان يطلق الرجل ثلاثا في ثلثة اطهار وقال مالك بن انس لا اعرف طلاق

السنة

السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت او متفرقة واما ابو حنيفة واصحابه فانما
كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد فاما مفرقا في الاطهار فلا لما روي عن النبي صلعم
انه قال لابن عمر حين طلق امراته وهي حائض ما هكذا امرك الله انما السنة ان تستقبل الطهر
استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة وروي انه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها
حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء وعند الشافعي لا باس بارسال الثلث وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة
وهو مباح فمالك يراعي في السنة الواحدة والوقت وابو حنيفة يراعي التفريق والوقت
والشافعي يراعي الوقت وحده **فان قلت** هل يقع الطلاق المخالف للسنة **قلت**
نعم وهو آثم لما روي عن النبي صلعم ان رجلا طلق امراته ثلاثا بين يديه فقال اتلعبون بكتاب
الله وانا بين اظهركم وفي حديث ابن عمر انه قال يا رسول الله ارايت لو طلقتها ثلاثا فقال
له اذن عصيت وبانت منك امراتك وعن عمر رضي الله عنه انه كان لا يؤتى برجل طلق
امراته ثلاثا الا اوجعه ضربا واجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين
ان من خالف السنة في الطلاق فاوقعه في حيض او ثلث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق
السنة فخالف **فان قلت** كيف تطلق للسنة التي لا تحيض لصغر او كبر او حمل وغير
المدخول بها **قلت** الصغيرة والآيسة والحامل كلهن عند ابي حنيفة وابي يوسف
يفرق عليهن الثلث في الاشهر وخالفهما محمد وزفر في الحامل فقالا لا تطلق للسنة الا
واحدة واما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة الا واحدة ولا يراعى الوقت **فان قلت**
هل يكره ان تطلق المدخول بها واحدة بائنة **قلت** اختلفت الرواية فيه عن اصحابنا
والظاهر الكراهة **فان قلت** قوله اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير

المدخول بهن من ذوات الاقراء والآيسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه
بذوات الاقراء المدخول بهن قلت لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس
للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي بعضهن فجاز ان يراد بالنساء
هذا وذاك فلما قيل وطلقوهن لعدتهن علم انه اطلق على بعضهن وهن المدخول بهن
من المعتدات بالحيض واحصوا العدة واضبطوها بالحفظ واكملوها ثلثة اقراء مستقلات
كوامل لا نقصان فيهن ولا تخرجوهن حتى تنقضي عدتهن من بيوتهن من مساكنهن التي
يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى
فان قلت ما معنى الجمع بين اخراجهم وخروجهن قلت معنى الاخراج ان لا يخرجهن
البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن او لحاجة لهم الى المساكن وان لا ياذنوا لهن
في الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لا اثر له في رفع الحظر ولا يخرجن بانفسهن ان
اردن ذلك الا ان ياتين بفاحشة مبينة قرئ بفتح الياء وكسرها قيل هي الزنا يعني الا
ان يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يطلقن على النشوز والنشوز يسقط
حقها في السكنى وقيل الا ان يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن وتوكده قراءة ابي الا ان يفحشن
عليكم وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه لا امر الذي يحدثه الله ان يقلب
قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم
عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون
فاذا بلغن اجلهن وهو اخر العدة وشارفنه فانتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف
والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو ان يراجعها في اخر
عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها واشهدوا يعني عند الرجعة والفرقة جميعا

وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي هو
واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وقيل فائدة الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد
وان لا يتهم في امساكها ولئلا يموت احدهما فيدعي الاخر ثبوت الزوجية ليرث منكم قال
الحسن من المسلمين وعن قتادة من احراركم لله لوجهه خالصا وذلك ان تقيموها
لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الظلم
كقوله قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم اي ذلك الحث على اقامة الشهادة لوجه الله
ولاجل القيام بالقسط لما سبق من اجراء امر الطلاق على السنة وطريقه الاحسن والابعد
من الندم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها
من مسكنها واحتاط فاشهد يجعل الله له مخرجا مما في شان الازواج من الغموم والوقوع
في المضايق ويفرج عنه وينفس ويعطه الخلاص ويرزقه من وجه لا يخطره بباله والحسبة
ان اوفى المهر وادى الحقوق والنفقات وقل ماله وعن النبي صلعم انه سئل عمن طلق ثلاثا
او الفا هل له من مخرج فتلاها وعن ابن عباس انه سئل عن ذلك فقال لم تتق الله فلم
يجعل لك مخرجا بانت منك بثلاث والزيادة اثم في عنقك ويجوز ان يجاء بها على سبيل
الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعني ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من
غموم الدنيا والاخرة وعن النبي صلعم انه قراها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن
غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال عليه السلم اني لاعلم اية لو اخذ الناس
بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقراها ويعيدها وروي ان عوف بن مالك الاشجعي اسر
المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله فقال اسر ابني وشكا اليه الفاقة فقال ما امسى
عند آل محمد الا مد فاتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل

يوعظ به ومن يتق الله يجعل له مخرجا
اعتراضيه موكده صح

فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها
فنزلت هذه الآية بالغ امره اي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ بالغ
امره بالاضافة وبالغ امره بالرفع اي نافذ امره وقرأ المفضل بالغا امره على ان قوله قد
جعل الله خبر ان وبالغا حال قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله
وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق
الا التسليم للقدر والتوكل روي ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائي
لا يحضن فنزلت نحو ان ارتبتم ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن
وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين اهو دم
حيض او استحاضة فعدتهن ثلاثة اشهر واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب
بها اولى بذلك واللائي لم يحضن هن الصغائر والمعنى فعدتهن ثلاثة اشهر فحذف لدلالة
المذكور عليه اللفظ مطلق في اولات الاحمال فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن و
كان ابن مسعود وابي وابو هريرة وغيرهم لا يفرقون وعن علي وابن عباس عدة الحامل المتوفى
عنها ابعد الاجلين وعن عبد الله من شاء لاعنته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي
في البقرة يعني ان هذا اللفظ مطلق في الحوامل وروت ام سلمة ان سبيعة الاسلمية ولدت
بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلعم فقال لها قد حللت فانكحي
يجعل له من امره يسرا ييسر له من امره ويحلل له من عقده بسبب التقوى ذلك امر الله
يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات والمعنى ومن يتق الله في العمل بما انزل الله من هذه الاحكام
ويحافظ على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر من الاسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل
وايتاء اجر المرضعات وغير ذلك استوجب تكفير السيئات والاجر العظيم اسكنوهن

وما بعده شان ما شرط من التقوى في قوله ومن يتق الله كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في
شان المعتدات فقيل اسكنوهن فان قلت من في من حيث سكنتم ما هي قلت
هي من التبعيضية مبعضها محذوف معناه اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اي بعض
مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من ابصارهم اي بعض ابصارهم قال قتادة ان لم يكن الا
بيت فاسكنها في بعض جوانبه فان قلت فقوله من وجدكم قلت هو عطف بيان
لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد
الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والسكنى والنفقة واجبتان لكل مطلقة وعند
مالك والشافعي ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة لها وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا
سكنى لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها ابت طلاقها فقال رسول الله لا سكنى لك ولا
نفقة وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امراة لعلها نسيت
او شبه لها سمعت النبي صلعم يقول لها السكنى والنفقة ولا تضاروهن ولا تستعملوا معهن
الضرار لتضيقوا عليهن في المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهن او بشغل
مكانهن او غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج وقيل هو ان يراجعها اذا بقي من عدتها
يومان ليضيق عليها امرها وقيل هو ان يلجئها الى ان تفتدي منه فان قلت فاذا كانت
كل مطلقة عندكم تجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله وان كن اولات حمل فانفقوا
عليهن قلت فائدته ان مدة الحمل ربما طالت فظن ظان ان النفقة تسقط اذا
مضى مقدار عدة الحائل فنفى ذلك الوهم فان قلت فما تقول في الحامل المتوفى عنها
قلت هي مختلف فيها فاكثرهم على انه لا نفقة لها لوقوع الاجماع على ان من اجبر الرجل
على النفقة عليه من امراة او ولد صغير لا يجب ان ينفق عليه من ماله بعد موته فكذلك

الحامل وعن علي وعبد الله وجماعة انهم اوجبوا نفقتها فان ارضعن لكم يعني هولاء
المطلقات ان ارضعن لكم ولدا من غيرهن او منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية فاتوهن
اجورهن حكمهن في ذلك حكم الاظآر ولا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه الاستيجار اذا
كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي الايتمار بمعنى التامر كالاشتوار بمعنى التشاور
يقال ايتمر القوم وتامروا اذا امر بعضهم بعضا والمعنى وليامر بعضكم بعضا والخطاب
للاباء والامهات بمعروف بجميل وهو المسامحة وان لا يماكس الاب ولا يعاسر الام لانه
ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه وان تعاسرتم فسترضع له اخرى
فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الام ترضعه وفيه طرف من معاتبة الام على المعاسرة كما
تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية وانت
ملوم وقوله له اي للاب اي سيجد الاب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته امه لينفق
كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما امر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات
كما قال ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقرئ لينفق وقرأ ابن ابي عبلة
قدر سيجعل الله موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح ابواب الرزق عليهم او لفقراء الازواج
ان انفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا عتت عن امر ربها اعرضت عنه على وجه العتو والعناد
حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة عذابا نكرا وقرئ نكرا منكرا عظيما والمراد
حساب الاخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضي
كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونحو ذلك لان المنتظر من وعد الله
ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكان قد كان وقوله اعد الله لهم عذابا شديدا
تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كانه قال اعد الله لهم هذا العذاب فليكن لكم ذلك

يا

يا اولي الالباب من المومنين لطفا في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز ان يراد احصاء
السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا واثباتها في صحائف الحفظة وما اصيبوا به
من العذاب في العاجل وان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا
لكاين رسولا هو جبريل صلوات الله عليه ابدل من ذكرا لانه وصف بتلاوة ايات الله
وكان انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه او اريد بالذكر الشرف من قوله وانه
لذكر لك ولقومك فابدل منه كانه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه
ذو مجد وشرف عند الله كقوله عند ذي العرش مكين او جعل لكثرة ذكره الله وعبادته
كانه ذكر او اريد ذا ذكر اي ملكا مذكورا في السموات وفي الامم كلها او دل قوله انزل الله اليكم
ذكرا على ارسل فكانه قيل ارسل رسولا او اعمل ذكرا في رسولا اعمال المصدر في المفاعيل
اي انزل الله ان ذكر رسولا او ذكره رسولا وقرئ رسول على هو رسول ليخرج الذين
آمنوا بعد انزاله اي ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح لانهم كانوا وقت
انزاله غير مومنين وانما آمنوا بعد الانزال والتبليغ او ليخرج الذين عرف منهم انهم يومنون
قرئ يدخله بالياء والنون قد احسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المومنين
من الثواب الله الذي خلق مبتدأ وخبر وقرئ مثلهن بالنصب عطفا على سبع سموات
وبالرفع على الابتداء وخبره من الارض قيل ما في القرآن آية تدل على ان الارضين سبع
الا هذه وقيل بين كل سماوين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل
السموات يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن وعن قتادة في
كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن
من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر وعن ابن عباس ان نافع بن الازرق ساله هل تحت

الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن يعملون قرئ بالتاء والياء عن
رسول الله صلعم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلعم

سورة التحريم مدنية وتسمى سورة النبي وهي اثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم روي ان رسول الله صلعم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت
بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر
وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في
يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا و
عشرين ليلة في بيت مارية وروي ان عمر قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك فنزل
جبرئيل وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي انه
شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم
منك ريح المغافير وكان يكره رسول الله صلعم التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل الله
لك من ملك اليمين او من العسل وتبتغي اما تفسير لتحرم او حال او استيناف وكان هذا
زلة منه لانه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله لان الله عز وجل انما احل ما احل لحكمة ومصلحة
عرفها في احلاله فاذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة والله غفور قد غفر لك ما زللت
فيه رحيم قد رحمك فلم يؤاخذك به قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فيه معنيان احدهما قد
شرع الله لكم الاستثناء في ايمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها ومنه حلا ابيت
اللعن يعني استثن في يمينك اذا اطلقتها وذلك ان يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث
والثاني قد شرع لكم تحليلها بالكفارة ومنه قوله عليه السلام لا يموت لرجل ثلثة اولاد فتمسه النار

الا تحلة القسم وقوله دعي الرقة قليلا كالتحليل الالي فان قلت ما حكم تحريم الحلال
قلت قد اختلف فيه فابو حنيفة يراه يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما
يحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله او امة فعلى وطيها او زوجة فعلى الايلاء منها اذا
لم يكن له نية وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق باين وكذلك ان نوى
ثنتين وان ثلثا فكما نوى وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله تعالى ولا يدين في
القضاء بابطال الايلاء وان قال كل حلال علي حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا
فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهن وان نوى الطلاق
فهو رجعي عنده وعن ابي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضي الله عنهم ان الحرام
يمين وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي رضي الله عنه ثلاث وعن زيد
واحدة باينة وعن عثمان رضي الله عنه ظهار وكان مسروق لا يراه شيئا ويقول
ما ابالي احرمتها ام قصعة من ثريد وكذلك عن الشعبي قال ليس بشيء محتجا بقوله
تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وقوله لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم وما لم يحرمه الله فليس لاحد ان يحرمه ولا ان يصير بتحريمه حراما ولم يثبت
عن رسول الله صلعم انه قال لما احله الله هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت
منه وهو قوله والله لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب
اليمين يعني اقدم على ما حلفت عليه وكفر عن يمينك ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع
اي منعناه منها وظاهر قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم انه كانت منه يمين فان قلت
هل كفر رسول الله صلعم لذلك قلت عن الحسن انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر وانما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل ان رسول الله صلعم اعتق رقبة في تحريم

مارية والله موليكم سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم فلا يأمركم
ولا ينهاكم الا بما توجبه الحكمة وقيل موليكم اولى بكم من انفسكم وكانت نصيحته انفع لكم من
نصائحكم لانفسكم بعض ازواجه حفصة والحديث الذي اسر اليها حديث مارية وامامة
الشيخين نبأت به افشته الى عائشة وقرئ انبأت به واظهره اطلع النبي عليه السلم عليه
على الحديث اي على افشائه على لسان جبريل وقيل اظهر الله الحديث على النبي من الظهور
عرف بعضه اعلم ببعض الحديث تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام وقرئ
عرف بعضه جازى عليه من قولك للمسيء لاعرفن لك ذلك وقد عرفت ما صنعت ومنه
اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير في القرآن وكان جزاؤه تطليقه اياها وقيل المعرف
حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروي انه قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت
والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها اباها **فان قلت** هلا قيل
فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه **قلت** ليس الغرض بيان من المذاع اليه ومن المعرف
وانما هو ذكر جناية حفصة في وجود الانباء به وافشائه من قبلها وان رسول الله صلعم بكرمه
وحلمه لم يوجد منه الا الاعلام ببعضه وهو حديث الامامة الا ترى انه لما كان المقصود في قوله
فلما نبأها به قالت من انبأك هذا ذكر المنبأ كيف اتي بضميره ان تتوبا خطاب لحفصة و
عائشة على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في معاتبتهما وعن ابن عباس لم ازل حريصا على ان
اسال عمر عنهما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة
فسكبت الماء على يده فتوضأ فقلت من هما فقال عجبا يا ابن عباس كانه كره ما سألته عنه ثم قال
هما حفصة وعائشة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن
الواجب في مخالصة رسول الله من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرأ ابن مسعود فقد زاغت

وان

وان تظاهرا وان تعاونا عليه بما يسوؤه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فلن يعدم هو من يظاهره
وكيف يعدم المظاهر من الله مولاه اي وليه وناصره وزيادة هو ايذان بان نصرته عزيمة
من عزائمه وانه يتولى ذلك بذاته وجبريل رأس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفردا
له من الملائكة تعظيما له واظهارا لمكانته عنده وصالح المؤمنين ومن صلح من المؤمنين يعني
كل من آمن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير من برئ منهم من النفاق وقيل الانبياء وقيل
الصحابة وقيل الخلفاء منهم **فان قلت** صالح المؤمنين واحد ام جمع **قلت** هو واحد
اريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لا يفعله من صلح منهم
ومثله قولك كنت في السامر والحاضر ويجوز ان يكون صالحوا المؤمنين بالواو فكتب بغير
واو على اللفظ لان لفظ الواحد والجمع فيه واحد كما جاءت اشياء في المصحف متبع
فيها حكم اللفظ دون وضع الخط والملائكة على تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم
بعد ذلك بعد نصرة الله وناموسه وصالحي المؤمنين ظهير فوج مظاهر له كانهم يد واحدة
على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه **فان قلت** قوله بعد ذلك
تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ونصرة الله
اعظم واعظم **قلت** مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله فكأنه فضل نصرته بهم وبمظاهرتهم نهم
على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم على جميع خلقه وقرئ تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا وقرئ
يبدله بالتخفيف والتشديد للكثرة مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات سائحات
صائمات وقرئ سيحات وهي ابلغ وقيل للصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا
الى ان يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في امساكه الى ان يجيء وقت افطاره وقيل سائحات مهاجرات
وعن زيد بن اسلم لم تكن في هذه الامة سياحة الا الهجرة **فان قلت** كيف تكون المبدلات

خيرا منهن ولم تكن على وجه الارض نساء خير من امهات المومنين **قلت** اذا طلقهن
رسول الله لعصيانهن له وايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات
بهذه الاوصاف مع الطاعة لرسول الله والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض
بذلك في قوله قانتات لان القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله
فان قلت لم اخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والابكار
قلت لانهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في ساير الصفات فلم يكن
بد من الواو قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بان تاخذوهم بما تاخذون
انفسكم وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلوتكم صيامكم زكوتكم مسكينكم جيرانكم
لعل الله يجمعكم معهم في الجنة وقيل ان اشد الناس عذابا يوم من جهل اهله وقرئ واهلوكم القامه
عطفا على واو قوا وحسن العطف للفاصل **فان قلت** اليس التقدير قوا انفسكم وليق
اهلوكم انفسهم **قلت** لا ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وانفسكم واقع بعده
فكانه قيل قوا انتم واهلوكم انفسكم لما جمعت مع المخاطب الغايب غلبته عليه فجعلت ضميرهما
معا على لفظ المخاطب نارا وقودها الناس والحجارة نوعا من النار لا تتقد الا بالناس والحجارة
كما تتقد غيرها من النيران بالحطب وعن ابن عباس هي حجارة الكبريت وهي اشد الاشياء
حرا اذا اوقد عليها وقرئ وُقودها بالضم اي ذو وُقودها عليها يلي امرها وتعذيب اهلها
ملئكة يعني الزبانية التسعة عشر واعوانهم غلاظ شداد في اجرامهم غلظة وشدة اي جفاء
وقوة او في افعالهم جفاء وخشونة لا تاخذهم رافة في تنفيذ اوامر الله والغضب له والانتقام من
اعدائه ما امرهم في محل النصب على البدل اي لا يعصون ما امر الله اي امره كقوله افعصيت امري
او لا يعصونه فيما امرهم **فان قلت** اليست الجملتان في معنى واحد **قلت** لا فان معنى

الاولى

الاولى انهم يتقبلون اوامره ويلتزمونها ولا يابونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية انهم يودون
ما يومرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه **فان قلت** قد خاطب الله المشركين
المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة وقال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته به
للمومنين **قلت** الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مساكنو
الكفار في دار واحدة فقيل للذين آمنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين
اعدت لهم هذه النار الموصوفة ويجوز ان يامرهم بالتوقي من الارتداد والندم على الدخول
في الاسلام وان يكون خطابا للذين آمنوا بالسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك قوله على
اثره يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك
عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم او لانه لا ينفعكم الاعتذار توبة نصوحا وصف
التوبة بالنصح على الاسناد المجازي والنصح صفة التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم
فياتوا بها على طريقها متداركة للفرطات ماحية للسيئات وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها
نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون في قبيح من القبايح
الى ان يعود اللبن في الضرع موطنين انفسهم على ذلك وعن علي رضي الله عنه انه سمع اعرابيا
يقول اللهم اني استغفرك واتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة
الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض
الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة الله
كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن حذيفة بحسب
الرجل من الشر ان يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز

في السيف واحرق بالنار وعن ابن السماك ان تنصب الذنب الذي اقللت فيه الحيا من الله
امام عينك وتستعد لمنتظرك وقيل توبة لا يتاب منها وعن السدي لا تصح التوبة
الا بنصيحة النفس والمومنين لان من صحت توبته احب ان يكون الناس مثله وقيل نصوحا
من نصاحة الثوب اي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم
عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها
لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها وقرا زيد بن علي
رضي الله عنه توبا نصوحا وقرى نصوحا بالضم وهو مصدر نصح والنصح والنصوح
كالشكر والشكور والكفر والكفور اي ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا لنصح انفسكم
على انه مفعول له عسى ربكم اطماع من الله لعباده وفيه وجهان احدهما ان يكون على ما جرت عليه
عادة الجبابرة من الاجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت والثاني ان يجي
به تعليما للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجا والذي يدل على المعنى الاول وانه في معنى
البت قراءة ابن ابي عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا على محل عسى ان يكفر كانه قيل توبوا يوجب
تكفير سياتكم ويدخلكم يوم لا يخزي الله نصب بيدخلكم ولا يخزي تعريض بمن اخزاهم الله
من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم يسعى نورهم
على الصراط اتمم لنا نورنا قال ابن عباس يقولون ذلك اذا طفي نور المنافقين اشفاقا وعن
الحسن الله متممه لهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل
يقوله ادناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما يبصرون مواطي اقدامهم لان النور على قدر
الاعمال فيسالون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم
كالريح وبعضهم حبوا وزحفا واولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا فان قلت كيف

والمومنون آمنون امن ياتي آمنا يوم القيامة لا خوف عليهم لا يحزنهم الفزع الاكبر
كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب قلت اما الاشفاق فيجوز ان يكون على
عادة البشرية وان كانوا معتقدين للامن واما التقرب فلما كانت حالهم كحال المتقربين حيث
يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالاحتجاج
واستعمل الغلظة والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وعن قتادة
مجاهدة المنافقين باقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بافشاء اسرارهم مثل الله
عز وجل حال الكفار في انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمومنين معاقبة مثلهم من غير ابقاء
ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب او وصلة صهر لان
عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم ابعد من الاجانب وابعد
وان كان المومن الذي يتصل به الكافر نبيا من انبياء الله بحال امراة نوح وامراة لوط
لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج اغناء
ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما او يوم القيمة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا
وصلة بينهم وبين الانبياء او مع داخليها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط ومثل حال المومنين
في ان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امراة فرعون
ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة اعدى اعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنة عمران
وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا
وفي طي هذين التمثيلين تعريض بامي المومنين المذكورتين في اول السورة وما فرط منهما من
التظاهر على رسول الله بما كرهه وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده لما في التمثيل من ذكر
الكفر ونحوه في التغليظ قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين واشارة الى ان من حقهما

ان يكونا في الاخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين وان لا تتكلا على انهما زوجا رسول الله
فان ذلك الفضل لا ينفعهما الا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة ارجح لان امراة
لوط افشت عليه كما افشت حفصة على رسول الله واسرار التنزيل ورموزه في كل باب
بالغة من اللطف والخفاء حدا تدق عن تفطن العالم وتزل عن تبصره فان قلت
ما فائدة قوله من عبادنا قلت لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح في الانسان كائنا
من كان وانه وحده هو الذي يبلغ به الفوز وينال ما عند الله قال عبدين من عبادنا
صالحين فذكر النبيين المشهورين العلمين بانهما عبدان لم يكونا الا كسائر عبادنا من غير تفاوت
بينهما وبينهم الا بالصلاح وحده اظهارا وابانة لان عبدا من العباد لا يرجح عنده الا بالصلاح
لا غير وان ما سواه مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده فان قلت
ما كانت خيانتهما قلت نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامراة
نوح قالت لقومه انه لمجنون وامراة لوط دلت على ضيفانه ولا يجوز ان يراد بالخيانة
الفجور لانه سمج في الطباع نقيصة عند كل احد بخلاف الكفر فان الكفار لا يستسمجونه
بل يستحسنونه ويسمونه حقا وعن ابن عباس ما بغت امراة نبي قط وامراة فرعون
آسية بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى عليه السلم امنت حين سمعت بتلقف عصا موسى
الافك فعذبها فرعون عن ابي هريرة ان فرعون وتد امراته باربعة اوتاد واستقبل بها
الشمس واضجعها على ظهرها ووضع رحا على صدرها وقيل امر بان تلقى عليها صخرة عظيمة
فدعت الله فرقي بروحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن فنجاها الله اكرم
نجاة فرفعها الى الجنة فهي تاكل وتشرب وتتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا
في الجنة اريت بيتها في الجنة يبنى وقيل انه من درة وقيل كانت تعذب في الشمس فتظلها الملائكة

فان قلت ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة قلت طلبت القرب من رحمة الله والبعد من
عذاب اعدائه ثم بينت مكان القرب بقولها في الجنة او ارادت ارتفاع الدرجة في الجنة
وان تكون جنتها من الجنان التي هي اقرب الى العرش وهي جنات المأوى فعبرت عن القرب
الى العرش بقولها عندك من فرعون وعمله من عمل فرعون او من نفس فرعون الخبيثة
وسلطانه الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة الاصنام والظلم والتعذيب بغير
جرم ونجني من القوم الظالمين من القبط كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء
اليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء والمرسلين فافتح
بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فيه في الفرج
وقرأ ابن مسعود فيها كما قرئ في سورة الانبياء والضمير للجملة وقد مر لي في هذا الظرف كلام و
من بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع ومعنى احصنته منعته جبريل وانه جمع في التمثيل
بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن وصدقت قرئ بالتشديد
وبالتخفيف على انها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق
بعينه فان قلت فما كلمات الله وكتبه قلت يجوز ان يراد بكلماته صحفه التي انزلها
على ادريس وغيره سماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة وان يراد جميع ما كلم الله به ملائكته
وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى وبالكتاب المنزل
عليه وهو الانجيل فان قلت لم قيل من القانتين على التذكير قلت لان القنوت صفة
تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز ان يكون لابتداء
الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هارون اخي موسى صلوات الله عليهما وعن
النبي عليه كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امراة فرعون و

ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء
كفضل الثريد على سائر الطعام وأما ما روي أن عائشة سألت رسول الله كيف سمى الله
المسلمة يعني مريم ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها قالت وما اسمها قال اسم امرأة نوح
واعلة واسم امرأة لوط واهلة فحديث أثر الصنعة عليه ظاهر بين ولقد سمى الله جماعة
من الكفار بأسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمى آسية وقد قرن
بينها وبين مريم في التمثيل للمؤمنين وأبى الله إلا أن يجعل للمصنوع أمارة تنم عليه وكلام
رسول الله أحكم وأسلم من ذلك عن رسول الله صلعم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك مكية وهي ثلثون آية وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقي وتنجي قارئها من عذاب النار

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك تعالى وتعاظم
عن صفات المخلوقين الذي بيده الملك على كل موجود وهو على كل ما لم يوجد مما يدخل
تحت القدرة قدير وذكر اليد مجاز عن الإحاطة بالملك والاستيلاء عليه والحياة ما يصح
بوجوده الإحساس وقيل ما يوجب كون الشيء حيا وهو الذي يصح منه أن يعلم ويقدر والموت
عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحياة إيجاد ذلك المصحح وإعدامه والمعنى خلق موتكم
وحياتكم أيها المكلفون ليبلوكم وسمى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة
من فعل المختبر فإن قلت من أين تعلق قوله أيكم أحسن عملا بفعل البلوى قلت من حيث

انه

انه تضمن معنى العلم فكأنه قيل ليعلمكم أيكم أحسن عملا وإذا قلت علمته أزيد أحسن عملا
أم هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو أحسن عملا
فإن قلت أتسمي هذا تعليقا قلت لا إنما التعليق أن توقع بعده ما يسد
مسد المفعولين جميعا كقولك علمت أيهما عمرو وعلمت أزيد منطلق ألا ترى أنه لا فصل
بعد سبق أحد المفعولين بين أن يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان
تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت أزيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا
أحسن عملا قيل أخلصه وأصوبه لأنه إذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك إذا
كان صوابا غير خالص فالخالص أن يكون لوجه الله والصواب أن يكون على السنة وعن
النبي صلعم أنه تلاها فلما بلغ قوله أيكم أحسن عملا قال أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم
الله وأسرع في طاعة الله يعني أيكم أتم عقلا عن الله وفهما لأغراضه والمراد أنه أعطاكم الحياة
التي تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم إلى اختيار
العمل الحسن على القبيح لأن وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت على الحياة
لأن أقوى الناس داعيا إلى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لأنه فيما يرجع إلى الغرض
المسوق له الآية أهم وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل الغفور لمن تاب من
أهل الإساءة طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل إذا خصفها طبقا على طبق
وهذا وصف بالمصدر أو على ذات طباق أو على طوبقت طباقا من تفاوت وقرئ من
تفوت ومعنى البناءين واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهدته وتعهدته
أي من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض إنما هي مستوية مستقيمة وحقيقة
التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت

وفي بعضه متناسب فان قلت كيف موقع هذه الجملة مما قبلها قلت هي صفة مشايعة لقوله طباقا
واصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن
وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذي
يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب في ما ترى للرسول او لكل مخاطب وقوله فارجع
البصر متعلق به على معنى التسبيب اخبره بانه لا تفاوت في خلقهن ثم قال فارجع البصر
حتى يصح عندك ما اخبرت به بالمعاينة ولا تبقى معك شبهة فيه هل ترى من فطور من
صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال
شق وبزل ومعناه شق اللحم فطلع وامر بتكرير البصر فيهن متصفحا ومتتبعا يتلمس عيبا
وخللا ينقلب اليك اي ان رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع اليك بصرك بما
التمسته من رؤية الخلل وادراك العيب بل يرجع اليك بالخسوء والحسور اي بالبعد عن
اصابة الملتمس كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وبالاعياء والكلال لطول
الاجالة والترديد فان قلت كيف ينقلب البصر خاسئا حسيرا برجعه كرتين اثنتين
قلت معنى التثنية التكرير بكثرة كقولهم لبيك وسعديك تريد اجابات كثيرة بعضها
في اثر بعض وقولهم في المثل دهدرين سعد القين من ذلك اي باطلا بعد باطل فان قلت
فما معنى ثم ارجع قلت امره برجع البصر ثم امره بان لا يقتنع بالرجعة الاولى وبالنظرة الحمقاء
وان يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاود ويعاود الى ان يحسر بصره من طول المعاودة فانه
لا يعثر على شيء من فطور الدنيا القربى لانها اقرب السموات الى الناس ومعناها السماء الدنيا منكم و
المصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم باثقاب المصابيح
فقيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح اي باي مصابيح لا توازيها مصابيحكم

اضاءة وضممنا الى ذلك منافع اخر انا جعلناها رجوما لاعدائكم الشياطين الذين يخرجونكم
من النور الى الظلمات وتهتدون بها في ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله النجوم
لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد
تكلف ما لا علم له به وعن محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض في السماء نجم ولكن
يتبعون الكهانة ويتخذون النجوم علة والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به و
معنى كونها مراجم للشياطين ان الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من
نار الكواكب لا انهم يرجمون بالكواكب انفسها لانها قارة في الفلك على حالها وما ذاك الا
كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله
الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس
وهم المنجمون واعتدنا لهم عذاب السعير في الاخرة بعد عذاب الاحراق بالشهب وللذين
كفروا بربهم اي ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم ليس الشياطين
المرجومون مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير
اذا القوا فيها اي طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى به ومثله قوله تعالى
حصب جهنم سمعوا لها شهيقا اما لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها او من انفسهم كقوله
لهم فيها زفير وشهيق واما للنار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق وهي تفور تغلي
بهم غليان المرجل بما فيه وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون
فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة في الارض وشقة
في السماء اذا وصفوه بالافراط فيه ويجوز ان يراد غيظ الزبانية الم يأتكم نذير توبيخ يزدادون
به عذابا الى عذابهم وحسرة الى حسرتهم وخزنتها مالك واعوانه من الزبانية قالوا بلى

ارادة

اعتراف منهم بعدل الله واقرار بان الله عز وعلا ازاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم ما
وقعوا فيه وانهم لم يؤتوا من قدرة كما تزعم المجبرة وانما اوتوا من قبل انفسهم واختيارهم خلاف
ما اختار الله وامر به واوعد على ضده **فان قلت** ان انتم الا في ضلال كبير من المخاطبون به
قلت هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على ان النذير بمعنى الانذار والمعنى
الا ما انتم اهل نذير اووصف منذروهم لغلوهم في الانذار كانهم ليسوا الا انذارا وكذلك قوله
نذير ونظيره قوله انا رسول رب العالمين اي حاملا رسالته ويجوز ان يكون من كلام الخزنة
للكفار على ارادة القول ارادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا او ارادوا بالضلال
الهلاك او سموا عقاب الضلال باسمه او من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة اي قالوا لنا هذا فلم
نقبله لو كنا نسمع الانذار سماع طالبين للحق او نعقله عقل متاملين وقيل انما جمع بين السمع
والعقل لان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل ومن بدع التفاسير لو كنا على مذهب
اصحاب الحديث او على مذهب اصحاب الراى كان هذه الاية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين
وكان سائر اصحاب المذاهب والمجتهدين قد انزل الله وعيدهم وكان من كان من
هؤلاء فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين من الصحابة عشرة لم يضم اليهم حادي عشر
وكان من يجوز على الصراط اكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين يدينهم بكفرهم في نكديبهم الرسل
فسحقا قرئ بالتخفيف والتثقيل اي فبعدا لهم اعترفوا او جحدوا فان ذلك لا ينفعهم ظاهره
الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستو عندكم اسراركم واجهاركم في علم الله بهما
ثم انه علله بانه عليم بذات الصدور اي بضمائرها قبل ان تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم
ما تكلم به ثم انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلق الاشياء وحاله انه هو اللطيف
الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا بمعنى الا

بعلم

يعلم مخلوقه وهذه حاله وروي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيظهر الله
رسوله عليها فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمعه اله محمد فنبه الله على جهلهم
فان قلت قدرت في الا يعلم مفعولا على معنى الا يعلم ذلك المذكور مما اضمر في القلب
واظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطي ويمنع الخلق الا يصح اللعي العلم
قلت ابت ذلك الحال التي هي قوله وهو اللطيف الخبير لانك لو قلت الا يكون عالما
من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان الا يعلم معتمد على الحال والشيء
لا يؤقت بنفسه فلا يقال الا يعلم وهو عالم ولكن الا يعلم كذا وهو عالم بكل شيء في مناكبها
مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق شيء
من البعير وانباه عن ان يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث
يمشى في مناكبها لم يترك وقيل مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فيها
فاذا امكنكم السلوك في جبالها فهو ابلغ التذليل وقيل جوانبها والمعنى واليه نشوركم فهو
مسائلكم عن شكر ما انعم به عليكم من في السماء فيه وجهان احدهما من ملكوته في السماء لانها
مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه واوامره
ونواهيه والثاني انهم يعتقدون التشبيه وانه في السماء وان الرحمة والعذاب ينزلان منه
وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم اامنتم من تزعمون انه في السماء
وهو متعال عن المكان ان يعذبكم بخسف وبحاصب كما تقول لبعض المشبهة اما تخاف
من فوق العرش ان يعاقبك بما تفعل اذا رايته يركب بعض المعاصي فستعلمون قرئ
بالتاء والياء كيف نذير اي اذا رايتم المنذر به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم صافات
باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن

وهلا كان المعنى الا يكون عالما من هو
خالق لانه صح

ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن فان قلت لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات
قلت لان الاصل في الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة
في الماء والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار
به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون
منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح ما يمسكهن الا الرحمن بقدرته وبما دبر لهن
من القوادم والخوافي وبنى الاجسام على شكل وخصائص قد تاتى منها الجري في الجو انه
بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب امن يشار اليه من الجموع ويقال
هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه امن يشار اليه ويقال
هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاوثان
لاعتقادهم انهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكانهم الجند الناصر والرازق
ونحوه قوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل لجوا في عتو ونفور بل تمادوا في عناد وشراد
عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه يجعل اكب مطاوع كبه يقال كببته فاكب من الغرائب
والشواذ ونحوه قشعت الريح السحاب فاقشع وما هو كذلك ولا شيء من بناء افعل مطاوعا
ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب سيبويه وانما اكب من باب انفض والام ومعناه دخل في الكب
وصار ذا كب وكذلك اقشع السحاب اذا دخل في القشع ومطاوع كب وقشع انكب
وانقشع فان قلت ما معنى يمشي مكبا على وجهه وكيف قابل يمشي سويا على صراط مستقيم
قلت معناه يمشي معتسفا في مكان معتاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل
ساعة فيخر على وجهه منكبا فحاله نقيض حال من يمشي سويا اي قائما سالما من العثور
والخرور او مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف الذي ينحرف هكذا وهكذا على

طريق

طريق مستو ويجوز ان يراد الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكب
على وجهه وانه ليس كالرجل السوي الصحيح البصر الماشي في الطريق المهتدي له
وهو مثل للمؤمن والكافر وعن قتادة الكافر اكب على معاصي الله فحشره الله يوم القيمة
على وجهه وعن الكلبي عني به ابو جهل بن هشام وبالسوي رسول الله وقيل حمزة بن عبد
المطلب فلما راوه الضمير للوعد والزلفة القرب وانتصابها على الحال او الظرف اي
راوه ذا زلفة او مكانا ذا زلفة سيئت وجوه الذين اي ساءت رؤية الوعد وجوههم بان
علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد الى القتل او
يعرض على بعض العذاب وقيل القائلون الزبانية تدعون تفتعلون من الدعاء اي
تطلبون وتستعجلون به وقيل هو من الدعوى اي كنتم بسببه تدعون انكم لا تبعثون و
قرئ تدعون وعن بعض الزهاد انه تلاها في اول الليل في صلوته فبقي يكررها وهو يبكي
الى ان نودي لصلوة الفجر ولعمري انها لوقاذة لمن تصور تلك الحالة وتاملها كان كفار
مكة يدعون على رسول الله وعلى المؤمنين بالهلاك فامر بان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون
لاحدى الحسنيين اما ان نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة او نرحم بالنصرة والادالة
للاسلام كما نرجو فانتم ما تصنعون من يجيركم وانتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه
يعني انكم تطلبون لنا الهلاك الذي هو استعجال للفوز والسعادة وانتم في امر هو الهلاك
الذي لا هلاك بعده وانتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه او ان اهلكنا الله بالموت فمن
يجيركم بعد موت هداتكم والاخذين بحجزكم من النار وان رحمنا بالامهال والغلبة عليكم
فلكم فمن يجيركم فان المقتول على ايدينا هالك او ان اهلكنا الله في الاخرة بذنوبنا ونحن
مسلمون فمن يجير الكافرين وهم اولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا بالايمان فمن يجير من لا ايمان له

له **فان قيل** لم اخر مفعول آمنا وقدم مفعول توكلنا **قلت** لوقوع آمنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كانه قيل آمنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متوكلون عليه من رجالكم واموالكم غورا غائرا ذاهبا في الارض وعن الكلبي لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل ورضا وعن بعض الشطار انها تليت عنده فقال تجيء به الفئوس والمعاول فذهب ماء عينيه نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر

سورة ن مكية وهي ثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قرئ نون والقلم بالبيان والادغام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما في ص والمراد هنا الحرف من حروف المعجم واما قولهم هو الدواة فما ادري اهو وضع لغوي ام شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من ان يكون جنسا او علما فان كان جنسا فاين الاعراب والتنوين وان كان علما فاين الاعراب وايهما كان فلا بد له من موقع في تأليف الكلام **فان قلت** هو مقسم به **قلت** وجب ان كان جنسا ان تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة والقلم وان كان علما ان تصرفه وتجره او لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتانيث وكذلك التفسير بالحوت اما ان يراد نون من النينان او يجعل علما للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك واقسم بالقلم تعظيما له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف وما يسطرون وما يكتبون والضمير لما يسطر الحفظة وما موصولة او مصدرية ويجوز ان يكون بالقلم

اصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر او الحفظة **فان قيل** بم يتعلق الباء في بنعمة ربك وما محله **قلت** يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا في قولك انت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الاثبات والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا ومحله نصب على الحال كانه قيل ما انت مجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء ان تعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتاكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة عداوة وحسدا وانه من انعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة التي يقتضيها التاهيل للنبوة بمنزل وان لك على احتمال ذلك واساغة الغصة فيه والصبر عليه لاجرا لثوابا غير ممنون غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ او غير ممنون عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذي امره الله تعالى به في قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وعن عائشة رضي الله عنها ان سعيد بن هشام سالها عن خلق رسول الله صلعم فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون المفتون المجنون لانه فتن اي محن بالجنون او لان العرب يزعمون انه من تخبيل الجن وهم الفتان للفتاك منهم والباء مزيدة او المفتون مصدر كالمعقول والمجلود اي بايكم الجنون او باي الفريقين منكم الجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما وهذا كقوله سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ان ربك هو اعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو اعلم بالعقلاء وهم المهتدون

او يكون وعدًا ووعيدًا والله اعلم بجزاء الفريقين فلا تطع المكذبين تهييج والهاب
للتصميم على معاصاتهم وكانوا قد ارادوه على ان يعبد الله تعالى مدة والهتهم مدة
والهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم لو تدهن لو تلين وتصانع فيدهنون فان قلت
لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني قلت قد عدل به الى طريق
اخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اى فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن بربه فلا
يخاف على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن
يدهنون لطمعهم في ادهانك قال سيبويه وزعم هرون انها في بعض المصاحف ودوا
لو تدهن فيدهنوا حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف
ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم مهين من المهانة وهي القلة والحقارة يريد
القلة في الراي والتمييز او اراد الكذاب لانه حقير عند الناس هماز عياب طعان وعن
الحسن يلوي شدقيه في اقفية الناس مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم
على وجه السعاية والافساد بينهم النميم والنميمة السعاية وانشدني بعض العرب تشببني
تشبب النميمة تمشي بها زهرا الى تميمة مناع للخير بخيل والخير المال او مناع اهله الخير
وهو الاسلام فذكر الممنوع منه دون الممنوع كانه قال مناع من الخير قيل هو الوليد بن
المغيرة المخزومي كان موسرا وكان له عشرة من البنين وكان يقول لهم وللحمته من اسلم
منكم منعته رفدي عن ابن عباس وعنه انه ابو جهل وعن مجاهد الاسود عبد يغوث
وعن السدي الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة ولذلك قيل زنيم معتد
مجاوز في الظلم حده اثيم كثير الآثام عتل غليظ جاف من عتله اذا قاده بعنف وغلظة
بعد ذلك بعد ما عد له من المثالب والنقائص زنيم دعي قال حسان وانت زنيم نيط في آل هاشم كما

نيط

نيط خلف الراكب القدح الفرد وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه
ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت هذه الاية جعل
جفاءه ودعوته اشد معايبه لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية
ولان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها ومن ثم قال رسول الله صلعم لا
يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير ثم في قوله ثم كان من الذين
امنوا وقرا الحسن عتل رفعا على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك
والزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لانه زيادة
معلقة بغير اهله ان كان ذا مال متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب
لان كان ذا مال اى ليساره وحظه من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده على معنى لكونه
متمولا مستظهرا بالبنين كذب اياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد
الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقرئ أأن كان على
الاستفهام على ألأن كان ذا مال كذب او أتطيعه لان كان ذا مال وروى الزهري
عن نافع إن كان بالكسر والشرط للمخاطب اى لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه
اذا اطاع الكافر لغناه فكانه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط الى المخاطب
صرف الترجي اليه في قوله لعله يتذكر الوجه اكرم موضع في الجسد والانف اكرم موضع
من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف
في الانف وحمي انفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع انفه ورغم انفه فعبر
بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين واذالة فكيف
بها على اكرم موضع منه ولقد وسم العباس اباعره في وجوهها فقال له رسول الله اكرموا الوجوه

فوسمها في جواعرها وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة وقيل معناه سنعلمه يوم القيمة بعلامة مشوهة يبين بها عن ساير الكفرة كما عادى رسول الله عداوة بان بها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقي سمة على خرطومه وقيل سنشهره بهذه الشتيمة في الدارين جميعا فلا تخفى كما لا تخفى السمة على الخرطوم وعن النضر بن شميل ان الخرطوم الخمر وان معناه سنحده على شربها وهو تعسف وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب او لانها تطير في الخياشيم انا بلونا اهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله عليهم كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلوة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين وكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي وكان يترك للمساكين ما اخطاه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطاه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خفية عن المساكين ولم يستثنوا في يمينهم فاحرق الله جنتهم وقيل كانوا من بني اسرائيل مصبحين داخلين في الصبح مبكرين ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله **فان قلت** لم سمي استثناء وانما هو شرط **قلت** لانه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد فطاف واصبحت كالصريم كالمصرومة لهلاك ثمرها وقيل الصريم الليل اي احترقت فاسودت وقيل النهار اي يبست وذهبت خضرتها او لم يبق شيء منها من قولهم بيض الاناء اذا فرغه وقيل الصريم الرمال صارمين حاصدين **فان قلت** هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على **قلت** لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول

غدا عليهم العدو ويجوز ان يضمن الغدو معنى الاقبال كقولهم تغدى عليه بالجفنة وتراح اي فاقبلوا على حرثكم باكرين يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها ان مفسرة وقرأ ابن مسعود بطرحها باضمار القول اي يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهي عن الدخول للمسكين نهي لهم عن تمكينه منه اي لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا ارينك ههنا الحرد من حاردت السنة اذا منعت خيرها وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعني انهم عزموا ان يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اي غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع او لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله بان حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث وانما غدوا على حرد وقادرين من عكس الكلام للتهكم اي قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين وقيل الحرد بمعنى الحرد وقرئ على حرد اي لم يقدروا الا على حنق وغضب بعضهم على بعض كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك قال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة وقطا حراد سراع يعني وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند انفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها وزي منفعتها عن المساكين وقيل حرد علم للجنة اي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم او مقدرين ان يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان فلما راوها في بديهة وصولهم اليها

لضالون اى ضللنا جنتنا وما هى بها لما رأوا من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا انها هى قالوا
بل نحن قوم محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا اوسطهم اعدلهم وخيرهم من
قولهم هو من سطة قومه واعطنى من سطات مالك ومنه قوله تعالى امة وسطا لولا تسبحون
لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين عزموا على
ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا
الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم والدليل عليه قولهم سبحان ربنا انا كنا
ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم به على اثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة
وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما فى معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه
والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلاة كانهم
كانوا يتوانون فى الصلوة والا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا فى ان يستنوا
ولا يحرموا سبحان ربنا سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم فى
منع المعروف وترك الاستثناء يتلاومون يلوم بعضهم بعضا لان منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم
من امر بالكف وعذر ومنهم من عصى الآمر ومنهم من سكت وهو راض ان يبدلنا خيرا قرئ
بالتخفيف والتشديد انا الى ربنا راغبون طالبون منه الخير راجون لعفوه كذلك العذاب
مثل ذلك العذاب الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب
الآخرة اشد واعظم منه وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار
قال لقد كلفتنى تعبا وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه
بلغنى انهم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل
البغل منه عنقودا عند ربهم اى فى الآخرة جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص

لا يشوبه

لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا كان صناديد قريش يرون وفور حظهم
من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا
ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا الا مثل ما هى فى الدنيا والا لم
يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا فقيل أنحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كا
لكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج كأن امر
الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم ام لكم كتاب من السماء تدرسون فى ذلك الكتاب
ان ما تختارونه وتشتهونه لكم كقوله ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم والاصل تدرسون
ان لكم ما تخيرون بفتح ان لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت ويجوز ان تكون
حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح وتخير الشى واختاره
اخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله اذا اخذ منخوله لفلان على يمين بكذا اذا ضمنته منه
وحلفت له على الوفاء به يعنى ام ضمنا منكم واقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية فى
التوكيد فان قلت بم يتعلق الى يوم القيمة قلت بالمقدر فى الظرف اى هى ثابتة لكم
علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم واعطيناكم ما تحكمون ويجوز
ان يتعلق ببالغة على انها تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى ان يحصل
المقسم عليه من التحكيم وقرأ الحسن بالغة بالنصب على الحال من الضمير فى الظرف ان لكم
لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم ايهم بذلك الحكم زعيم
اى قائم به وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بامورهم ام
لهم شركاء اى ناس يشاركونهم فى هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه فليأتوا
بهم ان كانوا صادقين فى دعواهم يعنى ان احدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب

لهم سطلق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم به الكشف عن الساق والابدآء عن
الخدام مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات
عن سوقهن في الهرب وابدآء خدامهن عند ذلك قال حاتم اخو الحرب ان عضت به
الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقال ابن الرقيات تذهل الشيخ عن بنيه
وتبدي عن خدام العقيلة العذرآء فمعنى يوم يكشف عن ساق في معنا يوم يشتد الامر
ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما
هو مثل في البخل واما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان والذي غره منه
حديث ابن مسعود رضي الله عنه يكشف الرحمن عن ساقه فاما المومنون فيخرون سجدا
واما المنافقون فيكون ظهورهم طبقا طبقا كان فيها السفافيد ومعناه يشتد امر الرحمن
ويتفاقم هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيامة ثم كان من حق الساق ان تعرف على ما ذهب
اليه المشبه لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن فان قلت فلم جاءت
منكرة في التمثيل قلت للدلالة على انه امر مبهم في الشدة منكر خارج عن المالوف كقوله يوم
يدع الداعي الى شي نكر كانه قيل يوم يقع امر فظيع هايل ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل وعن
ابي عبيدة خرج من خراسان رجلان احدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل ابن سليمان و
الاخر نفى حتى عطل وهو جهم بن صفوان ومن احس بعظم مضار فقد هذا العلم علم مقدار
عظم منافعه وقرئ يوم نكشف بالنون وتكشف بالتا على البناء للفاعل والمفعول جميعا
والفعل للساعة او للحال اي يوم تشتد الحال او الساعة كما تقول كشفت الحرب
عن ساقها على المجاز وقرئ تكشف بالتا المضمومة وكسر الشين من اكشف اذا دخل في
الكشف ومنه اكشف الرجل فهو مكشف اذا انقلبت شفته العليا وناصب الظرف

فلما نأوا

فلما نأوا او اضمار اذكر او يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ
وان ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه عن ابن مسعود رضي الله عنه تعقم اصلابهم اي
ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا
اي فقارة واحدة فان قلت لم يدعون الى السجود ولا تكليف قلت لا يدعون
اليه تعبدا وتكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا مع اعقام اصلابهم
والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا الى السجود
وهم سالموا الاصلاب والمفاصل ممكنون مزاحوا العلل فيما تعبدوا به يقال ذرني
واياه يريدون كله الي فاني اكفيكه كانه يقول حسبك ايقاعا به ان تكل امره الي
وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يجب ان يفعل به مطيق له والمراد حسبي مجازيا لمن يكذب
بالقران فلا تشغل قلبك بشانه وتوكل علي في الانتقام منه تسلية لرسول الله وتهديدا
للمكذبين استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج
الله العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقا الى ازدياد
الكفر والمعاصي من حيث لا يعلمون اي من الجهة التي لا يشعرون انه استدراج وهو
الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المومنين وهو سبب لهلاكهم واملي
لهم وامهلهم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما والصحة والرزق والمد في العمر احسان من الله و
افضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا في الكفر باختيارهم فلما تدرجوا
به الى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج وقيل كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من
مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر وسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا
لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة اثر احسانه

للتسبب للهلاك لتغرم المغرامة اى لم تطلب منهم على الهداية والتعليم اجرا فيثقل عليهم
حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان ام عندهم الغيب اى اللوح فهم
يكتبون منه ما يحكمون به فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب
الحوت يعنى يونس عليه السلم اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملو غيظا من كظم
السقاء اذا ملأه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه
حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه وقرأ ابن عباس وابن مسعود تداركته و
قرأ الحسن تداركه اى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه
تتداركه كما يقال كان زيد سيقوم فمنعه فلان اى كان يقال فيه سيقوم والمعنى
كان متوقعا منه القيام ونعمة ربه ان انعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في
جواب لولا على الحال اعنى قوله وهو مذموم يعنى ان حاله كانت على خلاف الذم حين
نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حاله على الذم روى انها نزلت باحد حين حل برسول الله
ما حل به فاراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف وقرئ
رحمة من ربه فاجتباه ربه بجعله اليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه
وهدى فجعله من الصالحين من الانبياء وعن ابن عباس رد الله اليه الوحى وشفعه
في نفسه وقومه ان مخففة من الثقيلة واللام علمها وقرئ ليزلقونك بضم الياء وفتحها وزلقه
وازلقه بمعنى ويقال زلق الرأس وازلقه حلقه وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه
وازهقها يعنى انهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون
يزلقون قدمك او يهلكونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى ويكاد ياكلنى
اى لو امكنه بنظره الصرع او الاكل لفعله قال يتقارضون اذا التقوا في موطن نظرا

يزل مواطئ الاقدام وقيل كانت العين في بنى اسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام
فلا يمر به شيء فيقول فيه لم ار كاليوم مثله الا عانه فاريد بعض العيانين على ان يقول في رسول الله
مثل ذلك فقال لم ار كاليوم رجلا فعصمه الله وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرأ
الآية لما سمعوا الذكر اى القرآن لم يملكوا انفسهم حسدا على ما اوتيت من النبوة
ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه والا فقد علموا انه اعقلهم والمعنى
انهم جننوه لاجل القرآن وما هو الا ذكر وموعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله
عن رسول الله صلعم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة احدى وخمسون آية وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجى
التى هى آتية لا ريب فيها او التى فيها حواق الامور من الحساب والثواب والعقاب او
التى تحق فيها الامور اى تعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا اى لا اعرف حقيقته
جعل الفعل لها وهو لاهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها ما الحاقة والاصل الحاقة
ما هى اى اى شيء هى تفخيما لشانها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول
لها وما ادريك واى شيء اعلمك ما الحاقة يعنى انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها
على انه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيف ما قدرت حالها
فهى اعظم من ذلك وما في موضع الرفع على الابتداء وادراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام
القارعة التى تقرع الناس بالاهوال والافزاع والسماء بالانشقاق والانفطار والارض
والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير لتدل على

ان معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها اتبع ذلك ذكر
من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة
تكذيبهم بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وعن
ابن عباس الصاعقة وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فاهمدتهم وقيل الطاغية مصدر
كالعافية اي بطغيانهم وليس بذلك لعدم الطباق بينها وبين قوله بريح صرصر والصرصر
الشديدة الصوت لها صرصرة وقيل الباردة من الصر كانها التي كرر فيها البرد وكثر فهي
تحرق لشدة بردها عاتية شديدة العصف والعتو استعارة او عتت على عاد فما
قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء او لياذ بجبل او اختفاء في حفرة فانها كانت
تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروي
عن رسول الله صلعم ما ارسل الله سفينة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال
الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ
انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها
سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية ولعلها عبارة عن الشدة والافراط فيها حسوما لا تخلو
من ان تكون جمع حاسم كشهود وقعود او مصدرا كالشكور والكفور فان كان جمعا فمعنى
قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستاصلت كل بركة او متتابعة هبوب الرياح
ما خفتت ساعة حتى اتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على
الداء كرة بعد اخرى حتى ينحسم وان كان مصدرا فاما ان ينتصب بفعله مضمرا اي تحسم حسوما
بمعنى تستاصل استيصالا او يكون صفة كقولك ذات حسوم او يكون حسوما مفعولا
له اي سخرها عليهم للاستيصال وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي ففرق بين بينهم زمان

كرة ح

تتابع

تتابع فيه اعوام حسوم وقرأ السدي حسوما بالفتح حالا من الريح اي سخرها عليهم مستاصلة
وقيل هي ايام العجوز وذلك ان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم
الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجوز وهي آخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر و
الآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن ومعنى سخرها عليهم سلطها
عليهم كما شاء فيها في مهابها او في الليالي والايام وقرئ اعجاز نخل من باقية من بقية
او من نفس باقية او من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان ومن قبله يريد ومن عنده من
تباعه وقرئ ومن قبله اي ومن تقدمه وتعضد الاولى قراءة عبد الله وابي ومن معه
وقراءة ابي موسى ومن تلقاءه والمؤتفكات قرى قوم لوط بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة
او الافعال ذات الخطاء العظيم رابية شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في
القبح يقال ربا الشيء يربو اذا زاد ليربو في اموال الناس حملناكم حملنا اباءكم في الجارية
في سفينة نوح لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل آبائهم منة عليهم وكانهم
هم المحمولون لان نجاتهم سبب ولادتهم لنجعلها الضمير للفعلة وهي نجاة المؤمنين و
اغراق الكفرة تذكرة عظة وعبرة اذن واعية من شانها ان تحفظ ما سمعت
به ولا تضيعه بترك العمل وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته وما حفظته في غير نفسك
فقد اوعيته كقولك اوعيت الشيء في الظرف وعن النبي صلعم انه قال لعلي عند نزول
هذه الاية سالت الله ان يجعلها اذنك يا علي قال علي رضي الله عنه فما نسيت شيئا
بعد وما كان لي ان انسى فان قلت لم قيل اذن واعية على التوحيد والتنكير
قلت للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة
على ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الاعظم عند الله وان

وان ماسواها لا ابالی بهم بالة وان ملاوا ما بين الخافقين وقری ونخها بسكون العين
للتخفيف شبهة نحی بكيدا سند الفعل الى المصدر وحسن تذكيره للفصل وقرا ابو
السمال نفخة واحدة بالنصب مسندا الفعل الى الجار والمجرور فان قلت هما نفختان
فلم قيل واحدة قلت معناه انها لا تثنى في وقتها فان قلت فای النفختين هي قلت
الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس وروی عنه انها الثانية
فان قلت اما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النفخة الثانية قلت
جعل اليوم اسما للحين الواسع الذی تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف
والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام كذا وانما كان مجيئك
في وقت واحد من اوقاته وحملت ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها انها
تحمل الارض والجبال او بخلق من الملائكة او بقدرة الله من غير سبب وقرى وحملت بتخفيف
الحمل وهو احد الثلثة فدكتا فدكت الجملتان جملة الارض وجملة الجبال فضرب بعضها
ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك ابلغ من الدق وقيل فبسطتا بسطة
واحدة فصارتا ارضا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولك اندك السنام اذا انفرش وبعير
ادك وناقة دكاء ومنه الدكان فيومئذ وقعت الواقعة فحينئذ نزلت النازلة وهي
القيامة واهية مسترخية ساقطة القوة جدا بعد ما كان محكمة مستمسكة يريد والخلق الذی
يقال له الملك ورد اليه الضمير مجموعا في قوله فوقهم على المعنى فان قلت ما الفرق بين قوله
والملك وبين ان يقال والملائكة قلت الملك اعم من الملائكة الا ترى ان قولك ما من
ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة على ارجائها على جوانبها الواحد رجا مقصور
يعني انها تنشق وهي مسكن الملائكة فينضوون الى اطرافها وما حولها من حافاتها ثمانية

ای ثمانية منهم وعن رسول الله صلعم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة
اخرين فيكونون ثمانية وروی ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش
فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة
الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروی ثمانية املاك في خلق
الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك
اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم كم هم اثمانية ام ثمانية
آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله ويجوز ان يكون الثمانية من الروح
او من خلق آخر فهو القادر على كل خلق سبحان الذی خلق الازواج كلها مما تنبت الارض
ومن انفسهم ومما لا يعلمون العرض عبارة عن المحاسبة والمساءلة آن في يوم القيامة ثلث شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف احواله وروی
عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنشر الكتب
فياخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله خافية سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا
بستر الله عليكم فاما تفصيل للعرض ها صوت يصوت به فيفهم منه معنى خذ كاف وحس
وما اشبه ذلك وكتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقروا لانه اقرب
العاملين واصله هاؤم كتابي اقروا كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ونظيره آتوني
افرغ عليه قطرا قالوا ولو كان العامل الاول لقيل اقروه وافرغه والهاء للسكت
في كتابيه وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه وحق هذه الهاات ان تثبت في الوقف وتسقط
في الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها في المصحف وقيل لا باس بالوصل و
الاسقاط وقرا ابن محيصن باسكان الياء بغير هاء وقرا جماعة باثبات الهاء في الوصل و

والوقف جميعا لاتباع المصحف ظننت علمت وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن
الغالب يقام مقام العلم في العادات والاحكام ويقال اظن ظنا كاليقين ان الامر كيت
وكيت راضية منسوبة الى الرضا كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف
ونسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها عالية مرتفعة المكان في السماء
او رفيعة الدرجات او رفيعة المباني والقصور والاشجار دانية ينالها القاعد والنائم
يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنيتم هنيئا على المصدر بما اسلفتم بما قدمتم
من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام اي
كلوا واشربوا بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله وروى يقول الله تعالى يا اوليائي
طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت
بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية الضمير في ياليتها
للموتة يقول ياليت الموتة التي متها كانت القاضية اي القاطعة لامري فلم ابعث
بعدها ولم الق ما القى او للحالة اي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لانه راى
تلك الحالة ابشع وامر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها ما اغنى نفي او استفهام
على وجه الانكار اي اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار هلك عني سلطاني ملكي
وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس انها نزلت في الاسود بن عبد الاشد
وعن فناخسرو الملقب بالعضد انه لما قال عضد الدولة وابن ركنها ملك الاملاك غلاب القدر لم
يفلح بعده وجن وكان لا ينطلق لسانه الا بهذه الاية وقال ابن عباس ضلت عني حجتي ومعناه
بطلت حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى
لانه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلى النار وصلاه النار سلكه في السلسلة ان تلوى على

جسده

جسده حتى يلتف عليه اثناؤها وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة وجعلها سبعين
ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا
طالت كان الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين العذابين ما بين الغل و
التصلية بالجحيم وما بينهما وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة انه تعليل على طريق
الاستيناف وهو ابلغ كانه قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب بذلك وفي قوله
ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين احدهما عطفه على
الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف
بتارك الفعل وما احسن قول القائل اذا نزل الاضياف كان عذورا على الحي حتى تستقل
مراجله يريد حضهم على القرى واستعجلهم وتشاكس عليهم وعن ابي الدرداء انه كان يحض امراته
على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها
الاخر وقيل هو منع الكفار وقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين حميم
قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتحامونه ويفرون منه كقوله ولا يسال حميم حميما و
الغسلين غسالة اهل النار وما يسيل من ابدانهم من الصديد والدم فعلين من الغسل
الخاطئون الاثمون اصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون عن
ابن عباس وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا
نخطو وروى عنه ابو الاسود الدؤلي ما الخاطون انما هو الخاطئون ما الصابون انما هو
الصابئون ويجوز ان يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله هو اقسام بالا
بالاشياء كلها على الشمول والاحاطة لانها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا و
الاخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة ان هذا القران

ما الخاطون

لقول رسول كريم اي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله وما هو بقول شاعر
ولا كاهن كما تدعون والقلة في معنى العدم اي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة والمعنى
ما اكفركم وما اغفلكم تنزيل هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه من رب وقراء
ابو السمال تنزيلا اي نزل تنزيلا وقيل الرسول الكريم جبرئيل وقوله وما هو بقول
شاعر دليل على انه محمد صلعم لان المعنى على اثبات انه رسول لا شاعر ولا كاهن
التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسمى الاقوال المتقولة اقاويل تصغيرا
بها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول والمعنى ولو ادعى
علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط
والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يؤخذ بيده وتضرب رقبته
وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا
اراد ان يوقعه في جيده وان يكفحه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف
اخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه كما ان قوله لقطعنا منه الوتين لقطعنا
وتينه وهذا بين والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه وقرى ولو
تقول على البناء للمفعول قيل حاجزين وصف لاحد لانه في معنى الجماعة وهو اسم يقع في
النفي العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومنه قوله تعالى لا نفرق بين
احد من رسله لستن كاحد من النساء والضمير في عنه للقتل اي لا يقدر احد منكم ان
يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه او لرسول الله اي لا تقدرون ان تحجزوا عنه القاتل وتحولوا
بينه وبينه والخطاب للناس وكذلك في قوله وانا لنعلم ان منكم مكذبين وهو ايعاد على التكذيب
وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون بالقرآن وانه الضمير للقرآن لحسرة

الكافرين به المكذبين له اذا راوا ثواب المصدقين به او للتكذيب وان القرآن لليقين حق
اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين فسبح
الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله واعبده شكرا على ما اهلك لي من ايحائه اليك
عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا ٥

سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ضمن سال معنى دعا فعدي تعديته
كانه قيل دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه
قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وعن ابن عباس رضي الله عنه هو النضر بن الحارث
قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم
وقيل هو رسول الله استعجل بعذاب للكافرين وقرى سال وهو على وجهين اما سائل م
ان يكون من السؤال وهي لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان وان يكون
من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل والسيل مصدر في معنى السائل
كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم واهلكهم وعن قتادة
سال سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسال على هذا الوجه تضمن
معنى عني واهتم فان قلت بم يتصل قوله للكافرين قلت هو على القول الاول
متصل بعذاب صفة له اي بعذاب واقع كائن للكافرين او بالفعل اي دعا للكافرين بعذاب
واقع اي بعذاب نازل لاجلهم وعلى الثاني هو كلام مبتدأ جواب للسائل اي هو للكافرين
فان قلت فقوله من الله بم يتصل قلت يتصل بواقع اي واقع من عنده او بدافع بمعنى

لبس له دافع من جهته اذا جاء وقته واوجبت الحكمة وقوعه ذى المعارج ذى المصاعد
جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها فى العلو والارتفاع فقال تعرج الملائكة
والروح اليه الى عرشه وحيث تهبط منه اوامره فى يوم كان مقداره كمقدار مدة
مدة خمسين الف مما يعد الناس والروح جبريل عليه السلم افرده لتميزه بفضله وقيل الروح
خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس بما بعد ثم يتعلق قوله فاصبر قلـ
بسأل سائل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله
والتكذيب بالوحى وكان ذلك مما يضجر رسول الله فامر بالصبر عليه وكذلك من
سال عن العذاب لمن هو فانما سال على طريق التعنت وكان من كفار مكة ومن
قرا سال سائل او سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت
الانتقام وقد جعل فى يوم من صلة واقع اى يقع فى يوم طويل مقداره خمسون الف سنة
من سنيكم وهو يوم القيمة اما ان يكون استطالة لشدته على الكفار واما لانه على الحقيقة
كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة وما قدر ذلك على المؤمن الا كما
بين الظهر والعصر الضمير فى يرونه للعذاب الواقع او ليوم القيامة فيمن علق فى يوم بواقع
اى يستبعدونه على جهة الاحالة ونحن نراه قريبا هينا فى قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر
فالمراد بالبعد البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه نصب يوم تكون بقريبا
اى يمكن ولا يتعذر فى ذلك اليوم او باضمار يقع لدلالة واقع عليه او يوم تكون السماء كالمهل
كان كيت وكيت او هو بدل عن فى يوم فيمن علقه بواقع كالمهل كدردى الزيت عن
ابن مسعود كالفضة المذابة فى تلونها كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد
بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو اشبهت العهن المنفوش

١٢٥

اذا طيرته الريح ولا يسئل حميم حميما اى لا يسأله بكيف حالك ولا يكلمه لان بكل احد
ما يشغله عن المسائلة يبصرونهم اى يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم فما منعهم من
المسائلة ان بعضهم لا يبصر بعضا وانما منعهم التشاغل وقرئ يبصرونهم وقرئ ولا يسال
على البناء للمفعول اى لا يقال لحميم اين حميمك ولا يطلب منه لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون
الى السوال والطلب فان قلت ما موقع يبصرونهم قلت هو كلام مستانف كانه
لما قال ولا يسئل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا
من تساؤلهم فان قلت لم جمع الضميران فى يبصرونهم وهما للحميمين قلت المعنى على العموم
لكل حميمين مبصرين معرفين اياهم وقرئ يومئذ بالفتح والجر على البناء للاضافة الى غير متمكن
ومن عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه فى معنى تعذيب
وفصيلته عشيرته الادنون الذين فصل عنهم تؤويه تضمه انتماء اليها او لياذا بها فى النوائب
ينجيه عطف على يفتدى اى يود لو يفتدى ثم لو ينجيه الافتداء او من فى الارض ثم الانجاء
النجاء يعنى يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم فى فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات
ان ينجيه كلا ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على انه لا ينفعه الافتداء والنجاة من العذاب
ثم قال انها والضمير للنار ولم يجر لها ذكر لان ذكر العذاب دل عليها ويجوز ان يكون ضميرا
ترجم عنه الخبر او ضمير القصة ولظى علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ويجوز ان
يراد اللهب ونزاعة خبر بعد خبر لان او خبر للظى ان كانت الهاء ضمير القصة او صفة
له ان اردت اللهب والتانيث لانه فى معنى النار او رفع على التهويل اى هى نزاعة وقرئ
نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة او على انها متلظية نزاعة او على الاختصاص للتهويل والشوى
الاطراف او جمع شواة وهى جلدة الراس تنزعها فتبتكها ثم تعاد وتدعو مجاز عن احضارهم كانها

لا لحميمين اثنين ويجوز ان يكون يبصرون صفة اى حميما مبصرين

البهاء

تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذي الرمة تدعو انفه الريب وقوله ليالي اللهو يطبيني فاتبعه
وقول ابي النجم تقول للرائد اعشبت انزل وقيل تقول لهم الي الي يا كافر يا منافق وقيل
تدعو المنافقين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب فيجوز ان يخلق الله فيها كلاما كما
يخلقه في جلودهم وايديهم وارجلهم وكما خلقه في الشجرة ويجوز ان يكون دعاء الزبانية
وقيل تدعو تهلك من قول العرب دعاك الله اي اهلكك قال دعاك الله من رجل بافعى
من ادبر عن الحق وتولى عنه وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد الزكوة والحقوق الواجبة
فيه وتشاغل به عن الدين وزهي باقتنائه وتكبر اريد بالانسان الناس فلذلك استثنى
منه الا المصلين والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم
ناقة هلواع سريعة السير وعن احمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد
فسره الله ولا يكون تفسير ابين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله
خير بخل به ومنعه الناس والخير المال والغنى والشر الفقر او الصحة والمرض اذا صح الغني
منع المعروف وشح بماله واذا مرض جزع واخذ يوصي والمعنى ان الانسان لايثاره الجزع
والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كانه مجبول عليهما مطبوع وكانه امر خلقي وضروري
غير اختياري كقوله خلق الانسان من عجل والدليل عليه انه حين كان في البطن والمهد لم
يكن به هلع ولانه ذم والله لا يذم فعله والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا انفسهم
وحملوها على المكاره وظلفوها عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين وعن النبي صلعم
شر ما اعطي ابن آدم شح هالع وجبن خالع كيف قال على صلوتهم دائمون ثم على صلوتهم يحافظون فان قلت
معنى دوامهم عليها ان يواظبوا على ادائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل كما
روي عن النبي صلعم افضل العمل ادومه وان قل وقول عائشة كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها

ان

ان يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها وادابها ويحفظوها
من الاحباط باقتراف المآثم فالدوام يرجع الى انفس الصلوات والمحافظة الى احوالها حق
معلوم هو الزكوة لانها مقدرة معلومة او صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في اوقات
معلومة السائل الذي يسال والمحروم الذي يتعفف عن السوال فيحسب غنيا فيحرم
يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم واستعدادهم له ويشفقون من عذاب ربهم واعترض
بقوله ان عذاب ربهم غير مامون اي لا ينبغي ان بالغ من الطاعة والاجتهاد ان يامنه وينبغي
ان يكون مترجحا بين الخوف والرجاء بشهادتهم وبشهاداتهم والشهادة من جملة الامانات وخصها
من بينها ابانة لفضلها لان في اقامتها احياء الحقوق وتصحيحها وفي زيها تضييعها وابطالها كان
المشركون يحتفون حول النبي صلعم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزؤن بكلامه
ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت مهطعين مسرعين
نحوك مادي اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة
كان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى فهم مفترقون قال الكميت ونحن
وجندل باغ تركنا كتائب جندل شتى عزينا وقيل كان المستهزؤن خمسة ارهط كلا ردع
لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله انا خلقناهم مما يعلمون الى آخر السورة و
هو كلام دال على انكارهم البعث وكانه قال كلا انهم منكرون للبعث والجزاء فمن اين يطمعون
في دخول الجنة **فان قلت** من اي وجه دل هذا الكلام على انكار البعث **قلت**
من حيث انه احتجاج عليهم بالنشاة الاولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل
وذلك قوله خلقناهم مما يعلمون اي من النطف وبالقدرة على ان يهلكهم ويبدل ناسا
خيرا منهم وانه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شيء والغرض ان من قدر على ذلك

لم يعجزه الاعادة ويجوز ان يراد انا خلقناهم مما يعلمون اى من النطفة المذرة وهي منصبهم
الذى لا منصب اوضع منه ولذلك ابهم واخفى اشعارا بانه منصب يستحيي من ذكره فمن
اين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل معناه انا خلقناهم
من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم ومن حكمنا ان لا يدخل احد منهم الجنة الا بالايمان والعمل
الصالح فلم يطمع ان يدخلها من ليس له ايمان وعمل وقرئ برب المشرق والمغرب يخرجون
ويخرجون ومن الاجداث سراعا بالاظهار والادغام ونصب ونصب وهو كل ما نصب
وعبد من دون الله يوفضون يسرعون الى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون الى انصابهم
عن رسول الله صلعم من قرأ سورة سال سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح مكية وهي تسع او ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ان انذر اصله بان انذر فحذف الجار واوصل الفعل
وهي ان الناصبة للفعل والمعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اى ارسلناه بالامر بالانذار
ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرأ ابن مسعود انذر بغير ان
على ارادة القول نحو انذر في الوجهين فان قيل كيف قال ويؤخركم مع اخباره
بامتناع تأخير الاجل وهل هذا الا تناقض قلت قضى الله مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم
الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى اجل
مسمى اى الى وقت سماه الله وضربه امدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول
تمام الالف ثم اخبر انه اذا جاء ذلك الاجل الامد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم
حيلة فبادروا في اوقات الامهال والتاخير ليلا ونهارا دائبا من غير فتور مستغرقا به الاوقات

كلها فلم يزدهم دعائي جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى على انهم ازدادوا عنده
فرارا لانه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادتهم ايمانا لتغفر لهم ليتوبوا
عن كفرهم فتغفر لهم فذكر المسبب الذي هو حظهم خالصا ليكون اقبح لاعراضهم عنه
سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم وتغطوا بها كانهم طلبوا ان تغشاهم
ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر الى وجه من ينصحهم في دين الله وقيل لئلا يعرفهم
ويعضده قوله الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم واصروا
من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للاقبال على
المعاصي والاكباب عليها واستكبروا واخذتهم العزة من اتباع نوح وطاعته وذكر المصدر
تاكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم فان قيل ذكر انه دعاهم ليلا ونهارا
ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن فيجب ان تكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح
العطف قلت قد فعل عليه الصلوة والسلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى
عن المنكر في الابتداء بالاهون والترقي في الاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما
لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان ومعنى ثم الدلالة على
تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين اغلظ من افراد احدهما و
جهارا منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعاء احد نوعيه الجهار فنصب به
نصب القرفصاء بقعد لكونها احد انواع القعود او لانه اراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز
ان يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا اى مجاهرا به او مصدرا في موضع الحال اى
مجاهرا امرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي وقدم اليهم الموعد بما هو
اوقع في نفوسهم واحب اليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا في الايمان وبركاته

والطاعة وبه ننا نجيها من خير الدارين كما قال واخرى تحبونها نصر من الله ولو ان
اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما
انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم وقيل
لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين
سنة وروى سبعين فوعدهم انهم ان آمنوا رزقهم الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن
عمر رضي الله عنه انه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رايناك استسقيت
فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر شبه الاستغفار بالانواء
الصادقة التي لا تخطئ وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا
اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال
له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون ابوابا ويسالون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار
فتلا له هذه الآية والسماء المظلة لان المطر منها ينزل الى السحاب ويجوز ان يراد السحاب
او المطر من قوله اذا نزل السماء بارض قوم والمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوي
فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل او امراة مقطار ومتفال جنات بساتين لا ترجون
لله وقارا لا تاملون له توقيرا اي تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تاملون فيها
تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار وقوله وقد خلقكم
اطوارا في موضع الحال كانه قال ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للايمان
به لانه خلقكم اطوارا اي تارات خلقكم اولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا
ثم خلقكم عظاما ولحما ثم انشاكم خلقا آخر او لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله
عاقبة لان العاقبة حال استقرار الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر

[illegible]

نبههم
على النظر في انفسهم اولا لانها اقرب منظور فيه منهم ثم على النظر في العالم وما سوى فيه من
العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السموات والارض والشمس
والقمر فيهن في السموات وهو في السماء الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث
انها طباق فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة كذا وهو
في نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما ان الشمس والقمر وجوههما مما يلي السماء
وظهورهما مما يلي الارض وجعل الشمس سراجا يبصر اهل الدنيا في ضوئها كما يبصر اهل
البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره والقمر ليس كذلك انما هو نور لم يبلغ قوة
ضياء الشمس ومثله قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء اقوى
من النور استعير الانبات للانشاء كما يقال زرعك الله للخير وكانت هذه الاستعارة
ادل على الحدوث لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ومنه قيل
للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم في الاسلام من غير اولية لهم فيه ومنه قولهم
نجم فلان لبعض المارقة والمعنى انبتكم فنبتم نباتا او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم ثم
يعيدكم فيها مقبورين ثم يخرجكم يوم القيمة واكده بالمصدر كانه قال يخرجكم حقا ولا محالة
جعلها بساطا مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه فجاجا واسعة منفجة
واتبعوا رؤساءهم المتقدمين اصحاب الاموال والاولاد وارتسموا ما رسموا لهم من التمسك
بعبادة الاصنام وجعل اموالهم واولادهم التي لم تزدهم الا وجاهة ومنفعة في الدنيا زايدة
خسارا في الآخرة واجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم وسمة يعرفون بها تحقيقا له وتثبيتا
وابطالا لما سواه وقرى وولده وولده بضم الواو وكسرها ومكروا معطوف على لم يزده و
جمع الضمير وهو راجع الى من لانه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين

وكيدهم لنوح وتحريش الناس على اذاه وصدهم عن الميل اليه والاستماع منه وقولهم لهم
لا تذرن آلهتكم الى عبادة رب نوح مكرا كبارا قرئ بالتخفيف والتثقيل والكبار
اكبر من الكبير والكبّار اكبر من الكبار ونحوه طوال وطوّال ولا تذرن ودا كان هذه
المسماة كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فخصوها بعد قولهم لا تذرن آلهتكم وقد انتقلت
هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب فكان ودّ لكلب وسواع لهمدان ويغوث
لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بعبد ودّ وعبد يغوث وقيل
هي اسماء رجال صالحين وقيل من اولاد آدم ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم
صورهم فكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم
فعبدوهم وقيل كان ودّ على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة
اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودّا بضم الواو وقرأ الاعمش ولا
يغوثا ويعوقا بالصرف وهذه قراءة مشكلة لانهما ان كانا عربيين او عجميين ففيهما سببا منع
الصرف اما التعريف ووزن الفعل واما التعريف والعجمة ولعله قصد الازدواج فصرفهما
لمصادفته اخواتهما منصرفات ودّا وسواعا ونسرا كما قرئ وضحاها بالامالة لوقوعه مع
الممالات للازدواج وقد اضلوا الضمير للرؤساء ومعناه وقد اضلوا كثيرا قبل هؤلاء الموصين
بان يتمسكوا بعبادة الاصنام ليسوا باول من اضلوهم او وقد اضلوا باضلالهم كثيرا يعني ان
هؤلاء المضلين فيهم كثرة ويجوز ان يكون للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا من الناس
فان قلت علام عطف قوله ولا تزد الظالمين قلت على قوله رب انهم عصوني
على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب انهم عصوني وقال ٥
لا تزد الظالمين الا ضلالا اي قال هذين القولين وهما في محل النصب لانهما مفعولا قال

لقولك قال زيد نودي للصلاة وصلّ في المسجد تحكي قوليه معطوفا احدهما على صاحبه
فان قلت كيف جاز ان يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته قلت المراد
بالضلال ان يخذلوا ويمنعوا الالطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع الياس من ايمانهم
وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه ويجوز ان يريد بالضلال
الضياع والهلاك كقوله ولا تزد الظالمين الا تبارا تقدم مما خطاياهم لبيان ان لم
يكن اغراقهم بالطوفان فادخالهم النار الا من اجل خطيئاتهم واكد هذا المعنى بزيادة
ما وفي قراءة ابن مسعود من خطيئاتهم ما اغرقوا بتاخير الصلة وكفى بها مزجرة لمرتكب
الخطايا فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن وقد نعيت
عليهم سائر خطيئاتهم كما نعي عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب العذاب
لئلا يتكل المسلم الخاطئ على اسلامه ويعلم ان معه ما يستوجب به العذاب وان خلا من
الخطيئة الكبرى وقرئ خطيئاتهم بالهمزة وخطياتهم بقلبها ياء وادغامها وخطاياهم وخطيئتهم
بالتوحيد على ارادة الجنس ويجوز ان يراد الكفر فادخلوا نارا جعل دخولهم النار في الآخرة
كانه متعقب لاغراقهم لاقترابه ولانه كائن لا محالة فكانه قد كان او اريد عذاب القبر
ومن مات في ماء او في نار او اهلكته السباع والطير اصابه ما يصيب المقبور من العذاب
وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب وتنكير النار اما لتعظيمها او
لان الله اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض
باتخاذهم آلهة من دون الله وانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم كانه قال فلم يجدوا لهم من دون الله
آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا ديارا من الاسماء المستعملة
في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدور او من الدار اصله

ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان دوارا **فان قلت**
بم علم ان اولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة **قلت** لبث فيهم الف
سنة الا خمسين عاما فذاقهم واكلهم وعرف طباعهم واحوالهم وكان الرجل منهم ينطلق
بابنه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشا الصغير على
ذلك وقد اخبره الله عز وجل انه لن يومن من قومك الا من قد امن ومعنى لا يلدوا الا
فاجرا كفارا الا يلدوا الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه كقوله عليه السلم من قتل
قتيلا فله سلبه ولوالدي ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخا بنت انوش كانا مومنين و
قيل هما آدم وحواء وقرا الحسين بن **علي** رضي الله عنهما ولولدي يريد ساما و
حاما بيتي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي خص اولا من يتصل به لانهم اولى واحق بدعائه
ثم عم المومنين والمومنات تبارا هلاكا **فان قلت** ما فعل صبيانهم حين اغرقوا **قلت**
غرقوا معهم لا على وجه العقاب ولكن كما يموتون بالانواع من اسباب الهلاك وكم منهم
من يموتون بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة في عذاب الاباء والامهات اذا ابصروا
اطفالهم يغرقون ومنه قوله عليه السلم يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن
الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله ارحام
نسائهم وايبس اصلاب ابائهم قبل الطوفان باربعين سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا
عن رسول الله صلعم من قرا سورة نوح كان من المومنين الذين تدركهم دعوة نوح

سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قرئ أُحِيَ واصله وُحِيَ يقال اوحى

اليه

اليه ووحى اليه فقلبت الواو همزة كما يقال أُعِدَ وأُزِنَ واذا الرسل أُقِّتَت وهو من
القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد اطلقه المازني في المكسورة ايضا كاشاح
واسادة واعاء اخيه وقرا ابن ابي عبلة وُحِيَ على الاصل انه استمع بالفتح لانه
فاعل أُوحِيَ وانا سمعنا بالكسر لانه مبتدا محكي بعد القول ثم تحمل عليهما البواقي
فما كان من الوحي فتح وما كان من قول الجن كسر وكلهن من قولهم الا الثنتين الاخريين
وان المساجد لله وانه لما قام عبد الله ومن فتح كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور
في آمنا به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا
وكذلك البواقي نفر من الجن جماعة منهم ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل كانوا من الشيصبان
وهم اكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم فقالوا انا سمعنا اي قالوا لقومهم حين رجعوا
اليهم كقوله فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا عجبا بديعا
مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه دلائل الاعجاز وعجب مصدر
يوضع موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ما خرج عن حد اشكاله ونظائره يهدي الى الرشد
يدعو الى الصواب وقيل الى التوحيد والايمان الضمير في به للقران ولما كان الايمان به
ايمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا ولن نشرك بربنا احدا اي ولن نعود الى ما كنا
عليه من الاشراك به في طاعة الشيطان ويجوز ان يكون الضمير لله عز وجل لان قوله بربنا
يفسره جد ربنا عظمته من قولك جد فلان في عيني اي عظم وفي حديث عمر رضي الله عنه كان
الرجل منا اذا قرا البقرة وآل عمران جد فينا اي عظم وروي في اعيننا او ملكه وسلطانه
او غناه استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت لان الملوك والاغنياء هم المجدودون
والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه وملكوته او لغناه

وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جَدًّا ربنا على التمييز وجُدُّ ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا على الخطاء فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه واتخاذه صاحبة وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه سفيههم ابليس لعنه الله او غيره من مردة الجن والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه اشطّ في السوم اذا ابعد فيه اي يقول قولا هو في نفسه شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله وكان في ظننا ان احدا من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفتري عليه ما ليس بحق فكنا نصدقهم فيما اضافوا اليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم كذبا قولا كذبا اي مكذوبا فيه او نصب نصب المصدر لان الكذب نوع من القول ومن قرأ ان لن تقوّل وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله صفة لان التقول لا يكون الا كذبا الرهق غشيان المحارم والمعنى ان الانس باستعاذتهم بهم زادوهم كبرا وكفرا وذلك ان الرجل من العرب اذا كان امسى في واد قفر في بعض مسايره وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والانس فذلك رهقهم او فزاد الجن الانس رهقا باغوائهم واضلالهم لاستعاذتهم بهم وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم وهو من كلام الجن يقوله بعضهم لبعض وقيل الآيتان من جملة الوحي والضمير في وانهم ظنوا للجن والخطاب في ظننتم لكفار قريش اللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف قال مسسنا من الآباء شيئا وكلنا الى نسب في قومه غير واضح يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ونحوه الجس وقولهم جسوه باعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها

والحرس

والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب الى معناه لقيل شدادا ونحوه اخشى رُجيلا او رُكيبا عاديا لان الرجل والركب مفردان في معنى الرجال والركاب والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز ان يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد وكقوله ومعًى جياعا يعني يجد شهابا راصدا له ولاجله **فان قلت** كان الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فائدتين في خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين **قلت** قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلعم وهو احدى آياته والصحيح انه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره في شعر اهل الجاهلية قال بشر بن ابي خازم والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب وقال اوس بن حجر وانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا وقال عوف بن الخرع يرد علينا العير من دون انفه او الثور كالدري يتبعه الدم ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الاحوال فلما بعث رسول الله صلعم كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا وعن معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت ارأيت قوله وانا كنا نقعد فقال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي صلعم وروى الزهري في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم وفي قوله ملئت دليل على ان الحادث هو الملء والكثرة وكذلك قوله نقعد منها مقاعد اي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها وهذا ذكر ما

عن علي بن حسين عن ابن عباس بينا رسول الله صلى الله عليه جالس في

ما حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا على رسول الله صلعم واستمعوا قراءته يقولون
لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لامر اراده الله باهل
الارض ولا يخلو من ان يكون شرا او رشدا اي خيرا من عذاب او رحمة او من خذلان
او توفيق منا الصالحون الابرار المتقون ومنا دون ذلك ومنا قوم دون ذلك
فحذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم وهم المقتصدون في الصلاح غير
الكاملين فيه او ارادوا الطالحين كنا طرائق قددا بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي
مذاهب متفرقة مختلفة او كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة او كنا في طرائق
مختلفة كقوله كما عسل الطريق الثعلب او كانت طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف
الذي هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه والقدة من قد كالقطعة من قطع
ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق في الارض وهربا حالان
اي لن نعجزه كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وقيل لن
نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا والظن بمعنى اليقين وهذه
صفة احوال الجن وما هم عليه من احوالهم وعقائدهم منهم اخيار واشرار ومقتصدون وانهم
يعتقدون ان الله عزيز غالب لا يفوته مطلب ولا ينجي عنه مهرب لما سمعنا الهدى هو
سماعهم القرآن وايمانهم به فلا يخاف فهو لا يخاف اي فهو غير خائف ولان الكلام في
تقدير مبتدا وخبر دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف **فان قلت** اي فائدة في
رفع الفعل وتقدير مبتدا قبله حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك
كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف **قلت** الفائدة فيه انه اذا فعل ذلك فكانه قيل
فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق ان المؤمن ناج لا محالة وانه هو المختص بذلك دون

غيره

وقرا الاعمش فلا يخف على النهي بخسا ولا رهقا اي جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس احدا حقا
ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله ان يجتنب
المظالم ومنه قوله عليه السلم المؤمن من امنه الناس على انفسهم ودمائهم واموالهم ويجوز ان
يراد فلا يخاف ان يبخس بل يجزى الجزاء الاوفى وان لا ترهقه ذلة من قوله تعالى وترهقهم
ذلة القاسطون الكافرون الجائرون عن طريق الحق وعن سعيد بن جبير ان الحجاج قال له
حين اراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل فقال القوم ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه
بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سماني ظالما مشركا وتلا لهم قوله واما القاسطون
وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا ان الله اوعد قاسطيهم
وما وعد مسلميهم وكفى به وعدا ان قال فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب و
موجبه والله اعدل من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد وان لو استقاموا ان
مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى واوحي الي ان الشان والحديث لو استقام
الجن على الطريقة المثلى اي لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة
ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم ولوسعنا
رزقهم وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ بهما لانه اصل المعاش وسعة
الرزق لنفتنهم فيه لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه ويجوز ان يكون معناه وان
لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها
الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لتكون النعمة سببا في اتباعهم
شهواتهم ووقوعهم في الفتنة وازديادهم اثما او لنعذبهم في كفران النعمة عن ذكر ربه عن
عبادته او عن موعظته او عن وحيه يسلكه وقرئ بالنون مفتوحة ومضمومة اي ندخله

عذابا والاصل يسلكه في عذاب كقوله ما سلككم في سقر فعدى الى مفعولين اما بحذف
الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه اما بتضمينه معنى ندخله يقال سلكه
واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم في قتايدة والصعد مصدر صعد يقال صعد صعدا او
صعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه
قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شي ما تصعدتني خطبة النكاح يريد ما شق علي
عليه وان المساجد من جملة الموحى وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على
ان اللام متعلقة بلا تدعوا اي فلا تدعوا مع الله احدا في المساجد لانها لله خاصة ولعبادته
وعن الحسن يعني الارض كلها لانها جعلت للنبي صلعم مسجدا وقيل المراد بها المسجد
الحرام لانه قبلة المساجد ومنه قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها
اسمه وعن قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنايسهم اشركوا بالله
فامرنا ان نخلص لله الدعوة اذا دخلنا المساجد وقيل المساجد اعضاء السجود السبعة
قال رسول الله صلعم امرت ان اسجد على سبعة آراب وهي الجبهة والانف واليدان و
الركبتان والقدمان وقيل هي جمع مسجد وهو السجود عبد الله النبي صلعم فان قلت
هلا قيل رسول الله او النبي قلت لان تقديره واوحي الي انه لما قام عبد الله فلما
كان واقعا في كلام رسول الله عن نفسه جي به على ما يقتضيه التواضع والتذلل اولان
المعنى ان عبادة عبد الله لله ليست بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا
عليه لبدا ومعنى قام يدعوه قام يعبده يريد قيامه لصلوة الفجر بنخلة حين اتاه الجن
فاستمعوا القراءة وكادوا يكونون عليه لبدا اي يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما راوا من
عبادته واقتداء اصحابه به قائما وراكعا وساجدا واعجابا بما تلا من القران لانهم راوا ما لم

يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام رسولا يعبد الله وحده مخالفا
للمشركين في عبادتهم الالهة من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته
يزدحمون عليه متراكمين لبدا جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد
وقرئ لبدا واللبدة في معنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع
لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان ينصره
ويظهره على من ناواه ومن قرا وانه بالكسر جعله من كلام الجن قالوه لقومهم حين رجعوا اليهم
حاكين ما راوا من صلاته وازدحام اصحابه عليه في ائتمامهم به قال للمتظاهرين عليه انما
ادعو ربي يريد ما اتيتكم بامر منكر انما اعبد ربي وحده ولا اشرك به احدا وليس ذلك مما يوجب
ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادتي لله ورفضي الاشراك به بامر يتعجب منه
انما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا او قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله
صلعم والرشد ولا نفعا او اراد بالضر الغي ويدل عليه قراءة ابي غيا ولا رشدا والمعنى
لا استطيع ان اضركم وان انفعكم انما النافع والضار الله او لا استطيع ان اقسركم على
الغي والرشد انما القادر على ذلك الله عز وجل والبلاغا استثناء منه اي لا املك
الا بلاغا من الله وقيل اني لن يجيرني جملة معترضة اعترض بها لتاكيد نفي الاستطاعة
عن نفسه وبيان عجزه على معنى ان الله ان اراده بسوء من مرض او موت او غيرهما لم يصح
ان يجيره منه احد او يجد من دونه ملاذا ياوي اليه والملتحد الملتجا واصله المدخل من
اللحد وقيل محيصا ومعدلا وقرئ قال لا املك اي قال عبد الله للمشركين او للجن ويجوز
ان يكون من حكاية الجن لقومهم وقيل بلاغا بدل من ملتحدا اي لن اجد من دونه منجا الا ان
ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الا هي ان لا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا كقولك ان لا قياما فقعودا

ذكر ما يوجب الطباق فلم على مقتضى وعداوتي او قال للجن

ورسالاته عطف على بلاغا كانه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات والمعنى الا ان ابلغ
عن الله فاقول قال الله كذا ناسبا لقوله اليه وان ابلغ رسالاته التي ارسلني بها من غير
زيادة ولا نقصان **فان قلت** الا يقال بلغ عنه ومنه قوله عليه السلم بلغوا عني **قلت** بلغوا عني
من ليست بصلة التبليغ انما هي بمنزلة من في قوله براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله وقرئ فان
له نار جهنم على فجزاؤه ان له نار جهنم كقوله فان لله خمسه اي فحكمه ان لله خمسه وقال خالدين
حملا على معنى الجمع في من **فان قلت** بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له **قلت**
بقوله يكونون عليه لبدا على انهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره
ويستقلون عددهم حتى اذا راوا ما يوعدون من يوم بدر واظهار الله عليهم او من يوم القيامة
فسيعلمون حينئذ انهم اضعف ناصرا واقل عددا ويجوز ان يتعلق بمحذوف دلت عليه
الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كانه قال لا يزالون على ما هم عليه
اذا راوا ما يوعدون قال المشركون متى يكون هذا الموعود انكارا له فقيل قل انه كائن
لا ريب فيه فلا تنكروه فان الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد واما وقته فما ادري
متى يكون لان الله لم يبينه لما راى في اخفاء وقته من المصلحة **فان قلت** ما معنى قوله ام
يجعل له ربي امدا والامد يكون قريبا وبعيدا الا ترى الى قوله تود لو ان بينها وبينه امدا
بعيدا **قلت** كان رسول الله صلعم يستقرب الموعد فكانه قال ما ادري اهو حال متوقع
في كل ساعة ام موجل ضربت له غاية اي هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع ومن رسول
تبيين لمن ارتضى يعني انه لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة
لا كل مرتضى وفي هذا ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم وان كانوا اولياء مرتضين
فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة

والتنجيم

والتنجيم لان اصحابهما ابعد شيء من الارتضاء وادخله في السخط فانه يسلك من بين يديه من
ارتضى للرسالة ومن خلفه رصدا حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم
عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ما اوحي به اليه وعن الضحاك ما بعث
نبي الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك ليعلم الله ان قد
ابلغوا رسالات ربهم يعني الانبياء وحد اولا على اللفظ في قوله من بين يديه ومن خلفه ثم
جمع على المعنى كقوله فان له نار جهنم خالدين والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة
من الزيادة والنقصان وذكر العلم كذكره في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين وقرئ ليعلم على
البناء للمفعول واحاط بما لديهم بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء ولا ينسى
منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها واحصى كل شيء من القطر والرمل وورق الاشجار
وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال اي ضبط
كل شيء معدودا محصورا او مصدرا في معنى احصاء عن رسول الله صلعم من قرا سورة الجن
كان له بعدد كل جني صدق محمدا وكذب به عتق رقبة ٢٢٢

سورة المزمل مكية وهي تسع عشرة او عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم المزمل المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه اي تلفف بها فادغم
التاء في الزاي ونحوه المدثر في المتدثر وقرئ المتزمل على الاصل والمزمل بتخفيف الزاي
وفتح الميم وكسرها على انه اسم فاعل او مفعول من زمله وهو الذي زمله غيره او زمل نفسه
وكان رسول الله صلعم نائما بالليل متزملا في قطيفة فنبه ونودي بما يهجن اليه الحالة التي
كان عليها من التزمل في قطيفة واستعداده للاستثقال في النوم كما يفعل من لا يهمه امر

ولا يعنيه شان الاثرى الى قول ذى الرمه وكاين تخطت ناقتى من مفازة ومن نائم عن
ليلها متزمل يريد الكسلان المتقاعس الذى لا ينهض فى معاظم الامور وكفايات
الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه سهدا اذا ما نام ليل الهوجل وفى امثالهم
اوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الابل فذمه بالاشتمال بكسائه و
جعل ذلك خلاف الجلد والكيس وامر بان يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر
والتخفف للعبادة والمجاهدة فى الله لا جرم ان رسول الله صلعم قد تشمر لذلك مع اصحابه
حق التشمر واقبلوا على احياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى
انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت السيماء فى وجوههم وترامى امرهم الى حد
رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا فى مرط لعايشه رضى الله عنها يصلى فهو على
هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التى كان عليها وامر بان يدوم على ذلك
ويواظب عليه وعن عايشه انها سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله اربع عشرة
ذراعا نصفه على وانا نايمه ونصفه عليه وهو يصلى فسئلت ما كان قالت والله ما كان
خزا ولا قزا ولا مرعزى ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل دخل
على خديجة وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبرئيل عليه السلم وبوادره ترعد فقال زملونى
زملونى وحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبرئيل يا ايها المزمل وعن عكرمة
ان المعنى يا ايها الذى زمل امرا عظيما اى حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله وقرى
قم الليل بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جنى الغرض بهذه الحركة التبلغ بها هربا من
التقاء الساكنين فباى الحركات تحرك فقد وقع الغرض نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء
من النصف كانه قم اقل من نصف الليل والضمير فى منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين

بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان
من النصف والزيادة عليه وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا
بين ثلث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزايد عليه وانما
وصف النصف بالقلة بالنسبه الى الكل وان شئت قلت لما كان معنى قم الليل
الا قليلا نصفه اذا ابدلت النصف من الليل قم اقل من نصف الليل رجع الضمير فى
منه وعليه الى الاقل من النصف فكانه قيل قم اقل من نصف الليل او قم انقص من
ذلك او ازيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث ويجوز اذا
ابدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان تجعل قليلا الثانى بمعنى نصف النصف وهو
الربع كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل اعنى الربع نصف
الربع كانه قيل او زد عليه قليلا نصفه ويجوز ان تجعل الزياده لكونها مطلقة تتمة الثلث
فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع **فان قلت** اكان القيام فرضا ام
نفلا **قلت** عن عايشه رضى الله عنها ان الله جعله تطوعا بعد ان كان فريضة
وقيل كان فرضا قبل ان تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن الا ما تطوعوا به وعن
الحسن كان قيام ثلث الليل فريضه وكانوا على ذلك سنه وقيل كان واجبا وانما وقع
التخيير فى المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين وعن الكلبى كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة ان
لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير فى المقدار
ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك ترتيل القران قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين
الحروف واشباع الحركات حتى يجى المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه
بنور الاقحوان وان لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر رضى الله عنه شر السير الحقحقة

وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه المتلو في تتابعه الثغر الالص وسئلت عايشه رضي الله
عنها عن قراءة رسول الله صلعم فقالت لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها
وترتيلا تاكيد في ايجاب الامر به وانه مالا بد منه للقارى هذه الاية اعتراض ويعني بالقول
الثقيل القرآن وما فيه من الاوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين
خاصة على رسول الله صلعم لانه متحملها بنفسه ومحملها امته فهي اثقل عليه وابهظ له
واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة
التي ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة والهدوء فلا بد لمن احياه من مضادة
لطبعه ومجاهدة لنفسه وعن ابن عباس كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له
جلده وعن عايشه رضي الله عنها رايته ينزل عليه الوحي في يوم الشديد البرد فيفصم عنه وان
جبينه ليرفض عرقا وعن الحسن ثقيل في الميزان وقيل ثقيل على المنافقين وقيل كلام
له وزن ورجحان ليس بالسفساف ناشئة الليل النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها
الى العبادة اي تنهض وترتفع من نشأت السحابة اذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشز اذا
نهض قال نشانا الى خوص برى نيها السرى والصق منها مشرفات القماحد او قيام الليل
على ان الناشئة مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعاقبة ويدل عليه ما روي عن
عبيد بن عمير قلت لعايشه رجل قام من اول الليل اتقولين له قام ناشئة قالت لا انما الناشئة
القيام بعد النوم ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع او العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث
وترتفع وقيل هي ساعات الليل كلها لانها تحدث واحدة بعد اخرى وقيل الساعات الاول
منه وعن علي بن الحسين انه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول اما سمعتم قول الله عز وجل ان
ناشئة الليل هي اشد وطأ هي خاصة دون ناشئة النهار اشد مواطأة

يواطى

يواطى

قلبها لسانها ان اردت النفس او يواطي فيها قلب القايم لسانه ان اردت القيام او العبادة
او الساعات او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص وعن الحسن اشد موافقة
بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق وقرئ اشد وطاء بالفتح والكسر والمعنى اشد
ثبات قدم وابعد من الزلل او اثقل واغلظ على المصلي من صلوة النهار من قوله عليه السلم
اللهم اشدد وطاتك على مضر واقوم قيلا واسد مقالا واثبت قراءة لهدو الاصوات وعن
انس رضي الله عنه انه قرا واصوب قيلا فقيل يا باحمزة انما هي واقوم فقال ان اقوم
واصوب واهيا واحد وروى ابو زيد الانصاري عن ابي سرار الغنوي انه كان يقرا
فحاسوا بحاء غير معجمة فقيل له انما هو جاسوا بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد سبحا
تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ الا بالليل فعليك بمناجاة التي تقتضي
فراغ البال وانتفاء الشواغل فاما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو نفشه
ونشر اجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما
كلفه منه وهو ان الليل اعون على المواطاة واشد للقراءة لهدو الرجل وخفوت الصوت
وانه اجمع للقلب واضم لنشر الهم من النهار لانه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب
في حوائج المعاش والمعاد وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك وقيل ان فاتك من
الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه واذكر اسم ربك ودم على ذكره في ليلك ونهارك
واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد
وصلوة وتلاوة قرآن ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلعم يستغرق به ساعات
ليله ونهاره وتبتل اليه وانقطع اليه فان قلت كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا قلت لان

معي تبتل بتل نفسه فجى به على معناه مراعاة لحق الفواصل رب المشرق والمغرب قرى
مرفوعًا على المدح ومجرورًا على البدل من ربك وعن ابن عباس على القسم باضمار حرف
القسم كقولك الله لا فعلن وجوابه لا اله الا هو كما تقول والله لا احد في الدار الا زيد وقراء
ابن عباس رب المشارق والمغارب فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليلة لانه هو وحده هو
الذي يجب لتوحده بالربوبية ان توكل اليه الامور وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك من
النصر والاظهار الهجر الجميل ان يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة
والاغضاء وترك المكافاة وعن ابي الدرداء رضي الله عنه انا لنكشر في وجوه قوم ونضحك
اليهم وان قلوبنا لتقليهم وقيل هو منسوخ باية السيف اذا عرف الرجل من صاحبه
انه مستهم بخطب يريد ان يكفاه او بغلق يشتهي ان يفرج له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر
عليه قال ذرني واياه اي لا تحتاج الى الظفر بمرادك ومشتهاك الا ان تخلي بيني وبينه
بان تكل امره الي وتستكفينيه فان في ما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثم منع حتى يطلب
اليه ان يدعه واياه الا ترك الاستكفاء والتفويض كانه اذا لم يكل اليه امره وكانه منعه منه فاذا
وكله اليه فقد ازال المنع وتركه واياه وفيه دليل على الوثوق بانه يتمكن من الوفاء بافضى
ما تدور حوله امنية المخاطب ومما يزيد عليه النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة
يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد قريش وكانوا اهل تنعم وترفه ان لدينا ما يضاد تنعمهم من
انكال وهي القيود الثقال عن الشعبي اذا رنعوا استغلت بهم الواحد نكل فنكل ومن
جحيم وهي المنازل الشديدة الحر والاتقاد ومن طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في الحلوق
فلا يساغ يعني الضريع وشجر الزقوم ومن عذاب اليم من ساير العذاب فلا ترى موكولا اليه امرهم
موذورًا بينه وبينهم يسقم ومنهم منك ذلك الانتقام وروي ان النبي صلعم قرا هذه الاية فصعق

وعن الحسن انه امسى صائمًا فاتي بطعام فعرضت له هذه الاية فقال ارفعه ووضع عنده
الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الثالثة فاخبر ثابت البناني ويزيد
الضبي ويحيى البكاء فجاءوا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق يوم ترجف منصوب
بما في لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشيء
اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول في اصله ومنه الكثبة من اللبن قالت الضائنة اجز جفالا
واحلب كثبًا عجالا اي كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا اي نثر واسيل الخطاب لاهل
مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بكفركم وتكذيبكم فان قلت لم نكر الرسول
ثم عرف قلت لانه اراد ارسلنا الى فرعون بعض الرسل فلما اعاده وهو معهود
بالذكر ادخل لام التعريف اشارة الى المذكور بعينه وبيلا ثقيلا غليظا من قولهم كلاء
وبيل وخم لا يستمرى لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم يومًا مفعول به
اي فكيف تقون انفسكم يوم القيامة وهوله ان بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحًا
ويجوز ان يكون ظرفا اي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا ويجوز ان
ينتصب بكفرتم على تاويل جحدتم اي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة والجزاء
لان تقوى الله خوف عقابه ويجعل الولدان شيبًا مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم
يشيب نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان اسرع
فيه الشيب قال ابو الطيب والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم
وقد مر بي في بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحنك الغراب واصبح وهو ابيض الراس
واللحية كالثغامة فقال اريت القيامة والجنة والنار في المنام ورايت الناس يقادون
في السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون ويجوز ان يوصف اليوم بالطول

وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب والسماء منفطر به وصف لليوم
بالشدة ايضا وان السماء على عظمها واحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من الخلائق
وقرى منفطر ومتفطر والمعنى ذات انفطار او على تاويل السماء بالسقف او السماء شي
منفطر والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني انها تنفطر لشدة
ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشي بما يفطر به ويجوز ان يراد السماء مثقلة به اثقالا يودي
الى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه كقوله ثقلت في السموات والارض وعده
من اضافة المصدر الى المفعول والضمير لليوم ويجوز ان يكون مضافا الى الفاعل وهو الله
ولم يجر له ذكر لكونه معلوما ان هذه الآيات الناطقة بالوعيد الشديد تذكرة موعظة
فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل اليه التقرب
والتوسل بالطاعة ادنى من ثلثي اقل منهما وانما استعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان
المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك وقرى
ونصفه وثلثه بالنصب على انك تقوم اقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث وهو
مطابق لما مر في اول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه
وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو الادنى من الثلثين وقرى ونصفه وثلثه بالجر اي
تقوم اقل من الثلثين واقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو ادنى
من الثلثين والثلث وهو ادنى من النصف والربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير و
طائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار ولا يقدر على
تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدا مبنيا
عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى انكم لا تقدرون عليه والضمير في لن

تحصوه

٢٣٨

تحصوه لمصدر يقدر اي علم انه لا يصح منكم ضبط الاوقات ولا يتاتى حسابها بالتعديل
والتسوية الا ان تاخذوا بالاوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم فتاب عليكم
عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر كقوله فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن
والمعنى انه رفع التبعة في تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التائب وعبر عن الصلوة بالقراءة
لانها بعض اركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من
صلوة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها
قيل يقرا مائة آية ومن قرا مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن وقيل من قرا مائة آية كتب من
القانتين وقيل خمسين آية وقد بين الحكمة في النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين في
الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل وقيل سوى الله بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا
فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وعن عبد الله بن عمر ما خلق الله موتة اموتها
بعد القتل في سبيل الله احب الي من ان اموت بين شعبتي رحلي اضرب في الارض ابتغي من فضل
الله وعلم استيناف على تقدير السوال عن وجه النسخ واقيموا الصلوة يعني المفروضة والزكوة
الواجبة وقيل زكوة الفطر لانه لم يكن بمكة زكوة وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكوة
الواجبة جعل آخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا حسنا يجوز ان يريد ساير الصدقات وان
يريد اداء الزكوة على احسن وجه من اخراج اطيب المال واعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء
وجه الله والصرف الى المستحق وان يريد كل شي يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال خيرا ثاني
مفعولي وجد وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه في امتناعه من حرف التعريف
المعرفة وقرا ابو السمال هو خير واعظم اجرا بالرفع على الابتداء والخبر عن رسول الله صلعم من قرا

سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم المدثر لابس الدثار وهو ما فوق الشعار
وهو الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله عليه السلام الانصار شعار والناس دثار وقيل
هي اول سورة نزلت روى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلعم قال كنت على جبل حراء
فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وعن يساري فلم ار شيا فنظرت
فوقي فرايت شيا وفي رواية عائشة رضي الله عنها فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش
بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني
دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن الزهري اول ما نزل سورة اقرا باسم ربك
الى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله صلعم فجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل فقال انك نبي الله
فرجع الى خديجة وقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش
ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه و
آذوه وعن عكرمة انه قرا على لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب
بك كما قال في المزمل قم من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فانذر فحذر قومك من عذاب الله
ان لم يومنوا والصحيح ان المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له باحد وربك فكبر واختص
ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وان يقال الله اكبر ويروى انه لما نزل قال النبي صلعم الله اكبر فكبرت
خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة ودخلت الفاء لمعنى الشرط
كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره وثيابك فطهر امر بان تكون ثيابه طاهرة من النجاسات لان طهارة

الثياب

الثياب شرط في الصلوة لا تصح الا بها وهي الاولى والاحب في غير الصلوة وقبيح بالمؤمن
الطيب ان يحمل خبثا وقيل هو امر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب
وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن معه اصابة النجاسة وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر
من الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والاردان
اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك
لان الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكني به عنه الا ترى الى قولهم اعجبني زيد ثوبه
كما يقولون اعجبني زيد عقله وخلقه ويقولون المجد في ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب
ان من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته وابى الا اجتناب الخبث وايثار الطهر
في كل شي والرجز قرئ بالكسر والضم وهو العذاب ومعناه اهجر ما يودي اليه من عبادة
الاوثان وغيرها من المآثم والمعنى الثبات على هجره لانه كان بريا منه قرا الحسن
ولا تمنن تستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال اي لا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا
او طالبا للكثير نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب
له اكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان
احدهما ان يكون نهيا خاصا برسول الله صلعم لان الله اختار له اشرف الآداب واحسن
الاخلاق والثاني ان يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولامته وقرا الحسن تستكثر بالسكون وفيه
ثلثة اوجه الابدال من تمنن كانه قيل ولا تمنن لا تستكثر على انه من المن في قوله عز وجل ثم لا
يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لان من شان المنان بما يعطي ان يستكثره اي يراه كثيرا و
يعتد به وان يشبه ثرو بعضد يسكن تخفيفا وان يعتبر حال الوقف وقرا الاعمش بالنصب باضمار

ان كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويؤيده قراءة ابن مسعود ولا تمنن ان تستكثر ويجوز
في الرفع ان يحذف ان ويبطل عملها كما روى احضر الوغى بالرفع ولربك فاصبر ولوجه الله
فاستعمل الصبر وقيل على اذى المشركين وقيل على اداء الفرايض وعن النخعي على عطيتك
كانه وصله بما قبله وجعله صبرا على العطاء من غير استكثار والوجه ان يكون امرا بنفس
الفعل وان يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على اذى الكفار
لانه احد ما يتناوله العام والفاء في قوله فاذا نقر للتسبيب كانه قال اصبر على اذاهم
فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والفاء في فذلك
للجزاء **فان قلت** بم انتصب اذا وكيف صح ان يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير
قلت انتصب اذا بما دل عليه الجزاء لان المعنى فاذا نقر في الناقور عسر الامر على
الكافرين والذي اجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير ان المعنى فذلك وقت النقر
وقوع يوم عسير لان يوم القيمة ياتي ويقع حين ينقر في الناقور واختلف في انها النفخة
الاولى ام الثانية ويجوز ان يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر
كانه قيل فيوم النقر يوم عسير **فان قلت** فما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه **قلت**
لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بانه لا يكون عليهم كما يكون
على المومنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المومنين وتسليتهم
ويجوز ان يراد انه عسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من امور الدنيا وحيدا
حال من الله عز وجل على معنيين احدهما ذرني وحدي معه فانا اجزيك في الانتقام منه عن
كل منتقم والثاني خلقته وحدي ولم يشركني في خلقه احد او حال من المخلوق على معنى خلقته
وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقيل نزلت

في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد
نزول الاية فان كان ملقبا به قبل فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذي كانوا
يؤمونه من مدحه والثناء عليه بانه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه في الدنيا الى وجه
الذم والعيب وهو انه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد فاتاه الله ذلك فكفر بنعمة الله واشرك
به واستهزا بدينه ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قيل كان
له الزرع والضرع والتجارة وعن ابن عباس هو ما كان له بين مكة والطايف من صنوف
الاموال وقيل كان له بستان بالطايف لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقيل كان له
الف مثقال وقيل اربعة الاف وقيل تسعة الاف وقيل الف الف وعن ابن جريج غلة
شهر بشهر وبنين شهودا حضورا معه بمكة لا يفارقونه للتصرف في عمل او تجارة لانهم مكفيون
لوفور نعمة ابيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بانفسهم فهو مستانس بهم لا
يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق
اليهم ويجوز ان يكون معناه انهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل او تسمع شهاداتهم
فيما يتحاكم فيه وعن مجاهد كان له عشرة بنين وقيل ثلثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال
الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلثة خالد
وهشام وعمارة ومهدت له تمهيدا وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فاتممت
عليه نعمتي الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا ومنه قول الناس ادام الله تاييدك
وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك
لقب بالوحيد وريحانة قريش ثم يطمع استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه يعني انه لا
مزيد على ما اوتي سعة وكثرة وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي

كلا ردع لرجائه وطمعه انه كان لآياتنا عنيدا تعليل للردع على وجه الاستئناف
كان قايلا قال لم لا يزاد فقيل انه كان معاندا لآيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر
لا يستحق المزيد وروي انه ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى
هلك سارهقه صعودا سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب
الشاق الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلعم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما
وضع عليها يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت
وعنه عليه السلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا
انه فكر تعليل للوعيد كان الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز في الدنيا
لعناده ويعاقبه في الآخرة باشد العذاب وافظعه لبلوغه بالعناد غايته واقصاه في تفكيره
وتسميته القرآن سحرا ويجوز ان يكون كلمة الردع متبوعة بقوله سارهقه صعودا ردا
لزعمه ان الجنة لم تخلق الا له واخبارا بانه من اشد اهل النار عذابا ويعلل ذلك بعناده
ويكون قوله انه فكر بدلا من قوله انه كان لآياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده ومعناه فكر ماذا
يقول في القرآن وقدر في نفسه ما يقوله وهياه فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته
فيه المحز ورميه الغرض الذي كان تنتحيه قريش او ثنا عليه على طريقة الاستهزاء به او هي
حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم
لقوله ومعنى قول القايل قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ المبلغ
الذي هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني مخزوم
والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان
عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبا والله

الوليد

٢٤١

الوليد لتصبان قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه
فقام فاتاهم فقال اتزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن
فهل رايتموه قط يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه
كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر
فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا
سحر ياثره عن مسيلمة وعن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين
منه ثم نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما خطرت
بباله الكلمة الشنعاء وهم بان يرمي بها وصف اشكاله التي تشكل بها حتى استنبط ما
استنبطه استهزاء به وقيل قدر ما يقوله ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل فلم يدر
ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله ثم ادبر عن الحق واستكبر عنه فقال ما قال وثم نظر
عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما **فان قلت** ما معنى ثم الداخلة في تكرير الدعاء
قلت الدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ من الاولى ونحوه قوله الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي
فان قلت ما معنى المتوسطة بين الافعال التي بعدها **قلت** الدلالة على انه
قد تانى في التامل وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد **فان قلت** فلم قيل
فقال ان هذا بالفاء بعد عطف ما قبله بثم **قلت** لان الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب
لم يتمالك ان نطق بها من غير تلبث **فان قلت** فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين
قلت لان الاخرى جرت من الاولى مجرى التوكيد من المؤكد سأصليه سقر بدل من
سارهقه صعودا لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا اهلك لم تذره هالكا حتى يعاد او لا
تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لواحة من لوح الهجير قال

تقول ما لاحك يا مسافر يا بنت عمي لاحني الهواجر قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد
سوادا من الليل والبشر اعالي الجلود وعن الحسن تلوح للناس كقوله ثم لترونها عين اليقين
وقرى لواحة نصبا على الاختصاص للتهويل عليها تسعة عشر اى يلي امرها ويتسلط
على اهلها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا وقرى تسعة عشر
بسكون العين لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرى تسعة اعشر جمع عشير
مثل يمين وايمن جعلهم ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس فلا ياخذهم ما
ياخذ المجانس من الرافة والرقة ولا يستروحون اليهم لانهم اقوم خلق الله بحق الله وبالغضب
له فتؤمن هوادتهم ولانهم اشد الخلق باسا واقواهم بطشا وعن عمرو بن دينار واحد منهم
يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر وعن النبي صلعم كان اعينهم البرق و
كان افواههم الصياصي يجرون اشعارهم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة
وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروى انه لما نزلت عليها تسعة
عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر
وانتم الدهم الشجعان افيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشدين اسيد بن كلدة
الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فانزل الله وما جعلنا
اصحاب النار الا ملائكة اى وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون **فان قلت** قد جعل
افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان اهل الكتاب وزيادة ايمان المؤمنين واستهزاء
الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك **قلت** ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك
وانما العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك ان المراد بقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين
كفروا وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لان حال هذه

العدة

العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين ان يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض
ويستهزئ ولا يذعن اذعان المؤمن وان خفي عليه وجه الحكمة كانه قيل ولقد جعلنا
عدتهم عدة من شانها ان يفتتن بها لاجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان
اهل الكتاب لان عدتهم تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القرآن ايقنوا
انه منزل من الله وازدياد المؤمنين ايمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما انزل ولما راوا
من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك **فان قلت** لم قال ولا يرتاب الذين
اوتوا الكتاب والمؤمنون والاستيقان وازدياد الايمان دالا على انتفاء الارتياب **قلت**
لانه اذا جمع لهم اثبات اليقين ونفي الشك كان ابلغ واكد لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر
ولان فيه تعريضا بحال من عداهم كانه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من اهل
النفاق والكفر **فان قلت** كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون والسورة
مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة **قلت** معناه وليقول المنافقون الذين
ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة ماذا اراد الله بهذا مثلا
وليس في ذلك الا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب وذلك لا يخالف
كون السورة مكية ويجوز ان يراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين وبعضهم
قاطعين بالكذب **فان قلت** قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب
وقول المنافقين والكافرين ما قالوا فهب ان الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح ان يكون غرضا
فكيف صح ان يكون قول المنافقين والكافرين غرضا **قلت** افادت اللام معنى العلة
والسبب ولا يجب في العلة ان تكون غرضا الا ترى الى قولك خرجت من البلد مخافة
الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك مثلا تمييز لهذا او حال منه كقولهم

باقة الله لكم انه **فان قلت** لم سموه مثلا **قلت** هو استعارة من المثل المضروب
لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا له والمعنى اى
شيء اراد الله بهذا العدد العجيب واى غرض قصد فى ان جعل الملائكة تسعة عشر لا
عشرين سواء ومرادهم انكاره من اصله وانه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله
لما جاء بهذا العدد الناقص الكاف فى كذلك نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى
الاضلال والهدى اى مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدى
المؤمنين يعنى يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون
له لاعتقادهم ان افعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم ايمانا وينكره الكافرون ويشكون
فيه فيزيدهم كفرا وضلالا وما يعلم جنود ربك وما عليه كل جند من العدد الخاص من
كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص وما فى اختصاص كل جند بعدده من
الحكمة الا هو ولا سبيل لاحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة فى اعداد السموات والارضين
وايام السنة والشهور والبروج والكواكب واعداد النصب والحدود والكفارات والصلوات
فى الشريعة او وما يعلم جنوده ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين
ولكن له فى هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها وقيل هو جواب لقول ابى جهل
اما لرب محمد اعوان الا تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الى قوله الا هو اعتراض
وقوله وما هى الا ذكرى متصل بوصف سقر وهى ضميرها اى وما سقر وصفتها الا تذكرة للبشر
او ضمير الآيات التى ذكرت فيها كلا انكار بعد ان جعلها ذكرى ان يكون لهم ذكرى لانهم
لا يتذكرون او ردع لمن ينكر ان تكون احدى الكبر نذيرا ودبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل
ومنه صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه وقرى اذا ادبر اذا

لاحدى الكبر جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت
الف التانيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافى جمع
السافياء والقواصع فى جمع القاصعاء كانها جمع فاعلة اى لاحدى البلايا او الدواهى الكبر
ومعنى كونها احداهن انها من بينهن واحدة فى العظم لا نظيرة لها كما تقول هو احد الرجال
وهى احدى النساء ونذيرا تمييز من احدى على معنى انها لاحدى الدواهى انذارا كما تقول هى
احدى النساء عفافا وقيل هى حال وقيل هو متصل باول السورة يعنى قم نذيرا وهو من
بدع التفاسير وفى قراءة ابى نذير بالرفع خبر بعد خبر لان او بحذف المبتدا ان يتقدم
فى موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك لمن توضا ان يصلى ومعناه مطلق
لمن شاء التقدم والتاخر ان يتقدم او يتاخر والمراد بالتقدم والتاخر السبق الى الخير والتخلف
عنه وهو كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز ان يكون لمن شاء بدلا من للبشر على
انها منذرة للمكلفين الممكنين الذين ان شاؤا تقدموا ففازوا وان شاؤا تاخروا فهلكوا
رهينة ليست بتانيث رهين فى قوله كل امرئ بما كسب رهين لتانيث النفس لانه لو قصدت
الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وانما هى اسم بمعنى
الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة ابعد الذى
بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذى تراب وجندل كانه قال رهن رمس والمعنى كل
نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك الا اصحاب اليمين فانهم فكوا عنه رقابهم بما اطابوه من
كسبهم كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق وعن على رضى الله عنه انه فسر اصحاب اليمين بالاطفال لانهم
لا اعمال لهم يرتهنون بها وعن ابن عباس رضى الله عنه هم الملائكة فى جنات اى هم فى جنات لا يكتنه
وصفها يتساءلون عن المجرمين يسال بعضهم بعضا عنهم او يتساءلون غيرهم عنهم كقولك دعوته

ونداعيناه. فان قلت كيف طابق قوله ما سلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون
عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما كان يطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم
قلت ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤولين عنهم لان المسؤولين
يلقون الى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا
لم نك من المصلين الا ان الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة
نظمه الخوض الشروع في الباطل وما لا ينبغي فان قلت لم يسألونهم وهم عالمون بذلك
قلت توبيخا لهم وتحسيرا وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين وقد
عضد بعضهم تفسير اصحاب اليمين بالاطفال انهم انما سألوهم لانهم ولدان لا يعرفون موجب
دخول النار. فان قلت ايريدون ان كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار ام دخلها النار
بعضهم بهذه وبعضهم بهذه قلت يحتمل الامرين جميعا فان قلت لم اخر التكذيب
وهو اعظمها قلت ارادوا انهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما
للتكذيب كقوله ثم كان من الذين امنوا اليقين الموت ومقدماته اى لو شفع لهم الشافعون
جميعا من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه الله
وهم مسخوط عليهم وفيه دليل على ان الشفاعة تنفع يومئذ لانها تزيد في درجات المرتضين
عن التذكرة عن التذكير وهو العظة يريد القرآن وغيره من المواعظ ومعرضين نصب على
الحال كقولك ما لك قائما والمستنفرة الشديدة النفار كانها تطلب النفار من نفوسها
في جمعها له وحملها عليه وقرئ بالفتح وهي المنفرة المحمولة على النفار والقسورة جماعة الرماة
الذين يتصيدونها وقيل الاسد يقال ليوث قساور وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة
وفي وزنه الحيدرة من اسماء الاسد وعن ابن عباس ركز الناس اصواتهم وعن عكرمة ظلمة

الليل

الليل شبههم في اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر جدت
في نفارها مما افزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في قوله كمثل الحمار
يحمل اسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها
في العدو اذا رابها رائب ولذلك كان اكثر تشبيهات العرب في وصف الابل وشدة
سيرها بالحمر وعدوها اذا وردت ماء فاحست عليه بقانص صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ
كالكتب التي يتكاتب بها او كتبا كتبت في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة
على ايديها غضة رطبة لم تطو بعد وذلك انهم قالوا لرسول الله لن نتبعك حتى تأتي كل
واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك
ونحوه قوله لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ولو نزلنا عليك كتابا في
قرطاس فلمسوه بايديهم الآية وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس
كل رجل منا صحيفة فيها براءته وامنه من النار وقيل كانوا يقولون بلغنا ان الرجل من بني
اسرائيل كان يصبح مكتوبا على رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة
بمعزل الا ان يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة وقرأ سعيد بن جبير
صحفا منشرة بتخفيفهما على ان انشر الصحف ونشرها واحد كانزله ونزله ردعهم بقوله كلا
عن تلك الارادة وزجرهم عن اقتراح الآيات ثم قال بل لا يخافون الآخرة فلذلك اعرضوا
عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف ثم ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال انه تذكرة
يعني تذكرة بليغة كافية مبهم امرها في الكفاية فمن شاء ان يذكره ولا ينساه ويجعله نصب
عينه فعل فان نفع ذلك راجع اليه والضمير في انه وذكره للتذكرة في قوله فما لهم عن التذكرة
معرضين وانما ذكر لانها في معنى الذكر او القرآن وما يذكرون الا ان يشاء الله يعني الا ان

تشآء الله يعني الآن ييسّرهم على الذكر ويلجئهم اليه لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم انهم
لا يؤمنون اختيارًا هو اهل التقوى واهل المغفرة هو حقيق بان تتّقيه عبادُه ويخافوا
عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بان يغفر لهم اذا آمنوا واطاعوا وروى انس عن رسول الله
صلعم اهل ان تتّقى واهل ان تغفر لمن اتقاه وقرى يذكرون بالياء مخففا ومشدّدا عن
رسول الله صلعم من قرا سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدّق بمحمّد وكذّب ..... بمكة م

سُورَةُ القِيَامَةِ وَهِيَ تِسْعٌ وَثَلٰثُونَ آيَةً

بسم الله الرحمن الرحيم ادخال لا النافية على فعل القسم
مُستفيض في كلامهم واشعارهم قال امرء القيس لا وابيك ابنة العامريّ لا يدّعي القومُ انّي
افرّ وقال غُوَيّة بن سَلمى الا نادت اُمامة باحتمال لتحزنني فلا بك ما اُبالي وفائدتها توكيد
القسم وقالوا انها صلة مثلها في لئلا يعلم اهل الكتاب وقوله في بئر لا حُورٍ سَرى وما شعَرْ
واعترضوا عليه بانها انما تزاد في وسط الكلام لا في اوله واجابوا بانّ القرآن في حكم سورة
واحدة متّصل بعضه ببعض والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الا في وسط الكلام ٥
ولكن الجواب غير الاترى الى امرء القيس كيف زادها في مستهل قصيدته والوجه ان يقال هي
للنفي والمعنى في ذلك انه لا يقسم بالشيء الا اعظاما له يدلك عليه قوله تعالى فلا اقسم بمواقع
النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكانه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي له باقسامي
به كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق ذلك وقيل ان لا نفي لكلام ورد له قبل القسم كانهم
انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل اقسم بيوم القيامة **فان قلت**
قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والابيات التي انشدتها المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت

ان لا التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكّدة له وقدّرت المقسم عليه المحذوف
ها هنا منفيًا كقولك لا اقسم بيوم القيمة لا تتركون سُدًى **قلت** لو قصر الامر على
النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ لم يقصر الاترى كيف لقّي لا اقسم بهذا
البلد بقوله لقد خلقنا الانسان في كبد وكذلك فلا اقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقرآن ولكنه م
كريم وقرى لاقسم على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتدا محذوف معناه لانا اقسم قالوا
وبعضده انه في الامام بغير الف بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفوس فيه اي
في يوم القيمة على تقصيرهن في التقوى او بالتي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت
في الاحسان وعن الحسن ان المومن لا تراه الا لائمًا نفسه وان الكافر يمضي قُدُمًا لا
يُعاتب نفسه وقيل هي التي تتلوّم تؤميد على ترك الازدياد ان كانت محسنة وعلى التفريط ان كانت م مسيئة وقيل
هي نفس آدم لم تزل تتلوّم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دلّ
عليه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو لتبعثن وقرا قتادة ان لن يجمع
عظامه على البناء للمفعول والمعنى نجمعها بعد تفرّقها ورجوعها رميمًا ورفاتا مختلطا
بالتراب بعدما سفته الرياح وطيّرتها في اباعد الارض وقيل ان عدي بن ابي ربيعة
ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله صلعم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء
قال لرسول الله صلعم يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امرها فاخبره
رسول الله فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم اومن به او يجمع الله العظام
فنزلت بلى اوجبت ما بعد النفي وهو الجمع كانه قيل بلى نجمعها وقادرين حال من الضمير في
نجمع اي نجمع العظام قادرين على تأليف جميعها واعادتها الى التركيب الاول الى ان نسوي
بنانه اي اصابعه التي هي اطرافه وآخر ما يتم به خلقه او على ان نسوي بنانه ونضم سلامياته

على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف
بكبار العظام وقيل معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على ان نسوي اصابع يديه ورجليه
اي نجعلها مستوية شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا تفرق بينها فلا يمكنه ان
يعمل بها شيئا مما يعمل باصابعه المفرقة ذات المفاصل والانامل من فنون الاعمال
والبسط والقبض والتاتي لما يريد من الحوائج وقرئ قادرون اي نحن قادرون بل يريد
عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما وان يكون ايجابا على ان يضرب
عن مستفهم عنه الى آخر او يضرب عن مستفهم عنه الى موجب ليفجر امامه ليدوم على
فجوره فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه وعن سعيد
بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف اتوب سوف اتوب حتى ياتيه الموت
على شر احواله واسوء اعماله يسال سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله ايان
يوم القيمة ونحوه ويقولون متى هذا الوعد برق البصر تحير فزعا واصله من برق الرجل
اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ برق من البريق اي لمع من شدة شخوصه وقرأ
ابو السمال بلق اذا انفتح وانفرج يقال بلق الباب وابلقته وبلقته فتحته وخسف القمر
وذهب ضوءه او ذهب بنفسه وقرئ وخسف على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر
حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل وجمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين
كانهما ثوران عقيران في النار وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى المفر
لا وزر لا ملجا وكل ما التجات اليه من جبل او غيره وتخلصت به فهو وزرك الى ربك خاصة
يومئذ مستقر العباد اي استقرارهم يعني انهم لا يقدرون ان يستقروا الى غيره وينصبوا
اليه او الى حكمه ترجع امور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم او الى ربك مستقرهم

اى

[illegible]

اي موضع قرارهم من جنة او نار اي مفوض ذلك الى مشيئته من شاء ادخله الجنة و
من شاء ادخله النار بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من ماله فتصدق
به وبما اخر فخلفه او بما قدم من عمل الخير والشر وبما اخر من سنة حسنة او سيئة فعمل
بها بعده وعن مجاهد باول عمله وآخره ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه بصيرة
حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالابصار في قوله فلما جاءتهم
آياتنا مبصرة او عين بصيرة والمعنى انه ينبأ باعماله وان لم ينبأ ففيه ما يجزي عن الانباء
لانه شاهد عليها بما عملت لان جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون ولو القى معاذيره ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه و
يجادل عنها وعن الضحاك ولو ارخى ستوره وقال المعاذير الستور واحدها معذار فان
صح فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب **فان قلت** اليس قياس
المعذرة ان تجمع على معاذر لا معاذير **قلت** المعاذير ليس بجمع معذرة وانما هو
اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر الضمير في به للقرآن وكان رسول الله صلعم اذا لقن
الوحي نازع جبريل القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان
يتفلت منه فامر بان يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضى اليه وحيه ثم يقفيه
بالدراسة الى ان يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل صلوات الله
عليه يقرا لتعجل به لتاخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة
بقوله ان علينا جمعه في صدرك واثبات قراءته في لسانك فاذا قراناه جعل قراءة جبريل
قراءته والقرآن القراءة فاتبع قرآنه فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطامن نفسك انه لا يبقى
غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه ثم ان علينا بيانه يعني اذا اشكل عليك شيء من معانيه

كانه كان يتعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه
ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه كلا ردع لرسول الله عن عادة العجلة
وانكار لها عليه وحث على الاناة والتؤدة وقد بالغ في ذلك باتباعه قوله بل تحبون
العاجلة كانه قال بل انتم يا بنى آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء
ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقرئ بالياء وهو ابلغ **فان قلت** كيف اتصل
قوله لا تحرك به لسانك الى آخره بذكر القيامة **قلت** اتصاله به من جهة هذا التخلص
منه الى التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة الوجه عبارة عن الجملة والناضرة
من نضرة النعيم الى ربها ناظرة تنظر الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره وهذا معنى تقديم المفعول
الا ترى الى قوله الى ربك يومئذ المستقر الى ربك يومئذ المساق الى الله تصير الامور واليه
ترجعون والى الله المصير عليه توكلت واليه انيب كيف دل فيها التقديم على معنى
الاختصاص ومعلوم انهم ينظرون الى اشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد
في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم فان المؤمنين نظارة ذلك اليوم لانهم الآمنون الذين
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه محال فوجب
حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه ان يكون من قول الناس انا
الى فلان ناظر ما يصنع بي يريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل واذا نظرت اليك من
ملك والبحر دونك زدتني نعما وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس
ابوابهم ويأوون الى مقايلهم تقول عيينتي نويظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون
النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا الله والباسر الشديد
العبوس والباسل اشد منه ولكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن تتوقع ان يفعل بها

كل فعل هو في شدته وفظاعته فاقرة داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه
الناظرة ان يفعل بها كل خير كلا ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كانه قيل ارتدعوا عن
ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة وتنتقلون الى
الآجلة التي تبقون فيها مخلدين والضمير في بلغت للنفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذي
وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم اماوي ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما و
ضاق بها الصدر وتقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون
السماء التراقي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذي هو
اول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها قال حاضروا صاحبها وهو المحتضر وفاره
بعضهم لبعض من راق ايكم يرقيه مما به وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه
ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وظن المحتضر انه الفراق ان الذي نزل به هو فراق
الدنيا المحبوبة والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند علز الموت وعن قتادة
ماتت رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليهما جوالا وقيل تلتف شدة فراق الدنيا بشدة اقبال
الآخرة على ان الساق مثل في الشدة وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان في اكفانه
المساق اي يساق الى الله تعالى والى حكمه ولا صدق ولا صلى يعني الانسان في قوله ايحسب
الانسان ان لن نجمع عظامه الا ترى الى قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى وهو
معطوف على قوله يسأل ايان يوم القيامة اي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن
ولا صلى ويجوز ان يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه وقيل نزلت في ابي جهل يتمطى يتبختر
واصله يتمطط اي يتمدد لان المتبختر يمد خطاه وقيل هو من المطا وهو الظهر لانه يلويه
وفي الحديث اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم

كذب رسول الله وتولى عنه واعرض ثم ذهب الى قومه يتبختر افتخارا بذلك
اولى لك بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه ما يكره فخلق فقدر فسوى فجعل
منه من الانسان الزوجين الصنفين اليس ذلك الذى انشا هذا الانشاء بقادر على
الاعادة وروى ان رسول الله صلعم كان اذا قراها قال سبحانك بلى عن رسول الله
صلعم من قرا سورة القيامة شهدت انا وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا بيوم القيمة

سورة الانسان مكية وهى احدى وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هل بمعنى قد فى الاستفهام خاصة والاصل
اهل بدليل قوله اهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم فالمعنى اقد اتى على التقرير والتقريب
جميعا اى اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيئا
مذكورا اى كان شيئا منسيا غير مذكور نطفة فى الاصلاب والمراد بالانسان جنس
بنى ادم بدليل قوله انا خلقنا الانسان من نطفة حين من الدهر طائفة من الزمان الطويل
الممتد فان قلت ما محل لم يكن شيئا مذكورا قلت محله النصب على الحال
من الانسان كانه قيل هل اتى عليه حين من الدهر غير مذكور او الرفع على الوصف لحين
كقوله يوما لا يجزى والد عن ولده وعن بعضهم انها تليت عنده فقال ليتها تمت اراد
ليت تلك الحالة تمت وهى كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف نطفة امشاج
كبرمة اعشار وبرد اكياش وهى الفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد
ويقال ايضا نطفة مشج قال الشماخ طوت احشاء مرتجة لوقت على مشج سلالته مهين ولا يصح
امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما مثلان فى الافراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه

بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيه الماءان وعن ابن مسعود هى عروق النطفة وعن قتادة
امشاج الوان واطوار يريد انها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة نبتليه فى موضع الحال
اى خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا
تريد قاصدا به الصيد غدا ويجوز ان يراد ناقلين له من حال الى حال فسمى ذلك ابتلاء
على طريق الاستعارة وعن ابن عباس نصرفه فى بطن امه نطفة ثم علقة وقيل هو فى تقدير
التاخير يعنى فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من التعسف شاكرا وكفورا حالان من
الهاء فى هديناه اى مكناه واقدرناه فى حالتيه جميعا اى دعوناه الى الاسلام بادلة السمع
والعقل كان معلوما منه انه يؤمن او يكفر لالزام الحجة ويجوز ان يكونا حالين من السبيل
اى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله وهديناه النجدين فوصف
السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرا ابو السمال بفتح الهمزة فى اما وهى قراءة حسنة والمعنى
اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره ولما ذكر الفريقين اتبعهما الوعد والوعيد
وقرئ سلاسل غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان احدهما ان تكون هذه النون
بدلا من حرف الاطلاق ويجرى الوصل مجرى الوقف والثانى ان يكون صاحب القراءة
به ممن ضرى برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف الابرار جمع بر او بار
كرب وارباب وشاهد واشهاد وعن الحسن هم الذين لا يؤذون الذر والكاس الزجاجة
اذا كانت فيها خمر وتسمى الخمر نفسها كاسا مزاجها ما تمزج به كافورا ماء كافور وهو اسم عين
فى الجنة ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده وعينا بدل منه وعن قتادة تمزج لهم
بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت
بالكافور وعينا على هذين القولين بدل من محل من كاس على تقدير حذف مضاف كانه قيل

يشربون خمراً خمر عين او نصب على الاختصاص فان قلت لم وصل فعل الشرب
بحرف الابتداء اولاً وبحرف الالصاق اخراً قلت لان الكاس مبدا شربهم
واول غايته واما العين فبها يمزجون شرابهم فكان المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما
تقول شربت الماء بالعسل يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاءوا من منازلهم تفجيراً سهلاً لا يمتنع
عليهم يوفون جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في
وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه الله كان
بما اوجبه الله عليه اوفى مستطيراً فاشيا منتشراً بالغاً اقصى المبالغ من استطار الحريق
واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر على حبه الضمير للطعام اي مع اشتهائه
والحاجة اليه ونحوه وآتى المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وعن الفضيل
بن عياض على حب الله واسيرا عن الحسن كان رسول الله صلعم يؤتى بالاسير فيدفعه الى
بعض المسلمين فيقول احسن اليه فيكون عنده اليومين والثلثة فيؤثره على نفسه وعند عامة
العلماء يجوز الاحسان الى الكفار في دار الاسلام ولا يصرف اليهم الواجبات وعن
قتادة كان اسيرهم يومئذ المشرك واخوك المسلم احق ان تطعمه وعن سعيد بن جبير وعطاء
هو الاسير من اهل القبلة وعن ابي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون وسمى رسول الله الغريم
اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم على ارادة القول ويجوز ان يكون قولا
باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله او بالشكر لان احسانهم مفعول لوجه الله فلا معنى لمكافاة
الخلق وان يكون قولهم لطفا وتفقيها وتنبيها على ما ينبغي ان يكون عليه من اخلص لله وعن عائشة
رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال الرسول ما قالوا فاذا ذكر
دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله ويجوز ان يكون ذلك بيانا

وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وان لم يقولوا شيئاً وعن مجاهد اما انهم ما تكلموا به ولكن
علمه الله منهم فاثنى عليهم والشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر انا نخاف يحتمل
ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لارادة مكافاتكم وانا لا نريد منكم المكافاة
لخوف عقاب الله على طلب المكافاة بالصدقة ووصف اليوم بالعبوس مجاز على
طريقين ان يوصف بصفة اهله من الاشقياء كقولهم نهارك صائم روي ان الكافر يعبس
يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وان يشبه في شدته وضرره بالاسد
العبوس او بالشجاع الباسل والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه قال الزجاج
يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بانفها فاشتقه من
القطر وجعل الميم مزيدة قال اسد بن ناعصة واصطليت الحروب في كل يوم باسل الشر
قمطرير الصباح ولقاهم نضرة وسرورا اي اعطاهم بدل عبوس الفجار نضرة في الوجوه وسرورا
في القلب وهذا يدل على ان اليوم موصوف بعبوس اهله بما صبروا بصبرهم على الايثار وعن
ابن عباس رضي الله عنه ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله في ناس معه فقالوا
يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان
يصوموا ثلثة ايام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلث
اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا فاختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين
ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سايل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين
المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما
فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم اسير في الثالثة
ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي بيد الحسن والحسين واقبلوا الى رسول الله فلما ابصرهم

وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق
معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك
فنزل جبريل وقال خذها يا محمد هنّاك الله في اهل بيتك فاقرأه السورة ۝
فان قلت ما معنى ذكر الحرير مع الجنة قلت المعنى وجزاهم بصبرهم على الايثار
وما يؤدي اليه من الجوع والعري بستانا فيه مأكل هنيء وحريرا فيه ملبس بهي يعني ان
هواءها معتدل لا حر شمس يحمي ولا شدة برد يؤذي وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر
ولا قر وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب انه في لغة طي وانشد وليلة ظلامها قد
اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان الجنة ضياء فلا يحتاج فيها الى شمس وقمر
فان قلت ودانية عليهم ظلالها علام عطف قلت على الجملة التي قبلها
لانها في موضع الحال من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم في
عليهم الا انها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا
ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على ان الامرين مجتمعان لهم كانه قيل و
جزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرئ ودانيه
بالرفع على ان ظلالها مبتدأ ودانية خبر والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون فيها
شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية عليهم ويجوز ان تجعل متكئين ولا يرون و
دانية كلها صفات لجنة ويجوز ان تكون ودانية معطوفة على جنة اي وجنة اخرى دانية
معطوفة ~~على جنة اي وجنة اخرى دانية~~ عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن
خاف مقام ربه جنتان لانهم وصفوا بالخوف انا نخاف من ربنا فان قلت فعلام
عطف وذللت قلت هي اذا رفع ودانية جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية

واذا

٢٥٠

واذا نصبتها على الحال فهي حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم
في حال تذليل قطوفها لهم او معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها
واذا نصبت ودانية على الوصف فهي صفة مثلها الا ترى انك لو قلت جنة ذللت
قطوفها كان صحيحا وتذليل القطوف ان تجعل ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاءوا
او تجعل ضاحية متقاصرة من قولهم حائط ذليل اذا كان قصيرا قوارير قواريرا
غير منونين وبتنوين الاول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من الف الاطلاق لانه فاصلة
وفي الثاني لاتباعه الاول ومعنى قوارير من فضة انها مخلوقة من فضة وهي مع بياض
الفضة وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها فان قلت ما معنى كانت قلت
هو من يكون في قوله كن فيكون اي تكونت قوارير بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة
الشان الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين ومنه كان في قوله كان مزاجها كافورا
وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هي قوارير قدروها صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم
انهم قدروها في انفسهم ان تكون على مقادير واشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما
قدروا وقيل الضمير للطائفين بها دل عليهم قوله يطاف عليهم على انهم قدروا شرابها
على قدر الري وهو الذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز
وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض وقرئ قدروها على البناء للمفعول ووجهه ان يكون من
قدر منقولا من قدر تقول قدرت الشيء وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ومعناه
جعلوا قادرين لها كما شاءوا واطلق لهم ان يقدروا على حسب ما اشتهوا سميت العين
زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه قال الاعشى كان القرنفل
والزنجبيل باتا بفيها وأريا مشورا وقال المسيب بن علس وكان طعم الزنجبيل به اذ ذقته

وسلافة الخمر وسلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يعني انها في
طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل
وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية
ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية
السلاسة وقرئ سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتأنيث وقد عزوا
الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان معناه سل سبيلا اليها وهذا غير مستقيم على
ظاهره الا ان يراد ان جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تأبط شرا
وذرى حبا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل
الصالح وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه الى مثل علي ابدع وفي شعر
بعض المحدثين سل سبيلا فيها الى راحة النفس براح كأنها سلسبيل وعينا بدل من
زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله تعالى طعمه فيها وعينا على هذا
القول مبدلة من كأسا كأنه قيل ويسقون فيها كأسا كأس عين او منصوبة على الاختصاص
شبهوا في حسنهم وصفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن
المأمون انه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من
ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط
فاستحسن المنظر وقال لله در ابي نواس كأنه ابصر هذا حيث يقول كأن صغرى و
كبرى من فواقعها حصباء در على ارض من الذهب وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب
اذا نثر من صدفه لانه احسن واكثر ماء رأيت ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم
كأنه قيل واذا اوجدت الرؤية ثم ومعناه ان بصر الرائي اينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم

كبير وملك كبير وثم في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة ومن قال معناه ما ثم فقد
اخطأ لان ثم صلة لما ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة كبيرا واسعا وهنيئا وروى
ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل
لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم قرئ
عاليهم بالسكون على انه مبتدأ خبره ثياب سندس اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس
وعاليهم بالنصب على انه حال من الضمير في يطوف عليهم او في حسبتهم اي يطوف عليهم
ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب او حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز ان يراد رأيت
اهل نعيم وملك عاليهم ثياب وعاليتهم بالرفع والنصب على ذلك وعليهم وخضر واستبرق
بالرفع حملا على الثياب وبالجر على السندس وقرئ واستبرق نصبا في موضع الجر على
منع الصرف لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق
الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق
بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب
مشهور تعريبه وان اصله استبره وحلوا عطفا على ويطوف عليهم فان قلت ذكر هنا
ان اساورهم من فضة وفي موضع آخر انها من ذهب قلت هب انه قيل وحلوا
اساور من ذهب ومن فضة وهذا صحيح لا اشكال فيه على انهم يسورون بالجنسين اما على
المعاقبة واما على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين انواع الحلي وتجمع بينهما وما احسن بالمعصم ان
يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة شرابا طهورا ليس برجس كخمر الدنيا لان
كونها رجسا بالشرع لا بالعقل وليست الدار دار تكليف او لانه لم يعصر فتمسه الايدي
الوضرة وتدوسه الاقدام الدنسة ولم يجعل في الدنان والاباريق التي لم يعن بتنظيفها

اولانه لا يؤول الى النجاسة لانه يرشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك اى يقال لاهل الجنة
ان هذا وهذا اشارة الى ما تقدم من عطاء الله لهم ما جوزيتم به على اعمالكم وشكر به سعيكم
والشكر مجاز وتكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تاكيد على تاكيد لمعنى اختصاص الله به
بالتنزيل ليتقرر فى نفس رسول الله انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على اى وجه
نزل الا حكمة وصوابا كانه قيل ما نزل عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما الا انا لا غيرى وقد
عرفتنى حكيما فاعلا لكل ما افعله بدواعى الحكمة ولقد دعتنى حكمة بالغة الى ان ازل عليك
الامر بالمكافة والمصابرة وسانزل عليك الامر بالقتال والانتقام بعد حين فاصبر لحكم ربك
الصادر عن الحكمة وتعليقه الامور بالمصالح وتاخيره نصرتك على اعدائك من اهل مكة ولا
تطع منهم احدا قلة صبر منك على اذاهم وضجرا من تاخر الظفر وكانوا مع افراطهم فى العداوة
والايذاء له ولمن معه يدعونه الى ان يرجع عن امره ويبذلون له اموالهم وتزويج اكرم بناتهم
ان اجابهم **فان قلت** كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة فى قوله اثما او كفورا **قلت**
معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم
اما ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهى ان يساعدهم على
الاثنين دون الثالث وقيل الاثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للمآثم متعاطيا
لانواع الفسوق وكان الوليد غاليا فى الكفر شديد الشكيمة فى العتو **فان قلت** معنى
او ولا تطع احدهما فهلا جى بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا **قلت** لو قيل ولا تطعهما لجاز
ان يطيع احدهما واذا قيل لا تطع احدهما علم ان الناهى عن طاعة احدهما عن طاعتهما جميعا
انهى كما اذا نهى ان يقول لابويه اف علم انه منهى عن ضربهما على طريق الاولى واذكر اسم ربك بكرة
واصيلا ودم على صلوة الفجر والعصر ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له يعنى صلوة

او يوم

المور

المغرب والعشاء وادخل من على ظرف للتبعيض كما دخل على المفعول فى قوله يغفر لكم من
ذنوبكم وسبحه ليلا طويلا وتهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه او نصفه او ثلثه ان هؤلاء
الكفرة يحبون العاجلة يؤثرونها على الاخرة كقوله بل تؤثرون الحيوة الدنيا وراءهم قدامهم
او خلف ظهورهم لا يعبأون به يوما ثقيلا استعير الثقل لشدته وهوله من الشئ الثقيل
الباهظ لحامله ونحوه ثقلت فى السموات والارض الاسر الربط والتوثيق ومنه اسر الرجل
اذا وثق بالقد وهو الاسار وفرس ماسور الخلق وترس ماسور بالعقب والمعنى شددنا توصيل
عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة الخلق و
مجدولته واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم فى شدة الاسر يعنى النشاة الاخرى وقيل
معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع وحقه ان يجئ بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم
ان يشاء يذهبكم هذه اشارة الى السورة او الى الايات القريبة فمن شاء فمن اختار الخير لنفسه
وحسن العاقبة واتخاذ السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة وما
يشاؤن الطاعة الا ان يشاء الله بقسرهم عليها ان الله كان عليما باحوالهم وما يكون منهم
حكيما حيث خلقهم مع علمه بهم وقرى تشاؤن بالتاء **فان قلت** ما محل ان يشاء الله **قلت** النصب على
الظرف واصله الا وقت مشية الله وكذلك قراءة ابن مسعود الا ما يشاء الله لان ما مع
الفعل كان معه يدخل من يشاء هم المؤمنون ونصب الظالمين بفعل يفسره واعد لهم نحو
اوعد وكافا وما اشبه ذلك وقرأ ابن مسعود وللظالمين على واعد للظالمين وقرأ ابن الزبير
والظالمون على الابتداء وغيرها اولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف
عليها فيها مع مخالفتها للمصحف عن رسول الله صلعم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه
على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية وهي خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم أقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة
أرسلهن بأوامره فعصفن في مضيهن كما تعصف الرياح تخففا في امتثال أمره وبطوائف
منهم نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي أو نشرن الشرائع في الأرض أو نشرن
النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا إلى الأنبياء
عذرا للمحقين أو نذرا للمبطلين أو أقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن
السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا أو بسحائب نشرن الموات ففرقن
بين من يشكر لله وبين من يكفر كقوله لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه فألقين ذكرا إما
عذرا للذين يعتذرون إلى الله بتوبتهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها
وإما إنذارا للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك إلى الأنواء وجعلن ملقيات للذكر
لكونهن سببا في حصوله إذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت **فإن قلت** ما معنى عرفا
قلت متتابعة كشعر العرف يقال جاءوا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع إذا
تألبوا عليه ويكون بمعنى العرف الذي هو نقيض النكر وانتصابه على أنه مفعول له أي أرسلن
للإحسان والمعروف والأول على الحال وقرئ عرفا على التثقيل نحو نكر في نكر **فإن قلت**
قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون إرسالهم معروفا **قلت** إن لم يكن
معروفا للكفار فإنه معروف للأنبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم **فإن قلت**
ما العذر والنذر وبم انتصبا **قلت** هما مصدران من عذر إذا محا الإساءة ومن أنذر إذا
خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز أن يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى

الانذار

الانذار أو بمعنى العاذر والمنذر وأما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الأولين
أو على المفعول له وأما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين أو منذرين وقرئا مخففين
ومثقلين إن الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب
القسم وعن بعضهم أن المعنى ورب المرسلات طمست محيت ومحقت وقيل ذهب
بنورها ومحق ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز أن يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة
النور فرجت فتحت فكانت أبوابا وأقاله الفارسي باب الأمر المبهم نسفت كالحب إذا
نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل أخذت
بسرعة من أماكنها من انتسفت الشيء إذا اختطفته وقرئ طمّست وفرّجت ونسّفت
مشددة وقرئ أقّتت ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والأصل الواو ومعنى توقيت
الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم والتأجيل من الأجل كالتوقيت
من الوقت لأي يوم أجلت تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ليوم الفصل بيان
ليوم التأجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق والوجه أن يكون معنى وقتت
بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيامة وأجلت أخرت **فإن قلت**
كيف وقع النكرة مبتدأ في قوله ويل يومئذ للمكذبين **قلت** هو في أصله مصدر
منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه
للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب ولكن لم يقرأ به يقال ويلا له وويلا
كيلا قرأ قتادة نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى أهلكه قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا
ثم نتبعهم بالرفع على الاستئناف وهو وعيد لأهل مكة يريد ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين مثل
ما فعلنا بالأولين ونسلك بهم سبيلهم لأنهم كذبوا مثل تكذيبهم ويقويها قراءة ابن مسعود سنتبعهم

وقرئ بالجزم للعطف على نهلك ومعناه انه اهلك الاولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم
اتبعهم الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى وكذلك مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل
من اجرم انذارا وتحذيرا من عاقبة الجرم وسوء اثره الى قدر معلوم الى مقدار من الوقت
المعلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة الاشهر او ما دونها او ما فوقها فقدرنا ذلك تقديرا فقدرنا ء
فنعم القادرون فنعم المقدرون له نحن او فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول
اولى لقراءة من قرا فقدّرنا بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره الكفات من كفت
الشئ اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع يقال هذا الباب
جماع الابواب وبه انتصب احياء وامواتا كانه قيل كافتة احياء وامواتا او بفعل مضمر
يدل عليه وهو تكفت والمعنى تكفت احياء على ظهرها وامواتا في بطنها وقد استدل
بعض اصحاب الشافعي رضي الله عنه على قطع النباش بان الله تعالى جعل الارض كفاتا للاموات
فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز فان قلت لم قيل احياء وامواتا على
التنكير وهي كفات الاحياء والاموات جميعا قلت هو من تنكير التفخيم كانه قيل تكفت
احياء لا يعدون وامواتا لا يحصرون على ان احياء الانس وامواتهم ليسوا بجميع الاحياء
والاموات ويجوز ان يكون المعنى تكفتكم احياء وامواتا فينتصبا على الحال من الضمير لانه قد
علم انها كفات الانس فان قلت فالتنكير في رواسي شامخات وماء فراتا قلت
يحتمل افادة التبعيض لان في السماء جبالا قال الله تعالى من جبال فيها من برد و
فيها ماء فرات ايضا بل هي معدنه ومصبه وان يكون للتفخيم اي يقال لهم انطلقوا الى ما
كذبتم به من العذاب وانطلقوا الثاني تكرير وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد
الامر عن عملهم بموجبه لانهم مضطرون اليه لا يستطيعون امتناعا منه الى ظل يعني دخان

جهنم

254

جهنم كقوله وظل من يحموم ذي ثلث شعب يتشعب لعظمه ثلث شعب وهكذا الدخان
العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق
ويتشعب من دخانها ثلث شعب فيظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمومنون في ظل
العرش لا ظليل تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل المومنين ولا يغني في محل الجر اي
غير مغن عنهم من حر اللهب شيئا بشرر وقرئ بشرار كالقصر اي كل شررة كالقصر من
القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر
بفتحتين وهي اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرا ابن مسعود كالقصر
بمعنى القصور كرهن ورهن وقرا سعيد بن جبير كالقصر في جمع قصرة كحاجة وحوج
جمالات جمع جمال او جمالة جمع جمل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه الا تراهم
يشبهون الابل بالافدان والمجادل وقرئ جمالات بالضم وهو قلوس الجسور وقيل
قلوس سفن البحر الواحدة جمالة وقرئ جمالة بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم وهي القلس
وقيل صفر لارادة الجنس وقيل صفر سود تضرب الى الصفرة وفي شعر عمران بن حطان
الخارجي دعتهم باعلى صوتها ورمتهم بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى وقال ابو العلاء
حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف فشبهها بالطراف وهو بيت
الادم في العظم والحمرة وكانه قصد بخبثه ان يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سول له
من توهم الزيادة جاء في صدر بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين
على مكانها ولقد عمي جمع الله له عمى الدارين عن قوله عز وعلا كانه جمالات صفر فانه بمنزلة
قوله كبيت احمر وعلى ان في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن
جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجمالات وهو القلوس تشبيه من ثلث جهات من جهة العظم

والطول والصغر فأبعد الله إغرابه في طرافه وما نمّ ونثّ فيه من استطرافه قرئ بنصب
اليوم ونصبه الأعمش أي هذا الذي قصّ عليكم واقع يومئذ ويوم القيامة طويل ذو مواطن
ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد الأمران في القرآن
أو جعل نطقهم كلا نطق لأنه لا ينفع ولا يسمع فيعتذرون عطف على يؤذن منخرط في سلك
النفي والمعنى ولا يكون لهم إذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسببا
عن الإذن ولو نصب لكان مسببا عنه لا محالة جمعناكم والأولين كلام موضح لقوله هذا
يوم الفصل لأنه إذا كان يوم الفصل بين السعداء والأشقياء وبين الأنبياء وأممهم فلا بد
من جمع الأولين والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم فإن كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم
على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة كلوا واشربوا في موضع الحال من
ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال أي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك
وكلوا وتمتعوا حال من المكذبين أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا
فإن قلت كيف يصح أن يقال لهم ذلك في الآخرة قلت يقال لهم ذلك في الآخرة
إيذانا بأنهم كانوا في الدنيا أحقاء بأن يقال لهم وكانوا من أهله تذكيرا بحالهم السمجة
وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وفي طريقته قوله أخي
لا تبعدوا أبدا وبلى والله قد بعدوا يريد كنتم أحقاء في حياتكم بأن يدعى لكم بذلك وعلل
ذلك بكونهم مجرمين دلالة على أن كل مجرم ما له إلا الأكل والتمتع أياما قلائل ثم البقاء
في الهلاك أبدا ويجوز أن يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستأنفا خطابا للمكذبين في الدنيا اركعوا
اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يخشعون
ولا يقبلون ذلك ويصرّون على استكبارهم وقيل ما كان على العرب أشد من الركوع والسجود

وقيل

وقيل نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله صلعم بالصلوة فقالوا لا نجبي فإنها مسبّة علينا
فقال صلعم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود بعده بعد القرآن يعني أن القرآن من
بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجز باهر فحين لم يؤمنوا به فبأي كتاب بعده يؤمنون
وقرئ تؤمنون بالتاء عن رسول الله صلعم من قرأ سورة والمرسلات كتب أنه ليس من المشركين

سورة عمّ يتساءلون مكية وهي أربعون أو إحدى وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم عمّ أصله عمّا على أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية
وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر قال حسان على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرّغ في رماد
والاستعمال الكثير على الحذف والأصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه
قال عن أي شأن يتساءلون ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره
كأنه شيء خفي عليك جنسه فأنت تسائل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول
وما العنقاء تريد أي شيء هو من الأشياء هذا أصله ثم جرّد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في
كلام من لا تخفى عليه خافية يتساءلون يسائل بعضهم بعضا أو يتساءلون غيرهم عنه على طريق
الاستهزاء عن النبأ العظيم بيان للشأن المفخم وعن ابن كثير أنه قرأ عمّه بهاء السكت ولا يخلو إما
أن يجري الوصل مجرى الوقف وإما أن يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبأ العظيم على
أن يضمر يتساءلون لأن ما بعده يفسره كشيء مبهم ثم يفسّر فإن قلت قد زعمت أن الضمير
في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله هم فيه مختلفون قلت كان فيهم من يقطع القول
بإنكار البعث ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يسألون
عنه أما المسلم فليزداد خشية وأما الكافر فليزداد استهزاء وقيل المتساءل عنه القرآن وقيل

نبوة محمد عليه السلم وقرئ يساءلون بالادغام وستعلمون بالتاء كلا ردع للمتسائلين
هزؤا وسيعلمون وعيد لهم بانهم سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه
حق لانه واقع لا ريب فيه وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك ومعنى ثم الاشعار
بان الوعيد الثاني ابلغ من الاول واشد فان قلت كيف اتصل به قوله الم نجعل
الارض مهادا قلت لما انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من يضاف اليه البعث
هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه انكار قدرته على البعث وما هو الا اختراع
كهذه الاختراعات او قيل لهم الم يفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل فعلا عبثا
وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤد الى انه عابث في كل ما فعل مهادا فراشا وقرئ مهدا
ومعناه انها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الامير
او وصفت بالمصدر او بمعنى ذات مهد اي ارسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالاوتاد
سباتا موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم احد
التوفيين وهو على بناء الادواء ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا اي حياة في قوله
وجعلنا النهار معاشا اي وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم
وقيل السبات الراحة لباسا يستركم عن العيون اذا اردتم هربا من عدو او بياتا له او اخفاء
ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر ان المانوية
تكذب سبعا سبع سموات شدادا جمع شديد يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الازمان
وهاجا متلالئا وقادا يعني الشمس وتوهجت النار اذا تلظت فتوهجت بضوئها وحرها
المعصرات السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع
اذا حان له ان يجز ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض وقرأ عكرمة بالمعصرات

المانوية مذهب [illegible]

وفيه

وفيه وجهان ان تراد الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وان تراد السحائب
لانه اذا كان الانزال منها فهو بها كما تقول اعطى من يده درهما واعطى بيده وعن مجاهد
المعصرات الرياح ذوات الاعاصير وعن الحسن وقتادة هي السموات وتأويله ان الماء
ينزل من السماء الى السحاب فكأن السموات يعصرن اي يحملن على العصر ويمكن منه
فان قلت فما وجه من قرأ من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل
من الرياح قلت الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فيصح ان تجعل مبدأ
للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب فان صح ذلك
فالانزال منها ظاهر فان قلت ذكر ابن كيسان انه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر
هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر قلت وجهه ان يريد اللاتي اعصرن اي
حان لها ان تعصر اي تغيث ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث
افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وكان ابن عباس
مثجا يسيل غربا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته وقرأ الاعرج ثجاجا ومثاجج الماء
مصابه والماء ينثجج في الوادي حبا ونباتا يريد ما يتقوت من نحو الحنطة والشعير وما
يعتلف من التبن والحشيش كما قال كلوا وارعوا انعامكم والحب ذو العصف والريحان
الفافا ملتفة ولا واحد لها كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب الاقليد
انشدني الحسن بن علي الطوسي جنة لف وعيش مغدق وندامى كلهم بيض زهر وزعم
ابن قتيبة انه لفاء ولف ثم الفاف وما اظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر واخضار
وحمر واحمار ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها كان ميقاتا
كان في تقدير الله وحكمه حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم

ينفخ بدل من يوم الفصل او عطف بيان فتاتون افواجا من القبور الى الموقف
امما كل امة مع امامها وقيل جماعات مختلفة وعن معاذ رضي الله عنه انه سال عنه
رسول الله صلعم فقال يا معاذ سالت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر
عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم
منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم
يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم
مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف
وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة
فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكسون على
وجوههم فاكلة الربوا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم والبكم فالمعجبون باعمالهم
واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين
قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يوذون الجيران واما المصلبون على جذوع من النار
فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات
واللذات ومنعوا حق الله في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء
وقرئ وفتحت بالتشديد والتخفيف والمعنى كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة كانها
ليست الا ابوابا مفتحة كقوله وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون تتفجر وقيل الابواب
الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شي وكانت سرابا كقوله
فكانت هباء منبثا يعني انها تصير شيا كلا شي لتفرق اجزائها وانبثاث جواهرها المرصاد تصيره
الحد الذي يكون فيه الرصد والمعنى ان جهنم هي حد الطاغين الذين يرصدون فيه للعذاب

وهي مآبهم او هي مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها
وهي مآب للطاغين وعن الحسن وقتادة نحوه قالا طريقا وممرا لاهل الجنة وقرا ابن يعمر ان
جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بان جهنم كانت مرصادا للطاغين كانه قيل كان
ذلك لاقامة الجزاء قرئ لابثين ولبثين واللبث اقوى لان اللابث من وجد منه اللبث ولا
يقال لبث الا لمن شانه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه احقابا حقبا
بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة الا حيث
يراد تتابع الازمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك الا ترى الى الحقيبة الراكب والحقب الذي
وراء التصدير وقيل الحقب ثمانون سنة ويجوز ان يراد لابثين فيها احقابا غير ذائقين بردا
ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من
العذاب وفيه وجه آخر وهو ان يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان
اذا اخطاه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا عنهم يعني لابثين فيها
حقبين جحدين وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له والاستثناء منقطع يعني لا يذوقون
فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما
وغساقا وقيل البرد النوم وانشد فلو شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا
ولا بردا وعن بعض العرب منع البرد البرد وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق
اي يسيل من صديدهم وفاقا وصف بالمصدر او ذا وفاق وقرا ابو حيوة وفاقا فعال من
وفقه كذا كذابا تكذيبا وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون
غيره وسمعني بعضهم افسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرئ بالتخفيف وهو مصدر
كذب بدليل قوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وهو مثل قوله انبتكم من الارض نباتا

وكذبوا بآياتنا فلذبوا كذابا او بنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق
كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة او كذبوا بها
مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم
مكاذبة او لانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب في امر فيبلغ فيه اقصى
جهده وقرئ كذابا وهو جمع كاذب اي كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد
البليغ في الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا
اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وقرأ ابو السمال وكل شئ احصيناه بالرفع على الابتداء كتابا
مصدر في موضع احصاء او احصينا في موضع كتبنا لالتقاء الاحصاء والكتبة في معنى الضبط معنى
والتحصيل او يكون حالا في معنى مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى احصاء معاصيهم
كقوله احصاه الله ونسوه وهو اعتراض وقوله فذوقوا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم
بالآيات وهي آية في غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على ان ترك الزيادة كالمحال
الذي لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريق الالتفات شاهدا على ان الغضب قد تبالغ
وعن النبي صلعم هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار مفازا فوزا وظفرا بالبغية او موضع فوز
وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة وفسر المفاز بما بعده والحدائق البساتين فيها انواع الشجر
المثمر والاعناب والكروم والكواعب اللاتي فلكت ثديهن وهن النواهد والاتراب اللدات
والدهاق المترعة وادهق الحوض ملأه حتى قال قطني وقرئ ولا كذابا بالتشديد والتخفيف
اي لا يكذب بعضهم بعضا ولا يكذبه او لا يكاذبه وعن علي رضي الله عنه انه قرأ بتخفيف الاثنين
جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كانه قال جازى المتقين بمفاز وعطاء
نصب بجزاء نصب المفعول به اي جزاهم عطاء وحسابا صفة بمعنى كافيا من احسبه الشئ

اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم وقرأ ابن قطيب حسابا بالتشديد على
ان الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك قرئ رب السموات والرحمن بالرفع
على هو رب السموات الرحمن او رب السموات مبتدأ والرحمن صفة ولا يملكون خبر او هما
خبران وبالجر على البدل من ربك وبجر الاول ورفع الثاني على انه مبتدأ خبره لا يملكون
او هو الرحمن لا يملكون والضمير في لا يملكون لاهل السموات والارض ليس في ايديهم مما يخاطب
به الله ويامر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون
فيه او ينقصون او لا يملكون ان يخاطبوه بشئ من نقص العذاب او زيادة في الثواب الا ان يهب
لهم ذلك ويأذن لهم فيه ويوم يقوم متعلق بلا يملكون او بلا يتكلمون والمعنى ان الذين هم
افضل الخلائق واشرفهم واكثرهم طاعة واقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين
يديه فما ظنك بمن عداهم من اهل السموات والارض والروح اعظم خلقا من الملائكة واشرف منهم
واقرب من رب العالمين وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقا اعظم منه وقيل ليس
بالملائكة وهم يأكلون وقيل جبريل هما شريطتان ان يكون المتكلم منهم مأذونا له في الكلام و
ان يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى المرء هو الكافر لقوله
انا انذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم يعني ما قدمت يداه
من الشر كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك
بما قدمت يداك بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين وما يجوز ان تكون استفهامية منصوبة
بقدمت اي ينظر اي شئ قدمت يداه وموصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت
اليه والراجع من الصلة محذوف وقيل المرء عام وخصص منه الكافر وعن قتادة هو المؤمن
يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث

وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده فيود الكافر حاله
وقيل الكافر ابليس يرى ادم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشي الذي احتقره حين
قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلعم من قرا سورة عم يتساءلون
سقاه الله برد الشراب يوم القيمة ٥

سورة والنازعات مكية وهي خمس او ست واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم سبحانه بطوائف الملائكة
التي تنزع الارواح من الاجساد وبالطوائف التي تنشطها اي تخرجها من نشط الدلو
من البئر اذا اخرجها وبالطوائف التي تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر
امرا من امور العباد مما يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم غرقا اغراقا في النزع اي
تنزعها من اقاصي الاجساد من اناملها واظفارها او اقسم بخيل الغزاة التي تنزع في اعنتها
نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى
دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح فتسبق الى الغاية
فتدبر امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او اقسم بالنجوم التي تنزع
من المشرق الى المغرب واغراقها في النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط في اقصى الغرب
والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر امرا من علم
الحساب وقيل النازعات ايدي الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق السهام والتي
تنشط الاوهاق والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة
ويوم ترجف منصوب به والمضمر والراجفة الواقعة التي ترجف عندها الارض والجبال

وهي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها تتبعها الرادفة اي الواقعة التي تردف الاولى
وهي النفخة الثانية ويجوز ان تكون الرادفة من قوله تعالى عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي
تستعجلون اي القيامة التي يستعجلها الكفرة استبعادا لها وهي رادفة لاقترابها وقيل الراجفة
الارض والجبال من قوله يوم ترجف الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب لانها تنشق
وتنتثر كواكبها على اثر ذلك فان قلت ما محل تتبعها قلت الحال اي ترجف تابعتها
الرادفة فان قلت كيف جعلت ترجف ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند
النفخة الاولى قلت المعنى لتبعثن في الوقت الواسع الذي تقع فيه النفختان وهم
يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى ودل على ذلك ان قوله
تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة ويجوز ان ينتصب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ
واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب واجفة شديدة الاضطراب والوجيب والوجيف
اخوان خاشعة ذليلة فان قلت كيف جاز الابتداء بالنكرة قلت قلوب مرفوعة
بالابتداء وواجفة صفتها وابصارها خاشعة خبرها فهو كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك
فان قلت كيف صح اضافة الابصار الى القلوب قلت معناه ابصار اصحابها بدليل
قوله يقولون في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد الموت فان قلت ما حقيقة هذه
الكلمة قلت يقال رجع فلان في حافرته اي في طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها
بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا كما قيل حفرت اسنانه حفرا اذا اثر الاكال في اسنانها
والخط المحفور في الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية اي منسوبة الى الحفر والرضا
او كقولهم نهارك صائم فقيل لمن كان في امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته الى طريقته

وحالته الاولى قال احافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار يريد ارجوعا الى الحافرة و
قيل النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الاولى وهي الصفقة وقرا ابو حيوة في الحفرة
والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة وهذه القراءة دليل
على ان الحافرة في اصل الكلمة بمعنى المحفورة يقال نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع
فهو طامع وطمع وفعل ابلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالي الاجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع
له نخير واذا منصوب بمحذوف تقديره آئذا كنا عظاما نرد ونبعث كرة خاسرة منسوبة
الى الخسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذاً خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء
منهم **فان قلت** بم تعلق قوله فانما هي زجرة واحدة **قلت** بمحذوف معناه لا تستصعبوها
فانما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فانما هي سهلة هينة
في قدرته ما هي الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية فاذا هم احياء على وجه الارض بعدما كانوا
امواتا في جوفها من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه والساهرة الارض البيضاء المستوية
سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها
نائمة قال الاشعث بن قيس وساهرة يضحي السراب مجللا لاقطارها قد جبتها متلثما او
لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وعن قتادة فاذا هم في جهنم اذهب على ارادة القول و
في قراءة عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول هل لك في كذا وهل لك الى كذا كما تقول
هل ترغب فيه وهل ترغب اليه الى ان تزكى الى ان تتطهر من الشرك وقرا اهل المدينة تزكى
بالادغام واهديك الى ربك وارشدك الى معرفة الله وانبهك عليه فتعرفه فتخشى لان
الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اي العلماء به وذكر

الخشية

لانها ملاك الامر من خشي الله اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر ومنه قوله عليه السلام من
خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول
الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا واردفه الكلام الرفيق ليستدعيه بالتلطف في
القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما امر بذلك في قوله فقولا له قولا لينا الاية الكبرى
قلب العصا حية لانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها لانه كان يتقيها
بيده فقيل له ادخل يدك في جيبك او ارادهما جميعا الا انه جعلهما واحدة لان الثانية كانها
من جملة الاولى لكونها تابعة لها فكذب بموسى والاية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا
وعصى الله تعالى بعدما علم صحة الامر وان الطاعة قد وجبت عليه ثم ادبر يسعى اي لما
راى الثعبان ادبر مرعوبا يسرع في مشيته قال الحسن كان رجلا طياشا خفيفا
او تولى عن موسى يسعى ويجتهد في مكايدته او اريد ثم اقبل يسعى كما تقول اقبل فلان
يفعل كذا بمعنى انشأ يفعل فوضع ادبر موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال فحشر فجمع السحرة
كقوله فارسل فرعون في المدائن حاشرين فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه او امر
مناديا فنادى في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة وعن ابن عباس
كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيري والاخرة انا ربكم الاعلى هو مصدر مؤكد كوعد الله
وصبغة الله كانه قيل نكل الله به نكال الاخرة والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام
بمعنى التسليم يعني الاغراق في الدنيا والاحراق في الاخرة وعن ابن عباس رضي الله عنه نكال
كلمتيه الاخرة وهي قوله انا ربكم الاعلى والاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري وقيل
كان بين الكلمتين اربعون سنة وقيل عشرون الخطاب لمنكري البعث يعني اانتم اصعب
خلقا وانشاء ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي

اى جعل مقدار ذهابها فى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسواها فعدلها
مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها بما علم انها تتم به واصلحها من قولك سوى
فلان امر فلان اغطش الليل واغطشه الله كقولك ظلم واظلمه ويقال ايضا اغطش الليل
كما يقال اظلم واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها يدل عليه قوله تعالى والشمس وضحيها يريد
وضوءها وقولهم وقت الضحى للوقت الذى تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها واضيف
الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس هى السراج المثقب فى جوها ماءها عيونها
المتفجر بالماء ومرعاها رعيها وهو فى الاصل موضع الرعى ونصب الارض والجبال باضمار
دحا وارسى وهو الاضمار على شريطة التفسير وقرأهما الحسن مرفوعين على الابتداء فان قلت
هلا ادخل حرف العطف على اخرج قلت فيه وجهان احدهما ان يكون معنى دحاها
بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه فى تاتى سكناها من تسوية امر الماكل
والمشرب وامكان القرار عليها والسكون باخراج الماء والمرعى وارساء الجبال واثباتها
اوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها والثانى ان يكون اخرج حالا باضمار قد كقوله او
جاؤكم حصرت صدورهم واراد بمرعاها ما ياكل الناس والانعام واستعير الرعى للانسان
كما استعير الرتع فى قوله نرتع ونلعب وقرئ نرتع من الرعى ولهذا قيل دل الله سبحانه بذكر
الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح لانه من الماء متاعا
لكم فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان منفعة ذلك التمهيد واصلة اليهم والى انعامهم والطامة
الداهية التى تطم على الدواهى اى تعلو وتغلب وفى امثالهم جرى الوادى فطم على القرى
وهى القيامة لطمومها على كل هائل وقيل هى النفخة الثانية وقيل الساعة التى يساق فيها
اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر بدل من اذا جاءت يعنى اذا راى اعماله

مدونة فى كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله احصاه الله ونسوه وما فى ما سعى موصولة
او مصدرية وبرزت واظهرت وقرأ ابن نهيك وبرزت لمن يرى للرائين جميعا اى
لكل احد يعنى انها تظهر اظهارا بينا مكشوفا يراها اهل الساهرة كلهم كقولهم قد بين الصبح
لذى عينين يريدون لكل من له بصر وهو مثل فى الامر المنكشف الذى لا يخفى على احد
وقرأ ابن مسعود لمن راى وقرأ عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله اذا راتهم من مكان
بعيد وقيل لمن ترى يا محمد فاما جواب فاذا اى فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك والمعنى
فان الجحيم ماواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام بدلا
من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغى هو صاحب الماوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره
تركت الاضافة ودخول حرف التعريف فى الماوى والطرف للتعريف لانهما معروفان
وهى فصل او مبتدأ ونهى النفس الامارة بالسوء عن الهوى المردى وهو اتباع الشهوات
وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخير وقيل الآيتان نزلتا فى ابى عزيز بن
عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله بنفسه
حتى نفذت المشاقص فى جوفه ايان مرساها متى ارساؤها اى اقامتها اراد ومتى يقيمها الله
ويثبتها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهى اليه ويكونها صح
فيم انت فى اى شىء انت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعنى ما انت من ذكرها لهم
وتبيين وقتها فى شىء وعن عائشة رضى الله عنها لم يزل رسول الله صلعم يذكر الساعة ويسال
عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كانه قيل فى اى شغل واهتمام انت
من ذكرها والسؤال عنها والمعنى انهم يسالونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها
وتسال عنها ثم قال الى ربك منتهاها اى منتهى علمها لم يؤت احدا علمها من خلقه وقيل

فيم انكار لسوالهم اى فيم هذا السوال ثم قيل انت من ذكراها اى ارسالك وانت خاتم
الانبياء وآخر الرسل المبعوث فى نسم الساعة ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها
فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسوالهم
عنها انما انت منذر من يخشيها اى لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذى لا فائدة لهم فى
علمه وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يكون انذارك لطفا له فى الخشية منها وقرئ منذر
بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد
الماضى فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد امس كانهم لم يلبثوا فى الدنيا وقيل
فى القبور الا عشية او ضحيها **فان قلت** كيف صحت اضافة الضحى الى العشية **قلت**
لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما فى نهار واحد **فان قلت** فهلا قيل الا عشية او ضحى
فما فائدة الاضافة **قلت** الدلالة على ان مدة لبثهم كانها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة
منه عشيته او ضحاه فلما ترك اليوم اضافه الى عشيته فهو كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار
عن رسول الله صلعم من قرا سورة والنازعات كان ممن حبسه الله فى القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة

سورة عبس مكية وهى اثنتان واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اتى رسول الله صلعم ابن ام مكتوم وام مكتوم
ام ابيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهرى من بنى عامر بن لوى وعنده
صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية
بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله
اقرئنى وعلمنى مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلعم

قطعه

قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت وكان رسول الله صلعم يكرمه ويقول اذا راه
مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال
انس رايته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة و
نحوه كلح فى كلح ان جاءه منصوب بتولى او بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لان
جاءه الاعمى واعرض لذلك وقرئ آن جاءه بهمزتين وبالف بينهما ووقف على عبس وتولى
ثم ابتدى على معنى الان جاءه الاعمى فعل ذلك انكارا عليه وروى انه ما عبس بعدها
فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى وفى الاخبار عما فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل
على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجانى اذا حمى فى الشكاية
مواجها بالتوبيخ والزام الحجة وفى ذكر الاعمى نحو من ذلك كانه يقول قد استحق عنده
العبوس والاعراض لانه اعمى وكان يجب ان يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا
ولقد تادب الناس بادب الله فى هذا تادبا حسنا فقد روى عن سفيان الثورى رحمه الله
ان الفقراء كانوا فى مجلسه امراء وما يدريك واى شىء يجعلك داريا بحال هذا الاعمى لعله
يزكى اى يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض اوضار الاثم او يذكر يتعظ فتنفعه ذكراك
اى موعظتك وتكون له لطفا فى بعض الطاعات والمعنى انك لا تدرى ما هو مترقب منه
من تزك او تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير فى لعله للكافر يعنى انك طمعت
فى ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه
كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله فاطلع الى اله
موسى تصدى تتعرض بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرئ تصّدى بالتشديد بادغام
التاء فى الصاد وقرا ابو جعفر تصدى بضم التاء اى تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدى

له من الحرص والتهالك على اسلامه وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا
البلاغ يسعى يسرع في طلب الخير وهو يخشى الله او يخشى الكفار واذاهم في اتيانك وقيل
جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة تلهى تتشاغل من لهى عنه والتهى وتلهى وقرأ طلحة
بن مصرف تتلهى وقرأ ابو جعفر تُلهّى اى يلهيك شأن الصناديد فان قلت قوله فانت له
تصدى فانت عنه تلهى كان فيه اختصاصا قلت نعم ومعناه انكار التصدى والتلهى
عليه اى مثلك خصوصا لا ينبغى ان يتصدى للغنى ويتلهى عن الفقير كلا ردع عن المعاتب
عليه وعن معاودة مثله انها تذكرة اى موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها فمن شاء ذكره
اى كان حافظا له غير ناس وذكّر الضمير لان التذكرة فى معنى الذكر والوعظ فى صحف
صفة لتذكرة يعنى انها مثبتة فى صحف منتسخة من اللوح مكرمة عند الله مرفوعة فى السماء
او مرفوعة المقدار مطهرة منزهة عن ايدى الشياطين لا يمسها الا ايدى ملائكة مطهرين سفرة
كتبة ينتسخون الكتب من اللوح بررة اتقياء وقيل هى صحف الانبياء كقوله ان هذا لفى الصحف
الاولى وقيل السفرة القراء وقيل اصحاب رسول الله صلعم قتل الانسان دعاء عليه وهى
من اشنع دعواتهم لان القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها وما اكفره تعجب من افراط
فى كفران نعمة الله ولا ترى اسلوبا اغلظ منه ولا اخشن مسا ولا ادل على سخط ولا ابعد
شوطا فى المذمة مع تقارب طرفيه ولا اجمع للائمة على قصر متنه ثم اخذ فى وصف حاله من
ابتداء حدوثه الى ان انتهى وما هو مغمور فيه من اصول النعم وفروعها وما هو غارز فيه رأسه
من الكفر والغمط وقلة الالتفات الى ما يتقلب فيه والى ما يجب عليه من القيام بالشكر من اى شىء
خلقه من اى شىء حقير مهين خلقه ثم بين ذلك الشىء بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما
يصلح له ويختص به ونحوه وخلق كل شىء فقدره تقديرا نصب السبيل باضمار يسّر وفسّر بيسّره

والمعنى

والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن امه او السبيل الذى يختار سلوكه من طريقى الخير
والشر واقداره وتمكينه كقوله انا هديناه السبيل وعن ابن عباس رضى الله عنه بين له سبيل
الخير والشر فاقبره فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه الارض جزرا
للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبر الميت اذا امر ان يقبر
ومكنه منه ومنه قول من قال للحجاج اقبرنا صالحا انشره انشأه النشأة الاخرى وقرئ
نشره كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده
من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله حتى يخرج عن جميع اوامره يعنى ان انسانا لم
يخل من تقصير قط ولما عدد النعم فى نفسه اتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال فلينظر الى
طعامه الذى يعيش به كيف دبرنا امره انا صببنا الماء يعنى الغيث قرئ بالكسر على الاستيناف
وبالفتح على البدل من الطعام وقرأ الحسين بن على رضى الله عنهما انى صببنا الماء بالامالة
على معنى فلينظر الانسان كيف صببنا الماء شققنا من شق الارض بالنبات ويجوز ان
يكون من شقها بالكراب على البقر واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب والحب
كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما والقضب الرطبة والمقضاب ارضه سمى بمصدر
قضبه اذا قطعه لانه يقضب مرة بعد اخرى وحدائق غلبا يحتمل ان يجعل كل حديقة غلباء
فيريد تكاثفها وكثرة اشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وان يجعل شجرها غلبا اى
عظاما غلاظا والاصل فى الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معدى كرب يمشى
بها غلب الرقاب كانهم بزل كسين من الكحيل جلالا والاب المرعى لانه يؤب اى يؤم وينتجع
والاب والام اخوان قال جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا الاب به والمكرع وعن ابى بكر رضى الله
عنه انه سئل عن الاب فقال اى سماء تظلنى واى ارض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله ما لا علم

لی به وعن عمر رضی الله عنه انه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض
عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب
ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه **فان قلت** فهذا يشبه النهي عن تتبع
معاني القرآن والبحث عن مشكلاته **قلت** لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت اكبر
همهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فاراد ان
الآية مسوقة في الامتنان على الانسان بمطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية
ان الاب بعض ما انبته الله للانسان متاعا له او لانعامه فعليك بما هو اهم من النهوض
بالشكر لله على ما تبين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تشاغل عنه بطلب معنى الاب
ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجملية الى ان يتبين لك في غير
هذا الوقت ثم وصى الناس بان يجروا على هذا السنن فيما اشبه ذلك من مشكلات القرآن
يقال صخ لحديثه مثل اصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها يفر
منهم لاشتغاله بما هو مدفوع اليه ولعلمه انهم لا يغنون عنه شيئا وبدأ بالاخ ثم بالابوين
لانهما اقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم اقرب واحب كانه قيل يفر من اخيه بل من
ابويه بل من صاحبته وبنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الاخ لم تواسني
بمالك والابوان قصرت في برنا والصاحبة اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون
لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبته نوح
ولوط ومن ابنه نوح يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اي يهمه مسفرة مضيئة متهللة
من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس رضي الله عنه من قيام الليل لما روي في الحديث
من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت

في سبيل الله غبرة غبار يعلوها قترة سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة و
السواد في الوجه كما ترى من وجوه الزنوج اذا اغبرت وكأن الله تعالى يجمع الى سواد وجوههم
الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر عن رسول الله صلعم من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيمة
ووجهه ضاحك مستبشر ٥

سورة اذا الشمس كورت وهي تسع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم في التكوير وجهان ان يكون من كورت العمامة اذا
لففتها اي يلف ضوءها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق وهو عبارة عن
ازالتها والذهاب بها لانها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف او يكون
لفها عبارة عن رفعها وسترها لان الثوب اذا اريد رفعه لف وطوي ونحوه قوله يوم نطوي
السماء وان يكون من طعنه فجوره وكوره اذا القاه اي تلقى وتطرح عن فلكها كما وصفت
النجوم بالانكدار **فان قلت** ارتفاع الشمس على الابتداء او على الفاعلية **قلت** بل على
الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا تطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط
انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر ويروى في الشمس والنجوم انها تطرح
في جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم سيرت اي عن
وجه الارض وابعدت او سيرت في الجو تسيير السحاب كقوله وهي تمر مر السحاب
والعشار في جمع عشراء كالنفاس في جمع نفساء وهي التي اتى على حملها عشرة اشهر ثم هو اسمها
الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليهم عطلت تركت مسيبة
مهملة وقيل عطلها اهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بانفسهم وقرئ عطلت بالتخفيف

حشرت جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص وقيل اذا
قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس
ونحوه وعن ابن عباس حشرها موتها يقال اذا اجحفت السنة بالناس واموالهم حشرتهم السنة
وقرئ حشرت بالتشديد سجرت قرئ بالتخفيف والتشديد من سجر التنور اذا ملاه
بالحطب اي مليت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل مليت نيرانا تضطرم
لتعذيب اهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها فلا يبقى فيها قطرة زوجت قرنت
كل نفس بشكلها وقيل قرنت الارواح بالاجساد وقيل بكتبها واعمالها وعن الحسن هو كقوله
وكنتم ازواجا ثلثة وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين ووأد يئد مقلوب
من آد يؤد اذا اثقل قال الله تعالى ولا يؤده حفظهما لانه اثقال بالتراب كان الرجل
اذا ولدت له بنت واراد ان يستحييها البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم
في البادية وان اراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى
اذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ثم
يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالارض وقيل كانت الحامل اذا
اقربت حفرت حفرة فتمخضت على راس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة و
ان ولدت ابنا حبسته فان قلت ما حملهم على واد البنات قلت الخوف من لحوق
العار بهم من اجلهن او الخوف من الاملاق كما قال الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية
املاق وكانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فالحقوا البنات به فهو احق بهن وصعصعة
بن ناجية ممن منع الواد افتخر الفرزدق في قوله ومنا الذي منع الوائدات فاحيا الوئيد
فلم يوأد فان قلت فما معنى سؤال الموءودة عن ذنبها الذي قتلت به وهلا سئل الوائد

عن

عن موجب قتلها قلت سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى
لعيسى ءانت قلت للناس الى قوله سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق وقرئ سالت
اي خاصمت عن نفسها وسالت الله او قاتلها وانما قيل قتلت بناء على ان الكلام اخبار
عنها ولو حكى ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت او كلامها حين سالت لقيل قتلت
وقرأ ابن عباس قتلت على الحكاية وقرئ قتلت بالتشديد وفيه دليل بين على ان اطفال المشركين
لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يستحق الا بالذنب واذا بكت الله الكافر ببراءة الموءودة
من الذنب فما اقبح به وهو لا يظلم مثقال ذرة ان يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل بها ما تنسى
عنده فعل المبكت من العذاب السرمد وعن ابن عباس انه سئل عن ذلك واحتج بهذه الآية
نشرت قرئ بالتشديد والتخفيف يريد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته
ثم تنشر اذا حوسب عن قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيمة فلينظر
رجل ما يملي في صحيفته وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا قراها قال اليك يساق الامر
يا ابن ادم وعن النبي صلعم انه قال يحشر الناس حفاة عراة فقالت ام سلمة كيف بالنساء
فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل
الخردل ويحوز ان يراد نشرت بين اصحابها اي فرقت بينهم وعن مرثد بن وداعة اذا كان
يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية و
تقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال
كشطت كشفت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء وقرأ ابن مسعود
قشطت واعتقاب الكاف والقاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور
سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقرئ سعرت بالتشديد للمبالغة قيل سعرها غضب الله

وخطايا بني آدم أزلفت أدنيت من المتقين كقوله وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه
اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا وست في الآخرة وعلمت هو عامل النصب في
إذا الشمس كورت وفيما عطف عليه **فإن قلت** كل نفس تعلم ما أحضرت كقوله يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا لا نفس واحدة فما معنى قوله علمت نفس **قلت** هو
من عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه ومنه قوله عز وعلا ربما يود
الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وأبلغ منه وقول القائل قد أترك القرن مصفرا أنامله
وتقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي أو لا تعدم
عندي فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه أراد إظهار براءته
من التزيد وأنه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا أن يتزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى
الكثرة على الصحة واليقين وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن قارئا قرأها عنده فلما بلغ
علمت نفس ما أحضرت قال وا انقطاع ظهراه الخنس الرواجع بينا ترى النجم في آخر البرج إذ كر
راجعا إلى أوله والجواري السيارة والكنس الغيب من كنس الوحشي إذا دخل كناسه قيل
هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجري مع الشمس والقمر وترجع
حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل
هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أي تطلع في أماكنها كالوحش
في كنسها عسعس الليل وسعسع إذا أدبر قال العجاج حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب
عنها ليلها وعسعسا وقيل عسعس إذا أقبل ظلامه **فإن قلت** ما معنى تنفس الصبح **قلت**
إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح
إنه الضمير للقرآن رسول كريم هو جبريل صلوات الله عليه ذي قوة كقوله شديد القوى ذي مرة

لمكانة

لما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذي العرش ليدل على عظم منزلته
ومكانته ثم إشارة إلى الظرف المذكور أعني عند ذي العرش على أنه عند الله مطاع في
ملائكته المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه وقرئ ثم تعظيما للأمانة وبيانا لأنها
أفضل صفاته المعدودة وما صاحبكم يعني محمدا صلعم بمجنون كما تبهته الكفرة وناهيك
بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة أفضل الإنس
محمد صلعم إذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله إنه
لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وبين قوله وما صاحبكم
بمجنون ولقد رآه ولقد رأى رسول الله صلعم جبريل بالأفق المبين بمطلع الشمس الأعلى و
ما هو وما محمد صلعم على ما يخبره من الغيب من رؤية جبريل والوحي إليه وغير ذلك بظنين بمتهم
من الظنة وهي التهمة وقرئ بضنين من الضن وهو البخل أي لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه غير
مبلغه أو يسأل تعليمه فلا يعلمه وهو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف أبي بالضاد و
كان رسول الله صلعم يقرأ بهما وإتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما
لا بد منه للقارئ فإن أكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وإن فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما
بون بعيد فإن مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان
أو يساره وكان عمر بن الخطاب أضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه وهي
أحد الأحرف الشجرية أخت الجيم والشين وأما الظاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا
العليا وهي أحد الأحرف الذولقية أخت الذال والثاء ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه
الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق
والتركيب **فإن قلت** فإن وضع المصلي أحد الحرفين مكان صاحبه **قلت** هو كواضع الذال

لمكان الجيم والتاء مكان الشين لان التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين اختيهما وما
هو وما القرآن بقول شيطان رجيم اي بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم الى اوليائهم من
الكهنة فاين تذهبون استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا في بنيات الطريق
اين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل لمن شاء منكم بدل من
للعالمين وانما ابدلوا منهم لان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون
بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا وما تشاؤن الاستقامة يا من
يشاؤها الا بتوفيق الله ولطفه او وما تشاؤنها انتم يا من لا يشاؤها الا بقسر الله والجائه عن
رسول الله صلعم من قرا سورة كورت اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

بسم الله الرحمن الرحيم انفطرت انشقت فجرت فتح بعضها الى بعض
فاختلط العذب بالمالح وزال البرزخ الذي بينهما وصارت البحور بحرا واحدا وروي ان الارض
تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقرئ فجرت
بالتخفيف وقرا مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ
نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان لان البغي والفجور اخوان بعثرت وبحثرت بمعنى وهما مركبان من البعث
والبحث مع راء مضموم اليهما والمعنى بحثت واخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لانها بعثرت
اسرار المنافقين فان قلت ما معنى قوله ما غرك بربك الكريم فكيف طابق الوصف بالكريم
انكار الاغترار وانما يغتر بالكريم كما روي عن علي رضي الله عنه انه صاح بغلام له كرات فلم
يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له ما لك لم تجبني قال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فا

فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء ادب غلمانه قلت معناه ان حق
الانسان ان لا يغتر بتكرم الله عليه حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى
يطمع بعد ما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها ان يتفضل عليه بالثواب وطرح
العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه منكر خارج من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله
صلعم لما تلاها غره جهله وقال عمر رضي الله عنه غره حمقه وجهله وقال الحسن غره و
الله شيطانه الخبيث اي زين له المعاصي وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل
عليك بما تفضل به اولا وهو متفضل عليك اخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض
ان اقامك الله يوم القيمة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال اقول غرتني
ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطاء في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما
يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن ائمتهم انما قال بربك الكريم دون
سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم وقرا سعيد بن جبير ما اغرك
اما على التعجب واما على الاستفهام من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك
بيتهم العدو وهم غارون واغره غيره جعله غارا فسواك فجعلك سويا سالم الاعضاء فعدلك
فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين اطول و
لا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها اسود ولا بعض الشعر فاحما و
بعضه اشقر او جعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم وقرئ فعدلك بالتخفيف وفيه
وجهان احدهما ان يكون بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت و
الثاني فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق يعني فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك
خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق او فعدلك الى بعض الاشكال والهيات ما في اي صورة ما شاء

مركبة اى ركبك فى اى صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة فى الحسن و
القبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه
فان قلت هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها قلت لانها بيان لعدلك فان قلت
م يتعلق الجار قلت يجوز ان يتعلق بركبك على معنى وضعك فى بعض الصور ومكنك
فيه وبمحذوف اى ركبك حاصلا فى بعض الصور ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف
ويجوز ان يتعلق بعدلك ويكون ما للتعجب اى فعدلك فى صورة عجيبة ثم قال
ما شاء ركبك اى ركبك ما شاء من التركيب يعنى تركيبا حسنا كلا ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله
والتسلق به وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسهما الذى هو الكفر والمعصية ثم قال بل
تكذبون بالدين اصلا وهو الجزاء او دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر
من الطمع المنكر وان عليكم لحافظين تحقيق لما يكذبون به من الجزاء يعنى انكم تكذبون بالجزاء
والكاتبون يكتبون اعمالكم لتجازوا بها وفى تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء
وانه عند الله من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازى به
الملائكة الكرام الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين وعن الفضيل
انه كان اذا قراها قال ما اشدها من آية على الغافلين وما هم عنها بغائبين كقوله وما هم بخارجين
منها ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعنى فى قبورهم
وقيل اخبر الله فى هذه السورة ان لابن آدم ثلث حالات حال الحيوة التى يحفظ فيها عمله
وحال الاخرة التى يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله وما هم عنها بغائبين يعنى ان امر يوم
الدين لمدين بحيث لا يدرك دراية دار كنهه فى الهول والشدة وكيف ما تصورته فهو فوق
ذلك وعلى اضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم اجمل القول فى وصفه فقال يوم لا تملك نفس

لنفس

لنفس شيئا اى لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه ولا امر الا لله وحده من رفع فعلى البدل
من يوم الدين او على هو لا تملك ومن نصب فباضمار يدانون لان الدين يدل عليه او باضمار
اذكر ويجوز ان يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو فى محل الرفع عن رسول الله صلعم من قرأ
اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين مختلف فيها وهي ست وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم التطفيف البخس فى الكيل والوزن لان ما يبخس
شئ طفيف حقير وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من اخبث
الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بابى جهينة ومعه
صاعان يكيل باحدهما بالاخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم ويكتال
المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها عليهم
وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم
عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم
الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم
القطر وعن على رضى الله عنه انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال له اقم الوزن بالقسط
ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امره بالتسوية اولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل
وعن ابن عباس رضى الله عنه انكم معاشر العجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال
والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين فى الحرمين كان اهل
مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر انه كان يمر بالبائع فيقول اتق الله واوف

الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيمة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم وعن عكرمة
اشهد ان كل كيال ووزان في النار فقيل له ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه في
النار وعن ابي رضي الله عنه لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤس المكاييل والسن الموازين
لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة
على ذلك ويجوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية
اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى يعتقبان
في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال
اكتلت منك فكقوله استوفيت منك والضمير في كالوهم او وزنوهم ضمير منصوب راجع
الى الناس وفيه وجهان ان يراد كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل كما قال
ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر والحريص يصيدك لا الجواد
بمعنى جنيت لك وصيد لك وان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
والمضاف هو المكيل او الموزون ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام
يخرج به الى نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا اعطوهم
اخسروا وان جعلت الضمير للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا
تولوا الكيل او الوزن هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل
لا في المباشر والتعلق في ابطاله بخط المصحف وان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة
فيه ركيك لان خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على اني
رايت في الكتب المخطوطة بايدي الائمة المتقنين هذه الالف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ
والمعنى جميعا لان الواو وحدها معطية معنى الجمع وانما كتبت هذه الالف تفرقة بين واو الجمع

وغيرها

وغيرها في نحو قولك لم يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما
وعن عيسى بن عمر وحمزة انهما كانا يرتكبان ذلك اي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان
عند الواوين وقيفة يبينان بها ما ارادا فان قلت هلا قيل او اتزنوا كما قيل او وزنوهم
قلت كان المطففين كانوا لا ياخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين
لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء واذا اعطوا
كالوا ووزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا يخسرون ينقصون يقال خسر الميزان
واخسره الا يظن انكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كانهم لا
يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة
وعن قتادة اوف يا ابن ادم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وعن
الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيمة وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا
قال له لقد سمعت ما قال الله في المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد
العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي
هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله خاضعين
ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما كان في
مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل اخذ واعطاء بل
في كل قول وعمل وقيل الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر ونصب يوم بمبعوثون وقرئ
بالجر بدلا من يوم عظيم وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه قرا هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم
الناس لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده كلا ردع عما كانوا عليه من التطفيف
والغفلة عن ذكر البعث والحساب ونبههم على انه مما يجب ان يتاب عنه ويندم عليه

ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم وكتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم فان قلت قد
اخبر الله عن كتاب الفجار بانه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم
في كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه اعمال
الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة
او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فالمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان
وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او
لانه مطروح كما روي تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته
استهانة به واذالة وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون
فان قلت فما سجين اصفة هو ام اسم قلت بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم
وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف الذين يكذبون مما وصف للذم
لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث كلا ردع للمعتدي الاثيم عن قوله
ران على قلوبهم ركبها كما يركب الصدأ وغلب عليها وهو ان يصر على الكبائر ويسوف التوبة
حتى يطبع على قلبه فلا يقبل الخير ولا يميل اليه وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب
يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران فيه النوم رسخ فيه
ورانت به الخمر ذهبت به وقرئ بادغام اللام في الراء وبالاظهار والادغام اجود وامليت
الالف وفخمت كلا ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف
بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا
الادنياء المهانون عندهم قال اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا والناس من بين مرجب
ومحجوب وعن ابن عباس وقتادة وابن ابي مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان

عن كرامته كلا ردع عن التكذيب وكتاب الابرار ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان
الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من
العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة
واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما وتعظيما وروي ان
الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه اوحى اليهم
انكم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه اخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد
غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله اوحى اليهم انتم
الحفظة على عبدي وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين على الارائك
الاسرة في الحجال ينظرون الى ما شاؤا مد اعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما اولاهم الله من النعمة
والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك نضرة النعيم
بهجة التنعم وماءه ورونقه كما ترى في وجوه الاغنياء واهل الثروة وقرئ تعرف على البناء
للمفعول ونضرة النعيم بالرفع الرحيق الشراب الخالص الذي لا غش فيه مختوم تختم
اوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة وقيل ختامه مسك مقطعه رائحة
مسك اذا شرب وقيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح التاء
وكسرها اي ما يختم به ويقطع فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون تسنيم علم لعين
بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها ارفع شراب في الجنة واما
لانها تاتيهم من فوق على ما روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم وعينا
نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال وقيل هي للمقربين يشربونها صرفا وتمزج
لسائر اهل الجنة هم مشركو مكة ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل واشياعهم

كانوا يضحكون من عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين و
يستهزؤن بهم وقيل جاء علي بن ابي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين فسخر منهم
المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا راينا اليوم الاصلع فضحكوا
منه فنزلت قبل ان يصل علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا
ويشيرون باعينهم فكهين متلذذين بذكرهم والسخرية منهم اي ينسبون المسلمين الى الضلال
وما ارسلوا على المسلمين حافظين موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم
ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم او هو من جملة قول الكفار وانهم اذا راوا
المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن
الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم في ذلك على الارائك ينظرون حال من يضحكون اي
يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن
الوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الارائك آمنون وقيل يفتح للكفار باب الى
الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا فيضحك
المؤمنون منهم ثوبه واثابه بمعنى اذا جازاه قال اوس ساجزيك او يجزيك عني مثوب وحسبك
ان يثنى عليك وتحمدي وقرئ بادغام اللام في الثاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

سورة انشقت مكية وهي خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حذف جواب اذا ليذهب المقدر كل
مذهب او اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه

اي اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه ومعناه اذا انشقت بالغمام كقوله ويوم تشقق
السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة اذنت له استمعت له ومنه قوله عليه السلام
ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقول جحاف بن حكيم اذنت لكم لما سمعت هريركم
والمعنى انها فعلت في انقيادها لله حين اراد انشقاقها فعل المطواع الذي اذا ورد عليه
الامر من جهة المطاع انصت له واذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله اتينا طائعين وحقت
من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعني وهي حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع ومعناه الايذان
بان القادر الذات يجب ان يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك مدت من مد الشيء فامتد وهو
ان تزال جبالها وآكامها وكل امت فيها حتى تمتد وتنبسط وتستوي ظهرها كما قال قاعا
صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم
اذا مد زال كل انثناء فيه وامت واستوى او من مده بمعنى امده اي زيدت سعة وبسطة
والقت ما فيها ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز وتخلت وخلت غاية
الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كانها تكلفت اقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم
الرحيم اذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما واذنت لربها في القائها
ما في بطنها وتخليها الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا
خدشه ومعنى كادح الى ربك جاهد الى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة
باللقاء فملاقيه فملاق له لا محالة لا مفر لك منه وقيل الضمير في ملاقيه للكدح يسيرا
سهلا هينا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش اصحاب الشمال وعن عائشة
رضي الله عنها هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من
يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من

نوقش في الحساب عذب الى اهله الى عشيرته ان كانوا مؤمنين او الى فريق المؤمنين او الى
اهله في الجنة من الحور العين وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء
ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره يدعو ثبورا
يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك وقرئ ويصلى سعيرا كقوله وتصلية جحيم ويصلى بضم الياء
والتخفيف كقوله ونصله جهنم في اهله فيما بين ظهرانيهم او معهم على انهم كانوا جميعا
مسرورين يعني انه كان في الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم امر
الاخرة ولا يفكرون في العواقب ولم يكن كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحاء والمتقين
وحكاية الله عنهم انا كنا قبل في اهلنا مشفقين ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله تكذيبا
بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول اي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد يحور رمادا بعد اذ هو ساطع و
عن ابن عباس ما كنت ادري ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول لبنية لها حوري اي
ارجعي بلى ايجاب لما بعد النفي في لن يحور اي بلى ليحورن ان ربه كان به بصيرا وباعماله
لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بد ان يرجعه ويجازيه عليها وقيل نزلت الآيتان في ابي سلمة
بن عبد الاشد واخيه الاسود بن عبد الاشد الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد
سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء
الا ما روي عن ابي حنيفة رضي الله عنه في احدى الروايتين انه البياض وروى اسد بن
عمرو انه رجع عنه سمي لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب عليه وما وسق وما
جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا ونظيره
في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره وآوى
اليه من الدواب وغيرها اذا اتسق اذا اجتمع واستوى ليلة اربع عشرة قرئ لتركبن على
خطاب الانسان في يا ايها الانسان لتركبن بالضم على

خطاب

خطاب الجنس لان النداء للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس وليركبن بالياء على
ليركبن الانسان والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا اي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء بطبق
الطبق واطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله عز وعلا
طبقا عن طبق اي حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها في الشدة والهول ويجوز ان يكون
جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على
معنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده
من مواطن القيامة واهوالها **فان قلت** ما محل عن طبق **قلت** النصب على انه صفة
لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في لتركبن طبقا مجاوزين لطبق او مجاوزا
او مجاوزة على حسب القراءة وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون امرا لم تكونوا عليه
لا يسجدون لا يستكينون ولا يخضعون وقيل قرأ رسول الله صلعم ذات يوم واسجد
واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت وبه احتج
ابو حنيفة رضي الله عنه على وجوب السجدة وعن ابن عباس ليس في المفصل سجدة وعن
ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان رأيت رسول الله سجد فيها
وعن انس صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة
الذين كفروا اشارة الى المذكورين بما يوعون بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من
الكفر والحسد والبغي والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم
من انواع العذاب الا الذين آمنوا استثناء منقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج مكية وهي ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هي البروج الاثنا عشر وهي قصور السماء على التشبيه وقيل
البروج النجوم التي هي منازل القمر وقيل هي عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها
وقيل ابواب السماء واليوم الموعود يوم القيامة وشاهد ومشهود يعني وشاهد
في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود
ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما اما ما ذكرته في قوله علمت نفس ما احضرت
كانه قيل وما افرطت كثرته من شاهد ومشهود واما الابهام في الوصف كانه قيل و
شاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد اضطربت اقوال المفسرين فيهما فقيل الشاهد و
المشهود محمد ويوم القيمة وقيل عيسى وامته لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم و
قيل امة محمد وساير الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفه ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج
وقيل الايام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد و
اني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيمة وقيل
الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد فان قلت اين جواب القسم قلت محذوف يدل
عليه قوله قتل اصحاب الاخدود كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون يعني كفار قريش
كما لعن اصحاب الاخدود وذلك ان السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبرهم على اذى
اهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان والحاق انواع الاذى
وصبرهم وثباتهم حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلمون ان
كفارهم عند الله بمنزلة اولئك المعذبين المحرقين بالنار ملعونون احقاء بان يقال فيهم قتلت
قريش كما قيل قتل اصحاب الاخدود وقيل دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما اكفره وقرئ
قتل بالتشديد والاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق ومنه

فساخت قوايمه في اخافيق جرذان روي عن النبي صلعم انه كان لبعض الملوك ساحر
فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب يسمع منه ورأى في
طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان هذا الراهب
احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص
ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابرأه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك
فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب
عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب به الى الجبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف
بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة
فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع و
تأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع
يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر
بالاخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت
امرأة معها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق
فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي وقيل قال ما هي الا غميضة فصبرت وعن علي رضي الله عنه
انهم حين اختلفوا في احكام المجوس قال هم اهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت
الخمر قد احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته فلما صحا ندم وطلب
المخرج فقالت له ان المخرج ان تخطب الناس فتقول يا ايها الناس ان الله احل نكاح
الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت ابسط فيهم
السوط فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فامرته بالاخاديد وايقاد النيران

وطرح من ابى فيها وهم الذين ارادهم الله بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران
رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي
بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق اثني عشر الفا في الاخاديد
وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر اصحاب الاخدود تعوذ من جهد البلاء
النار بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود وصف لها بانها نار عظيمة لها ما يرتفع
به لهبها من الحطب الكثير وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم اذ ظرف لقتل اي لعنوا
حين احرقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها على ما يدنو منها من حافات الاخدود كقوله
وبات على النار الندى والمحلق وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا لمكان يدنو منه
ومعنى شهادتهم على احراق المؤمنين انهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا يشهد بعضهم
لبعض عند الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به وفوض اليه من التعذيب ويجوز ان
يراد انهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيامة يوم تشهد
عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وما نقموا منهم وما عابوا منهم وما انكروا
الا الايمان كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم وكما قال ابن الرقيات ما نقموا من بني
امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وقرا ابو حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح وذكر الاوصاف
التي يستحق بها ان يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب
الحمد على نعمته ويرجى ثوابه له ملك السموات والارض فكل من فيهما يحق عليه
عبادته والخشوع له تقرير لان ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه الا مبطل منهمك في
الغي وان الناقمين اهل لانتقام الله منهم بعذاب لا عذاب بعده والله على كل شيء شهيد

وعيد لهم يعني انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه ويجوز ان يريد بالذين فتنوا اصحاب
الاخدود خاصة وبالذين امنوا المطروحين في الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم
بالنار واحرقوهم فلهم في الاخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار اخرى
عظيمة تتسع كما يتسع الحريق باحراقهم المؤمنين او لهم عذاب جهنم في الاخرة ولهم عذاب
الحريق في الدنيا لما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ويجوز ان يريد الذين
فتنوا المؤمنين بلوهم بالاذى على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين
في الاخرة لكفرهم ولفتنتهم البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف
وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذهم بالعذاب والانتقام انه هو يبدئ ويعيد
اي يبدئ البطش ويعيده يعني يبطش بهم في الدنيا وفي الاخرة او دل باقتداره على الابداء
والاعادة على شدة بطشه او اوعد الكفرة بانه يعيدهم كما ابداهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا
نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة وقرئ يبدأ الودود الفاعل باهل طاعته ما يفعله الودود
من اعطائهم ما ارادوا وقرئ ذي العرش صفة لربك وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش
ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه فعال خبر مبتدأ محذوف وانما قيل فعال
لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة فرعون وثمود بدل من الجنود واراد بفرعون اياه واله
كما في قولهم من فرعون وملائهم والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل
بهم لتكذيبهم بل الذين كفروا من قومك في تكذيب اي تكذيب واستيجاب للعذاب والله
عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما
لا يفوت فائت الشيء المحيط به ومعنى الاضراب ان امرهم اعجب من امر اولئك لانهم
سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم وراوا اثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا اشد من تكذيبهم بل هو

اي بل هذا الذي كذبوا به قرآن مجيد شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه واعجازه
وقرئ قرآنُ مجيدٍ بالاضافة اي قرآن ربٍّ مجيدٍ وقرأ يحيى بن يعمر في لوحٍ واللوح
الهواء يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح محفوظ من وصول الشياطين
اليه وقرئ محفوظٌ بالرفع صفة للقرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة البروج اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم النجم الثاقب المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه
فينفذ فيه كما قيل دريّ لانه يدرؤه اي يدفعه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل
كما يقال للآتي ليلا طارق او لانه يطرق الجني اي يصكه والمراد جنس النجوم او جنس
الشهب التي يرجم بها فان قلت ما اشبه قوله وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب
الا ترجمة كلمة باخرى فبين لي اي فائدة تحته قلت اراد الله عز من قائل ان يقسم بالنجم
الثاقب تعظيما له لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وان ينبه على ذلك
فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق ثم قال وما ادراك ما الطارق ثم
فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا اظهار لفخامة شانه كما قال فلا اقسم بمواقع النجوم وانه
لقسم لو تعلمون عظيم وروي ان ابا طالب كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانحط نجم فامتلأ ما ثم نورا ففزع ابو طالب وقال اي شيء هذا فقال عليه السلام هذا نجم
رمي به وهو آية من آيات الله فعجب ابو طالب فنزلت فان قلت ما جواب القسم قلت
ان كل نفس لما عليها حافظ لان ان لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة بمعنى الا ان تكون نافية وفيمن

قرأها

قرأها مخففة على ان ما صلة ان تكون مخففة من الثقيلة وايتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم
حافظ مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيبا وكان الله على كل
شيء مقيتا وقيل ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر وروي عن النبي صلعم
وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل
العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين ما وجه اتصال قوله فلينظر بما قبله قلت
وجه اتصاله به انه لما ذكر ان على كل نفس حافظا اتبعه توصية الانسان بالنظر في اول امره
ونشأته الاولى حتى يعلم ان من انشأه قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الاعادة والجزاء
ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته ومم خلق استفهام جوابه خلق من ماء دافق والدفق
صب فيه دفع ومعنى دافق النسبة الى الدفق الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر او
الاسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحا دهما
حين ابتدئ في خلقه من بين الصلب والترائب من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي
عظام الصدر حيث تكون القلادة وقرئ الصَّلَب بفتحتين والصُّلُب بضمتين وفيه اربع لغات
صُلْب وصُلُب وصَلَب وصالب قال العجاج في صلب مثل العنان المؤدم وقيل العظم و
العصب من الرجل واللحم والدم من المرأة انه الضمير للخالق لدلالة خلق عليه ومعناه ان ذلك
الذي خلق الانسان ابتداء من نطفة على رجعه على اعادته خصوصا لقادر لبين القدرة
لا يلتاث عليه ولا يعجز عنه كقوله انني لفقير يوم تبلى منصوب برجعه ومن جعل الضمير
في رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب او الاحليل او الى الحالة الاولى
نصب الظرف بمضمر السرائر ما اسر في القلب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من
الاعمال وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن انه

فان قلت م

سمع رجلاً ينشد تبغي لها في مضمر القلب والحشا سريرة ودٍّ يوم تبلى السرائر فقال ما أغفله
عما في والسماء والطارق فما له فما للانسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر
ولا مانع يمنعه سمى المطر رجعا كما سمى أوبا قال ربابة أسماء لا بأدي لقلتها الا السحاب والا
الأوب والسبل تسمية بمصدري رجع وآب وذلك ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب
يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او ارادوا التفاؤل فسموه رجعا وأوبا
ليرجع ويؤب وقيل لان الله يرجعه وقتا فوقتا قالت الخنساء كالرجع في المدجنه
السارية والصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات انه الضمير للقران فصل فاصل بين
الحق والباطل كما قيل له فرقان وما هو بالهزل يعني انه جد كله لا هوادة فيه ومن حقه
وقد وصفه الله بذلك ان يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه
ان يلم بهزل او يتفكه بمزاح وان يلقي ذهنه الى ان جبار السموات يخاطبه فيأمره وينهاه ويعده
ويوعده حتى ان لم يستفزه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية فأدنى امره ان يكون جادا
غير هازل فقد نعى الله على المشركين ذلك في قوله وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون
والغوا فيه انهم يعني اهل مكة يعملون المكايد في ابطال امر الله واطفاء نور الحق وانا اقابلهم
بكيدي من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم فمهل الكافرين
يعني لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به امهلهم رويدا اي امهالا يسيرا وكرر وخالف بين اللفظين
لزيادة التسكين منه والتصبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق
اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة سبح مكية وهي تسع عشرة آية

بسم

بسم الله الرحمن الرحيم تسبيح اسمه عز وعلا تنزيهه عما لا يصح فيه من المعاني
التي هي الحادث في اسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك مثل ان يفسر الاعلى بمعنى العلو
الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة وان يصان
عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم ويجوز ان يكون الاعلى صفة للرب وللاسم
وقرأ علي رضي الله عنه سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم
قال رسول الله صلعم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في
سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت
خلق فسوى اي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن
على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم وانه صنعة حكيم قدر فهدى قدر لكل
حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به يحكى ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة
عميت وقد الهمها الله ان مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت
في برية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم
في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها وترجع باصرة باذن الله و
هدايات الله للانسان الى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في اغذيته وادويته
وفي ابواب دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام الارض باب واسع وشوط
بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربي الاعلى وقرئ قدر بالتخفيف احوى صفة
لغثاء اي اخرج المرعى انبته فجعله بعد خضرته ورفيفه غثاء احوى دريناً اسود و
يجوز ان يكون احوى حالا من المرعى اي اخرجه احوى اسود من شدة الخضرة والري فجعله
غثاء بعد حوته بشره الله باعطاء آية بينة وهي ان يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي

وهو امي لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه الا ما شاء الله فيذهب به عن حفظه برفع حكمه
وتلاوته كقوله او ننسها وقيل كان يعجل بالقراءة اذا لقنه جبريل فقيل لا تعجل فان جبريل
مامور بان يقرأ عليك قراءة مكررة الى ان تحفظه ثم لا تنساه الا ما شاء الله ثم تذكره بعد
النسيان او قال الا ما شاء الله يعني القلة والندرة كما روى انه اسقط آية في قراءته في الصلوة
فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال نسيتها او قال الا ما شاء الله والغرض نفي النسيان رأسا
كما يقول الرجل لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء
وهو من استعمال القلة في معنى النفي وقيل قوله فلا تنسى على النهي والالف مزيدة للفاصلة
كقوله السبيلا يعني فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته
للمصلحة انه يعلم الجهر يعني انك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك
معه وما في نفسك مما يدعوك الى الجهر فلا تفعل فانا اكفيك ما تخافه او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم
من اقوالكم وافعالكم وما ظهر وما بطن من احوالكم وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فيها
فننسي من الوحي ما شاء ونترك محفوظا ما شاء ونيسرك لليسرى معطوف على سنقرئك و
قوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي ايسر واسهل يعني حفظ
الوحي وقيل للشريعة السمحة التي هي ايسر الشرائع واسهلها مأخذا وقيل نوفقك لعمل الجنة
فان قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مامورا بالذكرى نفعت او لم تنفع فما معنى
اشتراط النفع قلت هو على وجهين احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفرغ
مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان النبي عليه السلام
يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا في تذكيرهم وحرصا عليه فقيل له وما انت عليهم بجبار
فذكر بالقرآن من يخاف وعيد واعرض عنهم وقل سلام وذكر ان نفعت الذكرى وذلك

بعد

بعد الزام الحجة بتكرير التذكير والثاني ان يكون ظاهره شرطا ومعناه ذما للمذكَّرين و
اخبارا عن حالهم واستبعادا لتأثير الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول
للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وانه لن
يكون سيذكر سيقبل التذكرة وينتفع بها من يخشى الله وسوء العاقبة فينظر ويفكر حتى
يقوده النظر الى اتباع الحق فاما هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين فلا تأمل ان يقبلوا منك
ويتجنبها ويتجنب الذكرى ويتحاماها الاشقى الكافر لانه اشقى من الفاسق او الذي هو اشقى
الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة النار
الكبرى السفلى من اطباق النار فقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا وقيل ثم لان
الترجح بين الحيوة والموت افظع من الصلى فهو متراخ عنه في مراتب الشدة والمعنى لا يموت
فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه تزكى تطهر من الشرك والمعاصي او تطهر للصلوة او تكثر
من التقوى من الزكاء وهو النماء او تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة فصلى فصلى
الصلوات الخمس نحو قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة وعن ابن مسعود رضي الله عنه رحم الله
امرأ تصدق وصلى وعن علي رضي الله عنه انه التصدق بصدقة الفطر وقال لا ابالي ان
لا اجد في كتابي غيرها لقوله قد افلح من تزكى اي اعطى زكوة الفطر فتوجه الى المصلى فصلى
صلوة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح
وعلى انها ليست من الصلوة لان الصلوة معطوفة عليها وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم
من اسمائه عز وعلا وعن ابن عباس ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له وعن الضحاك
وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلوة العيد بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما تفلحون به
وقرئ يؤثرون على الغيبة ويعضد الاول قراءة ابن مسعود بل انتم تؤثرون خير وابقى افضل

افضل في نفسها وانعم وادوم عن ابن عمر رضي الله عنه ما الدنيا في الاخرة الا كنفجة ارنب
هذا اشارة الى قوله قد افلح الى ابقى يعني ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل الى
ما في السورة كلها وروى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم انزل
الله من كتاب قال مائة واربعة كتب منها على ادم عشر صحايف وعلى شيث خمسون صحيفة
وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلثون صحيفة وعلى ابرهيم عشر صحايف والتورية والانجيل و
الزبور والفرقان وقيل ان في صحف ابرهيم ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا
بزمانه مقبلا على شانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعلى اعطاه الله عشر
حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى ومحمد وكان اذا قراها قال سبحان
ربي الاعلى وكان علي وابن عباس يقولان ذلك وكان النبي يحبها وقال اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم اهوالها يعني القيامة من قوله يوم يغشاهم
العذاب من فوقهم وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش يومئذ
يوم اذ غشيت خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو
جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاؤها دائبة
في صعود من نار وهبوطها في حدور منها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء التذت بها وتنعمت
فهي في نصب منها في الاخرة وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها في الاخرة من قوله

وقدمنا

وقدمنا الى ما عملوا من عمل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين حبطت اعمالهم
وقيل هم اصحاب الصوامع ومعناه انها خشعت لله وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم
الدائب والتهجد الواصب وقرئ عاملة ناصبة على الشتم قرئ تصلى بفتح التاء وضمها
وتصلى بالتشديد وقيل المصلى عند العرب ان يحفروا اخدودا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم
يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فاما ما يشوى فوق الجمر او على المقلى او في التنور فلا يسمى
مصليا آنية متناهية في الحر كقوله وبين حميم آن الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك
ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال ابو ذؤيب رعى الشبرق الريان
حتى اذا ذوى وعاد ضريعا بان عنه النحائص وقال وحبسن في هزم الضريع فكلها حدباء
دامية اليدين حرود فان قلت كيف قيل ليس لهم طعام الا من ضريع وفي الحاقة ولا
طعام الا من غسلين قلت العذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم
ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم لا يسمن مرفوع
المحل او مجرور على وصف طعام او ضريع يعني ان طعامهم من شيء ليس من مطاعم الانس وانما
هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه و
منفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن واردان
لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع او اسمن
وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد وقيل قالت
كفار قريش ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلو اما ان يتكذبوا ويتعنتوا
بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفي السمن والشبع واما ان يصدقوا فيكون المعنى ان طعامهم
من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع ناعمة ذات بهجة

وحين كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رات
ما اداهم اليه من الكرامة والثواب عالية من علو المكان او المقدار لا تسمع يا مخاطب او الوجوه
لاغية اي لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو لا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على
ما رزقهم من النعيم الدائم وقرئ لا يسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء فيها عين جارية يريد عيونا
في غاية الكثرة كقوله علمت نفس مرفوعة رفيعة المقدار او السمك ليرى المؤمن بجلوسه
عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم الدائم وقيل مخبوءة لهم من رفع الشي
اذا خباه موضوعة كلما ارادوها وجدوها موضوعة بين ايديهم عتيدة حاضرة
لا يحتاجون الى ان يدعوا بها او موضوعة على حافات العيون معدة للشرب ويجوز
ان يراد موضوعة عن حد الكبار اوساط بين الصغر والكبر كقوله قدروها
تقديرا مصفوفة بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح اينما اراد ان يجلس جلس على
مسورة واستند الى اخرى وزرابي وبسط عراض فاخرة وقيل هي الطنافس التي لها
خمل رقيق جمع زربية مبثوثة مبسوطة او متفرقة في المجالس افلا ينظرون الى الابل نظر
اعتبار كيف خلقت خلقا للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك
حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها لا
تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبراها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وعن بعض الحكماء انه حدث
عن البعير وبديع خلقه وقد نشا في بلاد لا ابل فيها ففكر ثم قال يوشك ان تكون طوال
الاعناق وحين اراد بها ان تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى ان اظماءها
لترتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر
البهائم وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضي فقلت اين تريد قال اريد الكناسة قلت

[illegible]

وما يصنع بها قال انظر الى الابل كيف خلقت **فان قلت** كيف حسن ذكر الابل مع السماء
والجبال والارض ولا مناسبة **قلت** قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب في اوديتهم
وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يدع من زعم ان الابل السحاب
الى قوله الا طلب المناسبة ولعله لم يرد ان الابل من اسماء السحاب كالغمام والمزن
والرباب والغيم والغين وغير ذلك وانما راى السحاب مشبها بالابل كثيرا في
اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز كيف رفعت رفعا بعيد
المدى بلا امساك وبغير عمد وكيف نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل ولا تزول وكيف
سطحت سطحا بتمهيد وتوطئة فهي مهاد للمتقلب عليها وقرا علي رضي الله عنه خلقت ورفعت
ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف المفعول وعن هارون
الرشيد انه قرا سطحت بالتشديد والمعنى افلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة
الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه
اي لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يذكرون انما انت مذكر
كقوله ان عليك الا البلاغ لست عليهم بمسيطر بمتسلط كقوله وما انت عليهم بجبار وقيل
هي في لغة تميم مفتوح الطاء على ان سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه
الا من تولى استثناء منقطع اي لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم فان لله الولاية والقهر
فهو يعذبه العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر
الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقرئ الا من
تولى على التنبيه وفي قراءة ابن مسعود فانه يعذبه وقرا ابو جعفر المدني ايابهم بالتشديد ووجهه
ان يكون فيعالا مصدر ايب فيعل من الاياب او ان يكون اصله اوابا فعالا من اوب ثم

قيل ايوابا كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل باصل سيد **فان قلت** ما معنى تقديم
الظرف **قلت** معناه التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر
على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير
ومعنى الوجوب الوجوب في الحكمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الغاشية
حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بالفجر كما اقسم بالصبح في قوله والصبح اذا
اذا اسفر والصبح اذا تنفس وقيل بصلوة الفجر واراد بالليالي العشر عشر ذي الحجة **فان قلت**
فما بالها منكرة من بين ما اقسم به **قلت** لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض
منها او مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها **فان قلت** فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال
معلومة معهودة **قلت** لو فعل ذلك لم يستقل بمعنى الفضيلة التي في التنكير ولان الاحسن
من الالغاز والتعمية وبالشفع والوتر اما الاشياء كلها شفعها ووترها واما شفع هذه الليالي
ووترها ويجوز ان يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانها تاسع ايامها وذاك عاشرها
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فسرهما بذلك وقد اكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا
يستوعبون اجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي عنه وبعد ما اقسم به
بالليالي المخصوصة اقسم بالليل على العموم اذا يسري اذا يمضي كقوله والليل اذ ادبر والليل
اذا عسعس وقرئ والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر في العدد وفي الترة الكسر وحده وقرئ والحبر
والوتر بفتح الواو وكسر التاء رواها يونس عن ابي عمرو وقرئ والفجر والوتر ويسر بالتنوين وهو التنوين

الذي

الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق وعن ابن عباس وليال عشر بالاضافة يريد وليال ايام
عشر وياء يسري تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما في الوقف فتحذف مع الكسرة
وقيل معنى يسري يسرى فيه هل في ذلك اي فيما اقسمت به من هذه الاشياء قسم اي مقسم
به لذي حجر يريد هل يحق عنده ان تعظم بالاقسام بها او هل في اقسامي بها اقسام لذي حجر
او هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي
ونهية صح كما سمي عقلا لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء وهو الضبط وقال الفراء يقال انه لذو
حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم
تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب وقيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن
نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم
ولمن بعدهم عاد الاخرى قال ابن الرقيات مجدا تليدا بناه اوله ادرك عادا وقبلها ارما
فارم في قوله بعاد ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم
ارضهم التي كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد اهل
ارم كقوله واسئل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث وقرا الحسن
بعاد ارم مفتوحتين وقرئ بعاد ارم بسكون الراء على التخفيف كما قرئ بورقكم وقرئ بعاد
ارم ذات العماد بالاضافة وارم الى ذات العماد والارم العلم يعني بعاد اهل اعلام ذات العماد
وذات العماد اسم المدينة وقرئ بعاد ارم ذات العماد اي جعل الله ذات العماد رميما
بدلا من فعل ربك وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل
عمد او طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان اذا كان
طويلا وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات اساطين

وروى انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر
لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض
صحارى عدن في ثلث مائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من
الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار
المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله
عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها
فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال
هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال
وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل
لم يخلق مثلها مثل عاد في البلاد عظم اجرام وقوة كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع
وكان ياتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في
جميع بلاد الدنيا وقرا ابن الزبير لم يخلق مثلها اي لم يخلق الله تعالى مثلها جابوا الصخر قطعوا
صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول من نحت الجبال
والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة قيل له ذو الاوتاد لكثرة
جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد كما فعل بماشطة
بنته وباسية الذين طغوا احسن الوجوه فيه ان يكون في محل النصب على الذم ويجوز ان يكون
مرفوعا على هم الذين طغوا او مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون تعال
صب عليه وغشاه وقنعه وذكر السوط اشارة الى ان ما احله عليهم في الدنيا [illegible]
من العذاب العظيم بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به

السوط م

وعن عمرو بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الاية قال ان عند الله اسواطا كثيرة
فاخذهم بسوط منها المرصاد المكان الذي ترقب فيه الرصد مفعال من رصده كا
كالميقات من وقته وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه وعن
بعض العرب انه قيل له اين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد انه قرا السورة عند
المنصور حتى بلغ هذه الاية فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر عرض له في هذا النداء
بانه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره اي اسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة
بانكاره ويقطع اهل الاهواء والبدع باحتجاجه فان قلت بم اتصل قوله فاما الانسان قلت
بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل ان الله لا يريد من الانسان الا الطاعة والسعي للعاقبة
وهو مرصد بالعقوبة للعاصي فاما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما يلذه
وينعمه فيها فان قلت فكيف توازن قوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه وقوله واما
اذا ما ابتلاه وحق التوازن ان يتقابل الواقعان بعد اما واما تقول اما الانسان فكفور واما
الملك فشكور اما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا اساءت اليه فهو مسيء
اليك قلت هما متوازنان من حيث ان التقدير واما هو اذا ما ابتلاه ربه وذلك ان
قوله فيقول ربي اكرمن خبر المبتدا الذي هو الانسان ودخول الفاء لما في اما من معنى
الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر في تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان
فقائل ربي اكرمن وقت الابتلاء فوجب ان يكون فيقول الثاني خبرا لمبتدا واجب
تقديره فان قلت كيف سمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء قلت
لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله ايشكر ام يكفر واذا قدر عليه
فقد اختبر حاله ايصبر ام يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير

فتنة قال قلت هلا قال فاهانه وقدر عليه رزقه كما قال فاكرمه ونعمه قلت لان
البسط اكرام من الله لعبده بانعامه عليه متفضلا من غير سابقة واما التقدير فليس باهانة
له لان الاخلال بالتفضل لا يكون اهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده ومهينا
وغير مكرم ولا مهين واذا اهدى لك زيد هدية قلت اكرمني بالهدية ولا تقول اهانني و
لا اكرمني اذا لم يهد لك فان قلت فقد قال فاكرمه فصحح اكرامه واثبته ثم انكر قوله ربي اكرمن
وذمه عليه كما انكر قوله اهانن وذمه عليه قلت فيه جوابان احدهما انه انما انكر
قوله ربي اكرمني وذمه عليه لانه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه واثبته وهو قصده
الى ان الله اعطاه ما اعطاه اكراما له مستحقا مستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة اقدارهم
عندهم كقوله انما اوتيته على علم عندي وانما اعطاه الله على وجه التفضل من غير استحقاق
منه له ولا سابقة مما لا يعتد الله الا به وهو التقوى دون الانساب والاحساب التي كانوا
يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة من اجلها والثاني ان ينساق الانكار والذم الى قوله
ربي اهانني يعني انه اذا تفضل عليه بالخير واكرم به اعترف بتفضل الله واكرامه واذا لم يتفضل
عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام في قوله فاكرمه
وقرئ فقدر بالتخفيف والتشديد واكرمن واهانن بسكون النون في الوقف فيمن ترك الياء
في الدرج مكتفيا منها بالكسرة كلا ردع للانسان عن قوله ثم قال بل هناك شر من هذا القول وهو
قوله ان الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالتفقد والمبرة
وحض اهله على طعام المسكين ويأكلونه اكل الانعام ويحبونه فيشحون به وقرئ يكرمون وما
بعده بالياء والتاء وقرئ تحاضون اي يحض بعضكم بعضا وفي قراءة ابن مسعود ولا تحاضون
بضم التاء من المحاضة اكلا لما ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام قال الحطيئة اذا كان لما يتبع الذم

ربه فلا تدرس الرحمن تلك الطواجنا يعني انهم يجمعون في اكلهم بين نصيبهم من الميراث
ونصيب غيرهم وقيل كانوا لا يورثون النساء والصبيان وياكلون تراثهم مع تراثهم
وقيل ياكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم في الاكل بين حلاله وحرامه و
يجوز ان يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف
في انفاقه وياكله اكلا واسعا جامعا بين الوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما
يفعل الوراث البطالون حبا جما كثيرا شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق كلا ردع لهم
عن ذلك وانكار لفعلهم ثم اتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة
يومئذ بدك اذا دكت الارض وعامل النصب فيهما يتذكر دكا دكا اي دكا بعد دك
كقوله حسبته بابا بابا اي كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا فان قلت ما معنى
اسناد المجيء الى الله والحركة والانتقال انما يجوزان على من كان في جهة قلت هو تمثيل
لظهور ايات اقتداره وتبين اثار قهره وسلطانه مثلت حاله في ذلك بحال الملك اذا
حضر بنفسه ظهر بحضوره من اثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه
وخواصه عن بكرة ابيهم صفا صفا ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين
بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وروي لما نزلت تغير وجه رسول الله
وعرف في وجهه حتى اشتد على اصحابه فاخبروا عليا رضي الله عنه فجاء فاحتضنه من
خلفه وقبل بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله بابي انت وامي ما الذي حدث اليوم وما الذي غيرك
فتلا عليه الاية فقال علي كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون الف ملك يقودونها بسبعين
الف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت اهل الجمع اي يتذكر ما فرط فيه او يتعظ واني له
الذكرى ومن اين له منفعة الذكرى لا بد من تقدير حذف المضاف والا فبين يوم يتذكر وبين لخ

له الذكرى تناف وتناقض قلت لحياتي هذه وهي حياة الاخرة او وقت حياتي في الدنيا
كقولك جئته لعشر ليال خلون من رجب وهذا ابين دليل على ان الاختيار كان في
ايديهم ومعلقا بقصدهم وارادتهم وانهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصي
كمذهب اهل الاهواء والبدع والا فما معنى التحسر وقرى بالفتح يعذب ويوثق وهي قراءة
رسول الله صلعم وعن ابي عمرو انه رجع اليها في اخر عمره والضمير للانسان الموصوف وقيل هو
ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه
في كفره وعناده او لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى وقرى بالكسر
والضمير لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله احد لان الامر لله وحده في ذلك اليوم او للانسان اي
لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه يا ايتها النفس على ارادة القول اي يقول الله للمؤمن
يا ايتها النفس اما ان يكلمه اكراما كما كلم موسى صلوات الله عليه او على لسان ملك
والمطمئنة الامنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة او المطمئنة الى الحق
التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة ابي بن كعب يا ايتها النفس
الامنة المطمئنة **فان قلت** متى يقال لها ذلك **قلت** اما عند الموت واما عند البعث واما عند دخول
الجنة على معنى ارجعي الى موعد ربك راضية بما اوتيت مرضية عند الله فادخلي في عبادي
في جملة عبادي الصالحين وانتظمي في سلكهم وادخلي جنتي معهم وقيل النفس الروح ومعناه
فادخلي في اجساد عبادي وقرا ابن عباس رضي الله فادخلي في عبدي وقرا ابن مسعود رضي الله عنه في — وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب
جسد عبدي وقرا ابي ائتي ربك راضية مرضية ادخلي في عبدي وقيل في خبيب بن عدي الذي
صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك
فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يحولها والظاهر العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قرا

من قرا سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قراها في ساير الايام كانت له نورا يوم القيمة

سورة لا اقسم مكية وهي عشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على ان الانسان
خلق مغمورا في مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله
وانت حل بهذا البلد يعني ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك يستحل
بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا
بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت من
رسول الله وبعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة وتعجيب من حالهم في
عداوته او سلى رسول الله بالقسم ببلده على ان الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد
واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وانت حل بهذا
البلد يعني وانت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك ان الله
فتح عليه مكة واحلها له وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل ما شاء وحرم
ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم
دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان
تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار
فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس
يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر
فان قلت اين نظير قوله وانت حل في معنى الاستقبال **قلت** قوله عز وجل انك

ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد يقول لمن تعده الاكرام والحبا انت مكرم محبو وهو في كلام الله اوسع لان الاحوال المستقبله عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق مكية واين الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح **فان قلت** ما المراد بوالد وما ولد **قلت** رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده اقسم ببلده الذي هو مسقط راسه وحرم ابيه ومنشا ابيه اسمعيل وبمن ولده وبه **فان قلت** لم نكر **قلت** للابهام المستقل بالمدح والتعجب **فان قلت** هلا قيل ومن ولد **قلت** فيه ما في قوله والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشان وقيل هما آدم وولده وقيل كل والد وولد والكبد اصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه واصله كبده اذا اصاب كبده ح

فالكبت يا عمرو هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم في كبد اي شدة الامر وصعوبة الخطب والضمير في ايحسب لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد والمعنى ايظن هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين ان لن تقوم قيامة ولن نقدر على الانتقام منه وعلى مكافاته بما هو عليه ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم وانه يقول اهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق ما ينفق رياء الناس وافتخارا بينهم يعني ان الله كان يراه وكان عليه رقيبا ويجوز ان يكون الضمير للانسان على ان يكون المعنى اقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه انك حل به مما يقترفه اهله من الماثم متحرج بريء فهو حقيق بان اعظمه بقسمي به لقد خلقنا الانسان في كبد اي في مرض وهو مرض

القلب وفساد الباطن يريد الذين علم الله منهم حين خلقهم انهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات وقيل الذي يحسب ان لن يقدر عليه احد هو ابو الاشد وكان قويا يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فلا ينزع الا قطعا ويبقى موضع قدميه وقيل الوليد بن المغيرة لبدا قرئ بالضم والكسر جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة وقرئ لبدا بضمتين جمع لبود ولبدا بالتشديد جمع لابد الم نجعل له عينين يبصر بهما المرئيات ولسانا يترجم به عن ضمايره وشفتين يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك وهديناه النجدين اي طريقي الخير والشر وقيل الثديين فلا اقتحم العقبة يعني فلم يشكر تلك الايادي والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب واطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذي هو اصل كل طاعة واساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضي النافع عند الله لا ان يهلك مالا لبدا في الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم الاية **فان قلت** قلما تقع لا الداخلة على الماضي الا مكررة ونحو قوله فاي امر سيء لا فعله لا يكاد يقع فما لها لم تكرر في الكلام الافصح **قلت** هي متكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك وقال الزجاج قوله ثم كان من الذين آمنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان وفك الرقبة تخليصها من رق او غيره وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال تعتق النسمة وتفك

وفكها

الرقبة قال اوليستا سواء قال لا اعتاقها ان تتفرد بعتقها وان تعين في تخليصها من
قود او غرم والعتق والصدقة من افضل الاعمال وعن ابي حنيفة رضي الله عنه العتق
افضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة افضل والآية ادل على قول ابي حنيفة لتقديم
العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة ايضعه في ذي قرابة او يعتق رقبة
قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها
عضوا منه من النار وقرئ فك رقبة او اطعام على هي فك رقبة او اطعام وقرئ فك
رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم العقبة وقوله وما ادريك ما العقبة اعتراض ومعناه
انك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله والمسغبة والمقربة والمتربة
مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي و
ترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب واما اترب فاستغنى اي صار ذا مال كالتراب
في الكثرة كما قيل اثرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ذا متربة الذي مأواه
المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم هم ناصب ذو نصب
وقرا الحسن ذا مسغبة نصبه باطعام ومعناه او اطعام في يوم من الايام ذا مسغبة ثم
كان من الذين آمنوا جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق و
الصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به و
المرحمة الرحمة اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه او بالصبر عن
عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن وبان يكونوا متراحمين متعاطفين
او بما يؤدي الى رحمة الله تعالى الميمنة والمشأمة اليمين والشمال او اليمن والشؤم اي الميامين
على انفسهم والمشائيم عليهن قرئ مؤصدة بالواو والهمزة من اوصدت الباب وآصدته اي

اطبقته

اي اطبقته واغلقته وعن ابي بكر بن عياش لنا امام يهمز مؤصدة فاشتهي ان اسد اذني
اذا سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله
الامان من غضبه يوم القيمة

سورة والشمس مكية وهي خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم ضحاها ضوءها اذا اشرقت وقام
سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكان وجهه شمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع
النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكرب ان ينتصف
اذا تلاها طالعا عند غروبها آخذا من نورها وذلك في النصف الاول من الشهر وقيل
اذا استدار فتلاها في الضياء والنور اذا جلاها عند انتفاخ النهار وانبساطه لان
الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض
وان لم يجر لها ذكر كقولهم اصبحت باردة يريدون الغداة وارسلت يريدون السماء
اذا يغشيها فتغيب وتظلم الآفاق فان قلت الامر في نصب اذا معضل لانك لا
تخلو اما ان تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين في نحو
قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو واما ان تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه
على استكراهه قلت الجواب فيه ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا
فكان لها شان خلاف شان الباء حيث ابرز معها الفعل واضمر فكانت الواو قائمة
مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوايب عن هذه الواو
العواطف نوايب عن هذه الواو فحقهن ان يكن عوامل على الفعل والجار جميعا كما

تقول ضربت الذي هو عاملها جعلت ما مصدرية في قوله وما بناها وما طحاها وما
سواها وليس بالوجه لقوله فألهمها فجورها وما يؤدي اليه من فساد النظم والوجه ان تكون
موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم
الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي كلامهم سبحان ما سخركن لنا
فان قلت لم نكرت النفس قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسا خاصة من
بين النفوس وهي نفس آدم كأنه قال وواحدة من النفوس والثاني ان يريد كل نفس
وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله علمت نفس ومعنى الهام الفجور والتقوى
افهامهما واعقالهما وان احدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل
قوله قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فجعله فاعل التزكية والتدسية النقص
والاخفاء بالفجور واصل دسى دسس كما قيل في تقضض تقضى وسئل ابن عباس عنه فقال
اتقرأ قد افلح من تزكى وقد خاب من حمل ظلما واما قول من زعم ان الضمير في زكى و
دسى لله تعالى وان تأنيث الراجع الى من لانه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين
يوركون على الله قدرا هو بريء منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها
اليه فان قلت فاين جواب القسم قلت هو محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم اي
على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا واما قد افلح من زكاها
فكلام تابع لقوله فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في
شيء الباء في بطغواها مثلها في كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة
في فعلى من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا امرأة خزيا
وصديا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله وقيل كذبت بما اوعدت

به من عذابها ذي الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية وقرأ الحسن بطغواها بضم الطاء
كالحسنى والرجعى في المصادر اذ انبعث منصوب بكذبت او بالطغوى واشقاها
قدار بن سالف ويجوز ان يكون جماعة والتوحيد لتسويتك في افعل التفضيل اذا
اضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان يجوز ان يقال اشقوها كما تقول افاضلهم
والضمير في لهم يجوز ان يكون للاشقين والتفضيل في الشقاوة لان من تولى العقر وباشره
كانت شقاوته اظهر وابلغ وناقة الله نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي
الصبي باضمار ذروا او احذروا عقرها وسقياها فلا تزووها عنها ولا تستأثروا بها عليها
فكذبوه فيما حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا فدمدم عليهم فاطبق عليهم العذاب وهو من
تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا ألبسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم وفيه انذار عظيم بعاقبة
الذنب فعلى كل مذنب ان يعتبر ويحذر فسواها الضمير للدمدمة اي فسواها بينهم لم يفلت
منها صغيرهم ولا كبيرهم ولا يخاف عقباها اي عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب
من الملوك فيبقي بعض الابقاء ويجوز ان يكون الضمير لثمود على معنى فسواها بالارض
او في الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكها وفي مصاحف اهل المدينة والشام فلا يخاف وفي
قراءة النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر
ولم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة والليل مكية وهي احدى وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم المغشي اما الشمس من قوله والليل اذا يغشاها
واما النهار من قوله يغشي الليل النهار واما كل شيء يواريه بظلامه من قوله اذا وقب
تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق والقادر العظيم الذي

الذى قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وقيل هما آدم وحواء وفى قراءة النبى
صلى الله عليه وسلم والذكر والانثى وقراءة ابن مسعود والذى خلق الذكر و
الانثى وعن الكسائى وما خلق الذكر والانثى بالجر على انه بدل من محل ما خلق بمعنى وما
خلقه الله اى ومخلوق الله الذكر والانثى وجاز اضمار اسم الله لانه معلوم لانفراده
بالخلق اذ لا خالق سواه وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوى الارواح ليس بذكر ولا انثى
والخنثى وان اشكل امره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة او الانوثة فلو حلف
بالطلاق انه لم يلق يومه ذكرا ولا انثى وقد لقى خنثى مشكلا كان حانثا لانه فى الحقيقة
اما ذكر او انثى وان كان مشكلا عندنا ان سعيكم لشتى جمع شتيت اى ان مساعيكم اشتات مختلفة
وبيان اختلافها فيما فصل على اثره فاما من اعطى يعنى حقوق ماله واتقى الله فلم يعصه وصدق
بالحسنى بالخصلة الحسنى وهى الايمان او بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى
وهى الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه لها من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها ومنه
قوله عليه السلم كل ميسر لما خلق له والمعنى فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة ايسر
الامور عليه واهونها من قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام واستغنى وزهد
فيما عند الله كانه مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لانه فى
مقابلة واتقى فسنيسره للعسرى فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى تكون الطاعة اعسر شىء عليه و
اشد من قوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء او سمى طريقة الخير باليسرى
وطريقة الشر العسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لان عاقبتها العسر او اراد بهما
طريقى الجنة والنار اى فسنهديهما فى الآخرة للطريقين وقيل نزلتا فى ابى بكر الصديق رضى الله
عنه وفى ابى سفيان بن حرب وما يغنى استفهام فى معنى الانكار او نفى تردى تفعل من الردى

وهو الهلاك يريد الموت او تردى فى الحفرة اذا قبر او تردى فى قعر جهنم ان علينا للهدى
ان الارشاد الى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع وان لنا للآخرة والاولى
اى ثواب الدارين للمهتدى كقوله وآتيناه اجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين وقرأ
ابو الزبير تتلظى فان قلت كيف قال لا يصليها الا الاشقى وسيجنبها الاتقى وقد علم ان
كل شقى يصليها وكل تقى يجنبها لا يختص بالصلى اشقى الاشقياء ولا بالنجاة اتقى الاتقياء
وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها
الاتقى فقد علم ان افسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة قلت
الآية واردة فى الموازنة بين حالتى عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد ان يبالغ فى
صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلى كان النار لم تخلق الا له وقيل هما
ابو جهل او امية بن خلف وابو بكر رضى الله عنه يتزكى من الزكاء اى يطلب ان يكون عند الله
زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة او يتفعل من الزكاة فان قلت ما محل يتزكى قلت هو
على وجهين ان جعلته بدلا من يؤتى فلا محل له لانه داخل فى حكم الصلة والصلات لا محل لها
وان جعلته حالا من الضمير فى يؤتى فمحله النصب ابتغاء وجه ربه الاعلى مستثنى من غير جنسه
وهو النعمة اى ما لاحد عنده نعمة الا ابتغاء وجه ربه كقولك ما فى الدار احد الا حمارا وقرأ
يحيى بن وثاب الا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما فى الدار احد الا حمار فى اللغتين وانشد
قول بشر بن ابى خازم اضحت خلاء قفارا لا انيس بها الا اليعافير والا العيس ويجوز ان يكون ابتغاء
وجه ربه مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتى ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة
ولسوف يرضى موعد بالثواب الذى يرضيه ويقر عينه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسرى

الا الجآذر والظلمان وقول القائل
ليس بها انيس

سورة والضحى وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار
حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها وقيل انما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة
التي كلم فيها موسى والقي فيها السحرة سجدا لقوله وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد
بالضحى النهار بيانه قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا سجى سكن وركد ظلامه وقيل
ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات فيه وسجا البحر سكنت
امواجه وطرف ساج ساكن فاتر ما ودعك جواب القسم ومعناه ما قطعك قطع المودع وقرئ
بالتخفيف يعني ما تركك قال ثم ودعنا آل عمرو وعامر فرائس اطراف المثقفة السمر والتوديع
مبالغة في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك روي ان الوحي قد تأخر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل ان ام جميل
امرأة ابي لهب قالت له يا محمد ما ارى شيطانك الا قد تركك فنزلت حذف الضمير
من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ونحوه فآوى فهدى
فاغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف فان قلت كيف اتصل قوله وللآخرة
خير لك من الاولى بما قبله قلت لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى ان الله مواصلك
بالوحي اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة اعظم من ذلك ولا نعمة اجل منه اخبره ان
حاله في الآخرة اعظم من ذلك واجل وهو السبق والتقدم على جميع انبياء الله ورسله وشهادة
امته على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات
السنية ولسوف يعطيك ربك فترضى موعد شامل لما اعطاه في الدنيا من الفلج والظفر باعدائه

يوم

يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين افواجا والغلبة على قريظة والنضير و
اجلائهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في اقطار
الارض من المدائن وهدم بايديهم من ممالك الجبابرة وانهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف
في قلوب اهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الاسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين
ولما ادخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه الا الله قال ابن عباس له في الجنة الف قصر من لؤلؤ
ابيض ترابه المسك فان قلت ما هذه اللام الداخلة على سوف قلت هي لام الابتداء
المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك كما ذكرنا في لا اقسم ان
المعنى لانا اقسم وذلك انها لا تخلو من ان تكون لام قسم او ابتداء فلام القسم لا تدخل على
المضارع الا مع نون التاكيد فبقي ان تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل الا على الجملة
من المبتدأ والخبر فلا بد من تقدير مبتدأ وخبر وان يكون اصله ولانت سوف يعطيك
فان قلت ما معنى الجمع بين حرفي التاكيد والتاخير قلت معناه ان العطاء كائن
لا محالة وان تأخر لما في التاخير من المصلحة عدد عليه نعمه واياديه وانه لم يخله منها من
اول تربيه وابتداء نشئه ترشيحا لما اراد به ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه
لئلا يتوقع الا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل صبره الم يجدك من الوجود
الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد والمعنى الم تكن يتيما وذلك ان اباه مات
وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه
الله عليه فاحسن تربيته ومن بدع التفاسير انه من قولهم درة يتيمة وان المعنى الم يجدك واحدا
في قريش عديم النظير فآواك وقرئ فأوى وهو على معنيين اما من اواه بمعنى آواه سمع بعض الرعاة
يقول اين آوي هذه الموقسة واما من اوى له اذا رحمه ضالا معناه الضلال عن علم الشرائع وما

وما طريقه السمع كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقيل ضل في صباه في بعض
شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل اضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته
وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب فهداك
فعرفك القرآن والشرائع او فازال ضلالك عن جدك وعمك ومن قال كان على امر قومه
اربعين سنة فان اراد انه كان على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وان اراد انه كان على دينهم
وكفرهم فمعاذ الله والانبياء يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر
الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وكفى بالنبي نقيصة
عند الكفار ان يسبق له كفر عائلا فقيرا وقرئ عيلا كما قرئ سيحات وعيما فاغنى فا
فاغناك بمال خديجة او بما افاء عليك من الغنائم قال عليه السلم جعل رزقي تحت ظل
رمحي وقيل قنعك واغنى قلبك فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه وفي قراءة
ابن مسعود فلا تكهر وهو ان تعبس في وجهه وفلان ذو كهرورة عابس الوجه ومنه الحديث فبابي
وامي هو ما كهرني والنهر والنهم الزجر وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا رددت السائل ثلثا
فلم يرجع فلا عليك ان تزبره وقيل اما انه ليس بالسائل المستجدي ولكن طالب العلم اذا جاءك
فلا تنهره فحدث بنعمة الله شكرها واشاعتها يريد ما ذكر من نعمة الايواء والهداية والاغناء
وما عدا ذلك وعن مجاهد بالقرآن فحدث اقراه وبلغ ما ارسلت به وعن عبد الله بن غالب انه
كان اذا اصبح يقول رزقني الله البارحة خيرا قرات كذا وصليت كذا فاذا قيل له يا ابا فراس
امثلك يقول هذا قال يقول الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث
بنعمة الله وانما يجوز مثل هذا اذا قصد به اللطف وان يقتدى به غيره وامن على نفسه الفتنة
والستر افضل ولو لم يكن فيه الا التشبه باهل الرياء والسمعة لكفى به وفي قراءة علي رضي الله عنه

فحبر

فحبر والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فاواك الله وهداك واغناك فمهما يكن من شيء
على ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلث واقتد بالله فتعطف على اليتيم وآوه
فقد ذقت اليتم وهوانه ورايت كيف فعل الله بك وترحم على السائل وتفقده بمعروفك
ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فاغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحته
هدايته الضلال وتعليمه الشرائع والقرآن مقتديا بالله في ان هداه من الضلال عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والضحى جعله فيمن يرضى محمدا ان يشفع له وعشر
حسنات يكتبها الله بعدد كل يتيم وسائل

سورة الم نشرح مكية وهي ثماني آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فافاد
اثبات الشرح وايجابه فكانه قيل شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه ورفعنا
اعتبارا للمعنى ومعنى شرحنا صدرك فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعا
او حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم او فسحناه بما اودعناه
من العلوم والحكم وازلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ
حكمة وعلما وعن ابي جعفر المنصور انه قرا الم نشرح بفتح الحاء وقالوا لعله بين
الحاء واشبعها في مخرجها فظن السامع انه فتحها والوزر الذي انقض ظهره اي حمله على النقيض
وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما كان يثقل على رسول الله ويغمه من فرطاته قبل
النبوة او جهله بالاحكام والشرائع او من تهالكه على اسلام اولي العناد من قومه وتلهفه ووضعه عنه
ان غفر له او علم الشرائع او مهد عذره بعد ما بلغ وبالغ وقرا انس وحللنا وحططنا وقرا ابن مسعود

وحللنا عنك وقرك ورفع ذكره ان قرن بذكر الله فى كلمة الشهادة والاذان والاقامة و
التشهد والخطب وفى غير موضع من القرآن والله ورسوله احق ان يرضوه ومن يطع الله
ورسوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول وفى تسميته رسول الله ونبى الله ومنه ذكره فى كتب
الاولين والاخذ على الانبياء واممهم ان يؤمنوا به **فان قلت** اى فائدة فى زيادة لك والمعنى
مستقل بدونه **قلت** فى زيادة لك ما فى طريقة الابهام والايضاح كانه قيل الم نشرح لك
ففهم ان ثم مشروحا ثم قيل صدرك فاوضح ما علم مبهما وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك
فان قلت كيف تعلق قوله فان مع العسر يسرا بما قبله **قلت** كان المشركون يعيرون
رسول الله والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله
واحتقارهم فذكره ما انعم به عليه من جلائل النعم ثم قال فان مع العسر يسرا كانه قال خولناك
ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فان مع العسر الذى انتم فيه يسرا **فان قلت** ان مع
للصحبة فما معنى اصطحاب العسر واليسر **قلت** اراد ان الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذى
كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة فى التسلية
وتقوية القلوب **فان قلت** ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما لن يغلب عسر
يسرين وقد روى مرفوعا انه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو يضحك ويقول
لن يغلب عسر يسرين **قلت** هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وان موعد الله
لا يحمل الا على اوفى ما يحتمله اللفظ وابلغه والقول فيه انه يحتمل ان تكون الجملة الثانية تكريرا
للاولى كما كرر قوله ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها فى النفوس وتمكينها فى القلوب وكما
يكرر المفرد فى قولك جاءنى زيد زيد وان تكون الاولى عدة بان العسر مردوف بيسر لا محالة
والثانية عدة مستانفة بان العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستيناف وانما كان

العسر

العسر واحدا لانه لا يخلو اما ان يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذى كانوا فيه فهو هو لان حكمه
حكم زيد فى قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد مالا واما ان يكون للجنس الذى يعلمه كل احد فهو
هو ايضا واما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان الكلام الثانى مستانفا غير مكرر
فقد تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال **فان قلت** فما المراد باليسرين **قلت**
يجوز ان يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح فى ايام رسول الله وما تيسر لهم فى ايام الخلفاء وان يراد
يسر الدنيا ويسر الآخرة كقوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسن الظفر
وحسن الثواب **فان قلت** فما معنى هذا التنكير **قلت** التفخيم كانه قيل ان مع العسر
يسرا عظيما واى يسر وهو فى مصحف ابن مسعود مرة واحدة **فان قلت** فاذا ثبت فى
قراءته غير مكرر فلم قال والذى نفسى بيده لو كان العسر فى جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه
انه لن يغلب عسر يسرين **قلت** كانه قصد باليسرين ما فى قوله يسرا من معنى التفخيم
فتاوله بيسر الدارين وذلك يسران فى الحقيقة **فان قلت** كيف تعلق قوله فاذا فرغت
فانصب بما قبله **قلت** لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد
فى العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على ان لا يخلى وقتا
من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها باخرى وعن ابن عباس فاذا فرغت من صلوتك
فاجتهد فى الدعاء وعن الحسن واذا فرغت من الغزو فاجتهد فى العبادة وعن مجاهد فاذا
فرغت من دنياك فانصب فى صلاتك وعن الشعبى انه راى رجلا يشيل حجرا فقال ليس بهذا
امر الفارغ وقعود الرجل فارغا من غير شغل او اشتغاله بما لا يعنيه فى دينه او دنياه من سفه
الراى وسخافة العقل واستيلاء الغفلة ولقد قال عمر رضى الله عنه انى لاكره ان ارى احدكم
فارغا سبهللا لا فى عمل دنيا ولا فى عمل آخرة وقرا ابو السمال فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة

ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة انه قرأ فانصِب بكسر الصاد اي فانصب عليًّا للامامة
ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي ان يقرأ هكذا ويجعله امرًا بالنصب الذي هو بغض
علي وعداوته والى ربك فارغب واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه
وقرئ فرغِّب اي رغب الناس الى طلب ما عنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة والتين مكية وهي ثماني ايات

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بهما لانهما عجيبان من بين اصناف الاشجار المثمرة
روي انه أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا
فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم وكلوها فانها
تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا
واستاك به وقال سمعت رسول الله صلعم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة
يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هي سواكي وسواك الانبياء قبلي وعن ابن عباس
هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا و
طور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمذان والزيتون
جبال الشام لانهما منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون واضيف الطور وهو الجبل
الى سينين وهي البقعة ونحو سينون يبرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على
الياء وتحريك النون بحركات الاعراب والبلد مكة حماها الله والامين من امن الرجل
امانة فهو امين وقيل أمان كما قيل كرام في كريم وامانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ

الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مأمون الغوائل كما وصف
بالامن في قوله حرمًا امنا بمعنى ذي امن ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة
وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر
ابرهيم ومولد عيسى ومنشاؤه والطور المكان الذي نودي منه موسى ومكة مكان البيت الذي
هو هدى للعالمين ومولد رسول الله ومبعثه في احسن تقويم في احسن تعديل لشكله في
صورته وتسويه لاعضائه ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة
السوية ان رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني اقبح من قبح واشوهه خلقة
وهم اصحاب النار او اسفل من سفل من اهل الدركات او ثم رددناه بعد ذلك التقويم
والتحسين اسفل من سفل في حسن صورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد
اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين
وتغير كل شيء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف وقرأ عبد الله
اسفل السافلين فان قلت فكيف الاستثناء على المذهبين قلت هو على الاول
متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني منقطع يعني ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم
ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة
المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم فان قلت فما يكذبك من المخاطب به
قلت هو خطاب للانسان على طريقة الالتفات اي فما يحملك كاذبا بسبب
الدين وانكاره بعد هذا الدليل يعني انك تكذب اذا كذبت بالجزاء لان كل مكذب بالحق
فهو كاذب فاي شيء يضطرك الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء والباء مثلها في قوله
تعالى الذين يتولونه والذين هم به مشركون والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه

بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوي ثم تنكيسه الى ان يبلغ ارذل
العمر لا ترى دليلا اوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر من الانسان على هذا كله لم يعجز
عن اعادته فما سبب تكذيبك ايها الانسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اليس الله باحكم الحاكمين وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم
اهله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال بلى وانا على ذلك من الشاهدين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين اعطاه الله خصلتين العافية و
اليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق مكية وهي تسع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم عن ابن عباس ومجاهد هي اول سورة
نزلت واكثر المفسرين على ان الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم محل باسم ربك النصب
على الحال اي اقرأ مفتتحا باسم ربك قل باسم ربك ثم اقرأ فان قلت كيف قال خلق فلم
يذكر له مفعولا ثم قال خلق الانسان قلت هو على وجهين اما ان لا يقدر له مفعول وان
يراد انه الذي حصل منه الخلق واستاثر به لا خالق سواه واما ان يقدر ويراد خلق كل شيء
فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات اولى بتقديره من بعض وقوله خلق
الانسان تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو اشرف ما على
الارض ويجوز ان يراد الذي خلق الانسان كما قال الرحمن علم القران خلق الانسان فقيل الذي
خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته فان قلت
لم قال من علق على الجمع وانما خلق من علقة كقوله من نطفة ثم من علقة قلت لان الانسان في

معنى الجمع كقوله ان الانسان لفي خسر الاكرم الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم ينعم
على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركو بهم
المناهي واطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظايم فما لكرمه غاية
ولا امد وكانه ليس وراء التكرم بافادة الفوايد العلمية تكرم حيث قال الاكرم الذي علم بالقلم
علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى
نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت
العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا
بالكتابة ولولا هي لما استقامت امور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف
تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفى به ولبعضهم في صفة القلم ورواقم رقش كمثل اراقم
قطف الخطى نيالة اقصى المدى سود القوائم ما يجد مسيرها الا اذا لعبت بها بيض
المدى وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم كلا ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان
لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان رآه ان رأى نفسه يقال في افعال القلوب رأيتني وعلمتني
وذلك بعض خصايصها ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع
بين الضميرين واستغنى هو المفعول الثاني ان الى ربك الرجعى واقع على طريقة الالتفات
الى الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع
وقيل نزلت في ابي جهل وكذلك ارايت الذي ينهى وروي انه قال لرسول الله اتزعم ان من
استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع
دينك فنزل جبريل فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب
المائدة فكف رسول الله عن الدعاء ابقاء عليهم وروي انه لعنه الله قال هل يعفر محمد

وجهه من اطعمكم والوانكم قال فو الذي يحلف به لئن رأيته لاطأن عنقه فجاءه ثم نكص
على عقبيه فقيل له ما لك يا ابا الحكم قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة
ونزلت ارأيت الذي ينهى ومعناه اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلوته ان كان ذلك
الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله او كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما
يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقد وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين
الصحيح كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه
على حسب ذلك وهذا وعيد **فان قلت** ما متعلق ارأيت **قلت** الذي ينهى مع الجملة
الشرطية وهما في موضع المفعولين **فان قلت** فاين جواب الشرط **قلت** هو محذوف تقديره
ان كان على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب
الشرط الثاني **فان قلت** فكيف صح ان يكون الم يعلم جوابا للشرط **قلت** كما صح في قولك
ان اكرمتني وان احسنت اليك زيد هل تحسن اليه **فان قلت** فما ارأيت الثانية و
توسطها بين مفعولي ارأيت **قلت** هي زائدة مكررة للتوكيد وعن الحسن انه امية بن
خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة كلا ردع لابي جهل وخسئا له عن نهيه عن عبادة الله و
امره بعبادة اللات ثم قال لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعن بالناصية لناخذن بناصيته
ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة قال عمرو بن معدي كرب
قوم اذا يقع الصريخ رايتهم من بين ملجم مهره او سافع وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرأ
ابن مسعود لاسفعن وكتبتها في المصحف بالالف على حكم الوقف ولما علم انها ناصية المذكور
اكتفى بلام العهد عن الاضافة ناصية بدل من الناصية وجاز بدلها عن المعرفة وهي نكرة لانها
وصفت فاستقلت بفائدة وقرئ ناصية على هي ناصية وناصية بالنصب وكلاهما على

اكرمتني م

الشتم ووصفها بالكذب والخطاء على الاسناد المجازي وهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من
الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ والنادي المجلس الذي ينتدي
فيه القوم اي يجتمعون والمراد اهل النادي قال جرير لهم مجلس صهب السبال اذلة
وقال زهير وفيهم مقامات حسان وجوههم والمقامة المجلس روي ان ابا جهل مر برسول الله
صلعم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي
ناديا فنزلت وقرأ ابن ابي عبلة سيدعى الزبانية على البناء للمفعول والزبانية في كلام العرب
الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكانه نسب الى الزبن ثم
غير للنسب كقولهم امسي واصله زباني فقيل زبانية على التعويض والمراد ملائكة العذاب
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا كلا ردع لابي جهل
لا تطعه اي اثبت على ما انت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين واسجد ودم على سجودك
تريد الصلوة واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا
سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرأ المفصل كله

سورة القدر مختلف فيها وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم عظم القرآن من ثلثة اوجه احدها ان اسند انزاله
الى الله وجعله مختصا به دون غيره والثاني انه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له
بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي انزل فيه
روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل
على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله نجوما في ثلث وعشرين سنة وعن الشعبي المعنى انا

ابتدأنا انزاله في ليلة القدر واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر
الاواخر في اوتارها واكثر الاقاويل انها السابعة منها ولعل الداعي الى اخفائها ان يحيى من
يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه وان لا يتكل الناس
عند اظهارها على اصابة الفضل فيها فيفرطوا في غيرها ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور
وقضائها من قوله فيها يفرق كل امر حكيم وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على ساير
الليالي وما ادراك ما ليلة القدر يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها
ثم بين له ذلك بانها خير من الف شهر وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها
من المصالح الدينية التي ذكرها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل امر حكيم وذكر في
تخصيص هذه المدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح
في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة
هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله
الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد تنزل
الى السماء الدنيا وقيل الى الارض والروح جبريل وقيل خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة الا
تلك الليلة من كل امر اي تتنزل من اجل كل امر قضاه الله لتلك السنة الى قابل وقرئ من
كل امرئ اي من اجل كل انسان قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه في تلك الليلة
سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة
او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين وقرئ مطلع بفتح اللام وكسرها عن رسول الله
صلى الله عليه من قرا سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيا
ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم كان الكفار من الفريقين اهل الكتاب وعبدة الاوثان
يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى
يبعث النبي الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد عليه السلم فحكى الله تعالى
ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يعني انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة
والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجيء الرسول
ونظيره في الكلام ان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما انا فيه حتى يرزقني الله
الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر
وما غمست راسك في الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما وانفكاك الشيء
من الشيء ان يزايله بعد التحامه به كالعظم اذا انفك من مفصله والمعنى انهم متشبثون بدينهم
لا يتركونه الا عند مجيء البينة والبينة القرآن ولم ياتهم بينة ما في الصحف الاولى ورسول
من الله جبريل عليه السلم وهو التالي للصحف المطهرة المنتسخة من اللوح التي ذكرت
في سورة عبس ولا بد من مضاف محذوف وهو ويجوز ان يراد النبي عليه السلم فان قلت الوحي
كيف نسب تلاوة الصحف المطهرة اليه وهو امي قلت اذا تلا مثل المسطور فيها
كان تاليا والبينة الحجة الواضحة ورسول بدل من البينة وفي قراءة عبد الله رسولا
حالا من البينة صحفا قراطيس مطهرة من الباطل فيها كتب فيها مكتوبات قيمة مستقيمة
ناطقة بالحق والعدل والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه او تفرقهم فرقا فمنهم من تفرقهم
آمن ومنهم من انكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند فان قلت لم جمع بين اهل

الكتاب والمشركين اولا ثم افرد اهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب قلت
لانهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له ادخل
في هذا الوصف وما امروا يعني في التورية والانجيل الا بالدين الحنيفي ولكنهم حرفوا وبدلوا
وذلك دين القيمة اي دين الملة القيمة وقرئ وذلك الدين القيمة على تاويل الدين بالملة
فان قلت ما وجه قوله وما امروا الا ليعبدوا الله قلت معناه وما امروا بما في الكتابين
الا لاجل ان يعبدوا الله على هذه الصفة وقرا ابن مسعود الا ان يعبدوا بمعنى بان يعبدوا
قرا نافع البريئة بالهمز والقراء على التخفيف والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه و
رفض الاصل وقرئ خيار البرية جمع خير كجياد وطياب في جيد وطيب عن رسول الله صلعم
من قرا لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

بسم الله الرحمن الرحيم زلزالها قرئ بكسر الزاي وفتحها فالمكسور مصدر
والمفتوح اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف فان قلت ما معنى زلزالها
بالاضافة قلت معناه زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة ومشية الله وهو الزلزال الشديد
الذي ليس بعده ونحوه قولك اكرم التقي اكرامه واهن الفاسق اهانته تريد ما يستوجبانه
من الاكرام والاهانة او زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه الاثقال جمع ثقل وهو متاع البيت
وتحمل اثقالكم جعل ما في جوفها من الدفائن اثقالا لها وقال الانسان ما لها زلزلت هذه الزلزلة
الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ امواتها احياء
فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر

لانه

لانه كان لا يؤمن بالبعث فاما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فان قلت
ما معنى تحديث الارض والايحاء لها قلت هو مجاز عن احداث الله فيها من الاحوال ما يقوم
مقام التحدث باللسان حتى ينظر من يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الم
الاموات وان هذا ما كانت الانبياء ينذرونه ويحذرون منه وقيل ينطقها الله على الحقيقة
وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد على كل احد
بما عمل على ظهرها فان قلت اذا ويومئذ ما ناصبهما قلت يومئذ بدل من اذا وناصبهما
تحدث ويجوز ان ينتصب اذا بمضمر ويومئذ بتحدث فان قلت اين مفعولا تحدث
قلت قد حذف اولهما والثاني اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحدث
ويجوز ان يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث ان ربك اوحى لها اخبارها على ان تحديثها
بان ربك اوحى لها تحدث باخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بان نصحتني في الدين
ويجوز ان يكون بان ربك بدلا من اخبارها كانه قيل يومئذ تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها
لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا واوحى لها بمعنى اوحى اليها وهو مجاز كقوله ان نقول له كن
فيكون قال الشاعر اوحى لها القرار فاستقرت وقرا ابن مسعود تنبئ اخبارها وسعيد بن
جبير تنبي بالتخفيف يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا بيض الوجوه امنين
وسود الوجوه فزعين او يصدرون عن الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار ليروا
جزاء اعمالهم وفي قراءة النبي عليه السلم ليروا بالفتح وقرا ابن عباس وزيد بن علي يره بالضم ويحكى
ان اعرابيا اخر خيرا يره فقيل له قدمت واخرت فقال خذا بطن هرشى او قفاها فانه
كلا جانبي هرشى لهن طريق والذرة النملة الصغيرة وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء
فان قلت حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن مغفورة باجتناب الكبائر فما

معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر **قلت** المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا من
فريق السعداء ومن يعمل مثقال ذرة شرًا من فريق الاشقياء لانه جاء بعد قوله يصدر
الناس اشتاتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت اربع مرات كان كمن
قرأ القرآن كله

سورة العاديات مدنية وقيل مكية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح
صوت انفاسها اذا عدون وعن ابن عباس انه حكاه فقال اح اح قال عنترة والخيل تكدح
حين تضبح في حياض الموت ضبحا على يضبحن ضبحا او بالعاديات كانه قيل والضابحات   وانصاب ضجاج م
لان الضبح يكون مع العدو وعلى الحال اى ضابحات فالموريات تورى نار الحباحب
وهي ما ينقدح من حوافرها قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والايراء   قدحا م
اخراج النار تقول قدح فاورى وقدح فاصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا
فالمغيرات تغير على العدو صبحا في وقت الصبح فاثرن به فهيجن بذلك الوقت غبارا
فوسطن به ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة   توسطه م
وقيل للعدو الذي دل عليه والعاديات ويجوز ان يراد بالنقع الصياح من قوله صلى الله عليه
وسلم ما لم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد فمتى ينقع صراخ صادق اى فهيجن في المغار عليهم
صياحا وجلبة وقرأ ابو حيوة فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التأثير فيه
معنى الاظهار او قلب ثورن الى وثرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية
والباء مزيدة للتوكيد كقوله واتوا به او هي مبالغة في وسطن وعن ابن عباس كنت جالسا في
الحجر فجاء رجل فسألني عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب الى علي وهو تحت سقاية

زمزم فسأله وذكر له ما قلت فقال ادعه لي فلما وقفت على راسه قال تفتي الناس بما لا علم
لك به والله ان كانت لاول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس
للزبير وفرس للمقداد والعاديات ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة الى منا فان صحت   ومن المزدلفة م
الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر
الثغر للثورة وما اشبه ذلك وقيل الضبح لا يكون الا للفرس والكلب والثعلب وقيل الضبح
بمعنى الضبع يقال ضبحت الابل وضبعت اذا مدت اضباعها في السير وليس بثبت وجمع هو
المزدلفة **فان قلت** علام عطف فاثرن **قلت** على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه
لان المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن الكنود الكفور وكند النعمة كنودا ومنه
سمي كندة لانه كند اباه ففارقه وعن الكلبي الكنود بلسان كندة العاصي وبلسان بني مالك
البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور يعني انه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران لان تفريطه
في شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة لان اجل ما انعم به على الانسان من مثله نعمة
ابويه ثم ان عظاها في جنب ادنى نعمة الله قليلة ضئيلة وانه وان الانسان على ذلك على كنوده
لشهيد يشهد على نفسه ولا يقدر ان يجحده لظهور امره وقيل وان الله على كنوده لشاهد على سبيل
الوعيد الخير المال من قوله تعالى ان ترك خيرا والشديد البخيل الممسك يقال فلان شديد
ومتشدد قال طرفة ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد
يعني وانه لاجل حب المال وان انفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك او اراد بالشديد القوي
وانه لحب الخير المال وايثار الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف
متقاعس تقول هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا او اراد انه لحب الخير
غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض بعثر بعث وقرئ بحثر وبحث وبعثر وحصل على

غايتها للفاعل وحُصّل بالتخفيف ومعنى حُصّل جُمع في الصحف اي أظهر محصّلا مجموعا وقيل ميّز
بين خيره وشره ومنه قيل للمنخل المحصل ومعنى علمه بهم يوم القيمة مجازاته لهم على مقادير اعمالهم قيل
لان ذلك اثر خبيره بهم وقرأ ابو السمال ان ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات
بمزدلفة وشهد جمعا

بسم الله الرحمن الرحيم الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة اي تقرع يوم
يكون الناس كالفراش المبثوث شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة
والتطاير الى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار قال جرير ان الفرزدق
ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلي وفي امثالهم اضعف من فراشة واذل و
اجهل وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ الوانا
لانها الوان وبالمنفوش منه لتفرق اجزائها وقرأ ابن مسعود كالصوف الموازين جمع موزون
وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها ومنه حديث
ابي بكر رضي الله عنه لعمر في وصيته له وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة
باتباعهم الحق وثقله في الدنيا وحق لميزان ان لا يوضع فيه الا الحسنات ان يثقل وانما خفت
موازين من خفت باتباعهم الباطل وخفته في الدنيا وحق لميزان ان لا يوضع فيه الا السيئات
ان يخف فامه هاوية من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت امه لانه اذا هوى اي
سقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا قال هوت امه ما يبعث الصبح غاديا وماذا

يؤدي الليل حين يؤوب فكانه قيل واما من خفت موازينه فقد هلك وقيل هاوية من اسماء
النار وكانها النار العميقة لهوي اهل النار فيها مهوى بعيدا كما روي يهوي فيها سبعين
خريفا اي فمأواه النار وقيل للمأوى ام على التشبيه لان الام مأوى الولد ومفزعه وعن
قتادة هاوية فام راسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا هيه ضمير الداهية فامه ح
التي دل عليها قوله فامه هاوية في التفسير الاول او ضمير هاوية والهاء للسكت واذا وصل
القاري حذفها وقيل حقها ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد اجيز
اثباتها مع الوصل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله
بها ميزانه يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم الهاكم عن كذا والهاه اذا شغله والتكاثر التباري في الكثرة
والتباهي بها وان يقول هؤلاء نحن اكثر وهؤلاء نحن اكثر روي ان بني عبد مناف وبني سهم
تفاخروا ايهم اكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية
فعادونا بالاحياء والاموات فكثرتهم بنو سهم والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء حتى استوعبتم
عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم
وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى
الهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم واخرتكم عما يعنيكم من امر الدين الذي هو
اهم واعنى من كل مهم او اراد الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم منفقين
اعماركم في طلب الدنيا والاستباق اليها والتهالك عليها الى ان اتاكم الموت لا هم لكم غيرها

عما هو اولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبر عبارة عن الموت قال لن يخلص
العام خليل عشر ذات النضاد او يزور القبر قرا ابن عباس الهاكم على الاستفهام الذي
معناه التقرير كلا ردع وتنبيه على انه لا ينبغي للناظر لنفسه ان تكون الدنيا جميع همه
ولا يهتم بدينه سوف تعلمون انذار ليخافوا فيتنبهوا عن غفلتهم والتكرير تاكيد للردع
والانذار عليهم وثم دلالة على ان الانذار الثاني ابلغ من الاول واشد كما تقول للمنصوح اقول
لك ثم اقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطا فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم
من هول لقاء الله وان هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم ثم كرر التنبيه ايضا وقال لو
تعلمون محذوف الجواب يعني لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه من
الامور التي وكلتم بعلمها هممكم لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال وجهلة ثم قال لترون
الجحيم فبين لهم ما انذرهم منه واوعدهم به وقد مر ما في ايضاح الشيء بعد ابهامه من تفخيمه
وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعد وان ما اوعدوا به ما لا مدخل فيه للريب الوعيد
وكرره معطوفا بثم تغليظا في التهديد وزيادة في التهويل وقرئ لترؤن بالهمز وهي مستكرهة
فان قلت لم استكرهت والواو المضمومة قبلها همزة قياس مطرد قلت ذاك في الواو
التي ضمتها لازمة وهذه عارضة لالتقاء الساكنين وقرئ لترون ولترونها على البناء للمفعول
عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته ويجوز ان يراد بالرؤية العلم والابصار
عن النعيم عن اللهو والتنعم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان قلت
ما النعيم الذي يسأل عنه الانسان ويعاتب عليه فما من احد الا وله نعيم قلت
هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا لياكل الطيب ويلبس اللين ويقطع
اوقاته باللهو والطرب لا يعبا بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله
شانه

وارزاقه

وارزاقه التي لم يخلقها الا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل كان ناهضا
بالشكر فهو من ذلك بمعزل واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي انه اكل هو
واصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا الهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم به عليه
في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرا الف آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بصلوة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلوة
الوسطى صلوة العصر في مصحف حفصة وقوله عليه السلم من فاتته صلوة العصر فكانما وتر
اهله وماله ولان التكليف في ادائها اشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم
آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم او اقسم بالعشي كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل
القدرة او اقسم بالزمان لما في مروره من اصناف العجائب والانسان للجنس والخسر الخسران
كما قيل الكفر في الكفران والمعنى ان الناس في خسران من تجارتهم الا الصالحين وحدهم
لانهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم فوقعوا في
الخسارة والشقاوة وتواصوا بالحق بالامر الثابت الذي لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من
توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وتواصوا
بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله به عباده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

بسم الله الرحمن الرحيم الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن يقال لمزه وهمزه طعنه
والمراد الكسر من اعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم وبناء فعلة يدل
على ان ذلك عادة منه قد ضري بها ونحوهما اللعنة والضحكة قال وان اغيب فانت
الهامز اللمزة وقرئ ويل للهمزة اللمزة وقرئ ويل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي لكل هم
ياتي بالاوابد والاضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل نزلت في الاخنس بن شريق فانه كانت
عادته الغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله
وغضه منه ويجوز ان يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك
القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه فان ذلك ازجر له وانكى فيه الذي بدل
من كل او نصب على الذم وقرئ جمع بالتشديد وهو مطابق لعدده وقيل عدده جعله
عدة لحوادث الدهر وقرئ وعدده اي جمع المال وضبط عدده او جمع ماله وقومه
الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار وما يصلحهم
وقيل وعدده معناه وعدا على فك الادغام نحو ضننوا الخلة وخلله يحسب اي طول المال
امله ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه
خالدا في الدنيا لا يموت او يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والاجر وغرس الاشجار
وعمارة الارض عمل من يظن ان ماله ابقاه حيا او هو تعريض الصالح وانه هو الذي اخلد بالعمل
صاحبه في النعيم واما المال فما اخلد احدا فيه وروي انه كان للاخنس اربعة الاف دينار وقيل
عشرة الاف وعن الحسن انه عاد موسرا فقال ما تقول في الوف لم افتد بها من لئيم ولا تفضلت
على كريم قال ولكن لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر
قال اذن تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك كلا ردع له عن حسبانه وقرئ لينبذان

اي هو وماله ولينبذن بضم الذال اي هو وانصاره ولينبذنه في الحطمة في النار التي من
شانها ان تحطم كل ما يلقى فيها ويقال للرجل الاكول انه لحطمة وقرئ الحاطمة يعني انها
تدخل في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على افئدتهم وهي اوساط القلوب ولا شئ
في بدن الانسان الطف من الفؤاد ولا اشد تالما منه بادنى اذى يمسه فكيف اذا اطلعت
عليه نار جهنم واستولت عليه ويجوز ان تخص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة
والنيات الخبيثة ومعنى اطلاع النار عليها انها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها او تطالع
على سبيل المجاز معادن موجبها موصدة مطبقة قال تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها
ابواب صنعاء موصدة وقرئ في عمد بضمتين وعمد بسكون الميم وعمد بفتحتين والمعنى انه
يؤكد ياسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الابد فتوصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب
العمد استيثاقا في استيثاق ويجوز ان يكون المعنى انها عليهم موصدة موثقين في عمد ممددة
مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص اللهم اجرنا منها يا خير مستجار عن رسول الله صلى الله عليه
من قرا سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد واصحابه

بسم الله الرحمن الرحيم روي ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من
قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج
فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب
نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه
محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان الف فيل وقيل كان

وحل فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى
وعبا جيشه وقدم الفيل وكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح فاذا وجهوه
الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع
كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن
عباس انه راى منها عند ام هانى نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري وكان
الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا
في كل طريق ومنهل ودوى ابرهة فتساقطت انامله واراببه وما مات حتى انصدع صدره
عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة
فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلث وعشرين سنة وعن عائشة رضي الله
عنها رايت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وفيه ان ابرهة اخذ لعبد
المطلب مائتي بعير فخرج اليه فيها فجهره وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش
وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال فلما ذكر حاجته
قال سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين ابائك وعصمتكم وشرفكم
في قديم الدهر فالهاك عنه ذود اخذ لك فقال انا رب الابل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع
واتى باب البيت فاخذ بحلقته وهو يقول لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك لا يغلبن
صليبهم ومحالهم عدوا محالك ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك يا رب لا ارجو لهم سواكا
يا رب فامنع منهم حماكا فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير
غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية وفيه ان اهل مكة قد احتووا على اموالهم وجمع عبد المطلب من

جواهرهم وذهبهم الجور وكان سبب يسار عبد المطلب وعن ابي سعيد الخدري انه سئل عن الطير
فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن عكرمة من اصابته جدرته وهو
اول جدري ظهر الم تر بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم والمعنى انك رايت
اثار صنع الله بالحبشة وسمعت الاخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة وكيف
في موضع نصب بفعل ربك لا بالم تر لما في كيف من معنى الاستفهام في تضليل في تضييع و
ابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا ونحوه قوله تعالى وما كيد الكافرين الا في
ضلال وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه اي ضيعه يعني انهم كادوا
البيت اولا ببناء القليس وارادوا ان ينسخوا امره بصرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع
الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل بارسال الطير عليهم ابابيل حزائق الواحدة
ابالة وفي امثالهم ضغث على ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير في تضامها
بالابالة وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها وقرأ ابو حنيفة رضي الله عنه
يرميهم اي الله تعالى او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى وسجيل كانه علم
للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم لديوان اعمالهم كانه قيل بحجارة
من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال لان العذاب
موصوف بذلك وارسل عليهم طيرا فارسلنا عليهم الطوفان وعن ابن عباس من طين
مطبوخ كما يطبخ الاجر وقيل هو معرب من سنك كل وقيل من شديد عذابه ورووا
بيت ابن مقبل ضربا تواصت به الابطال سجيلا وانما هو سجينا والقصيدة نونية
مشهورة في ديوانه وشبهوا بورق الزرع اذا اكل اي وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود
او بتبن اكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه اداب القرآن كقوله كانا ياكلان

الطعام او اريد اكل حبه فبقى صفرا منه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل
اعفاه الله ايام حيوته من الخسف والمسخ

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا امرهم
ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين فان قلت فلم دخلت الفاء قلت لما في الكلام
من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه لايلافهم على معنى ان نعم الله عليهم لا تحصى
فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وقيل المعنى اعجبوا
لايلاف قريش وقيل هو متعلق بما قبله اي فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش وهذا
بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به و
هما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل وعن عمر انه قراهما في الثانية من صلوة المغرب
وقرا في الاولى والتين والمعنى انه اهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك
فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم ولا يجترئ
احد عليهم وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون
ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس
غيرهم يتخطفون ويغار عليهم والايلاف من قولهم آلفت المكان اولفه ايلافا اذا الفته فانا
مولف قال من المولفات الرمل ادماء حرة وقرى لالاف قريش اي لمولفة قريش وقيل يقال
الفته الفا والافا وقرا ابو جعفر لالف قريش وقد جمعهما من قال زعمتم ان اخوتكم قريش لهم
الف وليس لكم الاف وقرا عكرمة ليالف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقريش ولد

النضر

النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار
وعن معاوية انه سال ابن عباس رضي الله عنه بم سميت قريش قال بدابة في البحر تاكل و
لا توكل وتعلو ولا تعلى وانشد وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا والتصغير
للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد اطلق
الايلاف ثم ابدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا بعظم النعمة ونصب الرحلة
بايلافهم مفعولا به كما نصب يتيما باطعام واراد رحلتي الشتاء والصيف فافرد لامن الالباس
كقوله كلوا في بعض بطنكم وقرى رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها والتنكير في جوع وخوف
لشدتهما يعني اطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم
وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد اصابتهم
شدة حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل
ذلك كله بدعاء ابرهيم صلوات الله عليه ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من ان تكون
الخلافة في غيرهم وقرى من خوف باخفاء النون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
لايلاف قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف ٥

بسم الله الرحمن الرحيم قرى ارايت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لان حذفها
مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذي سهل من امرها وقوع حرف الاستفهام
في اول الكلام ونحوه صاح هل ريت او سمعت براع رد في الضرع ما قرى في الحلاب وقرا
ابن مسعود ارايتك بزيادة حرف الخطاب كقوله ارايتك هذا الذي كرمت علي والمعنى

هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه فذلك الذي يكذب بالجزاء هو الذي
يدع اليتيم اي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة واذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة و
قرئ يدع اي يترك ويجفو ولا يحض ولا يبعث اهله على بذل طعام المسكين جعل علم
التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف يعني انه لو آمن بالجزاء وايقن
بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين اقدم عليه علم انه مكذب فما اشده من كلام
وما اخوفه من مقام وما ابلغه في التحذير من المعصية وانها جديرة بان يستدل بها على ضعف
الايمان ورخاوة عقد اليقين ثم وصل به قوله فويل للمصلين كانه قال فاذا كان الامر كذلك
فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلاة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم او يخرج وقتها او لا
يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع
واخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاوب والالتفات
لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السور وكما ترى صلاة اكثر من ترى الذين
عادتهم الرياء باعمالهم ومنع حقوق اموالهم والمعنى ان هولاء احق بان يكون سهوهم عن الصلوة
التي هي عماد الدين والفارق بين الايمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع
الزكوة التي هي شقيقة الصلوة وقنطرة الاسلام علما على انهم يكذبون بالدين وكم ترى من
المتسمين بالاسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه وطريقة اخرى ان يكون
فذلك عطفا على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات او صفة على صفة ويكون جواب
ارأيت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كانه قيل اخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي
اليتيم ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين اي اذا علم انه مسيء فويل للمصلين على
معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع ضميرهم لانهم كانوا مع التكذيب وما اضيف اليهم ساهين

عن الصلوة

عن الصلوة مرائين غير مزكين اموالهم فان قلت كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير
الذي يكذب وهو واحد قلت معناه الجمع لان المراد به الجنس فان قلت اي فرق
بين قوله عن صلوتهم وبين قولك في صلوتهم قلت معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها
وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى في ان السهو
يعتريهم بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلوته فضلا عن غيره ومن ثم اثبت الفقهاء باب سجود
السهو في كتبهم وعن انس رضي الله عنه الحمد لله على ان لم يقل في صلوتهم وقرأ ابن مسعود لاهون
فان قلت ما معنى المراءاة قلت هي مفاعلة من الاراءة لان المرائي يري الناس عمله
وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان
فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله لانها
اعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة با
لاظهار وان كان تطوعا فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا
للاقتداء به كان جميلا وانما الرياء ان يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فتثني عليه بالصلاح
وعن بعضهم انه راى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر فاطالها فقال ما احسن
هذا لو كان في بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الرياء والسمعة على ان اجتناب الرياء
صعب الا على المرتاضين بالاخلاص ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء الخفي من
دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الاسود الماعون الزكوة قال الراعي
قوم على الاسلام لما يمنعوا ماعونهم ويضيعوا التهليلا وعن ابن مسعود ما يتعاور في العادة
من الفاس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة رضي الله عنها الماء والنار والملح

وقد يكون منع هذه الاشياء محظورًا في الشريعة اذا استعملت عن اضطرار وقبحًا في المروة
في غير حال الضرورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ارايت غفر الله له ان كان

سورة الكوثر مكية او مدنية وهي ثلاث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم انا انطيناك بالكو
وفي حديثه وانطوا الثبجة والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة وقيل لاعرابية رجع ابنها
من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر وقال وانت كثير يا ابن مروان طيب وكان
ابوك ابن العقائل كوثرا وقيل الكوثر نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها حين
انزلت عليه فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي في صفته
احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد وروي لا يظمأ من شرب منه
ابدًا اول وارديه فقراء المسلمين المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الروس الذين لا يزوجون
المنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم على الله
لابره وعن ابن عباس انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير ان ناسا يقولون
هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير والنحر البدن وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر
بمنى وقيل هي صلوة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال
والمعنى اعطيت ما لا غاية له لكثرة من خير الدارين الذي لم نعطه احدًا غيرك ومعطي ذلك
كله انا اله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان اصابة اشرف عطاء واوفره
من اكرم معط واعظم منعم فاعبد ربك الذي اعزك باعطائه وشرفك وصانك من منن
الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله وانحر لوجهه وباسمه اذا نحرت مخالفا لهم

في النحر للاوثان ان من ابغضك من قومك لمخالفتك لهم هو الابتر لا انت لان كل من يولد
الى يوم القيامة من المؤمنين فهم اولادك واعقابك وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان
كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك في الاخرة ما لا يدخل تحت الوصف
فمثلك لا يقال له الابتر انما الابتر هو شانئك المنسي في الدنيا والاخرة وان ذكر ذكر باللعن
وكانوا يقولون ان محمدا صنبور اذا مات مات ذكره وقيل نزلت في العاص بن وائل
وقد سماه الاتى والابتر الذي لا عقب له ومنه الحمار الابتر الذي لا ذنب له عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر
حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر او يقربونه

بسم الله الرحمن الرحيم المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم
انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد
آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض
آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش
فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فايسوا لا اعبد اريدت به العبادة فيما يستقبل لان
لا لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في
معنى الحال الا ترى ان لن تاكيد فيما تنفيه لا وقال الخليل في لن ان اصله لا ان والمعنى
لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب
منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم

فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون
ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم قلت — فان قلت
لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت فلم — فان قلت
جاء على ما دون من قلت ان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل — قلت
ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي لكم دينكم ولي دين لكم شرككم
ولي توحيدي والمعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم
تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الكافرون فكانما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك
ويعافى من الفزع الاكبر ه

بسم الله الرحمن الرحيم اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل
كونه من اعلام النبوة روي انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فما الفرق — فان قلت
بين النصر والفتح حتى عطف عليه النصر الاغاثة والاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض — قلت
غاثها والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب او على قريش وفتح — على
مكة وقيل جنس نصر الله للمؤمنين وفتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان — بلاد الشرك عليهم وكان فتح
ومع رسول الله عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس
عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله
وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون

اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم ثم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلعم
وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم
بايعوه على الاسلام في دين الله في ملة الاسلام التي لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير
الاسلام دينا فلن يقبل منه افواجا جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد
ان كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه
بكى ذات يوم فقيل له فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله
افواجا وسيخرجون منه افواجا وقيل اراد بالناس اهل اليمن قال ابو هريرة لما نزلت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم
الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال اجد نفس ربكم من قبل اليمن وعن الحسن لما
فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اما اذ ظفر باهل الحرم
فليس به يدان وقد كان الله اجارهم من الفيل وعن كل من ارادهم وكانوا يدخلون في
الاسلام افواجا من غير قتال وقرأ ابن عباس فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء — اصحاب
للمفعول فما محل يدخلون قلت النصب اما على الحال على ان رايت بمعنى ابصرت او عرفت — فان قلت
او هو اما على الحال مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا
له اي فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال احد من ان يغلب احد على اهل الحرم
واحمده على صنعه او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه
عليك او فصل له روت ام هانئ انه لما فتح باب الكعبة صلى صلوة الضحى ثماني ركعات وعن
عايشة رضي الله عنها كان يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب
اليك والامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للامر بما هو قوام امر الدين من الجمع بين الطاعة و

والاحتراس من المعصية وليكون امره بذلك مع عصمته لطفا لامته ولان الاستغفار من
التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة في نفسه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفر الله في اليوم اني م
والليلة مائة مرة وروي انه لما قراها رسول الله صلعم على اصحابه استبشروا وبكى العباس
فقال صلعم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم
ير فيهما ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال رسول الله صلعم
لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا وروي انه لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال
فديناك بانفسنا واموالنا واباينا واولادنا وعن ابن عباس ان عمر رضي الله عنهما كان يدنيه
ويأذن له مع اهل بدر فقال عبد الرحمن اتأذن لهذا الفتى معنا وفي ابنائنا من هو مثله فقال
انه ممن قد علمتم قال ابن عباس فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسالهم عن قول الله تعالى
اذا جاء نصر الله ولا اراه سالهم الا من اجلي فقال بعضهم امر الله نبيه اذا فتح عليه ان يستغفر
ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت اليه نفسه فقال عمر ما اعلم منها الا ما تعلم ثم قال
كيف تلومونني عليه بعد ما ترون وعن النبي صلى الله انه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه
انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود رضي الله عنه
ان هذه السورة تسمى سورة التوديع كان توابا اي كان في الازمنة الماضية منذ خلق المكلفين
توابا عليهم اذا استغفروا فعلى كل مستغفر ان يتوقع مثل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة اذا جاء نصر الله اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اي هالكة من
الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى اخذ حجرا ليرمي به رسول الله وتب
وهلك كله او جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقولك بما قدمت يداك ومعنى
وتب وكان ذلك وحصل كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه الكلاب العاويات وقد فعل جزاء م
ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب وروي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي
الصفا وقال يا صباحاه فاستجمع اليه الناس من كل اوب فقال يا بني عبد المطلب يا بني
فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي فان ثلث م
الساعة فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت لم كناه والتكنية تكرمة فيه ثلثة اوجه
احدها ان يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا باحدهما ولذلك
تجري الكنية على الاسم او الاسم على الكنية عطف بيان فلما اريد تشهيره بدعوة السوء وان
تبقى سمة له ذكر الاشهر من علميه ويؤكد ذلك قراءة من قرأ تبت يدا ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب
ومعاوية بن ابو سفيان لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع ولفليتة بن قاسم امير مكة ابنان
احدهما عبد الله بالجر والاخر عبد الله بالنصب والثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه
الى كنيته والثالث انه لما كان ~~اسمه عبد العزى فعدل عنه~~ من اهل النار ومآله الى نار ذات
لهب وافقت حاله كنيته وكان جديرا بان يذكر بها ويقال ابو لهب كما يقال ابو الشر وابو الشر م
الخير للخير وكما كنى رسول الله ابا المهلب ابا صفرة لصفرة في وجهه وقيل كني بذلك لتلهب
وجنتيه واشراقهما ويجوز ان يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك وقرئ ابي لهب بالسكون
وهو من تغيير الاعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم ما اغنى استفهام في معنى الانكار ومحله
النصب ونفي وما كسب مرفوع وما موصولة او مصدرية بمعنى ومكسوبه او وكسبه لم ينفعه والمعنى م

ماله وما كسب بماله يعني رأس المال والارباح او ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها وكان
ذا سابياء او ماله الذي ورثه من ابيه والذي كسبه بنفسه او ماله التالد والطارف وعن
ابن عباس ما كسب ولده وحكي ان بني ابي لهب احتكموا اليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه
بعضهم فوقع فغضب فقال اخرجوا عني الكسب الخبيث ومنه قوله عليه السلام ان اطيب
ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وعن الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعني
كيده في عداوة رسول الله وعن قتادة عمله الذي ظن انه منه على شيء كقوله وقدمنا الى ما عملوا
من عمل وروي انه كان يقول اذا كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افدي منه نفسي بمالي
وولدي سيصلى قرئ بفتح الياء وبضمها مخففا ومشددا والسين للوعيد اي هو كائن
لا محالة وان تراخى وقته وامرأته هي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل
حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول الله وقيل كانت تمشي
بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة ويورث
الشر قال من البيض لم تصطد على ظهر لأمة ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب جعله رطبا
ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر ورفعت عطفا على الضمير في سيصلى اي سيصلى
هو وامرأته وفي جيدها في موضع الحال او على الابتداء وفي جيدها الخبر وقرئ حمالة الحطب بالنصب
على الشتم وانا استحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من
احب شتم ام جميل وقرئ حمالة للحطب وحمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب وقرئ
ومريئته بالتصغير المسد الذي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان او جلد او غيرهما
قال ومسد امر من ايانق ورجل ممسود الخلق مجدوله والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال
وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها

تحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها
وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل بن
العباس بن عتبة بن ابي لهب بحمالة الحطب فقال ماذا اردت الى شتمي ومنقصتي ام ما
تعيير من حمالة الحطب غراء شادخة في المجد غرتها كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب
ويحتمل ان يكون المعنى ان حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين
كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم او
من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في
جرمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه
وبين ابي لهب في دار واحدة

بسم الله الرحمن الرحيم هو ضمير الشان كقولك هو زيد منطلق كأنه
قيل الشان هذا وهو ان الله واحد لا ثاني له فان قلت ما محل هو قلت الرفع على الابتداء
والخبر الجملة فالجملة الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع الى المبتدأ فاين الراجع حكم هذه الجملة فان قلت قلت
حكم المفرد في قولك زيد غلامك في انه هو المبتدأ في المعنى وذلك ان قوله الله احد هو
الشان الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد ابوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان
على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن ابن عباس قالت قريش يا محمد صف لنا ربك
الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سألتموني وصفه هو الله واحد بدل من قوله الله او على
هو احد وهو بمعنى واحد واصله وحد وقرأ عبد الله وابي هو الله احد بغير قل وفي قراءة

النبي صلى الله عليه وسلم الله احد يعني قل هو وقال من قرأ الله احد كان بعدل القرآن و
وقراء الاعمش قل هو الله الواحد وقرئ احد الله بغير تنوين اسقط لملاقاته لام التعريف و
نحوه ولا ذاكر الله الا قليلا والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين والصمد فعل بمعنى
مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي
تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك
فيها وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق ولا يستغنون عنه وهو الغني عنهم لم يلد لانه لا يجانس
كما يجانس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد
ولم تكن له صاحبة ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده وليس
بجسم ولم يكافئه احد اي لم يماثله ولم يشاكله ويجوز ان يكون من الكفاءة في النكاح نفيا
للصاحبة سالوه ان يصفه لهم فاوحى اليه ما يحتوي على صفاته فقوله هو الله اشارة لهم
الى من هو خالق الاشياء وفاطرها وفي طي ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق
يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية الاحكام والاتساق والانتظام وفي ذلك وصفه
بانه حي سميع بصير وقوله احد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء وقوله الصمد وصف بانه
ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو غني وفي كونه غنيا مع كونه عالما انه عدل
عن فاعل القبائح لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقوله لم يولد وصف بالقدم والاولية وقوله لم
يلد نفي للشبه والمجانسة وقوله ولم يكن له كفوا احد تقرير لذلك وبت للحكم به الكلام العربي
الفصيح ان يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك في
كتابه فما باله مقدما في افصح كلام واعربه قلت هذا الكلام انما سيق لنفي المكافاة عن ذات
الباري سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك اهم شي واعناه

احقه

واحقه بالتقديم والاحراه وقرئ كفؤا بضم الكاف والفاء وبضم الكاف وكسرها مع سكون
الفاء لم كانت هذه السورة عدل القرآن كله على قصر متنها وتقارب طرفيها قلت لامر
ما يسود من يسود وما ذاك الا لاحتوائها على صفات الله وعدله وتوحيده وكفى دليلا
من اعترف بفضلها وصدق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ان علم التوحيد
من الله بمكان وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضع بضعته
ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله
وانافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه ومن ازدراه فلضعف علمه
وقلة تعظيمه له ومن خشيته وبعده عن النظر لعاقبته اللهم احشرنا في زمرة العالمين
بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك الخائفين من وعيدك وتسمى سورة
الاساس لاشتمالها على اصول الدين وروى ابي وانس عن النبي صلى الله عليه وسلم اسست
السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد يعني ما خلقت الا لتكون
دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال وجبت قيل يا رسول الله
وما وجبت قال وجبت له الجنة ٥

بسم الله الرحمن الرحيم الفلق والفرق الصبح لان الليل انفلق عنه وتفرق
فعل بمعنى مفعول يقال في المثل هو ابين من فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع
الفرقان اذا طلع الفجر وقيل هو كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات والجبال عن العيون

والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك وقيل هو واد
في جهنم او جب فيها من قولهم لما اطمان من الارض الفلق والجمع فلقان وعن بعض
الصحابة انه قدم الشام فرأى دور اهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم
من دنياهم فقال لا ابالي أليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح
صاح جميع اهل النار من شدة حره من شر ما خلق من شر خلقه وشرهم ما يفعله المكلفون
من الحيوان من المعاصي والمآثم ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم
وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين منه من الاكل والنهش واللدغ والعض كالسباع وا
لحشرات وما وضعه الله في الموات من انواع الضرر كالاحراق في النار والقتل في السم والغاسق
الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل ومنه غسقت العين امتلأت دمعا
وغسقت الجراحة امتلأت دما ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء ويقال وقبت الشمس اذا غابت
وفي الحديث لما رأى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعني صلوة المغرب وقيل هو
القمر اذا امتلأ وعن عايشة رضي الله عنها اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاشار الى
القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله في الكسوف
واسوداده ويجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب
ومنه وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل لان انبثاث الشر فيه اكثر والتحرز منه اصعب ومنه قولهم
الليل اخفى للويل وقولهم اغدر الليل لانه اذا اظلم كثر فيه الغدر واسند الشر اليه لملابسته
من حدوثه فيه النفاثات النساء او النفوس او الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في
خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق ولا تأثير لذلك اللهم اذا كان ثم اطعام
شيء ضار او سقيه او اشمامه او مباشرة المسحور به على بعض الوجوه ولكن الله عز وجل قد يفعل

عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من
من العوام فينسبه الحشو والرعاع اليهن والى نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا
يلتفتون الى ذلك ولا يعبأون به فان قلت فما معنى الاستعاذة من شرهن قلت فيها ثلثة اوجه
احدها ان يستعاذ من شرهن ومن عملهن الذي هو صنعة السحر ومن اثمهن
في ذلك والثاني ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن والثالث
ان يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ويجوز ان يراد بهن النساء الكيادات
من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد او اللاتي يفتن الرجال
بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك اذا حسد اذا اظهر حسده
وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر اثر ما اضمره فلا ضرر يعود منه
على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز لم ار ظالما
اشبه بالمظلوم من حاسد ويجوز ان يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله في وقت حسده
واظهاره اثره فان قلت قوله من شر ما خلق تعميم في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة
بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد قلت قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء
امره وانه يلحق الانسان من حيث لا يعلم كأنما يغتال به وقالوا شر العداة المداجي الذي
يكيدك من حيث لا تشعر فان قلت فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه قلت
عرفت النفاثات لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما
يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد
في الخيرات ومنه قوله عليه السلام لا حسد الا في اثنين وقال ابو تمام وما حاسد في المكرمات
بحاسد وقال ان العلا حسن في مثلها الحسد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ

المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى كلها

بسم الله الرحمن الرحيم قرئ قل اعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونحوه فخذ
اربعة من الطير فان قلت لم قيل برب الناس مضافا اليهم خاصة قلت لان
الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكأنه قيل اعوذ من شر الموسوس
الى الناس بربهم الذي يملك عليهم امورهم وهو الههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالي
اذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي امرهم فان قلت ملك الناس اله الناس ما هما
من رب الناس قلت هما عطف بيان كقولك سيرة ابي حفص عمر الفاروق بين بملك
الناس ثم زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس واما اله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان
فان قلت فهلا اكتفى باظهار المضاف اليه الذي هو الناس مرة واحدة قلت لان
عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار الوسواس اسم بمعنى الوسوسة
كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر
كأنه وسوسة في نفسه لانها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه او اريد ذو الوسواس
والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي والخناس الذي عادته ان يخنس منسوب
الى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روي عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه
خنس الشيطان وولى واذا غفل وسوس اليه الذي يوسوس يجوز في محله الحركات الثلث
فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن ان يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذي

اثام

تذكر

٣٠٨

يوسوس على احد هذين الوجهين من الجنة والناس بيان للذي يوسوس على ان الشيطان
ضربان جني وانسي كما قال شياطين الانس والجن وعن ابي ذر رضي الله عنه انه قال
لرجل هل تعوذت بالله من شياطين الانس ويجوز ان يكون من متعلقا بيوسوس و
معناه ابتداء الغاية اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقيل من الجنة
والناس بيان للناس وان اسم الناس ينطلق على الجنة واستدلوا بنفر ورجال في سورة
الجن وما احقه لان الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا لظهورهم من الايناس وهو
الابصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين وصح ذلك وثبت لم يكن
مناسبا لفصاحة القرآن وبعده من التصنع واجود منه ان يراد بالناس الناسي كقوله
يوم يدع الداع وكما قرئ من حيث افاض الناس ثم يبين بالجنة والناس لان الثقلين
هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله عز وجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين احب ولا ارضى
عند الله منهما ويقال للمعوذتين المقشقشتان

قال جار الله العلامة وانا اعوذ بها

وبجميع كلمات الله الكاملة التامة والوذ بكنف رحمته الشاملة العامة من كل ما يكلم
الدين ويثلم اليقين او يعود في العاقبة بالندم او يقدح في الايمان المسوط باللحم والدم
واسأله بخضوع العنق وخشوع البصر ووضع الخد لجلاله الاعظم الاكبر مستشفعا
اليه بنوره الذي هو الشيبة في الاسلام متوسلا بالتوبة الممحصة للآثام وبما عنيت
به من مهاجرتي اليه ومجاورتي ومرابطتي بمكة ومصابرتي على توكل من القوى وتخاذل
من الخطى ثم اسأله بحق صراطه المستقيم وقرآنه المجيد الكريم وبما لقيت من كدح اليمين

السوط الخلط



وعرق الجبين في عمل الكشاف عن حقايقه المخلص عن مضايقه المطلع على غوامضه
المثبت في مداحضه الملخص لنكته ولطايف نظمه المنقر عن فقره وجواهر علمه المكتنز
بالفوايد المفتنة التي لا توجد الا فيه المحيط بما لا يكتنه من بدايع الفاظه ومعانيه مع
الايجاز الحاذف للفضول وتجنب المستكره المملول ولو لم يكن في مضمونه الا ايراد
كل شيء على قانونه لكفى به ضالة ينشدها محققة الاحبار وجوهرة تتمنى العثور عليها
غاصة البحار ولما شرفني به ومجدني واختصني بكرامته وتوحدني من ارتفاعه
عابدي في مهبط بشاراته ونذره ومتنزل اياته وسوره من البلد الامين بين ظهراني
الحرم وبين يدي البيت المحرم حتى وقع التاويل حيث وجد التنزيل ان يهب لي
خاتمة الخير ويقيني مصارع السوء ويتجاوز عن فرطاتي يوم التناد ولا يفضحني بها
على رؤوس الاشهاد ويحلني دار المقامة من فضله بواسع طوله وسابغ نوله انه هو الجواد
الكريم الرؤوف الرحيم قال المصنف رضي الله عنه
في اخر نسخته وهذه النسخة هي نسخة الاصل الاولى التي نقلت من السواد وهي ام الكتاب في
الحرمية المباركة المتمسح بها المحفوفة بان تستنزل بها بركات السماء ويستمطر
بها في السنة الشهباء فرغت منه يد المصنف تجاه الكعبة في جناح دار السليمانية
التي على باب اجياد الموسومة بمدرسة العلامة ضحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين
من ربيع الاخر سنة ثمان وعشرين وخمسمايه والحمد لله على باهر كرمه وصلى على محمد
عبده ورسوله وعلى اله واصحابه اجمعين والحمد لله رب العالمين

تم المجلد الرابع من الكشاف بحمد الله وحسن توفيقه والصلوة على رسول الله
وبلغه على خير خلقه سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله
واصحابه الطاهرين ووقع الفراغ منه يوم الجمعة ثاني عشر اخر من ربيع الآخر
سنة ثمان وخمسين وسبعمايه بمدينة ارزنجان

على يد اضعف خلق الله واحوجهم الى غفرانه ورحمته
فخر الملك بن عبد العزيز الاراني عفر الله لهما